المكتبة الصوفية



البحر المورود

في

المواثيق والعهود

تأليف الإمام العارف بالله

عبد الوهاب الشعراني

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

المكتبة الصوفية

البحر المورود

في

المواثيق والعهود

تأليف الإمام العارف بالله

عبد الوهاب الشعراني

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ شارع بورسعيد - الظاهر

ت : ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس : ٥٣٦٢٧٧


البحر المورود
في
المواثيق والعهود

الطبعة الأولي

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر ت: ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس: ٥٩٣٦٢٧٧

ص.ب ٢١ توزيع الظاهر - القاهرة

رقم الايداع	٢٠٠٣/١٣٦٤٢
I.S.B.N الترقيم الدولي	977 - 341 - 108- 7

بسم الله الرحمن الرحيم

اقول وأنا العبد الفقير إلى رحمة ربى عبد الوهاب بن احمد بن على بن أحمد بن محمد كمال الدين زرقا بن موسى ابن مولاى ابى عبد الله الزغلى، بضم الزاى المعجمة وسكون الغين المعجمة، سلطان تلمسان بارض المغرب واجل اصحاب سيدنا العارف بالله تعالى الشيخ ابى مدين شيخ مشايخ المغرب ﷺ وانتهى نسبتنا إلى السيد محمد ابن الحنفية بن الامام على بن أبى طالب ﷺ وعن جميع ذريته ومحبيه إلى يوم الدين:

الحمد لله رب العالمين واصلى واسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم اجمعين واستغفر الله لى ولوالدى ولجميع الموحدين، واقول حسبى الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم.

وبعد . . . فهذه عهود ومواثيق اخذت علينا من سادتنا ومشايخنا الذين عاصرناهم وبعضها اقتبسناها من نور صفاتهم واخلاقهم المحمدية حسب ما قدرنا عليه من التخلق بها وذلك لان اخلاق الاكابر لا ملقى لامثالنا إلى ذوقها ولا التخلق بها وغالبها من هؤلاء الاعيان العشرة وهم: سيدى وشيخى وقدوتى الامام المحقق الامى المحمدى الشيخ على الخواص وشيخى واستاذى ذو الهمم العالية والنفع العام، من كان معدا لتفريج كرب هذه الامة الشيخ محمد الشناوى الاحمدى وشيخى واستاذى المقبل على ربه

ليلا ونهارا صيفا وشتاء ومن اعترف له بالتقدم على سائر الفقراء من اهل عصره الشيخ محمد بن عنان والشيخ العارف بالله المجذوب الصاحى صاحب التصريف بمصر المحروسة الشيخ عبد القادر الدشطوطى والشيخ الصالح الكامل الراسخ الحاج إلى بيت الله الحرام ستين مرة باخباره لى من لفظة عالم توفى الشيخ محمد المنير والشيخ الصالح السنى المحمدى كافل اليتامى والمساكين الشيخ محمد بن داود والشيخ الصالح الصامت القائم فى نفع عباد الله الشيخ محمد العدل الطناحى والشيخ الصالح خادم الفقراء والمساكين الشيخ عبد الحليم بن مصلح والشيخ الكثير النفع لهذه الأمة فى نواحى مصر والحجاز بالشفاعات وتفريج الكرب الشيخ أبو بكر الحديدى والشيخ الصالح عابد المسلك ذو الهمم العوالى الشيخ ابو الحمايل محمد السروى وكلهم من فقراء مصر المحروسة اعاد الله تعالى علينا وعلى المسلمين من بركاتهم وبركات نفحاتهم فى الدنيا والاخرة ورضى الله عنهم أجمعين.

وها انا ذاكر للاخوان الصادقين جملة صالحة من عهودهم واخلاقهم مما يمكن لأحدهم التخلق به اذا انقاد لشيخه وسلم له قياده وافنى له مراده بحيث لو قال له ارم نفسك فى البئر أو اخرج عن جميع مالك للفقراء والمساكين لفعل ذلك بسهولة وعدم توقف، ثم أختم هذه العهود ان شاء الله تعالى بخاتمة خاصة بعهود اهل حضرة الله تعالى الخاصة ممن حق له قدم الولاية المحمدية، فمن اراد التخلق بها فليخدم نعال مشايخه حتى يفطموه عن محبة الدنيا وادناسها ويتساوى عنده الذهب والرمل على حد

سواء ويصير اذا مر على تلال الذهب من غير مزاحم لا يطاطى لأخذ دينار واحد، واذا دخلت الحمارة داره ليلا وهى محملة ذهبا اخرجها واغلق بابه فاذا وصل إلى هذا الحد فهنالك يرجى دخول تلك الحضرة، وذلك لان مجموع اهل الحضرة الالهية ثلاثة اصناف: ملائكة وانبياء واولياء، وليس من صفات احد منهم محبة الدنيا باجماع جميع الملل، فمن اراد دخول حضرة الله عز وجل فليتخلق باخلاق اهلها والا فلا يمكنوه خدامها من الدخول ولو عبد الله الى قيام الساعة، واول اخلاق الأولياء الزهد فى الدنيا والاخرة، لان نعيم الآخرة معدود عندهم من الدنيا، اذ هو ادنى بالنظر إلى ذلك الجمال البديع الذى ليس فوقه لذة ولا نعيم، ولا يترك احد قط شيئا الا اذا راى شيئا أنفس منه، فلو ان محب الدنيا انجلى لوح ايمانه لرأى فيه مكتوبا: من ترك كذا اعطيناه كذا مما هو انفس منه وكان يترك الاخس ضرورة، لكن لوحه مظلم لم ينجل ولم يشهد فيه مكتوبا إلا عراض الدنيا فقط، فلذلك تقيد على محبتها.

فافهم وتامل ما رواه البيهقى من قول عيسى ابن مريم عليه السلام: حب الدنيا رأس كل خطيئة، فعم ﷺ بقوله: كل، ولم يخرج عن من يحبها كل المحبة خطيئة واحدة، كما سيأتى بسطه، ان شاء الله تعالى، وانما رقمنا هذه العهود فى الطروس ولم نكتف باخذنا لها على اصحابنا كما اخذها علينا مشايخنا، رجاء لدوام النفع بها بعد موتنا، فان كتاب الانسان كالنائب عنه فى نصح اخوانه بعد ما دام الكتاب باقيا، وانما ذكرت فى بعض العهود محك الوصول الى التخلق بذلك العهد نصحا للاخوان خوفا أن

يدعى احدهم التخلق بهـا بالوهم والله فى عون العبد ما دام العـبد فى عون اخيه، وسميته بالبحر المورود فى المواثيق والعهود تفاؤلا بان يكون موروداً للاخوان، ان شاء الله تعـالى، والله اسأل أن يجعله خالصـا وطريقا لسالكه إلى الصراط المسـتقيم ولا يجعله حجة علينا ولا على احـد من اخواننا آمين آمين آمين . . .

اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق:

اخذ علينا العهود ان نرى نفوسنا دون كل جليس من المـسلمين ولو بلغ ذلك الجليس فى الفـسق إلى الغاية، فنرى نفـوسنا افسق منه فـمن شك من اهل الدعاوى فى ذلك فليعـرض على نفسه صفات الفـسق التى عملها طول عمره ويقابل بينها وبين صفات الفسق التى ظهرت من ذلك الجليس فانه يجد صفات فـسقه هو اكثـر من صفات جليسـه بيقين فهـو افسق، وذلك لان الله ستيـر، وما يكشـف من صفـات عبيده الناقـصة الا القليل والباقى يسـتره وما ستره لا حكم له ولا يجوز لنا رمى احد بالفواحش باطنا قياسًا على ما وقعنا نحن فيه وستره الله علينا.

فافهم واعلم يا اخى أن هذه العهود دهليز يتوصل منه إلى التخلق بجميع عـهود هذا الكتـاب، فمن لم يدخل منـه لا يشم من التخلق بهـذه العهـود رائحة لان من شـهد مسـاوئ الخلق استهـان بحقـوقهم وعدم الانـتفاع بهم عكس من شـهد مـحاسنهم، ومـا امرنا الشـارع الا بان ننظر إلى محـاسن الوجود فقط، وان وقع بصرنا الى مساوئ احـد استغفر الله عز وجل ونهيناه عن ذلك، مع شهودنا اننا دونه فى الرتبـة، فلم يوجب الشارع علينا الا نهى

العصــاة فقط، أما احتــقارهم وازدراؤهم فنهانا عن ذلك اشــد النهى، فروى الترمذى وابن حبــان ان رسول الله ﷺ قال: «من احتقر مسلمــا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين، ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا» يعنى فرضا ولا نفلا، والفاسق والظالم مسلم بلا شك، لانه يـقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، فافهم، وفى الحديث: «لا يدخل الـجنة من قلبه مثقال ذرة من كبر» قالوا يا رسول الله، وما الكبر؟ قال: «الكبر بطر الحق وغمص الناس» قال العلماء: بـطر الحق رده، وغمص الناس احتقـارهم وازدراؤهم فافهم، واعلم انه ليس لنا باب ندخل منه إلى ازدراء الناس الا وقوعهم فى المعاصى لا غيـر، ومن صار ينظر الى محـاسن الوجود دون مسـاويهم انسد عنه باب ازدرائهم بخلاف من ينظر إلى مســاوي الناس فانه ينفتح له باب ازدراء الناس ضرورة ويعمى عن مساويه فـيهلك هو مع الهالكين، وما ثم احد من الناس الا وهو مشتمل على محاسن ومساوى ما عـدا الانبياء والملائكة كما سيأتى بـسطه فى عهد الطينة الانسانيـة ان شاء الله تعالى ولكن الكامل ردم ملان من شهـود نقائصــه ولا يكاد يقع بصره علـى عورة احد من خلـق الله عز وجل ولذلك قل انكار العـارفين لانهم يشهــدون المحاسن ويحـملون الناس على احسن المحامل ويظن من لا يعرف حــالهم انهم يسكتون عن المنكر تسليما لله تعالى.

فاعلم ذلك ثم اقل ما تشهــد يا أخى من محاسن ذلك العاصى أنه لولا تحمل تلك القاذورات التى نزلت على الخلق لربما كنت انت المرتكب لها بحكم القبـضتـين اذ لا بد للمعاصى من فـاعل وسمعـت اخى افضل الدين

رحمه الله تعالى يقول: انا فى غاية الحياء والخجل من جارى، فقلت لم ذا؟ فقال لانه غارق فى الزنا واللواط وشرب الخمر والبوظة وبلع الحشيشة ليلا ونهارا، فانا اتخيل دائما انه متحمل ذلك عنى لقذارة حالى وخباثة اصلى، فانه من ذوى البيوت واى شىء بين حائطى وحائطه.

وسمعت كثيرا سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول: لا يصح لعبد قدم فى طريق القوم حتى يشهد نفسه تحت الارضين السفليات التى ليس تحتها مرتبة فى السفل الا نفوس العارفين ﷺ، فعلم ان كل من تحقق بهذا العهد وشهد نفسه دون كل جليس يصير الوجود كله بمدده لانه فى مرتبة الشيخ له وانحدر اليه المدد من كل شىء فى الوجود فلا تحصى أشياخه ولا تعد مواهبه لانه ما تم شىء فى الوجود الا وقد ظهر بخصيصة خصه الله بها فصاحب هذا المقام بنظر إلى كل خصيصة ظهرت فى جليسه ويتخلق بها وان لم يتخلق بها ذلك الجليس لعناده او جهله، فياخذ من جليسه المكابر والزانى والخمار مثلا صفة التجلد والصبر تحت القضاء والقدر، ويقول لنفسه: لولا تحمل هذا عنك الظلم واكل الحرام والزنا وبيع الخمر لربما كنت انت الواقعة فى ذلك، ثم انظر صبره تحت قضاء الله وقدره وتنكيس راسه بين الناس واحتقارهم له ونفرتهم من الجلوس معه، وانت يا نفس لو ابتليتى ببيع الخمر وصحن الحشيش مثلا يوما واحدا لضاقت عليك الارض بما رحبت، خوفا من زوال رياستك لا خوفا من الله، عز وجل، بدليل وقوعك فى الذنوب التى هى اقبح من بيع الحشيش مثلا، ثم لا تضيق عليك الأرض ذلك الضيق، ولو كان خوفك من الله عز وجل لكنت اشد

خوفا منه اذا وقعت في غيبة او نميمة مثلا، لان ذلك حرام بالاجماع، بخلاف الحشيشة، فافهم.

ويأخذ من جليسه الكلب مثلا كثرة الود واحتمال الاذى والجفا من صاحبه، فان قال له اخسأ ذهب وان قال له تعال رجع، ولو تكرر ذلك فى المجلس الواحد مرات، ويقول لنفسه: انظرى صفات هذا الكلب فلو قال لك اذهبى لم تذهبى، ولو ذهبت فقال لك تعالى مرات لم تفعلى وتكدرت اشد التكدير وقلت لاخيك هذا استهزاء بى وبمقامى، فصفات الكلب اذاً احسن من صفاتك، وكذلك يقول لنفسه: انظرى إلى صفات هذا الكلب فى اكله من رمم الحمير وشربه من خرارة الاخلية والحمامات مع انشراح صدره، وانت لو ابتلاك الله بذلك لسخطت ولم ترضى عن ربك فى ذلك، وهكذا ياخذ من الجمل او البغل او الحمار او الثور الصبر على تحمل الاثقال والضرب بالمقامع ونخسه بالحديد إلى ان يقوروا جلده ولحمه ويقول لنفسه لو ابتليتى بذلك ما صبرتى على ذلك يوما واحدا، وانظرى إلى الثور ماذا يقاسى فى حرث الارض اذا يبست وماذا تقاسى حمير الترابسين ونحو ذلك ثم بعد هذا النفع العظيم اذا عجز الجمل او غيره ذبحوه ونحتوا لحمه من على عظمه ثم اوقدوا عليه النار ثم القوه على المزابل وفى الخشوس، وهو مع ذلك لا يتكلم ولا يشكو ولا يتظلم ممن فعل معه ذلك، وهكذا فافعل مع ما يجالسك من سائر الحيوان ثم لا يخفى ان صاحب الكشف من الفقراء يرى كل ما فى الوجود من الجمادات حيا فيصح له الاعتبار به فى القبر والامتحان فيأخذ من الحجر والخشب او

الحديد مثلا الصبر على قطعه بالحديد ونشره بالمناشير ونحت اضلاعه وصبره على دخوله النار وحرقه بها حتى يصير جمرة يتوقد، وكم يدخل الحديد النار وتارة يعملوه مسمارا وتارة سكينا وتارة وتدا، وهكذا ابد الابدين إلى يوم الدين، وكم يطبقون اضلاعه بالمطارق، وكم يكسرون الحجر وكم يجعلونه فى اسفل جدارات الخرارات والابار لا يقدر يتنفس من الاثقال التى على ظهره ويقول لنفسه لو وضعوك مكانه ساعة ما قدرتى ويأخذ من الشمعة مثلا كثرة تنويرها على جليسها ويقول لنفسه اين نورك انت واين صبرك على العذاب لاجل جليسك وهكذا فى سائر ما يجالسك من سائر الجمادات ومن فتح بابا فتحت له ابواب.

ثم اعلم يا اخى ان حكم المدد حكم الماء والماء لا يجرى إلا فى السفليات فقط، واما الاعلى فلا يصعد اليه الماء، واما المساوى فماؤه واقف لا يجرى، فمن رأى نفسه فوق جليسه او مساويا له حرم مدده وان كانت القدرة صالحة لوصول المدد إليه مجرى الماء إلى الاعلى، وفى المساوى لكن سبب الاستحقاق مفقود.

فافهم واعلم يا اخى ان منزلة كل عبد فى الجنة تكون على حسب تواضعه فمن راى نفسه دون اقرانه كلهم كانت درجته فوقهم كلهم ومن راى نفسه فوقهم كلهم كانت درجته فى الجنة تحتهم كلهم فليس فوق مقام المتواضع مقام الا مقام من زاد عليه فى التواضع واكثر الخلق اجمعين تواضعا محمد ﷺ، فلذلك كانت درجته اعلى مكان فى الجنة ويليه فى ذلك من ورثه من الرسل والاولياء والعلماء كل واحد على قدر حظه ونصيبه.

فان قيل: ان بعض الفقراء يشهد نفسه دون الخلق اجمعين فهو يكون درجته فى الجنة مثل درجة صحابى راى نفسه دون الخلق اجمعين؟.

قلنا: لا يكون مساويا لذلك الصحابى لزيادة الصحابى على الفقير بصفاء المقام وخلوصه فافهم.

فان قيل: فهل لمن ادعى التخلق بهذا العهد علامة تدل على صدقه؟.

قلنا: نعم من علامة التحقق به احتمال الجفاء من جميع الناس الذين ادعى انه يرى نفسه دونهم، لانهم فى مرتبة السيادة له وهو فى مرتبة العبودية لهم، وتأمل العبد لما كانت سيادة سيده مشهودة له كيف احتمل زجر سيده وشتمه وضربه لم يمد يده إليه ولا لسانه، بل هو منكس الراس، فلولا شهود الفقراء نفوسهم كذلك ما احتملوا جفاهم فافهم.

ومن علامة المتحقق به ايضا انه لا يرد سائلا قط سأله فى شىء هو عنده كائنا ما كان، ولا يجعل له قط قفلا على داره ولا مفتاحا الا ان كان فيها متاع لغيره من زوجة او غيرها.

ومن علامة المتحقق به كثرة التسليم لجميع الخلق فى سائر ما يدعونه من مراتب الكمال والعرفان، ولو ادعى الصديقية والقطبية فتصدقهم ما لم يدعوا باطلا كالنبوه والرسالة، وذلك لان من رأى نفسه دون جنسه حكم على نفسه بعدم الذوق لمقامه الذى ادعاه فتسلم له ضرورة، ومن هنا تعرف يا اخى انه لا ينبغى لك مفاضلة بين شيخين لانه من كان مقامه دونهما لا ذوق له فى مقامهما فاذا فاضل فكانه ادعى مقاما فوق مقام الشيخين وجعلهما تحته ولولا دعواه ذلك ما عرف التمييز بينهما على حسب دعواه،

وهذا يقع فيه كثير من الناس فيقولون نحن اقل الناس، ثم يفاضلون بين الاشياخ فيدعون التواضع بالمقال ويتبرون منه بالحال، والله غفور رحيم.

اخذ علينا العهود ان نمتحن كل من طلب منا الصحبة الخاصة ولا نأخذ عليه عهدا ولا نطلعه على سر حتى نمتحنه بالامور التى تفصح عن شدة محبته لنا وسماعه منا، ليأخذ اداب الطريق منا وهو على يقين لا شك فيه، ويأتي البيوت من ابوابها، وكان لسان حالنا يقول من كان منا فلا يأخذ عن احد الا عنا، فاذا امتحناه وظهر لنا صدقه كشفا او بالقرائن اجبناه للصحبة واخذنا عليه العهد، وصورة عهدنا ان نامره بان يشكر الله عند وقوع طاعته ويستغفره عند وقوع معصيته، قال بعضهم: ولا ينبغي ان يؤخذ العهد على عبد بانه لا يقع فى معصية ولا يخل بطاعة، لأن ذلك الوفاء ليس بمقدور البشر فافهم.

ثم من اقل علامات محبته لنا ان لا يقدم علينا فى المحبة اهلا ولا زوجة ولا ولدا ولا مالا ولا غير ذلك من سائر الامور المحبوبة للنفوس الغوية، اذ التوحيد مطلوب وكان لسان حالنا يقول اختر لنفسك اما نحن واما زوجتك واما مالك، فان اختارنا وجد القصد الينا فهو صادق، وان رجح بباطنه زوجة او ولدا فهو كاذب، ولكن قد صار من معارفنا لا من اصحابنا وليعلم ان جميع ما قدمه هذا المريد علينا وعلى محبتنا لا يساوى جناح بعوضة اذ هو معدود من الدنيا، ومن قدم الدنيا على الاخرة وعلى محبتنا فقد تعوق عن المسير وانعكس الى وراء، وتأمل قوله ﷺ: «ازهد فى الدنيا يحبك الله» تعرف ان الحق تعالى اوقف صدق محبته على ترك الدنيا ومفهوم ذلك ان

من لم يزهد في الدنيا لا يحبه الله رجح محبتها على محبة ربه عز وجل وكأن لسان حاله يقول ليس لى حاجة بمحبة الحق تعالى نسأل الله العافية، ولما علم رسول الله ﷺ أن لمحبة الناصح مدخلاً عظيمًا في حصول الهداية والانقياد بسرعة دون بطء قال: «لا يؤمن احدكم ـ يعني لا يصدقني التصديق الكامل ـ حتى اكون احب اليه من اهله وولده والناس اجمعين».

ومعلوم ان جميع الدعاة الى الله تعالى نواب للانبياء في تبليغ الاحكام وبيان الطريق الموصلة إلى دخول حضرة الله عز وجل في الدنيا بالقلوب وفي الآخرة بالاجسام فللنواب ما للأصول من تلك المحبة بحكم الإرث ليحصل للمريد كمال الانقياد ويعتقد في شيخه انه اشفق عليه من نفسه ويرجح كلما رجحه شيخه وامره بتقديمه من أعمال الآخرة فإن المريد ما دام يرجح اعمال الدنيا على الآخرة بقلبه ويجعلها شغله اول ما يقوم من نومه لا يجيء منه شيء ولا يقدر شيخه يبني على اساسه طوبة واحدة فتقديم أعمال الآخرة أول البناء والسلام، ومن كلام سيدى مدين رضي الله عنه: ليس للقلب الا وجهة واحدة متى توجه اليها حجب عن غيرها واذا كان الحق تعالى مع وسعه وحلمه غيورًا ان يرى في قلب عبده المؤمن غير محبته فكيف بالشيخ مع ضيقه فان الشيخ اذا شم من المريد تقديم احد عليه نفض يده منه وذلك لان الحكم لمن دخل القلب اولا، فاذا جاء الثاني إلى باب القلب ووجد غيره قد سبقه الى المكث فيه رد، ولو أراد إدخال مدد إلى قلب ذلك المريد لم يقدر.

والقاعدة ان المشغول لا يُشغل، لكن ان كان القلب فيه فرجة وخلوٌ ما

فللشيخ ان يدخل في ذلك الخلو بقدره من المدد فقط لانه لا يقبل زيادة عليه.

واعلم يا أخى ان جميع الاشياخ انما طلبوا من المريد الإجلال والتعظيم لهم والرضا بكل ما يقضون به عليهم تمرينًا له وطلبًا لترقيته إذ الشيخ كالسلم للترقى الى الادب مع الحق تبارك وتعالى فمن لم يحكم باب الادب مع شيخه لا تقبله الطريق ابداً فيستفيد بالرضى عن شيخه اذا حَرَمَهُ دنيا كان مرتصدا لها الرضى عن الحق تعالى وكذا اذا حرمه رزقًا وأنزل عليه بلاء ومتى لم يرض بحرمان شيخه لا يصح له الرضى عن الحق اذا حرمه ويستفيد بصره على غضب شيخه عليه وثباته تحت هجره وقطيعته الادمان على تحمل غضب الحق تعالى وهجره له لو وقع لعبًا ويستفيد بمراقبة شيخه فى الخدمة وعدم غفلته عنها او عن ملاحظته عدم الغفلة عن الحق وكثرة ملاحظته بالقلب، وهكذا فعلم ان من لم يكمل تصديقه وايمانه بكلام شيخه لا يصح له تصديق الله ورسوله ﷺ من باب أولى لان من لم يكمل تصديقه وجهه الى حضرة الشياطين وظهره إلى حضره الانبياء والمرسلين وايمان مثل هذا باللسان دون القلب وذلك علامة المنافقين الذين هم انقص درجة من اليهود والنصارى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ وما كانوا فى الدرك الاسفل وتحت اليهود والنصارى الا لضعف تصديقهم لله ورسوله ولعبهم بالدينين فكانت حضرة تصديقهم أبعد من حضرة تصديق اليهود والنصارى، لان نزول الخلق فى درجات الجنة او طبقات النار على ترتيب نزولهم في درجات الاعمال او دركاتها فى دار الدنيا.

ومن هنا كانت هداية الكفـار إلى دين الاسلام اهون على الدعاة إلى الله تعالى من هداية المنافقـين لكثرة روغاتهم وزيغهم وعدم اخبـار الطبيب بما في بواطنهم من الداء.

فانظر آفـة عدم قبول كلام الناصـحين وعدم الاعتـراف لهم بما انطوت عليـه سرائرهم ولو انـهم اخبـروه لوصف لهم الدواء وخلصـهم من شقـاء الابدان وتامل يا اخى ايمان كل الصحابة لمـا كان فى غاية التصديق الذى لا توقف فيه ولا شك كيف بنوا أساس دينهم فى اول مجلس جلسوه مع رسول الله ﷺ وآمنوا بجميع المغيبات كأنها راى عين ولذلك لم يقعوا فى رذيلة ولا تخلفوا عن فضيلة، وتأمل إيمان غـير الصحابة كيف تأخر بناؤه مع طول مجالستهم الوعاظ والمسلكين حـتى شابت لحية احدهم وما آمن بضمان الله تعالى له برزقه مثلاً ولا سكنت نفسه الى ذلك بل يجتهد ليلاً ونهاراً خوفًا ان يفوته رزقه وكل شيء فاته انقـبض لاجله وذلك لأن تصديق الله ورسوله لم يدخل قلبه ولم يتعد لسانه كما يتضح ذلك بالمحكات الآتية قريبًا.

واعلم يا أخى أن أعون شيء للوصـول إلى كمال مراتب التصـديق كثرة ذكر الله عز وجل بإشـارة شيخ صادق فى الطريق فلا يزال الـمريد يذكر الله بأسمـائه والحجـب والاوهام تتمزق وتـرتفع حتى يدخل حـضرة الاحـسان ويشهـد بقلبه الحق تـعالى يتجلى سـراً وجهـراً ازلاً وابداً ويرحل عنه بذلك الشهـود جميع الشكـوك والاوهام كما قـال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ وأما طلب المريد وصوله إلى هذا المقام بالكلام وسماع المواعظ فذلك فى غاية البعد، ولو جلس تجـاه النحاس المصدى يقول له يا نحاس

انجلى الف عام لا ينجلى بخلاف جلاه بالحصا ونحوه، وكذلك من طلب الوصول اليه باعمال غير ذكر الله تعالى والسر فى ذلك كون الاسم لا يفارق المسمى فلا يزال العبد يكرر الاسم الالهى حتى يجمعه على مسماه بخلاف غير الذكر من الاعمال لكثرة الحجب والوسايط.

واعلم يا اخى أنه لا يتحقق لك معرفة كمال ايمانك بكلام الله تعالى وتصديقك لشيخك ومحبته وتقديمه على أهلك ومالك إلا بالامتحان ونحن نعرض عليك الآيات والأخبار ونبين لك محك كمال تصديقك بها وبكلام شيخك وانت اعرف بنفسك بعد ذلك فتحكم على نفسك بما تراه فيها ولا تحزجنا ان نجرح إيمانك ولا ان نقول لك انت منافق او ناقص الايمان او قليل الدين ونحو ذلك فان وجدت فى نفسك كمال التصديق فافرح واستبشر وان وجدت غير ذلك فاندم واستغفر ثم يجب عليك بعد ذلك العمل على تحصيل ذلك إما بالسلوك على يد شيخ يكسوك ثوب الايمان شيئًا فشيئًا وإما بسؤال ربك فى أوقات الإجابة كالأسحار وبين الاذان والاقامة والله سميع مجيب، وانما سامحنا نفوسنا فى امتحان اخواننا وبيان نقائصهم لان المريد الصادق هو السائل فى ذلك ولغلبة الرحمة والشفقة منا على اخواننا لكوننا اولى بهم من انفسهم واشفق عليهم منها ولو لم نسامح نفوسنا فى ذلك وتركنا امتحانهم فيما يدعونه من المراتب لخوجوا من الدنيا على غير كمال الايمان اى تصديق كما مر فان كل عبد يطلب التقرب من الله تعالى واذا ظهر له فى نفسه نقص بادر الى الاسباب المزيلة له بالطبع او الشرع، هذا شأن كل من دخل معنا فى الصحبة والتربية الخاصة كما أشرنا إليه اول

العهود واما من لم يدخل فالادب منا عدم امتحانه وربما بينا له نقصًا فيه بادر بالجواب عن نفسه بالصد باللسان او بالخواطر وكابر وقال هذا النقص ليس عندى، اذا علمت ذلك يا اخى فامتحن نفسك فى ايمانك بنحو قوله تعالى: ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ مثلاً فان وجدت فى نفسك انشراحًا وانبساطًا عند كل شيء فاتك من الدنيا فانت مؤمن حقًا، بقول الله تعالى: ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ وان وجدت فى نفسك عند فوات محبوب من الدنيا بعض ندم وحزن وقبض فانت غير مؤمن بذلك وكانك تقول عند قول الحق تعالى: ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ ليس الامر كذلك انما الآخرة شر وافنى، وكلامنا لمن يدعى العقل فان من كمل عقله يتلون قول الحق فى باطنه ذوقًا ومن علامة تلونه فى باطنه تقديمه على غيره ويصير فى باطنه المليح مليحًا والقبيح قبيحًا مثل ما قال الله عز وجل سواء وأما إذا قال الحق هذا الامر مليح فقال لا بل هو قبيح فلا هو مع الحق ولا الحق معه فى ذلك فلا إيمان وكذلك امتحن نفسك يا اخى فى ايمانك بنحو قوله ﷺ «ما نقص مال من صدقة» وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ فان وجدت مالك ينمو فى عينك ويزيد فى عين بصيرتك ولا تشتغل بكثرة النفقة ولا باعطاء الفقراء والمساكين لو ترادفوا عليك ليلاً ونهارًا فانت مؤمن بذلك وان شهدت النقص فى مالك عند النفقة وكثرة الصدقة واشتغلت بذلك فإيمانك ضعيف ومن ضعف يقينه عسر عليه ضرورة الإنفاق فى وجوه الخير لشهوده النقص فى ماله وعدم الخلف من الله تعالى، ومن هنا كان ﷺ لا يسأل شيئًا إلا أعطاه، وكذلك كل من كمل إيمانه من أمته كمعن بن زائدة وأبى زيد

الهلالى وأضرابهما وبالجملة فكل من كمل ايمانه ولم يكن عنده ما وعده الله به كالحاضر على حد سواء فايمانه ناقص، وتأمل لو جلس تجاهك شخص وبين يديه أردب ذهب وقال كل ما اعطيتني فلسًا اعطيك دينارًا كيف تصير تعطيه لا تمل، وتأمل قول الحق تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ وقوله ﷺ : «إن الصدقة تضاعف لصاحبها إلى سبعمائة ضعف وأكثر» تجد نفسك غير مصدقة بذلك إذ لو كنت مصدقًا بذلك اعطيت ربك كما اعطيت ذلك الشخص، فتنبه لنفسك يا أضل من البهائم وكذلك امتحن نفسك أيضًا فى ايمانك بنحو قوله ﷺ : «لو اجتمع الثقلان على ان يردوا عن عبد ذرة من رزق ما استطاعوا، وإن الله قسم بينكم أرزاقكم كما قسم بينكم أخلاقكم» فان وجدت نفسك منشرحة عند صرف الدنيا محبة لمن عارضها فى وصول رزقها التى زعمت انه لها فانت مؤمن بذلك وان وجدت نفسك منقبضة لفوات شيء من الدنيا باغضة لمن عارضها فى وصولها الى رزقها فأنت غير مصدق لرسول الله ﷺ فيما أخبر عن ربه عز وجل، وقد ادعى بعض الخطباء تصديق رسول الله ﷺ فيما ذكرنا وأفتى أن كل من تكدر من شيء فاته من الدنيا فهو ناقص العقل ففرق ابن عثمان مالا وكتبوا اسمه فى ديوان الصدقات فجاء شخص إلى الدفتردار وقال امسح اسم هذا واكتب اسم فلان فإنه أحوج منه فمسحه فلما بلغه ذلك عن ذلك الشخص عاداه الى الممات وعجزت فى الصلح بينهما فقلت له فأين إيمانك وانت تخطب على المنبر وتقول والله ثم والله ما يعطى ويمنع إلا الله فنسأل الله اللطف.

وكذلك امتحن نفسك أيضًا إذا ادعت أنها صارت تقدم أعمال الآخرة

على اعمال الدنيا مع كونها تنام عن صلاة الصبح ومجالس الذكر والخيرات وتقول النوم يغلب على بما لو رسم السلطان مثلاً لكل من يصلى ذلك اليوم الصبح فى جماعة او لكل من حضر مجلس الذكر بألف دينار كل يوم فان حصل عندك استيقاظ أو أوصيت نساك أو عبيدك من ان ينبهوك من الثلث الأخير فأنت كاذب فى دعواك تقديم الآخرة على الدنيا وان لم تستيقظ ولم توص أحدًا ينبهك وفوت الالف دينار فأنت صادق فى غلبة النوم عليك ونظير ذلك ما إذا كنت تنعس عند سماع القرآن والذكر وادعيت غلبة النوم فإن جاء انسان وعدّ لك فى كفك ذهبًا أو وضع بين يديك صحن كنافة مبسوس بقطر نبات ولم تستيقظ فانت صادق فى غلبة النوم وان فتحت عينك وزال النعاس فأنت كاذب فى دعواك ان الاجر والثواب فى قلبك ارجح من الذهب وامتحن نفسك ولا تصدقها فيما تدعيه من الغلبة حتى تمتحنها ويصير نومها غلبة كنوم العارفين الذين لا يوقظهم شيء من الدنيا والله يتولى هداك وكذلك يجب عليك امتحان نفسك فى ادعائك انك تسمع لشيخك ما يأمرك به من الخير وترجحه على رأيك وعقلك بما اذا قال لك طلق زوجتك ثلاثًا أو اخرج عن مالك كله للفقراء والمساكين او ائتنا بشطر مالك لنفرقه على اخوانك الحاضرين او اسقط حقك من سائر وظائفك من إمامة وخطابة ووقادة وفراشة وأذان وخلوة وثياب ونحو ذلك فان طلقت ثلاثا وخرجت عن مالك وأسقطت حقك من جميع ما ذكرنا وظهرت بشائر السرور على وجهك واشرق جبينك بالفرح حتى شهد لك بذلك الحاضرون فأنت صادق فى ادعائك انك تسمع لشيخك لكونه أمينًا عليك فى كل ما يرقيك إلى حضرة

ربك وان لم تطلق ولم تسقط او فعلت ذلك و لم تظهر بشائر السرور على وجهك بل ظهرت العبوسة وانقياض الخاطر فأنت كاذب فى دعواك الانقياض لشيخك وماذا يفوت من كان الحق تعالى له عوضًا عن كل شىء وماذا حصل من باع جلوسه فى حضرة الحق تعالى بقطعة جلدة مدبوغة بالبول والدم لا تساوى فى السوق فلسًا اذا قطعت وبلغنا عن الخضر عليه السلام انه امتحن سيدى احمد الشاذلى الملقب بزروق قبل أن ياخذ عليه العهد بان يخدم كلبًا مجذومًا ويطبخ له كل يوم ويأكل فضلته فى الغداة والعشى ففعل سيدى احمد وزاد بان أكل القىء حين قاءه من غير توقف فكان الفتح بذلك فى اليوم الثالث، وكذلك بلغنا عن بعض العارفين انه كان لا يأخذ العهد على مريد حتى يترك الاستنجاء والوضوء والصلاة ثلاثة ايام فاذا فعل ذلك حصل الفتح، قال شيخنا ﷺ: هذه من اغرب الطرق فلا يصح امتثالها الا لمن ماتت نفسه وقليل ما هم، وبالجملة فكل من لم يعتقد فى شيخه انه اشفق عليه من نفسه وانه ما يأمره بترك شىء إلا ليعطيه أنفس منه فصحبته وعشرته نفاق، أخذ علينا العهود ان لا نزاحم على شىء من الدنيا ولو وظيفة تدريس العلم او ارشاد المريدين وذلك لما فى المزاحمة على ما ذكر من تغير القلوب وتكدير النفوس لا سيما ما فيه رياسة فإن رأس مال الفقير العمل على صفاء قلبه من التكدير، واعملك يا اخى ميزانًا تطيش على الذر تفرق بها بين اعمال الدنيا والآخرة هو ان كلما حصل لك بواسطته نزاع من الناس وتكدير فهو معدود من الدنيا التى امرك الشارع بالزهد فيها فان اعمال الآخرة الصرف التى لا يخالطها دنيا لا نزاع فيها ولا مزاحمة وما

رأينا أحداً قط أذّن احتساباً أو صام نهاراً او قام ليلة يصلى او اكثر من الصدقة او حفر الآبار او عمارة الا سبلة او اوفى عن الناس ديونهم وفرج كربهم فاشتكاه الناس للحكام وغيرهم وطلبوا ان يكونوا موضعه فى ذلك الفعل أبداً بخلاف ما خالطه دنى من معلوم فى وقف او هدايا من الناس او نشر صيت او تعظيم بين الناس ونحو ذلك.

فافهم واعتبر فانه لولا محبة نشر الصيت ما تشوش عالم ممن برز فى زمانه ابداً والله غفور رحيم.

اخذ علينا العهود أن لا نأخذ معلوماً على نظر ولا مشيخة ولا تدريس ولا خطابة ولا إمامة ولا أذان ولا وقادة ولا فراشة ولا قراءة قرآن ولا تعليمه للأطفال ولا غير ذلك من سائر القربات الشرعية لأن مشروعية هذه الامور كلها انما هو طلب لمرضات الله او للثواب الاخروى وجميع ما ارصده اهل الخير من الاوقاف على فاعل ما ذكر انما هو بنية مساعدة من يقوم بذلك من أرباب الشعائر لضعف نيته فكان الواقف قال أبحت هذا المعلوم لكل من اتصف بالإمامة والخطابة او التدريس مثلاً لا شراء الاجر الحاصل من فعل ذلك فان الاجر غير مملوك وكما ان الواقف خلص نيته لله تعالى فكذلك ينبغي لكل من باشر وظيفة من وظائف الدين ينوى بفعلها التقرب الى الله تعالى ويأخذ ذلك المرصد عليها عند الحاجة ابتداء عطاء من الله لا ابتغاء للأجر والثواب بذلك المعلوم كما وقع للصحابة فى القطيع الغنم حين رقوا الملسوع بالفاتحة وعليه يحمل قوله ﷺ احق ما أخذتم عليه اجراً كتاب الله تعالى.

فافـهم ومحك وصـولك يا اخى إلى التحـقق بهذا العهـد ان لا تعكس الوظيفة ولا تثقـل عليك مباشرتها اذا صار الوقف رقبـة وان لا تطالب جابيًا ولا ناظر ولا متولى وقفًا بتشديد ولا شكوى فان مثل ذلك لا يلحق بالحقوق الشرعية بل الشكوى فى الحـقوق الشرعية للحكام تجرح مرتبـة الفتوة كما أفتى به الإمام النووى وغيره فاياك أن تشتكى ناظرا او جابيًا للظالمين وترسم عليه لاجل معلوم إمامـتك او خطابتك او تدريسك ونحو ذلك فانه نقص فى مرتبة مثلك لا سيما معلوم الإمامـة فإنها ما بين طهارة وتكبير لله وقراءة قرآن وركوع وتسـبيح وسـجود وتحـية لله وشهـادة أن لا إله إلا الله وأن محـمدا رسول الله وسلام على عباد الله وصلاة وسلام على رسول الله وكل ذلك لا يستحق العبد على فعله شيئًا من عوض الدنيا فى نظير فعله وانما يستحقه من حـيث كونه مـرصدا لمن يتـصف بذلك الفـعل لكن ليس له اخذه اذا كـان مستغن عنه كما اشرنا اليه آنفًا بقولنا عند الحاجة.

فافهم فكيف ينبغى لعبـد ان يعكس الامامة والخطابة او الوقادة او الاذان مثلا اذا توقف معلومه ويقـول ما أصلى أو أخطب إلا بفلوس ولا أقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محـمدا رسـول الله او حى على الصلاة الا بفـلوس ما ذاك الا من اقبح القبيح، وقد حكى لى بعض الرهبان انهم يعايرون القسيسين وخدام الكنيـسة بنا إذا رأوهم كسلوا عن خـدمة الكنيسة ويقـولون فلان قليل الدين كأنه يريد ان ياخذ على صلاته بنا معلومًا مثل فقهاء المسلمين نسأل الله اللطف.

وحكى لى الشيخ شهاب الدين الطنتناى احد اصـحاب سيدى الشيخ ابى

الحمائل رضي الله عنه قال: لما عمر القاضى ابو البقاء بن الجيعان الزاوية الحمراء خارج مصر قال للشيخ ابى الحمائل قد قررناك فى جميع وظائف هذه الزاوية وجعلنا لك فيها من المعلوم ما يكفى الفقراء فقال الشيخ لا يا قاضى نحن نباشر وظائفها قربة لله تعالى وانت ترصد ذلك قربة لله تعالى لا بيعًا ولا شراء لذلك الاجر بذلك المرصد حتى ان كل من غاب عن وظيفته يقول الناس قد اكل حرامًا فأجابه القاضى لذلك، ويؤيد ما افتى به النووى من ان شكوى الناظر الى الحكام يجرح فتوة المؤمن ما نقله اصحاب السير من انه ﷺ كان من اخلاقه عدم المطالبة بحقه كل ذلك لكثرة حيائه، ولما رعى الغنم لخديجة هو ورجل اخر فى الجاهلية وانتهت المدة كان الرجل يقول له يا محمد طالب خديجة بحقنا فيقول أنا أستحى من ذلك فلما بلغها منه ذلك الحياء ارسلت اليه فخطبته الى نفسها فكان ذلك من اسباب تزويجها به ﷺ.

فاعلم ذلك واتبع اخلاق نبيك والله يتولى هداك.

أخذ علينا العهود ان لا نأكل من هدايا النصارى واليهود والمجوس ومن ألحق بهم من المنافقين وسائر من امرنا الشرع بمعاداته وعدم موالاته ومواددته، ولما أهدى حكيم بن حزام قبل إسلامه الى رسول الله ﷺ هدية ردها وقال ﷺ نحن لا نقبل هدايا المشركين ان شاء الله تعالى، وكان ﷺ يقول: اللهم لا تجعل لمنافق علىّ سنة الا ان بلغ فى مقام التوحيد حده فيسبق إلى قلبه ان المعطى هو الله قبل ذلك فهذا الا يضره الاخذ لعدم الميل ان شاء الله تعالى وذلك لان الأكل من هدايا من ذكرنا

يميل القلب اليهم بالمحبة وبالود قهراً علينا كما اشار اليه قوله ﷺ جبلت القلوب على حب من احسن اليها فمن اكل هدية ممن ذكر وطلب انه لا يميل قلبه اليهم فكأنه رام المحال، فى الحديث يأتى رجل يوم القيامة بأعمال كأمثال الجبال الرواسى حتى يتعجب اهل الموقف من ذلك فيأمر الله تعالى به الى النار فتقول الملائكة يا ربنا انه لم يعصك فى معروف فيقول الله تعالى بلى ولكن كان لا يوالى من والانى ولا يعادى من عادانى.

اخذ علينا العهود ان لا نأكل من مسموح السلطان على الوجه الذى يعلمه الناس الآن فى المسامبح لأن ذلك معدود من جملة اكل اموال الناس بالباطل فإن الدكان الذى يؤجر للجزار والسيرجة التى تؤجر للمعاصرى كل يوم بعشرين نصفًا فضة مثلاً على حسب ما يكون المسموح لولا توفر ما كان يأخذه صاحب حملة الورز ما اعطى الجزار والمعاصرى فى كرا الدكان أو المعصرة كل يوم ثلاثين نصفًا أبدًا ولو حبس وضرب وان شككت فى قولى فجرب، وكان الشيخ صاحب المسموح يقول للجزار اعطنى ما كان أصحاب الورز يأخذونه منك واجعلنى مكانهم فالحيلة فى ذلك كالحيلة فى أكل اليهود من أثمان الشحوم حين حرمت الشحوم عليهم فإنهم كانوا يبيعونها ويأكلون بأثمانها وان الله اذا حرم اكل شىء حرم اكل ثمنه كذلك، فاقبل يا اخى نصحى ولا تجادل لأجل مسموحك فتجنى ثمرة ذلك من ظلمة الباطن فى حياتك والعذاب فى مماتك.

وقد حكى لى شخص من الفقراء انه طلع مرة للباشا حين توقف مسموح زاويته فقال له الباشا يا سيدى الشيخ هذا المسموح الذى تفعلوا فيه

ما تفعلوا حرام أم حلال؟ فقال الشيخ حرام فقال له الباشا كيف يليق لك وانت تدعي الصلاح ان تاكل منه ثم قال انا والله مع ظلم الناس والجور عليهم لا تطيب نفوسنا ان ناكل منه ولا ان نفطر عليه فى رمضان فما ادرى الشيخ ما يقول فعلم ان كل شيخ اكل من المسموح فسق وردت شهادته وسيأتى فى العهد المتعلق بشيخ الزاوية أو آخر العهود ان من اقبح من يقع فيه صاحب المسموح انه لا بد ان ينهى أولاً فى قصته الى السلطان ان ذلك المسموح يفرق على الفقراء والمساكين والمنقطعين والعاجزين والأرامل والايتام وينهى فيها ايضًا انه رجل فقير مسكين وليس له فى البلد ما يقوم به ولا بعياله ولا بالفقراء القاطنين عنده لا بد له من ذلك فينصبُ على اسم المحاويج ويشكو ربه عز وجل ويتهمه بأنه يضيعه هو وعياله وهو تعالى يطعمه ويربيه من خزائن جوده وتسخيره لم يغفل تعالى عنه يومًا واحدًا تعالى الله عن ذلك وكيف يدعى المشيخة من شاب ولم يثق بضمان الله برزقه ولا هو بقليل يقنع ولا من كثير يشبع.

فعُلم انه لولا النصْبُ والحيل والشكوى المذكورين لم يسمح له اعوان السلطان بالاربعين نصفًا كل يوم ولو كان من اكبر الاولياء لانها جامكية امير كبير يسافر بالتجاريد ويدفع السوء عن المسلمين ثم ان الشيخ بعد خروج ذلك المسموح من الديوان على اسم الفقر او النصب والخيل يطعمهم منه مدة ثم يدخل عليه ابو مرة فيوسوس له ويحسن له ان يحول ذَلك باسمه واسم اولاده وان يختص به دون من نصب على اسمهم ويصرف ذلك على شهوات نفسه وعيًا له واولاده وخيله وعبيده على طريق ارباب الدولة فهذا

سبب توقف بعض المساميح ومعارضة الظلمة لها ولو ان جهة السلطان علموا منه انه يريد التخصص به لم يسمحوا له بذلك فهو ولو قدر ان يكون المسموح حلالاً من اصله فهو حرام من حيث اخذه على اسم الفقراء والمساكين الذين اصطاد بهم المسموح ولا يخرج الشيخ من الحرمة الا ان اكل من ذلك المسموح كآحاد الفقراء من غير تخصيص وإن شككت فى قولى ان الشيخ لا يتخصص بالمسموح فادخل زاويته واسأل الفقراء القاطنين عنده ان كان عنده احد فتجدهم كلهم يشكون ضيق المعيشة ويحطّ على الشيخ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، ومن اراد من اصحاب المساميح الحل فليشتر الذبيحة على ذمته او السمسم بمال حلال لا بما اجتمع عنده من مال المسموح ثم يذبح على ذمته ويعصر السمسم على ذمته ثم غاية امره حينئذ ان جهة السلطان سامحوه بما كان على ذلك من المكس لا غير وذلك حلال والله اعلم.

أخذ علينا العهود ان لا نرجح محبة الذهب على محبة الزبل واذا مررنا على أتلال الذهب من غير مزاحم عليها فى الدنيا ولا حساب عليها فى العقبى ان لا نطأطئ لأخذ شيء منها غير قوت يومين او ثلاثة واذا دخلت الحمارة إلى دارنا ليلاً وهى محملة ذهبًا اخرجناها بذهبها واغلقنا باب دارنا ومتى رجحنا محبة الذهب على محبة الزبل أو طأطأنا لاخذ شيء من اتلال الذهب لانفسنا غير قوت اليومين او الثلاثة ولم نخرج الحمارة بذهبها من دارنا فقد خنا عهد الفقراء ونقول أستغفر الله العظيم كل ذلك فراراً مما لعله يشغلنا عن ربنا عز وجل.

وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ يقول: من أراد ان لا يكون إبليسُ جليسَه فليترك الدنيا، فقـال له شخص: يا سيدى فلان العابد زاهد فى الدنيا وهو يشكى من إبليس كثـيراً، فقال: دعـواه الزهد زور ثم أرسل الشيخ الى ذلك العابد وحادثه طويلاً فاعـترف بمحبته للدنيـا، وقال للشيخ: صدقت يا سيـدى، فقال له الشـيخ: الدنيا بنت ابليس فـمن تزوج ابنته صار صـهراً له والصهر لا بد له من التردد إلى صهره من حين يخطب ابنته فمن لم يمل الى الدنيا لا حاجة لابليس عنده.

فافـهم، وكان الفـضيل بن عيـاض ﷺ يقول: لو عرضت عـلىَّ الدنيا بحذافيرها ولا احاسب عليها فى الآخرة لكنت اتركها وأتقذرها كـما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها مخافة ان تصيب ثوبه.

وممن تحقق بهـذا العهد يقينًا الإمام الأعظم محمـد بن إدريس الشافعى ﷺ وأبو زيد الهلالى ومعن ابن زائدة وأضـرابهم من الكرام ولولا ذلك ما فرق الامام الشـافعى فى مجلس واحـد عشرة آلاف دينار ثم اقتـرض عشاءه آخر ذلك النهار ولولا تحقق ابو زيد بذلك ما كان يقدر على ما نقل عنه من الكرم، فرضى الله عن الـكرام الذين هانت عليهم الدنيـا هذا الهوان ثم لا يخفى أن التـحقق بهذا العهـد من أدنى أخلاق الفقـراء، فإياك ان تنكر على فقـير دعـواه الوفاء به لكونك انت لا تقـدر على المشى عليـه فان ذلك من اسهل شىء يترك عند الفقراء وبتقـدير ان يكون ذلك من اكمل اخلاق الفقراء فلا بأس بذكره للإخوان لـيتشوقوا إلى الترقى اليه ولو ان الـفقراء لم يذكروا لإخوانهم شيئًا فوق احوالهم لم يقع لم ترق ولا كان للنصح فائدة.

فافهم فان بعض الناس اعترض عليَّ في ذكر هذا العهد واستعظم الوفاء به على الفقرا لكونه هو لم يقدر على الوفاء به، وقال نفس مشايخ الاسلام في عصرنا هذا الا يقدرون على التخلق به فقلت له جميع هذه العهود انما وضعناها لمن كمل انقياده لله ولرسوله او اشرف على ذلك فقال لي أرني واحداً بتلك الصفة فقلت له جميع المريدين الصادقين بهذه الصفة لان اول المراتب في الطريق الزهد في الدنيا بالقلب كما سيأتي قريبًا فقال أنا أستبعد ذلك في نفسي كل البعد وكيف يقدر الانسان على ان يمر على الذهب ولا يأخذ منه شيئًا ما هذه إلا دعوى عريضة فلما بلغني ذلك لم يحصل عندى تشويش منه لعلمي بأنه ما أنكر إلا ما هو فوق رتبته هو فقاس حال الفقراء على حاله، وقد قال الجنيد ﷺ: مكثت عشرين سنة وعندي وقفة من قول الصوفية يبلغ الذاكر في الذكر الى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يحس به إلى ان وجدنا الامر كما قالوا، فالعارف يعلم ان كل من انكر شيئًا فهو جاهل به والسلام.

ثم اعلم يا اخي ان اكمل الهدى هدى الأنبياء ثم الأوليا وما بلغنا عن احد منهم قط انه كان يحب الدنيا ولا ان تتسع عليهم كل الوسع بل عرضت عليهم فردوها، واما السيد سليمان عليه السلام فاعطته الرتبة ان يسأل ما سأل ومع ذلك فقد ورد انه آخر الأنبياء دخولاً الجنة لمكان الملك وكثرة المال، وكان أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول: كل فقير لا ينشرح اذا صرف الله تعالى عنه الدنيا وضيق عليه في المعيشة فهو كاذب في دعواه الفقر واوصى له شخص من التجار بخمسين ديناراً فلما بلغه ذلك قال اللهم

اصرفـهم عنى الى من هو أحوج اليهم فـى عملك فصـرفهم الله عنه لمكان صـدقه ﷺ فـعلم من تضـاعـيف هذا الكلام فى هذا العـهـد ان الفقـراء الصادقـين فى غنية عن عـمل الكيمـياء وعن فتح المطالـب لانهم اذا كانوا يتركـون اتلال الذهب وهو مفـروغ من ضربه وتعـبه ولا يميلوا إليـه بقلوبهم فكيف يظن بهم انهم يتـعبون نفـوسهم فى علاج الكيـمياء وفى حـفر تراب المطالب وحفظ العزائم وشراء البـخورات لأجل وسخ النصارى وصدقاتهم التى وضعوها فى المطالب وأمـروا الأعوان بإخراج على الفقراء والمـساكين واذا كـان الفقـراء يتنزهون عن اكل صـدقـات المـسلمين فكـيف بصدقـات النصارى.

فاعرف قدر الفقراء واحفظ لسانك فى حقهم والله يتولى هداك.

اخذ علينا العـهود ان لا نلقى بالنا إلى الدنيـا ولا الى مطـالبـة فـلاح بالخراج الذى لنا عليه ولا سـاكن بيت لنا بالأجرة ولا الى ما دخل ولا الى ما خرج ولكن من أتى لنا من ذلك بشىء من غير سؤال قبلناه تخلقًا بأخلاق رسول الله ﷺ كمـا مر فى العهـد الرابع وصرفّناه فى وجهه المـعين له، ومن لم يأت بشىء لا نطالبه قط لا فى الدنيـا ولا فى الآخرة، هذا شأننا فى جميع ما ملكناه من الدنيا ما دمنا قاصرين عن درجات الكمال فاذا بلغنا مبلغ الرجال ان شاء الله تعالى اخذنا الدنيا بحذافيرها وصرفناها فى المواطن التى شرعت فيها وطالبنا بالخراج وبالحقوق واشتكينا من امتنع عن الوزن للحكام على نية تخليص ذمة من امتنع لا بنية نفعنا نحن بذلك، وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يطالب أصحـابه بالجديد الذى اقترضوه منه ويلح

عليهم فى ذلك ويقول: ان ذلك مما يخلص ذمتهم فى الآخرة وأنا أكره أن أرى لى فى الآخرة منة على احد من خلق الله عز وجل او حقا على احد من عبيده إكرامًا له عز وجل، فطريقنا ما دامت الدنيا تشغلنا وكان تحت نظرنا وقف من الأوقاف ان نستنيب فى النظر من يكون اهلاً لتخليص مال ذلك الوقف على مصطلح الناس أو نسقط حقنا من النظر ولا عتب علينا ما دمنا قاصرين فى زجر من يطلب منا ان نلقى بالنا الى بالدنيا وحسابها من مباشر وجابى ومستحق فإننا معذورين في غضبنا عليه لأن السالك الصادق طالب الى قدام والقاء باله إلى الدنيا يعوقه عن السير ومثال من يطلب من السالك ذلك مثال من رأى إنسانًا واقفًا فى حضرة الملك والعود والند والعنبر فايح فى تلك الحضرة والملك مقبل على ذلك الانسان بكلام حلو ما كان يجده فى المنام فجاء شخص قلبه فارغ من ذلك كله وأراد يجذبه من ورائه ليوقعه فى خرارة مدبح ويلطخ ثيابه قيحًا ودمًا وفرثًا وبولاً.

فافهم واعتبر والله يتولى هداك والله أعلم.

اخذ علينَا العُهود ان تنظر الى الدنيا بعين الحقارة تخلقًا باخلاق الله عز وجل واخلاق أنبيائه ورسله وأتباعهم فانه تعالى من منذ خلقها لم ينظر اليها أعنى نظر رضى عنها وعن من يحبها لا نظر ارادة وتدبير وإلا فهو تعالى هو المدبر لها والخالق فافهم، وفى الحديث: إن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة ولو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء، وفى الحديث الصحيح: «ازهد فى الدنيا يحبك الله» فعلق محبة الله تعالى على الزهد فى الدنيا فمن رغب فيها ومال بقلبه اليها فهو ممقوت فى الدنيا

والآخرة، وفى الحديث: «يؤتى بالدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز شوهاء عليها من كل زينة فيؤمر بها الى النار فتقف وتقول يا رب ومن كان يحسن فى دار الدنيا ويميل بقلبه إلىّ فيقول الله تعالى ومن يحبك فيقحم معها فى النار كل محب» نسأل الله العافية فتأمل يا أخى نفسك وأنت أعلم بحالك.

ثم اعلم يا اخى ان من تحقق بهذا العهد لم يستكثر شيئًا من الدنيا ان يعطيه لاحد من الإخوان او غيرهم فان اقل من جناح البعوضة اذا فرق على جميع اهل الارض من ملوكها الى تجارها الى سوقتها فما قدر ما يخص كل انسان من ذلك الاقل من الجناح حتى يستعظمه فى عينه او يبخل به او يغلق عليه بابًا فتأمله فلو قدر ان الدنيا بحذافيرها اعطيت لعبد ثم اعطاها لآخر لم يكن ذلك بكبير وكذلك من رأى الدنيا بهذه الحقارة لا يرى له مقامًا بل زهد فيها جميعًا لأن ذلك الجزء الذى خصّه من الجناح لا يدرك بالبصر ولا بجسٍ حتى يصح له قبضه ثم تركه وكأن الزاهد زهد فى لا شىء.

تعجب يا اخى فى القدرة الإلهية ولا عجب فيها كيف حجبت من لا يحصى من الخلائق عن الدخول الى حضرة ربهم ولو فى صلاتهم بأقل من جناح بعوضة وكأن خدام الحضرة الإلهية يقولون لا تمكن احدًا يحب الدنيا ويرجح الذهب على الزبل ان يدخل الى حضرة الحق تعالى الا ان رمى ما حصّه من اقل من جناح تلك البعوضة وتركه للناس فما تجرأ أحد منهم أن يفعل ذلك ورضوا بحجابهم عن حضرة ربهم حتى ماتوا وذلك يؤدى الى الكفر لأن من رجح شيئًا على حضرة ربه فقد استهان بها وذلك كفر نسأل

الله العافية، وقد رأيت مرة ان القيامة قد قامت وأمر الخلائق بالمرور على الصراط فجئت لأصعد عليه فلم أستطع فجاءنى ملك من الملائكة فقال لى: لم لا تصعد؟ فقلت: لا اطيق فقال يكون معك شيئًا من الدنيا فقلت ليس معى شيء فقال لا بد افتح كفك اليسار ففتحته فأخرج من بين أصابعى شيئًا كرأس إبرة وقال هذا الذى كان يعوقك فارمه فرميته فصعدت بسهولة فالحمد لله رب العالمين.

اخذ علينا العهود ان لا نقبل لأنفسنا عطاء من احد ونحن نعلم ان فى بلدنا من هو أحوج إلى ذلك العطاء منا وكذلك لا نقبل هدية من احد ترك جاره الاقرب من غير هدية واهدى الينا مع بعد دارنا وذلك لان فى قبولنا العطاء والهدية ممن ذكر اعانة له على ترك السنة فإنها امرت ان يبدأ المعطى بالأحوج والجار الأقرب فكما نفعنا المعطى بما اعطاه لنا كذلك ننفعه باكتساب أعظم الاجرين فإن الواجب علينا ان لا نقبل شيئًا من احد الا على نية نفع ذلك الرجل لا بنية نفع انفسنا بعرض من الدنيا أو بحصول الثواب فى الآخرة بل لو خطر ذلك فى قلوبنا نقضنا عهد الفقراء ونقول أستغفر الله العظيم، ثم لا يخفى ان احدًا لا يتعدى جاره ولا قريبه الا لعلة اذ لو كان عطاؤه سالمًا من العلة لقدم فى العطاء من امره الحق بتقديمه من جار او قرابة فإن فى الحديث: لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به، فافهم، ومن اخفى بالعلل ان يتعدى من ذكر الى شخص مشهور بالصلاح لتظاهره بالفقة ورد عطايا الناس او اغتناما لدعائه ومثل هذا لا ينبغى لذلك الصالح ان يقبل منه شيئًا لأن فى قبوله ذلك اكل الدنيا بالدين وقد كان

الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لأن آكل الدنيا بالطبل والمزمار أحب اليَّ من أن آكلها بديني، ومن اخفى العلل أيضًا قبولنا العطاء من شخص ليثيبه الله على ذلك وانما نقله لله تعالى.

فافهم، ولا يقدر على العمل بهذا العهد الا من رأى الدنيا اقل من جناح بعوضة وكان دينه أعزّ من دنياه والله غني حميد.

اخذ علينا العهود ان نكون دائمًا تبعًا لإخواننا الاحياء والاموات فى سائر الامور ولا نجعل نفسها رأسًا الا فى تحمل المشاق عنهم لا غير واذا كانت لنا حاجة او لاحد من اخواننا الى الله تعالى او الى احد من خلقه سألنا اخواننا يسألون فيها ربنا لان مثلنا لا ينبغى ان يرفع له رأسًا بين العباد فضلاً عن حضرة الله عز وجل فإن لم تقض على يد الأحياء عرضناها على قبور الأولياء الأموات فان لم تقض عرضناها على أصحاب الذل والانكسار الذين محق القضاء والقدر نفوسهم حتى صاروا إن دخلوا محفلاً ولم يفسح لهم لم يتكدروا وإن أطعموهم غسالة الأيدى يفرحوا بذلك فنجعل مثل هؤلاء واسطة فيما بيننا وبين الله فاذا اطلع الحق على ذل نفوسنا هذا الذل العظيم قضى حوائجنا فى أسرع من لمح البصر، فإن الله تعالى حيٌّ ستير وقد جربت أنا قضاء الحوائج بسرعة على يد صعاليك المسلمين والعمى من مساكينهم فأنزل بنفسى إلى مرتبته فى الذل دون مرتبة ذلك الصعلوك وأقف وراءه ثم أقول اللهم إنى أسألك بالسر الذى أذللت به نفس هذا العبد إلا ما قضيت حاجتى فتقضى فى الحال وقد اخبرت بذلك سيدى على الخواص رحمه الله تعالى فقال: السر فى ذلك شدة انكسار خاطرهم فى عدم إجابتهم

فى كل شىء سألوه من الناس بخلاف أبناء الدنيا مع بعضهم بعضًا كما أشار الى ذلك قوله ﷺ : «رُبَّ أشعث أغبر لا يؤبه لو أقسم على الله لأبَرَّ قسمه». انتهى.

وكان سيدى إبراهيم المتبولى رضي الله عنه يقول: أسرع الأولياء بمصر إجابة السيدة نفيسة ثم سيدى أحمد البدوى ثم سيدى إبراهيم الدسوقى ثم سيدى شرف الدين المدفون بالحسينية بمصر ثم سيدى عبد الله المنوفى المدفون بتربة السلطان قايتباى، فالحذر ثم الحذر ان تشكى انسانًا اليهم الا وهو محق فى كل ما قاله لهم وإلا رجع ذلك عليه فاجعلوا هؤلاء الاولياء واسطتكم فى كل ارض تكونون فيها فان الله تعالى اعطاهم التصريف المطلق فيها.

قلت: وخرج بقولنا اولا من أرباب الأحوال غيرهم من المتمكنين فإن الكامل قد لا يجيب السائل بسرعة وقد لا يجيبه أصلاً إدخالاً لمطلوبة فى الآخرة التى هى دار البقاء، على ان قول الشيخ سرعة الاجابة تحكيم بمن ذكرهم كلهم ومعلومات الله لا تحصى.

وقد رأيت شخصًا كان يسمى الشيخ بدر الدين السروى الاحمدى سأله فقير فى حاجة وقال له إذا وصلت إلى سيدى احمد فاحك له حاجتى فقال: مثل ما أحمد رجل أنت رجل، فحصل له طعنة فى جنبه فلم يزل يصيح حتى طلعت روحه، وكذلك وقع للشيخ شمس الدين بن كتيلة المحلى رحمه الله انه قال: لله تعالى رجال مثل احمد البدوى ـ يشير الى نفسه ـ وكان يأكل سمكًا فدخلت شوكة جوفه فلم يستطع أحد أن يخرجها بدهن

غطاس ولا غيره فمكثت فى حلقه سنة كاملة وهو متألم لا يتلذذ بأكل ولا شرب، فقال له رجل من الفقراء هذه من سيدى أحمد فسافر اليه فلما سافر ودخل القبة وجلس يقرأ سورة يس إذ عطس فخرجت الشوكة مغمسة دمًا فقال: تبت إلى الله عز وجل يا سيدى احمد، واعترف بنقصه عن مراتب الرجال.

واعلم يا اخى انك لو كنت من مشايخ الزمان الذين تصدروا للإرشاد والتربية فأنت قاصر عن رتبة هؤلاء الأولياء اصحاب الدواير الكبرى، وتأمل اذا مت وشحت أحد على اسمك أو اسم شيخك فى التصوف هل يعطيه أحد فلسًا، تعرف مقامك وتأمل هؤلاء الأولياء يشحت الناس على اسمهم وعلى بركتهم مدى الدهر والناس يعطونهم ويقول اذا عتز أحدهم أو عترت دابته: يا سيدى فلان من وسط قلبه وهذا امر ليس هو سدى فالعارف من لم يتعد قدره والسلام.

واعلم ان ربط قلبنا بشيخ ينفع وان لم يكن الشيخ رهلا لذلك فكيف اذا كان اهلاً، واعظم دليل على ذلك كون الظمآن يجد الحق تعالى عند الشراب الذى ليس بشيء ثابت فكيف يفقد عند أكبر أوليائه وصالح عباده اذا قصدهم قاصد وذلك لان الحق تعالى يستحى من عبده ان لا يكون عنده فى كل مكان قصده ولذلك قال ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ إعلامًا لنا بذلك لا سيما من اشتهر بالصلاح والولاية فيقضى الله الحوائج على اسمه وبواسطته وليس عند الله بشيء صيانة لجنابه الكريم ان يخذل من انتسب اليه ولو بالدعوى فاعلم ذلك والله أعلم.

اخذ علينا العهود ان نخلّص التوحيد لله تعالى فى الأفعال والأقوال والملك والوجود كل مرتبة بشروطها المعروفة بين اهل التوحيد ولا نضيف لاحد من الخلق نفعًا ولا ضرًا ولا حلاً ولا ربطًا ولا نقول قط لنا ولا معنا ولا عندنا الا على سبيل المجاز والنسيان لأن ذلك كله معدود من الشرك الخفى وقد قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ فنكّر الشىء ولم يعين شيئًا دون شىء فافهم.

وقد وقع لبعض الفقراء أنه قال يومًا يا رب اغفر لى فإنك وعدت بالمغفرة كل من لم يشرك بك وأنت تعلم أنى ما أشركت بك يومًا واحدًا، فإذا بالهاتف يقول ولا يوم اللبن، فخجل وذكر انه قدم له يوم لبن ليشربه فأبى وقال إنى أخاف أن يضرنى، فأحصى الحق تعالى عليه هذه الكلمة لكونه أضاف الضر إلى اللبن دون الله فاعلم ذلك.

اخذ علينا العهود ان لا ندع شيئًا من محاب الدنيا يقيم فى قلبنا سواء كان ولدًا أو زوجة أو متاعًا او صاحبًا أو شهوة أو غير ذلك لان الحق تعالى غيور لا يحب أن يرى فى قلب عبده المؤمن محبة لسواه فربما مقتنا بميلنا الى غيره وربما مقت من رآه فى قلبنا من اصحابنا غيرة علينا فليكن الفقير على حذر ومحبة على حذر، وقد أذّن الشبلى مرة فلما جاء إلى قوله وأشهد أن محمدًا رسول الله وقف واستاذن ربه فى ذكر رسول الله ﷺ بقلبه وقال: وعزتك وجلالك لولا امرتنى بذكره ﷺ ما ذكرت غيرك. انتهى.

ويؤيد ذلك قوله ﷺ: لى وقت لا يسعنى فيه غير ربى وهذا المقام لكل وارث من بعده ﷺ وكان شيخنا ﵁ يقول ولعل هذا كان من

الشبلى فى أوائل أمره لأن الغيرة المحمودة هى التى تكون لله لا على الله فان الغيرة على الله نقص وتحجير على الحضرة الإلهية ولو كمل العبد لم يعز على الله وأشغل كل موضع بقلبه بما يناسبه فيجعل محبة الحق تعالى وسط القلب ومحبة رسوله ﷺ مما يليها إلى الخلا ومحبة شيخه مما يلى ذلك وهكذا فلا مزاحمة فى قلب العارف فى شيء ولذلك سمى أبو العيون فافهم.

قال شيخنا ﵁ وكل من تعلق به خاطر العبد ووقف معه فهو عبده تعس عبد الدينار والدرهم والخميصة... الحديث، وسمعت اخى افضل الدين رحمه الله تعالى يقول: كلما عسر عليك فراقه فانت عبده حتى عملك وعلمك ومعرفتك لأن هذه الأمور انما جعلها الحق تعالى وسائل لا مقاصد، وكان ﵁ يقول أيضًا: من حضر بقلبه مع الحق تعالى عند الوحد وفقده عند السلب فهو مع نفسه غيبة وحضور أو إيضاح ذلك ان العلم والعمل والمعرفة غير الحق تعالى بيقين وغير الحق اذا مال اليه العبد نقص من عبوديته للحق بقدر ما مال اليه لكن لا بد من مسامحة المريد بهذه العبودية لترقيه إلى المقصود بالذات فتأمل ذلك.

اخذ علينا العهود ان لا نقطع قط بشيء علمناه من الكتاب أو السنة من طريق الاستنباط وانما نقول الذى فهمناه من هذا الكلام وكذا لا غير وذلك ليكون الباب مفتوحًا لمذاهب المجتهدين واذا كنا نجهل كثيراً من معانى كلام جنسنا من البشر فكيف بكلام رب العالمين، وقد قررنا مراراً أن من الأدب ان لا نقول فى كلام العارفين مراد هذا القائل كذا إلا أن يكون من

اهل التعريف الالهى الذين بلغوا إلى محل اشرفوا منه على مراتب الرجال والله عليم حكيم.

اخذ علينا العهود ان ننظر دائمًا للذى علينا من حقوق الله والعباد هل فينا به ام لا ولا ننظر قط للذى لنا إلاّ على وجه الشكر فقط وذلك لنكون معترفين لله تعالى بالحجة البالغة علينا ونتوب اليه ونستغفره مما جنيناه ثم لا يخفى ان من شرط كلٍّ عارف ان يرى نفسه قد استحقت الخسف لولا عفو الله تعالى ولو الحق تعالى به كان عدلاً من أهله فى محله، وقد طلب جماعة من الفقراء كرامة من سيدى عبد العزيز الدرينى ﷺ ليقوى يقينهم ويأخذوا عنه الطريق فقال يا اولادى وهل بقى لأمثالنا على وجه الأرض اليوم كرامة اعظم من ان الله تعالى يمسك الأرض ولا يخسفها بنا مع استحقاقنا الخسف من سنين عديدة ثم قال والله يا اولادى انى فى غاية الخجل من الله تعالى كلما أرفع قدمى من الأرض وما اضعها على الأرض واراها ثابتة تحت قدمى وفى عينى قطرة من خوف الخسف. انتهى.

وقد دخلت مرة على بعض مشايخ عصرنا فقلت عند دعاء الانصراف اللهم انا نعلم انا قد استحقينا الخسف بنا واخى هذا معنا فقطب وجهه استبعاداً لذلك فعلمت نقص مرتبته فى المعرفة وقد كان السلف كلهم من الصحابة والتابعين على قدم الخوف حتى كان يشم من جوف السيد ابى بكر الصديق ﷺ رائحة الكبد المستوى وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: يا ليت أمى لم تلدنى، وكان عمر بن عبد العزيز ﷺ يبكى ويفحّص كالطير المذبوح طول ليله، وكان مالك بن دينار يقول لولا انى فى البصرى ما نزل

عليهـا بلاء قط، وكان معروف الكرخـي يقول انى اخاف ان لا يقبلنى قـبرى فأفـتضح، وإبطاء المطر سنة على اهل بغـداد فقالوا له فى ذلك فـقال انهم ينتظرون المطر وانا أترقب نزول الـحجارة علينـا من الـسمـاء لسوء أفعـالنا، وكان الســرى الـسقطى لم يزل ينظر فى المـرآة طول النهار ويقـول أخاف أن يكون الله قد مسخ صـورتى صورة خنزير أو كلب، فانظر يا اخى الى هؤلاء السادات كـلهم مَا كانـوا ينظرون الا إلى الذى عليهم ولو انهم كـانوا نظروا للذى لهم لم يخافوا هذا الخوف، فاسلك طريقهم والله يتولى هداك.

اخذ علينا العهود ان نقدم فى التردد والزيارة من يكرهنا ويحط علينا على من يحبنا ويزورنا لأن فى ذلك من رياض النفوس وصلاحها ما لا يخفى وفيه أيضًا تطييب خاطر من يكرهنا حتى لا يكرهنا وفيه أيضًا حفظه من الوقوع فى الاثم فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك.

اخذ علينا العهود ان نظهر التواخى مع جمـيع اصحاب الكتب كاللواط والزناة والخمارين والحشاشين والمقامرين واصحاب جملة الوزر والمكس وجباة الظلم وان نرى نفسنا اكثر ذنوبًا ومـعاصى منهم كما مر تقريره فى أول عهـد من هذه العهـود وخرج بقـولنا ان نظهر التـواخى عدم مؤآخـاتهم فى الباطن على فـنهم، فافهم عـملاً بقوله ﷺ: لا يدخل الجنـة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر، وقال ﷺ: إن الله يكره العبـد المتميز عن أخيه وايضًا فلما فهم من المشاكلة لنا من حيث وقوعنا فى المعاصى مع ادعائنا اننا اعلم منهم وافضل ودعوانا ذلك مـما يجعل صغيـرتنا كبيرة، وقد فـسر رسول الله ﷺ الكبر الذى يمنـع صاحبه من دخـول الجنة برد الحق وعدم الانقـياد

للشرع وباحتقار الناس وازدرائهـم، ولا تخرج يا اخى عن احتقار الناس إلا إن شهدت نفسك دونهم فإن الأدب أن لا يشهد العـبد نفسه مساويًا لاحد ولو كان من أتقى الناس فيستعظم صغيرة نفسه ويستصغر كبيرة غـيره، وسمعت شيخنا ﷺ يقول: اصل نفرة الناس من اصحاب الكتب عماهم عن مساوئ نفوسهم ولو انهم نظروا بعين البصيرة لرأوا نفوسهم مشاكلة لكل عاص على وجه لما هى منطوية عليه من الذنوب العظام التى لو اطلع عليـها المعتقدون لهم لرجموهم وفـروا من صحبتهم، وسمعت اخى افـضل الدين رحمه الله تعـالى يقـول: والله الذى لا إله إلا هو مـا اعلم انه خطـر لى قط خـاطر يخرجنى عن جملة فساق هذه الأمة بل أشهـد اكثرهم فسقًا أفضل منى وذلك لما اخلقت المعاصى من جهـة حتى صار لا يرى له وجهًا عند الله ولا عند احد من خلقه وذلك من أعلى أوصاف العبودية.

فعلم ان كل من نفرت نفسه من اصحاب الكتب وهجرهم وقاطعهم فهو أسوأ حالاً مـنهم لانه ما نفرت نفسـه حتى رآها خيراً منهم وهذا كـان سبب لعن إبليس وإخراجه من حضرة الله عز وجل فان الله تعالى ما قص علينا من معصيته التى أخرج بها ولعن إلا قوله أنا خير منه، اذا علمت ذلك فالواجب على كل داعٍ إلى الله تعالى ان يظهر البشاشة والمحبة لأهل الكتب ما امكن لان ذلك اسرع لانقيادهم وتقويم عوجهم، وقد جهل هذا من هجرهم ويعد عنهم وأنف من مجالستهم ومواكلتهم وخلطتهم فى مواضع تنزهاتهم لا سيما إن قطب فى وجوهـهم وازدراهم وبخهم فى المـجالس فإنهم ينفـرون منهم بالكلية فـيكون من قطاع الطريق عن الله عز وجل لكون الهـجر من الكلام

يوحش قلوبهـم وكذلك يـصيـر بازدرائهم مـعـدودًا مـمن خـان الله تعـالى ورسوله، فإن الله تعالى قد أمن علماء الشريعة على عباده وأوجبوا عليهم ان لا يتركـوهم يتمادوا فى غيـهم، وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليـه السلام حين انف من مجالسة العصاة: يا داود المـستقيم لا يحتاج اليك والأعوج قد أنفت عن تقويم عوجه فلم إذًا ارسلـت، ثم إن الحق تعالى أعقب ذلك بما وقع من الخطيـئة فتنبـه داود عليه السـلام واستـغفر وصـار يجالس العـصاة والخطائين ويقول اللهم اغفـر للخطائين حتى تغفر لداود معـهم، وكان قبل ذلك يقول اللهم لا تغفر لمن عصاك.

وانظر يا اخى حكمـة ارتكاب الخطيئـة فانهـا ترد العبد إلـى الله تعالى بالذل والمسكنة اذا شـرد عن حضرته بعـجب أو استحـسان حال، فاقـتد يا أخى بمن سبـقك من الأكابر وكن متخلقًـا بالرحمة والشفـقة على خلق الله واستر فضائحهم فإن الله تعالى ستـير ويحب من عباده الستيرين وربما يقيض الله تعالى لـك من يقومك عند الاعـوجاج ويرحمك ويـشفق عليك ويسـتر فضائحك جزاء وفاقًا إن شاء الله تعالى بـخلاف ما لو فعلت الضد مما ذكر فـإن الحق تعالـى ربما يقـيض لك بحكم العـدل عند عـوجك من يكشف عورتك ويقسموا عليك فى بيوت الـحكام ونحوهم فخالط يا اخى اصحاب الكتب والأخلاق السيـئة وإن نفروا منك فاتبعـهم ثم لا تزال تسارق احدهم وتقوم عوجه شيئًـا فشيئًا بالتبغيض فى تلك الكتبة والأخلاق السـيئة وأسماعه ما فيـها من المفاسد فى الدنيـا والعقاب فى الأخرة حـتى يكون هو المبادر لترك تلك الكتبـة وأما إذا هجرتهم يا اخى ونفرت منهم فمن يقـوم عوجهم

ويبغضهم فى كتبتهم واخلاقهم واعوج ما يكون اخوك اليك اذا عثرت دابته فاصحاب الكتب ضالة كل داعٍ إلى الله عز وجل ولو ان الداعى تركهم يتمادون فى غيهم اخذه الله بهم يوم القيامة واعلم انه لا يصح للداعى على تقويم المعوج الا ان رأى نفسه دونه فان رأى نفسه فوقه أو مساويًا لم يقدر على تطويل روحه على تقويم معوج أبدًا ولا يتحقق الداعى منا بشهوده نفسه دواء المعوجين ذوقًا إلا إن وقع فى جنس ما وقعوا ولو مرة واحدة كما يشهد لذلك ما تقدم فى قصة داود عليه السلام.

وسمعت سيدى على الخواص ﷺ يقول: كل فقير لا يقع فى المعاصى فى بدوى أمره لا يصلح للإرشاد لكون العبد اذا وقع فيها يصير يقيم المعاذير للخلق ويرحمهم بخلافه اذا لم يقع، وسمعته يقول: أعلى ما يصل إليه المريد من ذل النفس بعد طول المجاهدة والرياضة دون ما يصل إليه اصحاب الكتب الذين اندبغت نفوسهم بالذل من كثرة وقوعهم فى القضاء والقدر ويسألون الاقالة منها فلا يقالون فإن هؤلاء معدون من اهل التسليم لا من اهل النزاع وتأمل ذل نفوسهم بين يدى اقل الناس تجدهم على اخلاق اعلى واشرف من اخلاق غالب العلماء فانهم قد صاروا ان دخلوا محفلاً ولم يفسح احد لهم لم يتكدروا وان اطعموهم غسالة ايدى الصغار والعبيد والشحاتين لم يتغيروا بل يرون نفوسهم احقر الناس ويرون الجميلة للناس فى تمكينهم من الجلوس معهم ثم اذا جلسوا مع الناس جلسوا منكسين الرءوس خجلين من الحياء قائلين يا ستار يا ستار استر فضائحنا عنهم حتى نقوم ونحن مستورين.

وهذه الصفات كانت هى الحقيقة مجال العالم لان العلم اذا لم يزد صاحبه تواضعًا وذلاً فهو وبال.

قلت: وقد سمعت مرة هاتفًا يقول لى: صل العصر غدا فى جامع الحسينية الذى يبلع فيها الحشاشون الحشيش ترى العجب، فخرجت إليه من الغد فوجدت اصحاب الكتب يصلون ويبتهلون بالأدعية المشعرة بكثرة الذل فانفسخ باطنى حتى كانى دخلت حضرة الله عز وجل، بل هى حضرة الله تعالى لما هم عليه من الذل والمسكنة بين يدى الله عز وجل، فإن الله تعالى يقول: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من اجلى» أى من أجل تقديرى فألقيت بالى إلى احوالهم فاخذت دواة وقلمًا وكتبت أدعيتهم فأحببت ان ارقمها فى هذه التروس لما فيها من الإذلال والاعتبار وحسن الظن بالله عز وجل.

فمنها اننى سمعت قائلاً يقول فى سجوده: اللهم أقم عوجى فان لم تقم عوجى فاسترنى فان لم تسترنى فثبتنى فى الرضا عنك فان لم تثبتنى فلا تؤاخذنى لا ارجع عن سؤالك فى واحدة منهن، وسمعت آخر يقول: اللهم انك تعلم انى لا اتحرك إلا إن حركتنى ولا تؤاخذنى، وسمعت آخر يقول: اللهم إنى أستبعد أن تؤاخذ مثلى فإنك واسع المغفرة، وسمعت آخر يقول: يا أرحم بى من والدتى اغفر لى، وسمعت آخر يقول: اللهم انك لا تؤاخذ بالمعصية من يعرفك وانا لا اعرفك فإنك بخلاف كل ما خطر ببالى، ومن أخلاق الكرام الصفح عن الجاهلين فاصفح عنى يا ارحم الراحمين، وسمعت آخر يقول: اللهم انى أجلك أن تؤاخذ جعيدى مثلى، وسمعت آخر

يقول: اللهم إنى أجلك ان تجعل قوتك او غضبك على قطيع يخاف من ذله، وسمعت آخر يقول: اللهم ان غاية الأولين والآخرين لقمة طين وأنا أجلك تجعل قوتك عليها، وسمعت اخر يقول: اللهم ان مثلى لا ينبغى له دخول المساجد لقذارتى ولولا انك امرتنى بالحضور فيها للجماعة ما دخلت، وسمعت آخر يقول: اللهم انك تعلم انى اجلك عن وقوف مثلى بين يديك لحقارتى ولولا التكليف ما وقفت، وسمعت آخر يقول: اللهم انك تعلم أنه ليس عندك وجه فاسالك حاجتى ولكن هل تكون صدقتك علىّ الا كصدقتك على ذباب مثلى، وسمعت آخر يقول: اللهم ان الأولين والآخرين قد حطوا رواحلهم على ساحل بحر عفوك وكرمك منكسين الرءوس خجلين حياء منك كما ترى فلا تخيب ظنهم ولا رجاءهم فيك يا ارحم الراحمين، وسمعت آخر يقول: اللهم إن الأولين والآخرين غرقوا فى بحر جودك وكرمك فلا تخرجهم منه أبد الآبدين ودهر الداهرين فما خرجت من الجامع إلا وأنا فى سرور لا يعادله شيء وعلمت ان خير الناس من جلس بنفسه على اسفل رتب الخلق اجمعين ولم ير له مقامًا سواء كان الوصول الى هذه الدرجة بواسطة الطاعات او بواسطة المعاصى كما قال الشيخ تاج الدين بن عطا الله ﷺ من لم يقبل على الله بملاطفات الإحسان قيد إليه بسلاسل الامتحان، وفى المثل السائر: من لم يجئ بشراب الليمون جاء بحطبه فإن من طاب عنصره لا يحتاج إلى ان يبتلى بمعصية بأن التكاليف تذل نفسه إلى الغاية كما عليه الأنبياء وكمل اتباعهم ومن لم يطب عنصره كآحاد الناس يحتاج إلى ابتلائه بالمعاصى لوقوعه فى العجب والكبر

بالطاعات، وكان سيدى أبو الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى يقول: معصية اورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة اورثت عزاً واستكباراً انتهى.

ويؤيده قصد آدم عليه السلام فى أكله من الشجرة فان ذلك كان سبب ترقيه، وكان الشيخ ابو مَدْين يقول: لو انى كنت مكان آدم عليه السلام لأكلت الشجرة جميعها لما حصل له فى أكلها من البركة لكون حسنات بنيه كلهم فى صحيفته يوم القيامة وقد انعقد الإجماع على ان الانبياء عليهم السلام لا ينقل قط من حال إلا لأعلى منها.

فاعلم ذلك فإياك يا اخى وازدراء من جلس فى خان بنات الخطأ او بيع الحشيش حتى تجالسه وتنظر حاله فربما يكون من اولياء الله عز وجل جلس يتوب الناس فى صورة بيعه لهم الحشيش او دخولهم الخان فلا يأخذها أحد من يده او يدخل خانه الا ويتوب لوقته كما سيأتى بيانه فى عهد عدم الإنكار على المجاذيب وأرباب الأحوال ان شاء الله تعالى.

وقد وقفت مرة على شخص يصحن الحشيش وسألته الدعاء فقال: يا ولدى ماذا رأيت من أحوالى حتى سألتنى الدعاء؟ فقلت رسوخك تحت قضاء الله وقدره من غير تقلق وأنا لا أستطيع أن أجلس مكانك أصحن الحشيش يومًا واحدًا، فقال: يا ولدى نحن قوم قمنا فى المراتب المزرية تحملاً عن إخواننا اصحاب الرتب العالية من العلماء والقضاة والتجار حين رأينا تلك المراتب قد استحكمت من أزمان متعددة ولم يقدر أحد على إزالتها من الوجود كما هو مشاهد ولا بد من احد يتولى أمرها فدخلنا فيها رجاء الأجر من الله عز وجل، فقلت: وهل فى صحنك الحشيش اجر؟

قال: نعم من حيث الرضا بالتقدير لا من حيث الكسب مع انى قائل أستغفر الله من حيث الكسب نادم على كل بيعة وقعت والندم توبة كما فى الحديث، فقلت له شرط التوبة الإقلاع وأنت مصرٌ على البيع ليلاً ونهاراً، فقال: من أين لى الإصرار وانا أندم على كل فعل وقع كما نبهتك عليه آنفًا والمستقبل ليس فى يدى حتى أتوب منه والتوبة لا تكون إلا بعد وقوع العبد فى المعصية فأنا صابر تحت قضاء الله عز وجل حتى يحولنى منه، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فقلت له انما مدح الله الصابرين على المرض والبلاء بموت ولد او ذهاب مال ونحو ذلك أما الصبر على الوقوع فى المعاصى فقال الصبر مطلق فى القرآن ما قال الصابرون على كذا دون كذا فمن أين لك تقييده بما ذكر، ونحن يا ولدى نرى ابتلاءنا بالمعاصى أشد من سائر ما يبتلى الله به عباده وعظم الأجر لا يكون الا مع عظم البلاء فنحن أولى بالمدح وتوفية الأجر بغير حساب اذا صبرنا تحت قضاء الله فمن صبر تحت بلاء جسمه او موت ولده، فقلت له أتبيع الحشيش فى مثل هذه الأيام الكثيرة النكد، وكان ذلك ايام خروج التجاريد لبحر الهند سنة أربع وأربعين وتسعمائة، فقال وليس بيعها اخف حرمة الا مثل هذه الايام، فقلت لماذا؟ فقال لكثرة سخط الناس على ربهم واعتراضهم عليه فيما يقدره عليهم ونسيان ذنوبهم واستحقاقهم الخسف بهم لولا عفو الله فإذا بلع أحدهم الحشيش ثقلت أعضاؤه ولسانه ونام فاستراح من ورطة السخط على الله عز وجل وقلة الأدب، فإن إثم السخط على الله يرجح على إثم بلع الحشيش واذا تعارضت مفسدتان ارتكبنا الأخف منهما،

فقلت نعم، فقال والله انى لا اقدر والله أسمع أحداً يعترض على ربه بل أكاد أذوب أنا من الحياء فأبادر عند ذلك الى بيعهم الحشيش واصبح مسحوبًا كأن فى عنقى جنزيرا، فقلت له صحيح هذا حكم الإرادة ولكن قد جعل الله تعالى لك جزاء اختياريًا، فقال صحيح ولكن اختيار بحكم التبع للإرادة الإلهية لا مستقلا لأن حقيقة من له اختيار ان يفعل باختياره ما شاء وليس ذلك الا لله وحده، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يعنى من آن لهم معى اختيار وأنا أقلب قلوبهم وجوارحهم ليلاً ونهاراً فيما أريد لا فيما يريدون فالعبد أحقر وأدبر من ان يرد ما قدره الله عليه، فقلت له صحيح ما قلت، فقال فما يفيد إذن قولك لمثلى حرام عليك هذا الفعل ثم تذهب وتتركنى فان كان فى يدك قوة للجزاء الاختيارى الذى تقوله فرد عنى التقدير انا فى حسبك فان ادعيت العجز عن ذلك مع ضخامتك وعلمك فهى مسألتى انا بعينها فأسكتنى، ثم قلت له ان الحق تعالى اوجب علينا ان ننهاك عن الوقوع فى المعاصى ولو كنا نعلم عجزك عن رد التقدير، فقال صحيح هذا هو الذى تعبد الله به عباده ولكن يكون ذلك برحمة وشفقة واقامة عذر لنا فى الباطن كما درج عليه العارفون فإن صاحب العين الواحدة أعور، فقلت نعم لكن لا ينبغى لعبد ان يقف بنفسه فى مواطن السخط والغضب وانما ينبغى له سؤال تحويل تلك القاذورات عنه فراراً من سخط الله وغضبه، فقال انا ما وقفت بنفسى فى تلك المواطن ولا انا المقدر للمعاصى على نفسى وانا استحى من الله عز وجل ان يقيمنى فى امر فأسأله التحويل لعلمى بأنه أعلم بمصالحى من

نفسى وبما علم منى العجب والزهو باعمالى فى وهمى فقدر على تلك المعاصى نيذل نفسى ويردنى إلى شهود ذلى وحقارة نفسى والعبد عبد فى كل حال سواء كان فى وظيفة تقليب المسك او تقليب الزبل ويقول لسيده سمعًا وطاعة مع أن الواجب على كل عبد ان لا يرى فى الوجود أحقر منه ولا أوطى رتبة فناسبنى تقديرى القبائح والمعاصى بل لو قدرها الحق تعالى على غيرى من الخلق كان من الأدب ان اقول يا رب قدر على انا ذلك واعتق اخى النظيف من مخالطة القاذورات لأن الوجود كله نظيف إلا أنا، فأعجبنى كلامه واستفدت منه آدابًا عظيمة كنت عنها غافلاً وعلمت ان لله تعالى فى كل شىء حكمة وأسرارًا تدق على فحول العلماء فضلاً على أمثالنا ولم أزل آلين الكلام لاصحاب الكتب واخفض جناحى لهم من ذلك اليوم وفى ذلك ايضًا عمل بقوله ﷺ أكرموا كريم كل قوم، قال شيخنا رضي الله عنه: يدخل فى ذلك رئيس من الكفار والفجار فضلاً عن رئيس قوم من المسلمين كالمغانى والشودب ونحوهم ومن إكرام هؤلاء ان نتلقاهم بالبشاشة والترحيب واذا دخلنا وليمة قدمنا بين يديهم اطيب الطعام وقدمنا لهم نعالهم كل ذلك داخل فى قوله أكرموا كريم كل قوم، وفى ذلك أيضًا تليين قلوبهم الى سماع قولنا فى تبغيضهم فى تلك الاحوال التى هم عليها واقرب الى التوبة فقولهم لا ينبغى إكرم الكفار والعصاة محله ما اذا لم يترتب على ذلك مصلحة أعظم من ذلك التكريم بان كان فى ذلك اعزاز لدينهم واحوالهم وإخذال لدين الاسلام أما اذا علمنا بالقرائن تليين قلب الكافر مثلاً بإكرامه بنوع ما أكرم به وكان ذلك اولى من ان تدعه مقيمًا على

كفره، وقد أومأت بالسلام مـرة لصاحب خان بنات الخطأ فى قليوب فخجل مني واستـحيا ثم تاب بعد أيام، وكـان سيدى عبـد القادر الدشطوطى ﷺ يخص نصرانيًا بالدخول عنده فى مـصر ويأكل من طعامه وينام فى داره فكان بعض الفقهاء ينكرون عليه فبعد أيام أسلم.

وكان الشيخ كلما قال له لأى شىء تخص هذا النصرانى بالنوم في بيته؟ فيقول من قال ان هذا نصرانى هذا مسلم، فكان بعض الفقهاء يسخر بالشىء فلما أسلم النصرانى جاء ذلك الفقيه إلى الشيخ واستغفر الله عز وجل، فهذا الذى ذكـرناه من تلييـن الكلام لأصحـاب الكتب وخـفض الجناح لهم هو مذهبنا الذى نلقى الله به فمن سره ان يـدخل معنا فى ذلك ويرى نفسه دونهم فليدخل والله غنى حميد. انتهى.

اخذ علينا العـهود ان لا نسـوس قط من دأبه الجـدال بالجـدال وإقامـة الحجج عـليه لأن ذلك ممـا يهيج نفـسه ويطول عليـه طريق الانقيـاد وإنما نسوسه إذا انعوج بالبر والإكرام ونشـر محاسنه بين الأقران وإن لم نظهر عليه لكوننا نعلم انهـا كامنة فيـه كمون النخلة فى النواة فما يقـع مدحنا إلا على صدق ومن اقـرب ما نسوسـه به إعطاؤه الذهب والفضة والهـدايا والملابس والاطعمـة وان نكسوا عيـاله وأولاده في الاعيـاد والشتاء والصيـف بشرط ان يكون ذلك كله سرًا بحيث لا يدرى به احد من الأقران فمن فعل مع مجادل ذلك سحر قلبه لطاعته من حيث لا يشـعر ثم لا نزال نسارقه ونقوم ما يظهر فيه من العوج شيـئًا فشيئًا بضرب الأمثلة وتقبيـح من يفعل مثل صفاته بطريق بعيدة نحو قوله يقبح على الفقـيه الذى يعرف ما قال الله وقال رسول الله ان

يكون مكبا على الدنيـا يزاحم على الوظائف أو يكون مرائيـا بعلمه يحب ان يصرف الناس إلـيه وجوههم دون احـد من اقرانه، وكان اخـى افضل الدين رحمـه الله تعالى اذا رأى من انسان اشياء قبـيحة ظهـرت او هو عازم على الوقوع فيها يقول للناس انا ما يعجبنى الا فلان فقط ما رايناه على شىء قبيح ولا رأيناه عزم على فعل سـوء فليلتجم ذلك الشخص بعون الله فيـرجع عما كان ارتكبـه وعن ما كـان عزم على فـعله بحول الله وقـدرته وهذه سيـاسة عظيمـة، وليحـذر ان يتركـه يلحق المجـادل به انه المقصـود بذلك الكلام فيلتفت الى اقامة الحجج عن نفسه وتحريف الآيات والاخبار على قدر هوى نفسه ويرد بالحق اليقين ثم يصير إثم ذلك على هذا الناصح لقلة سياسته فى النصح، وسيأتى فى هذه العـهود قوله ﷺ إذا رأيت سجاعًا وهوىً مـتبعًا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخويصة بنفسك ودع عنك امر العامة وقد وجدت هذه الصفات كلهـا هو مشاهد فلولا علم الشارع صعوبة رجوع اهل هذه الصفـات ما قال دعوهم فافـهم، فإذًا من شرط الناصح ان يمهد لـلمنصوح مهادا وبيـسط بساطًا حتى يكون ذلك الشخص هـو المبادر لفعل ذلك الامر لما رأى لنفسه فـيه من الحظ والمصلحة وان لم يقدر على ذلك فليدل على ذلك الشخص ان ينصحه مـمن له قوة سياسة او يسكت هو فان مـفسدة هذا اذا تكلم اعظم منهـا اذا سكت وهذه السياسة كـانت طريقة الشـيخ ابو الحـسن الشـاذلى رضي الله عنه مع اصـحابه حـتى كـان يشـغلهم اول اجتـماعهم به بالـعلوم الشرعيـة الى ان يصير احـدهم يعد لمناظرة فـحول العلماء فـضلاً عن غيرهم ثم بعـد ذلك يشغلهم بتهذب الاخـلاق حتى يبلغ

الغاية ثم بعد ذلك يأذن له فى التصدر وكان يقول: كل فقير لا يتضلع فى علوم الشريعة لا يصلح للتصدر لأنه ربما يشطح بشىء يخالف الشريعة الظاهرة فتنفر عنه قلوب العلماء وإذا انفرت من فقير قلوب العلماء قل نفعه فى الوجود فافهم.

وقد كان الجنيد ﷺ لا يجلس اليه فقيه ولا فقير ولا عامي ولا احد من الخلق إلا قام وهو راض عنه يقول شيء لله المدد من كثرة سياسته لانه كان لا يكلم قط أحداً بما هو فوق رتبته ذلك الأحد إلا إن رآه قابلاً للترقى وكان لا يكلم احداً بما طريقه الكشف الا ان كان له به اتحاد وطول صحبة، وكان يقول: إياكم ان تبذروا أول مصاحبتكم بإنسان كلامًا طريقه الكشف او يخالف ظاهر النقل فربما كان ممتحنًا فيخرج ينشر صيتكم بسوء الاعتقاد بين من ليس من اهل الطريق فيتولد من ذلك مفاسد كثيرة، فعلم انه لا يعجز فقير عن سياسة مجادل الا ان ذهبت بذلك المجادل يد الشقاء فحينئذ يطرده ذلك الفقير بالقلب عن صحبته فيصير من أبعد الناس عنه وربما يمكث بقية عمره لا يجتمع به، فإياك أن تغلط وتطّلع، على أسرار السنة من لم يجد عنده داعية ولا علامة للترقى ولو كان من احب الناس إليك، قال تعالى ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاءُ ﴾ خطابًا لمحمد ﷺ الذى هو أعرف الأنبياء والمرسلين بطرق السياسة كما يشهد لذلك عموم رسالته إلى جميع العالمين فلما لم يرجع ﷺ ودام على طلب الهداية للخلق لما هو عليه من الرحمة والشفقة أنزل الله تعالى عليه ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ فسكت ﷺ من ذلك

اليوم عن كل من لـم ير عليه لوايح القبـول وعلم ان السكوت ارحم بذلك العبد من اقامـة الحجج عليه وتبيين طريق الهـدى له لان بالسكوت يصير له حجة يعتذر بهـا يوم القيامة بخلاف البيان فانه عذاب على سـامعه كما يؤيد ذلك قوله ﷺ : إن من البيان لسحراً، ولا نـعلم السحر إلا حرامًا، فاعلم ذلك فانه من باب المعرفة والله عليم حكيم.

اخذ علينا العهود ان لا نقطع برنا وحسنتنا عمن عصى أمرنا وكفر بتعليمنا ولم ير لنا جميلة فى نصحنا له وإنقـاذه من النار سواء دخل معنا فى عهد أم لا فإن فى أفواه الناس المعاملة مع الله تعالى.

وتأمل يا اخى الى أخـلاق الحق تعالى الذى هو المحـسن على الدوام كيف هو يطعـمنا ويسقينا ويؤوينا ليلاً ونهـاراً ونعمه سابغـة علينا مدى الدهر ونحن نعصيـه ليلاً ونهاراً لا يقطع بره عنا بسبب من الأسباب، وكـان شيخنا ﷺ يقول للشيخ أن يؤدب مريده بقطع البر وإظهار الجـفاء حتى تضر نفسه ويرجع إلى الانقـياد لعـماه عن طريق الآخـرة ولو كان مـشهوده الـخفى او الثواب لم يشـرد عن طريق الانقاد فـيحتـاج طريق التربيـة الى وسع اخلاق ورياضة تامـة، ولو أن راعى البهائم سخط علـيها حين نفـرت منه في البرية ولم يطولّ روحه على ضمّها إلى بعضـها بل راح الى البلد وتركها فى البرية للسبع والذئب عد ذلك من خسافة عـقله ولا يخفى ان حكم جميع المريدين والخدام والغلمان وغالب الاصحاب حكـم البهائم ولذلك احتاجوا الى راع يرعاهم ولو انهم خـرجوا عن رتبة البـهائم لما احـتاجوا قط إلى راع فـما احتاج إلى الراعى إلا البهائم والسلام.

اخذ علينا العهود ان نشهد مقامنا الحقيقي دائما هو التراب الذى تطأه الاقدام وتبول عليه الكلاب ولا نرفع نفسنا عنه فى ساعة من ليل أو نهار وذلك لأن الأرض هى أمنا التى منها خلقنا وكأن من طلب مقامًا يرفعه عن أمه فقد عقها من حيث أنها لا ترضى بذلك، وفى الحديث أن العاق لا يرفع له الى السماء عمل فافهم، ومن تحقق بهذا المقام لا يفارقه ﷺ ولا رضى الخلق واذا قدر انه وقع لا يتكسر أبدًا فإننا ما رأينا قط شخصًا جلس على الأرض فوقع وتكسر أبدًا انما يتكسر من فارق الأرض وعلى عليها حسًا أو معنًا ثم لا بد بأن يرجع الى ما رفع نفسه عنه حالة أحقر وأدبر مما كان قبل ان يرفع نفسه اما بترادف البلاء عليه وتحويل النعم وإما بالموت الذى لا ينجو منه أحد.

وتأمل الحجر اذا رميته الى فوق كيف يرجع الى رتبته الأرضية قهرًا لا يمكنه رد نفسه عن النزول فافهم، ويقول الناس فى حق من يترأس عليهم بغير حق فلان كبير عند نفسه يعنى دون الناس وقد جرب انه ما رفع عالم او فقير قط نفسه على الإخوان إلا وأذهب الله تعالى بركة عمله وتسبيكه لا سيما ان تصوف بالدعوى من غير استناد وصار يدعى مراتب الرجال فإنه يهلك فى الدارين ثم لا يستحق أن أحدًا يأخذ بيده اذا عثر فى الدنيا والآخرة أبدًا.

وتأمل يا أخى النخلة لما قامت بصدرها وتعالت على غيرها كيف جعل الله تعالى ثقل حملها على نفسها لا يساعدها فيه أحد، وانظر الى شجرة اليقطين والبطيخ لما مدت خدها على الأرض كيف جعل الله ثقل حملها على غيرها ولو حملت مهما حملت لا تحث بثقله.

فإياك يا اخى ان تتكبر على إخوانك، وأهل خرقتك وتتعاظم عليهم ولا تزورهم اذا مرضوا ولا تجيبهم الى وليمة اذا دعوك ثم تطلب انت منهم ذلك ولست امير المؤمنين بل شهدنا امير المؤمنين فى عصرنا هذا كثيراً فى الولائم والعقود فهل انت على رتبة من امير المؤمنين؟ فإن ادعيت ذلك فأنت مجنون فكن مع إخوانك ولا تشهر نفسك فان ذلك هو الخسران المبين، وفى الحديث: ومن تكبر وضعه الله، يعنى أنزله إلى أسفل من الأرض التى منها خلق ولذلك قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ يعنى الذين رفعوا رءوسهم عن الأرض وعن ما خلق من الأرض فيا ليت المتكبر نزل الى الارض التى رفع نفسه عنها فقط، واعلم يا اخى أن أقبح ما فى المتكبر وقوعه فى مزاحمة أوصاف الربوبية من العلو والرفعة والعزة ونحو ذلك فإنه بذلك يكون عدواً لله عز وجل.

إن من طلب من الناس القيام له اذا دخل فى محفل مثلاً فانه يقول لهم قوموا إلىّ قانتين كما تقوموا لله فافهم، وفى الحديث: «الكبرياء إزارى والعظمة ردائى فمن نازعني واحداً منهما قصمته» ولذلك هرب اكابر الأولياء من التصريف فى دار الدنيا فلم يظهر لهم كرامة ولا خارقة حتى خرجوا من الدنيا سالمين غانمين لم ينقص لهم راس مال فكانوا كما قال بعضهم اكمل فى المقام ممن ظهر بالكرامات والخوارق ولو بإذن من الهواتف الإذن لا يقع لهم بذلك إلا بعد ميل من نفوسهم خفى لا يشعرون به اقل ما هناك طلبهم ان يظهر طريقهم على غيرهم ولا يغلبوا عند خصمهم فافهم، وغب عنهم أيضًا ان هذا الموطن الدنياوى موطن الذل والخوف إذ هو موطن

نوزع الحق تعالى فيه فى الألوهية واحتجب فيه عن عامة عباده وأحب ظهور انفراده تعالى بالتصريف فيه وحده فأشد ما على العارفين أن يضاف إليهم حل او ربط فى الوجود إيثاراً للجناب الإلهى ان ينسب شىء إلى غيره رضي الله عنهم أجمعين فما مال الى الدنيا وقوع الكرامات على يديه إلا ضعفاء العارفين الذين سرى فيهم حب الدنيا.

وتأمل يا أخى إذا كان الحق تعالى هو الفاعل الحقيقى فى جميع حركات الوجود وسكناته من إحياء الميت فما دونه فبأى وجه من التعجب من ذلك وأى وجه لمدح من وقعت على يديه وهو عاجز عن تحريك اصبع نفسه حتى يحركه الحق تعالى فإن الولى لو كان يحيى الموتى بذاته ما مات هو قط وكيف يقدر على إحياء غيره ولا يقدر على إحياء نفسه هو فتأمل تعرف ان جميع المعجزات والخوارق انما هى فعل الله تعالى وحده أبرزها على يد عبيده المتسببين اليه وإلى شرعه تأييداً لهم لا غير فإن الله عز وجل من أخلاقه ان يؤيد من انتسب اليه ولو بالدعوى صيانة لجنابه الكريم ان يخذل من انتسب اليه فوجهُ الكرمة حقيقة انما هو التأييد لذلك النبى والولى بوقوعها فى وقت طلب فيه تلك الكرامة لا نفس الواقع فى ذلك الوقت فافهم والله على كل شىء قدير.

اخذ علينا العهود ان نبادر لنصح اخواننا ولو بحضرة الملأ من الناس ولا نترقب وقتًا نكلمهم فيه فربما نسينا ذلك قبل مجىء ذلك الوقت والنصح بلا شك خير والخير لا يؤخر، وقد كان ابو الدرداء رضي الله عنه يقول فى خطبته لأكابر الصحابة انى لأرى الغل حشو بواطنكم وداء الأمم قبلكم قد دبَّ فيكم وما

اظن الحق تعالى الا قد تبرأ منكم، ولما طعن عمر بن الخطاب ﷺ وأسقوه اللبن فخرج من حنبه فعرف انه ميت فدخل عليه اعرابى يعوده فلما ولي الأعرابى فقال عمر ردوا على الأعرابى فردوه عليه فقال له عمر يا اخى انى رأيت إزارك نازلاً عن كعبيك فشمره، فانظر كيف نصحه فى هذا الوقت الذى هو فيه محتضر فيه ولم يسامحه ﷺ.

ثم اعلم يا اخى ان كل من لامك على نصحه فى الملأ فذلك من نفاق فى قلبه والمنافق ما يراعى بل الواجب صدعه بالحق حتى يشتق قلبه بالحق فضلاً عن جوارحه الظاهرة ولو كان سالما من النفاق لفرح بالنصح لأنه غنيمة فى هذا الزمان لقلة من ينصح من الإخوان.

وقد سمعت شيخنا ﷺ يقول: انصح إخوانك بالعنف ما استطعت فان هذا زمان كثر فيه المخالفات والكلام اللين لا يقع به زجر إلا لمن كمل عقله وأين ذلك الرجل فزجرنا للمخالف بالعنف اولى وأقطع انتهى.

قلت: ولعل ذلك انما هو فى حق من انقاد لنا ودخل تحت حكمنا أما الأجنبى عن ذلك فالنصح له بالكلام اللين أولى فإن لم يسمع وكلناه إلى الله عز وجل ومتى قطبنا فى وجهه وزجرناه بعنف قامت نفسه وقابلناه بالإباية وعدم الانقياد ولم يسمع لنا كلامًا ولو كان قرآنا كما هو مشاهد بين أهل الضغائن والله عليم حكيم.

اخذ علينا العهود إذا رأينا أحداً فى ضيق لا نبادر الى قولنامسكين ما كان هذا يستحق ذلك فإن فى ذلك اعتراضًا على الله عز وجل وادعاء لمقام فى الرحمة فوق مقام رحمة الله لعبيده الذى هو بهم أرحم من أمهم، وكذلك

لا نقول يستحق هذا ما جرى له لأنه تحصيل الحاصل ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ مع ان فى قولنا «يستحق» رائحة شماتة بأخينا المسلم.

فاذا علمت ذلك فالأدب انما هو سؤالنا التفريج عنه بالعفو والنصح والصبر ونحو ذلك فان الحق تعالى ما يقدر على عبد عقوبة الا جزاء لعمل سابق احصاه الله ونسيه العبد ويقول من لا علم له بذلك مسكين هذا ابتلى بالتهمة وكذبوا عليه ويحلف هو بالله وبالطلاق انه مظلوم بظنه أن تلك المؤاخذة بالتهمة والحال أنه إنما اخذ بغيرها من الأمور التى وقع فيها محققًا لأن العقوبة لاتنصب قط على تهمة فافهم، والانسان لم يزل يخطئ وينسى.

وحكى ان عابدًا من بنى اسرائيل كان جالسًا فى صومعته ينظر إلى بركة ماء تحته فجاء رجل مسفور فنزل فشرب وأسقى دابته وغسل وجهه وخفف ثيابه واستراح ثم قام وركب ونسى كيسًا فيه خمسمائة دينار فبعد ساعة جاء شخص وعلى رأسه حزمة خطب فوضعها وشرب من البركة فوجد الكيس فأخذه ومضى، فجاء صاحب الكيس فوجد شخصًا آخر جاء بعد الحطاب فقال له أين الكيس؟ فقال ما رأيته فقال بل رأيته ودفنته فحلف له فلم يصدقه فضربه بالسيف فقتله، فقال العابد يا رب كيف يُقتل عبدك هذا ولم يأخذ الكيس وإنما أخذه الحطاب؟ فأوحى الله تعالى الى نبى ذلك الزمان أن قل لفلان العابد: إن الحطاب كان لأبيه على أب صاحب الكيس خمسمائة دينار جحدها ولم يعطها له فمكنت ولده منها وإن الثالث الذى قتل كان قد قتل أبا صاحب الكيس من حيث لا يشعر فمكنت ولده من قتله وأنا الحكيم

العليم فقد علمت ان كل من اخذته الرحمة على مقتول بسيف الشرع الصريح او مجلود بسوطه فقد اساء الأدب وفاته كمال الايمان، فإن الله تعالى يقول فى المجلودين فى الزنا: ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ فشرط تعالى وجود الايمان بعدم الرأفة فافهم، وخرج بقولنا الشرع الصريح جميع ما استنبط بدقيق الفكر ولم يجمع عليه كبعض الوقائع التى يفتى بعضهم فيها بالتكفير وبعضهم بعدمه.

وقد حكى لى شيخنا ﵁ ان شخصًا وقع فى حق رسول الله ﷺ بكلام فيه لبس فأفتى بعض العلماء بكفره وعقد لذلك مجلسًا عند السلطان خش قدم فحضر الشيخ جلال الدين المحلى فأمر بإطلاقه من إهراق دمه وقال: تقتلون مسلمًا موحدًا بفتوى شخص غير معصوم، فاطلقوه، فتأمل ذلك والله واسع عليم.

اخذ علينا العهود ان لا نتميز عن اخواننا بخلق غريب محمود ما أمكن لأن ذلك مما يطفئ نورهم ويقوى نورنا فنتميز والله تعالى يكره العبد المتميز عن اخيه اللهم إلا أن يكون احدنا يقتدى به او جاهلاً او ناسيًا او ذاهلاً فإنه يعذر، فإذا فرق السلطان مثلاً مالا على العلماء والفقراء وقبلوا كلهم ذلك ولم يَرُده احد منهم فالأدب منا ان نقبل كما قبلوا ثم نفرق ذلك فى مصالح المحتاجين إلى مثلى ذلك الماسر او لا نأكل منه إلا إن كنا مضطرين الى مثله، هذا شأننا مع اخواننا ما لم ينهمل على الدنيا ويثوروا على كلما لاح لهم من أموالها ثوران السبع على الفريسة، فإذا فعلوا ذلك رددنا الأموال وتميزنا عنهم بكل ما نقدر عليه من الاعمال الصالحة ولا حرج لا سيما ان

تصدينا لقضاء حوائج الناس عند الامـراء والاكابر فإنه يجب علينا رد كل ما وصب الينا منهم لأجل مصالح الناس ولو كنا محتـاجين فانه ما عند الأمراء والأكابر اليـوم فقير أعـظم ممن يزهد فى الدنيا ويرد الذهب والفـضة وذلك لعظمة الدنيـا في قلوبهم فإذا رأوا فـقيراً قـد زهد فيمـا رغبت فيـه ملوكهم عظمـوه ضرورة وقبلوا أقـدامه، ولمـا طلع الشيخ شـمس الدين الديروطى الواعظ بجامع الازهر الى السلطان الغورى امر له السلطان بألف دينار فردها وقال انا رجل من أغنياء المسلمين ولكن ان كان مولانا السلطان محتاجًا الى نفقة اقـرضناه وصبرنا عليه، فـعظم الشيخ فى عين السلطان ولم يزل مـقبول الشـفاعـة عنده حـتى مات، ولو انه كـان قـبل الألف دينار لنقص فى عـينه ضرورة لاسترقاقه لنعمته كالعـبد فإن الملوك وغيرهم ما أعطوا فقيراً الدنيا إلا بقدر زهدهم فيـها ولو انهم رغبوا فيهـا ما اعطوا الفقير شيئًـا منها فاذا رأوا الفقـير يحب الدنيـا ويسألهم فى ان يعطوه جـوالى ومسـموحًا او يـرتبوا له دراهم على بسـاط السلطان ويروه يسـافـر فى طلب الدنيـا الى بلاد العـجم والروم وهمته مـصروفة إلى جميع الدنيا اكـثر من ابناء الدنيا ومن الحكام او مثلهم فـكيف يصح لهم ان يعتـقدوه فمن طلب اعـتقادهم فـيه لاجل قـبول شفاعـاته عندهم مع حبه للدنيا فـذلك دليل على سخافة عـقله ولذلك صار طلبة العلم او المريـدون يكون لهم حاجة إلى قاضى العسكر او غـيرهم فلا يسألون فيها شيخهم ويقولون يا ربى سيدى الشيخ يسألهم فى حوائج نفسه.

فان اردت يا اخى قـضاء حوائج الخلق عند الحكام وغيـرهم فازهد فى الدنيا ولا تجـعل لك فى ديوان صدقـتهم وهداياهم اسـمًا فإنـى أضمن لك

التعظيم فى قلوبهم والهيبة عند كل من يراك، وقد كان مالك بن دينار ﷺ ينشد ويقول:

يا معشر العلماء يا ملح البلد

ما يصلح الملح اذا الملح فسد

فما إثم أسحر لنفوس الخلق ولا فج يصطاد به العلماء او العباد أقوى من محبة الدنيا، وتأمل النسر وهو طائر فى جو السماء لا يصل الى مسه بيده اكبر ملك الدنيا كيف ينصب له حبايل من الرمم فيتنزل عليها من جو السماء فيقبض عليه فالرجل من نظر واعتبر والسلام.

اخذ علينا العهود ان نؤثر جناب الحق تعالى على جنابنا ولو ادى الأمر إلى قتلنا وصلبنا ولا نتعاطى قط اسباب إحقار ذمة الله عز وجل وانتهاكها.

وكان السلف الصالح ﷺ أجمعين اذا توعدهم الوالى لعقوبة بسبب تهمة او غيرها لا يصلون ذلك اليوم الصبح فى جماعة لما ورد ان من صلى الصبح فى جماعة فهو فى ذمة الله عز وجل فمن صلى ذلك اليوم الصبح فى جماعة ووقع له عقوبة احقر ذمة الله وعرض من احقرها لأن يكبه الله فى النار على وجهه كما ورد وكانوا يقولون سد الباب الذى يتطرق منه انتهاك ذمة الله عز وجل عندنا ارجح من حصول ثواب صلاة الجماعة وكانوا اذا مد احد منهم للضرب والعقوبة فى بيوت الحكام ولا يقولوا نحن فى حسب الله ولا حسب رسول الله ولا حسب احد من الأولياء لأنه ربما كان سبق فى علم الله تعالى عقوبة العبد فيحقر بين الصبح وقوله ما ذكر ذمة الله وذمة رسول الله ﷺ وأكابر الأولياء والصالحين فكأنه بما ذكر سعى فى احقار

تلك الذمم وشارك الوالى فى إثم الاحقار ولم يكن صلى الصبح فى جماعة ولا يحتسب باحد ذلك اليوم ما كان صدق على الوالي احقار الذمة لله تعالى ولا كان اثم وهذا الذى قررناه هو أرقى فى الأدب مع الله تعالى ممن صلى الصبح فى جماعة استناداً إلى الله تعالى اولى ذمته حتى لا يتجرأ احد ان يعاقبه فافهم، ويؤيد ذلك انه ﷺ بعث سرية وقال: اذا نزلتم على قوم فطلبوا منكم ان تنزلوهم على ذمة الله تعالى فلا تفعلوا وانزلوهم على ذمتكم فانكم ان تحقروا ذمتكم خير لكم من ان تحقروا ذمة الله عز وجل.

وكان الحجاج مع جوره وظلمه لا يضرب أحداً قط صلى ذلك اليوم صلاة الصبح فى جماعة ويقول إنه فى ذمة الله عز وجل هذا اليوم، واتوه مرة برجل فقال اسألوه هل صلى الصبح فى جماعة فقال له رجل وهل يقول لك الا نعم خوفًا من القتل فقال لا اقتلهم ولو قالها كاذبًا خوفًا من اخفار ذمة الله عز وجل.

قلت: ويقاس بصلاة الصبح المذكورة فيما ذكرنا قراءة الأوراد والأحزاب التى يرجى بها دفع السوء عن قارئها ذلك اليوم وكذلك قراءة آية الكرسى ونحوها على الحوانيت والأمتعة حتى لا تسرق والأطعمة حتى لا يأكل الجن منها لأن فى ذلك أيضًا فتح باب الانتهاك واحقار ذمة القرآن وذمة الحديث الوارد وذمة كلام السلف مع وقوع فاعل ذلك أيضًا فى التحجير على القدرة الإلهية وعلى الخلق فى وصولهم الى ارزاقهم وفى وقوع السارق فى الاثم من جهة السرقة فإنه لولا شحة نفس صاحب تلك الأمتعة المسروقة ما حرم ذلك على سارق لأن ما اخذ بطيب نفس حلال بلا نزاع.

وكان ابو زيد الهلالى لا يتخذ على أبوابه قفلاً إلى ان مات فما شرع الحق تعالى فعل الامور الدافعة عن العبد البلايا والمصائب وعن ماله السرقة مثلاً إلا تنفيسًا للضعفاء الذين لا يسامحون بتلف اجسامهم فى جانب الله ولا بإنفاق اموالهم فى منفعة عباد الله لشحة نفوسهم ولو ثبتوا فى مقام العبودية كما ثبت فيه العارفون لرأوا اجسامهم واموالهم لله تعالى لا لأنفسهم ولذلك لم يشرع لهم ان يفعلوا شيئًا من تلك الامور الدافعة عنهم وعن اموالهم البلايا إلا اظهارًا للعبودية والفاقة فقط لرضاهم بتلف مهجهم فى جانب الله وعدم بخلهم بشيء من الدنيا على عباده وايضًا فإنهم أولى بالمؤمنين من أنفسهم بحكم الإرث لرسول الله ﷺ فهم محسنون الى كل بر وفاجر وشاكر وكافر فى امر الدنيا والآخرة.

وقد تحققنا بذلك ولله الحمد والفضل ونسأله الدوام على ذلك حتى نلقاه فنحن نرى للعبد من الخير افضل مما يراه هو لنفسه فمن تبعنا نجا إن شاء الله تعالى من حجاب الضلال.

وقد كان الشبلى رضي الله عنه يقول: احب ان يكبر الله تعالى جثتى ويملأ بها جهنم لأجل وعدها بملئها ولا يدخل احد من عصاة هذه الأمة فيها.

وسمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: لله تعالى رجال يقفون على طريق جهنم فكل من رأوا الزبانية تسحبُه إلى النار وهو يبكى من عصاة هذه الأمة يسألون الله تعالى ان يدخلهم مكانه فيجيبهم ويعتقوه من دخول النار ولله تعالى رجال يتحملون البلايا والمحن فإذا رأوا البلاء نازلا على حارتهم او بلدهم تلقوه عنهم حتى يمرضوا أيامًا بأمراض ليس للطبيب من الخلق فيها طريق

ويعتق اهل بلدهم او حارتهم من غير علمهم ثم بعد ذلك يتحملون منهم تنقيصهم وقولهم لأحدهم يا كلب يا فاسق يا شيخ النحس ايش حبيث لآخرتك وأنت تزنى او تلوط أو تشرب البوظة ونحو ذلك.

وقد شاهدت شخصًا منهم كان فى حارة باب اللوق ينظر فى المحو والإثبات فيرى البلاء نازلاً على عالم او صالح او تاجر أو غيرهم من الأكابر ولا بد فيتلقى ذلك البلاء عنه ويقول ان هؤلاء اصحاب شهامة وضخامة فإذا رآهم الناس يزنون او يشربون الخمر يستبعدوا ذلك منه ثم ينثلم الإسلام بذلك بخلاف ما اذا رأوا جعيدى مثلى.

وكان ﷺ يقول كثيرًا ليس الرجل من يرجع دخول الجنة انما الرجل من فنى عن اختياره مع الحق تعالى وقال ان دخلت الجنة سديت مسدًا وان دخلت النار سديت مسدًا والله واسع عليم.

اخذ علينا العهود ان ننظر إلى كل شىء برز فى هذا الوجود بعين الاعتبار وذلك بان نعتد من الظاهر الى الباطن ولو كان ذلك البارز حرامًا فى الشرع فنتطلب الحكمة فى إبرازه ثم ننكر على فاعله عملاً بالشريعة وقد قلت مرة فى نفسى وانا تجاه سوق الكتبيين بمصر المحروسة اى فائدة لابراز بنات الخطأ في الوجود والحلال فى النساء الفقيرات كثير لرضاهن بدون ما يصرف على بنات الخطأ فى النفقة والعطاء فإذا بالهاتف من جو السماء يقول الحكمة فى ذلك سقاطه نفوسكم وعدم قناعتها بالحلال وعفتها به فإن الله تعالى عطاؤه فياض لا يتخصص فاذا علم من عبد ميل نفس الى خسيس هيأه له او حرام هيأه له ثم هتف هاتف آخر بصوت آخر يقول ومن الحكمة فى

إبرار بنات الخطأ أيضًا عدم وقوع الفساد فى الأرض فقلت له فى سرى وأى فساد فوق الزنا ببنات الخطأ فقال الهاتف أعظم فسقًا من بنات الخطأ الزنا بنساء أكابر العلماء والأمراء والتجار ومقدم امير الحاج ومقدم الوالى ونحوهم فلولا بنات الخطأ لاسور العتاق والمتمردون من العزاب إلى حيطان الناس ونزلوا بيوتهم فزنوا بنسائهم كرهًا او طوعًا لقوة ثوران شهواتهم فكان يحصل بذلك كثرة القتل والفتن والإخراج من الأوطان ولا هكذا الحكم فى بنات الخطا فأن الانسان يجتمع بالواحدة منهن ويعطيها نصفًا ونحوه ثم يدخل مخزنها فى الستر والحجاب فينفض ما كان عنده من الشهوة ويزول العارض وكل بنات الخطأ تسد ام اولادها فلا تحبل ولا يحصل اختلاط انساب فافهم. انتهى. وهذه البقعة سمعت منها عدة هواتف وهى من اشرف بقع مصر وهى فى الشارع من تجاه باب الكتبيين إلى عطفة باب الزهومة ولو كنت صاحب مال لحولت الشارع عنها ومنعت المشى عليها بالنعال وجعلتها مسجداً لشرفها ويلى هذه البقعة فى الشرف البقعة التى تقرب من جامع الفاكهانى عند الدخاخنية مما يلى مدرسة السلطان الغورى وقدرها خمسة اقصاب.

وقد وقع بى مرة أننى تأملت فى قوله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ إلى آخر النسق فاستحسنت حالهم فاذا بالهاتف يقول الخشوع لا يكون معه توحيد بإثبات الخاشع نفسه مع الحق ففهمت ما تحته من الاسرار وعلمت ان كل من نظر إلى الوجود بعين الاعتبار استفاد منه أسراراً لا تسعها الدفاتر.

وقد وقفت مرة على شيخ يقوم الرماح على النار تحت مدرسة السلطان حسن بقرب القلعة فنظر إليَّ وقال انظر يا صغير فان النار ما لها شغل الا مع الأعوج واما المستقيم فلا يعرض على النار أبداً فلم تزل كلمته تلك نصب عيني، ووقفت مرة اخرى على لاعب سير القمار فقلت له اى فائدة فى هذا فقال عبرة لأولى الأبصار فقلت وما تلك العبرة فقال اما تنظر الانسان ياخذ العود بيده ويجول بفكره فى ان يضعه داخل عين من عيون السير المتشابه فيضعه بعد نصب الحيل فينفض السير فيجد نفسه خارج عين السير فحكمه حكم من يريد التحيل على ما لم يقسَم له من الرزق وبعض الناس من السالمين النية يجيء فيأخذ العود ويضعه من غير حيلة فيجد نفسه داخل العين، ووقفت مرة أخرى على مشغوت فقلت له ما الحكمة فى حرفتك هذه؟ فقال الحكمة فيها تقوية إيمان لمن كان عنده تزلزل فإذا رأى فعلى وانا أريه أشياء ليس لها حقيقة ويشهدها بحسه قوى يقينه لأنى اذا فعلت ذلك وانا عبد عاجز فكيف بأقدر القادرين تبارك وتعالى، فقلت له ما قصدك بالأشياء التى ليس لها حقيقة، فقال: جميع المخلوقات لأن الوجود الحق انما هو لله وحده فكم الخلق السراب الذى يحسبه الظمآن ماء. انتهى.

ووقفت مرة على خيال الظل فقلت ما الحكمة فى فعلك؟ فقال لى انظر حقيقة اسمى تعثر على الكنز فنظرت فعلمت هو الخيال ومن هو الظل المراد بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ الآية، ثم قال لى انظر يا ولدى الى الصور وهى تروح وتجيء ولا يرى المحرك لها تعرف ان الفاعل الحقيقى لجميع حركات الوجود لا يرى وتعلم ان لكل حركة ظاهرة

حركة باطنة يحـركها لا تشهد الا بنور الايمـان لا بالحس قال تعالى: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ فالعارفون يعتبرون بصنيعى وصغار العقول يضحكون.

ووقفت مرة عـلى خلبوص المغانى وهو يضـحك الناس فقلت له الادب ترك هذا فى هذا الزمـان لكثرة الغم الذى فـيه الناس الآن فقـال لى بل هو المطلوب من كل عارف فى هذا الزمان فقلت لماذا؟ فـقال لأنهم إذا سمعوا هذه السخريات انتهوا عن ما هم فيـه من الغم وعن ما يقعوا فيه من السخط على تقديرات ربهم من الظالم وثقل الخراج واخراج صـبيانهم الى التجاريد الى بحر الهند وأمور يطول شرحها ما خطرت لهم قط على بال ولو لم يكن فى إضحاكهم الا غيبـتهم بذلك عن السخط على ربهم لكان فى ذلك كفاية فى طلب ذلك منا ومن كل عارف ثم قـال وثم حكمة أخرى أدق من هذه، فقلت له ما هى؟ فـقال قوله تعالى ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ فإن اضحك الناس لابنه العارفـين على شهود تجـليات الحق تعالى بالإضـحاك والإبكاء فانه تعالى ما ثم له ظهـور تجل بذلك الا فى هياكل خلقه اذ هو تعالى منزه عن الحركة والأجسام فاذا رأى العارف بالله تعالى احدنا وهو يضحك الناس ويبكيهم استدل بها على تجليات الحق تعالى.

ومن هنا جعل رسول الله ﷺ له من يضحكه وكان يكرمه غاية الإكرام لهذه الحكمة فـقلت له قد رأيت منك شهود التجلى بالضـحك فأين التجلى بالبكاء فقال لى انظر ثم قشر واحـداً بالفرقلة فبكى وقال هذا التجلى بالبكاء وان لم يكفك ذلك فاذهب إلى بيت الوالى فهناك التجلى بـالبكاء كثير فقلت

له فأنت إذاً مع الله تعالى بقلبك فى حال سخريتك فقال نعم هذا شأن كل عارف لا يحركه فعل شىء إلا إن رأى وجهه حكحمة الحق تعالى فيه فكل ليلة أخايل فيها هى ليلة عيدى انتهى.

فهكذا يا أخى فانظر إلى سائر ما فى الوجود تجده كله عبرة والله عليم حكيم.

اخذ علينا العهود ان نقوم لحكامنا اذا وردوا علينا ونقبل أيديهم ولو جاروا كما نفعل ذلك مع علمائنا ولو لم يعملوا بعلمهم وذلك لان الله تعالى جعل لهؤلاء الحكام والعلماء السيادة علينا فى دار الدنيا والذى ينظر اليهم ما ينظر إلى مثلنا حتى لو قلنا للناس اجعلونا فى التعظيم كالأمير الفلانى والمحتسب سخروا بنا ونسبونا إلى الجنون ثم نرجو لهم من فضل الله تعالى ان يكونوا اكبر منا فى دار الآخرة كذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾.

هذا أدبنا مع حكامنا فى هذه الدار وسيعلمنا الله عز وجل ان شاء الله تعالى الآداب المناسبة للدار الآخرة اذا انتقلنا اليها.

واعلم يا اخى ان العارفين من شأنهم ان يظنوا فى كل الناس الكمال لا سيما أكابر العلماء فربما أخلوا بواجب حقوقهم كعدم القيام لهم وعدم البشاشة فى وجوههم فيظن بهم انهم فعلوا ذلك تكبرا وإنما ذلك لظنهم الكمال فى العلماء لا يتشوشون ممن يخل بحقوقهم قياسًا للعلماء على انفسهم فى عدم التشوش لو خطر للعارف ان له حق على احد من خلق الله او مقامًا لخرج عن طريق القوم فإياك ان تظن بالعارفين سوءاً فتخسر دينك

فإنهم ﷺ مبترئون عن ان يظنوا بعالم من علماء المسلمين ان يتغير لفقد حظ نفسه ويبوء مقعده من النار كما ورد فى الصحيح «من أحبَّ ان يتمثل له الناس قيامًا. . .» الحديث، ومشهدى أنا الآن اذا لم أقم لعالم ظنى فيه انه يكره القيام له فلا أدخل عليه شيئًا يكرهه.

وكان انس بن مالك ﷺ يقول: لم يكن احد احب الينا من رسول الله ﷺ وكنا لا نقوم له إذا مر بنا بما نعلم من كراهيته لذلك.

فعُلم مما قررناه ان كل فقير لم يعظم الاكابر والأمراء فهل جاء عمل بمراتب هذه الدار لعدم سلوكه طريق العارفين ولو سلك لعلم وجوب إعطاء أهل المراتب حقوقهم.

وقد رأيت سيدى عليًا الخواص ﷺ يقبل رجل ابن موسى محتسب مصر كان على ايام السلطان الغورى رحمه الله فاعترض عليه فقيه وقال كيف يليق بك وانت تدعى الصلاح ان تقبل رجل الظالمين، فقال له الشيخ انما افعل معه ذلك بحق فان الخبز والبضائع اذا قلَّت من السوق وجاع الناس يرسل مناديه فينادي للسوقة فيمطر السوق خبزًا ولحمًا ودهنًا وجبنًا وغير ذلك فبالله يا فقيه هل تقدر أنت على ذلك؟ فقال الفقيه لا فقال الشيخ أدبنا مع هؤلاء إنما هو أدب مع الله تعالى الذى ولاه التصريف فى الوجود بالتولية والعزل والحل والربط وغير ذلك. انتهى.

وقد تقدم اول العهود ان من شرط الفقير أن يرى نفسه دون كل جليس ولو كان ذلك الجليس من أفسق الفاسقين فكيف بأكابر الناس فكل الناس عنده أهل فضل والتعظيم مستحب لأهل الفضل فافهم فتقبيلنا مواطئ أقدام

الأكابر من بعض حقوقهم الواجبة علينا لا تواضع منا لهم اذ لو شهدنا ذلك تواضعًا منا لكنا اعظم كبرًا منهم.

وقد حكى ان بعض الفقـراء رأى سيدى عبد الله بن أبى جمـرة المدفون بقرافة مصر ﷺ وهو جالس على كرسى وعليه خلعة خضراء وجميع الأنبياء والمرسلين واقفون بين يديه غاضون أبصارهم فـأشكل ذلك عليه فذكر الفقير الواقعـة لبعض العارفـين فقال لا إشكال لأن تعـظيم الانبياء ووقـوفهم ليس لاجل من لبس الخلعة وانما هو لمن ألبسها وهو الله تعالى فزال ما كان عند الفقير فما رفع الله تعالى الأمراء والأكابر علينا إلا بحق والسلام.

فعلم ان من جـهل الفقيـر ان يرى نفسه على أكـابر الدولة ويمكنهم من التواضـع له ومن الوقوف بين يديه وتقـبيل يده لا سـيمـا ان طلب هو منهم ذلك ولو بالتعريض فإن ذلك من قلب الموضوع والله اعلم.

اخذ علينا العهود ان لا نتصدى قط لتلقين المريدين الذكر وفى البلد من هو احق منا بذلك لا سيما ان كان المريد اكبـر منا سنًا او شريفًا كما سيأتى ايضاحه فى العـهد الآتى عقبـه ان شاء الله تعالى فمن تصـدى لما ذكر وفى البلد ممن هو اقدم منه هجرة واعـرف منه بطريق الله عز وجل فقد خان الله ورسوله واذا جاءنا مريد يطلب الطريق عرفناه مقام ذلك الشيخ ثم ارسلناه له فان لم يقبل منا ذلك فهو دليل على عدم انتفاعه بنا فوجب طرده عنا، ثم اذا وقع اننا علمنا مريدًا لغيرنا أدبًا من الآداب فمن الآداب ان ننوى بذلك التعليم النيـابة عن ذلك الشـيخ الذى هو اكبـر منا سنا واعـرف منا بطريق الله عـز وجل.

واعلم يا اخى ان مقصود جميع الصادقين ان يكون شعار طريق القوم ظاهراً لا غير امتثالاً لامر الله عز وجل فواحد يكفى فى تسليك جميع اهل مصر وضواحيها لأن الصادق من المريدين الذين يستحقون الترقى قليل والباقون زوالهم تخفيف من الله ورحمة بهم فان من لم يكن صادقًا فلا يزداد بصحبة الاشياخ الا مقتًا بإقامة الحجة عليه بما يسمعه منهم من المواعظ والآداب ولو كان بعيداً عنهم لكان له عذر يعتذر به وقد كانت الطرق عزيزة وكان أهلها اعز منها حتى كان يرحل إلى الأشياخ عن البلاد البعيدة.

وقد سمع سيدى الشيخ نور الدين الحسنى رحمه الله قائلاً يقول تحت بيته: يا قفة شيوخ بخمسة نقرة يعنى بها خشب الشيوخ التى تسرح بها الكتان فترك التلقين الى ان مات وقال قد ألقى فى سرى ان طريق الفقراء انطوت هان أهلها فى عيون الخلق فعدم الخلق منهم النفع. انتهى.

وقد كان الأشياخ فى الزمن الماضى يشمون المريد فان وجدوه قابلاً للترقى صحبوه والا أعرضوا عنه رحمة به فلو فتش الصادق الآن ما وجد فى مثل مصر أكثر من نحو ثلاثين نفسًا يقبلون الترقى والباقون لا يقبلون ويكفى فى نحو الثلاثين واحد يربيهم وان شككت فى قول هذا فمر على فقراء الأشياخ الذين فى زوايا عصرك وانظر ايهم يرضى ان يطلق زوجته ثلاثًا او يخرج عن جميع ماله طاعة لشيخه تعرف صدق ما أقول، فلما رأى الأشياخ ان ترك الصدق قد غلب على الخلق استتروا رحمة بأنفسهم، فإن حكم من يريد ان يجمع شمل الناس اليوم على طريق الله حكم من وقف يريد تقطير الحجاج حين يرجعون من السفر ويشرفون على رؤية بلادهم ودورهم فإن

الدنيا قد صارت كالمركب المشحونة التى أقبلت على البر وأرخت حبالها ورواجعها فافهم.

واعلم انه لما تراجع الزمان إلى وراء وصارت مرتبة الشيخ الكامل عزيزة انفرد كل شيخ بجماعة ولو وقع اجتماع أمهات الطريق التى ينتهى اليها كل طريق فنقول لكل سالك طريقك من هذا الطريق فلو قدر انه ذهب بعده الى الف مسلك قالوا له كلهم طريقك من هذه الطريق التي اخبر عنها ذلك الكامل فإن ذهب الى مسلك غيره واوصله من طريق خلاف الطريق التى قالها الشيخ الكامل تبين عدم كماله وانه علم جميع الطرق التى يصل منها ولكنه امر المريد بطريق من احد طرقه فالكامل من يسلك الناس من طرقهم الخاصة بهم والسلام.

وحكى ان سيدى يوسف العجمى لما دخل مصر وصحبه سيدى حسن الششترى قالا لبعضها الطريق مبنية على التوحيد ولا يكون فى كل عصر الا واحد والزائد انما هو متغلب على المراتب او نائب لصاحب الوقت فإما أن تبرز انت وإما أن أبرز أنا فقال سيدى حسن لسيدى يوسف أبرز أنت فبرز سيدى يوسف وصار سيدى حسن يخدمه إلى ان توفى فهكذا درج السلف الصالح فبهداهم اقتده والله غفور رحيم.

اخذ علينا العهود ان لا نأخذ العهد على شريف سواء كان من اولاد على ابن ابى طالب او من اولاد عقيل او من اولاد جعفر او من اولاد العباس ﷺ فإن هؤلاء كلهم أشراف وتخصيص الشرف بأولاد فاطمة فقط اصطلاح عند اهل مصر خاصة كما نبه عليه الحافظ السيوطى فى كتاب الخصائص

فأما أولاد فاطمة ﷺ فإنهم بضعة من رسول الله ﷺ ولا ينبغى لمسلم ان يدخل بضعـة من رسول الله ﷺ تحت أمره وتصريفـه وخدمته كمـا يفعل بالمريدين من آحـاد الناس ومن فعل ذلك من الفـقراء فهـو دليل على جهله بالواجب فـضلاً عن الآداب فـإن الله تعالى جـعل مرتبـة الشرفـا أعلى منا اختصاصًـا إلهيا لا بعمل عملوه ولا بخير قـدموه بل سابق عناية من الله عز وجل لهم فنهـاية ما يعل إليه المـسلكون من درجات القـرب المكتسبة دون درجات الشريف بيقين.

وتأمل أولاد الرجل وهم حوله فى داره تجدهم أقرب من إخوان والدهم بيقين وحضرة رسول الله ﷺ وأولاده هى حضرة الله عز وجل ولأقرب من تلك أبدًا ولا يعادل بالولد صاحب إلا إن صرح والده بأن صـاحبه افضل من ولده واحب اليه فافهم.

وقد قـال على بن أبى طالب ﷺ لرسول الله ﷺ : أيمـا أحب إليك أنا أمْ فاطمة؟ فقال رسـول الله ﷺ : فاطمة احب الى وانت اعز علىَّ منها فصرح ﷺ بأن فاطمة أحب إليه من علـىٍّ وأما كونه اعز فنحتاج إلى دليل هل هو اعلى من احب او دونه فتـأمل، فكل عارف يستـحى من رسول الله ﷺ ان يكون له سيادة على احـد من ذريته ممن اخبرنـا عنهم انهم بضعة منه.

واعلم يا اخى ان تعظيمنا للشريف الذى طعن فى صحة شرفه اوجه عند رسول الله ﷺ من تعـظيم من صح نسبه لأن الـمحقق شـرفه لا جـميلة لاحد فى تـعظيمه بـخلاف غيـر المحـقق الشرف اذا عظمناه على الـرائحة

فتأمل، وقد أوضحنا الكلام على ذلك فى كتاب فرائد القائد فى علم العقائد فراجعه.

وأما أولاد على رضي الله عنه من غير فاطمة وأولاد جعفر وعقيل والعباس فإنهم فروع من شجرة نسب رسول الله ﷺ فالأدب معهم عدم دخولهم تحت أمرنا أيضًا وعدم تمكينهم من الأطراف بين أيدينا واستخدامهم ولو فى حمل السجادة وملء الابريق وقد جاء مرة شريف لسيدى محيى الدين بن أبى أصبغ أحد أعيان الدولة العثمانية أسبغ الله عليه النعم يطلب منه أن يكون غلامًا عنده يحمل غاشية فرسه ويمشى أمامه فقال له سيدى محيى الدين معاذ الله يا سيدى الشريف أن تكون عاملاً عندى فقال الشريف خاطرى بذلك طيب فقال سيدى محيى الدين أنا أستحى منك ومن رسول الله ﷺ أن يرانى وأنت تمشى بين يدى وانا راكب. انتهى. فأعجبنى ذلك من سيدى محيى الدين وعلمت أن عند أكابر الدولة وأتباعهم من الأدب ما ليس عند غيرهم، وتأمل شدة حيائهم من الله تعالى ومن الخلق فى تضييق الأكمام حتى لا يظهر من أيديهم إلا ما لا بد منه.

وتأمل سراويلهم كيف يجعلونها سابلة على أقدامهم حياء أن يظهر من أرجلهم شىء بحضرة الناس وبعضهم يبالغ فى الأدب فيلبس الخف فوق السراويل والطوق إلى أن تستر أعناقهم حتى لا يرى الكبير الذى هم فى خدمته من ابدانهم اشياء، فطريق الشيخ فى تربية الشريف ان يعد نفسه خادمًا للشريف ثم بصير ينصحه بكلام جده ﷺ فقط دون كلام غيره من العلماء مما تولد من أفهامهم والله عليم حكيم.

اخذ علينا العهود ان لا ناخذ العهد على مريد وعليه حق لآدمى من مال او عرض ولو درهمًا واحدًا او كلمة واحدة ومن هنا شرطوا فى صحة التوبة رد المظالم كلها الى اهلها حتى يصح دخوله الى حضرة الله عز وجل فإن حضرة الله محرم دخولها على من عليه تبعة لآدمى من مال او عرض ولو فى صلاته كما يشهد ذلك ارباب البصائر الذين يعرفون زيادتهم ونقصهم فاذا وجد الشخص منهم في قلبه خشوعًا وحضورًا فليعلم ان الله تعالى غفر له ذلك او سامحه واذا وجد فى قلبه قساوة وشتاتًا فليعلم ان تلك التبعة لم تغفر فطريق الشيخ إذا أراد أخذ العهد على من عليه تبعة ان يتوجه إلى الله تعالى فى مسامحة ارباب الحقوق له او يتوجه إلى الله تعالى ليرضى عنه خصماؤه يوم القيامة ولا يلقنه الذكر مثلاً حتى تحصل عنده علامة استجابة الدعاء وله علامات لا تخفى على صادق ثم بعد ذلك يلقنه والله عليم حكيم.

اخذ علينا العهود ان لا نغفل عن من لا يغفل عن ملاحظتنا من المريدين ونعرف ذلك منهم برؤية صورهم فى مرآة قلبنا إقبالاً وإدبارًا فنعرف من هو متوجه بوجهه إلينا ومن هو مدبر بظهره وليس علينا ان نتبع مدبرًا عنا لان طريق الفقراء مبنية على العزة.

واعلم يا اخى ان من أدبر عن ملاحظة شيخه فقد ادبر عن ملاحظة حضرة ربه عز وجل لأن شيخه سلم للترقى إلى حضرة ربه فإذا أدبر عن شيخه أدبر عن الترقى وتوجه إلى حضرة الشياطين ومثل هذا يكره الإقبال عليه إلا أن علم الشيخ من طريق كشفه أن له نصيبًا فى الطريق، قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ فافهم والله واسع عليم. انتهى.

اخذ علينا العهود ان تزور اخواننا قبل ان يزورونا ولا نترك قط زيارتهم إلا لعذر، ونذهب الى زيارتهم ولو مشاة وحفاة ولا نتوقف على شىء نركبه او نلبسه الا ان بعدت دارهم وكثر الوعر فى طريقها وأنشدوا فى ذلك:

زر من هويت وإن شطت بك الدار
وحال من دونه حجبٌ وأستار
لا يمنعك بعد عن زيارته
إن المحب لمن يهواه زوّارُ

وقال محبوب ليلى:

ولو قطعوا رجلى مشيت على العطى
وإن قطعوا الأخرى جثيت وقد جئت
ولو دفنونى تحت الغين قامة
تحلحلت من تحت التراب وقد جئت
ولو حرّقوا عظمى وذروه فى الهوى
ورحت إلى دار المحب لقد جئت

وقال أيضًا:

وكنت اذا ما جئت ليلى أزورها
أرى الارض تطوى فيدنو بعيدها

انتهى.

فامتحن نفسك يا اخى فى عدم الزيارة اذا تعللت بشىء تركبه او شىء تلبسه بما لو عين لك فى الرواح اليه ألف دينار ذهبًا تتوسع فيها فإن وجدت

النهضة الى المشى إليه فانت كاذب في العجز عن المشى وان لم نجد نهضة الى الذهاب اليه وفوت الألف دينار فأنت عاجز صادق ومعلوم أن ثواب الزيارة أرجح من الف دينار بيقين فى ميزان العبد يوم القيامة.

وكان ﷺ يزور مساكين المدينة وعجائزها تقربًا إلى الله تعالى، وكان كثيراً ما يزورهم حافيًا ليس عليه إلا إزار واحد وهذا أمر قد اغفله بعض اصحاب الناموس من مشايخ الأمراء والأكابر فتركوا المشى إلى إخوانهم من الفقراء ضخامة.

وقد قلت مرة لواحد منهم لم لا تزور إخوانك؟ فقال انما تركت ذلك خوفًا أن تتفرق تلامذتنا منا ويظنون اننا لولا انا دون المزور ما زرناه وهذا جهل بالشريعة فإن فى الحديث «من تواضع لله رفعه الله» وسبب محبتى لأخى الصالح الشيخ ابراهيم الذاكر وترجيحى له فى المحبة على بقية الإخوان انه بدأنى بالزيارة فلما دخل قال لى بصريح لفظه بحضرة مريديه واخوانه، وكانوا جمعًا كبيراً: والله أود لو كنت من أحد الفقراء عندك، فقلت له أستغفر الله فإن القاعدة ان الصغير هو الذى يبدأ الكبير بالزيارة وأنت أكبر منى يقينًا وسنًا وقدراً، فقال على الفور من غير تمهل: فالحمد لله الذى ما أخطأنا القاعدة شيئًا وجعل نفسه هو الصغير فعلمت بذلك عدم وجود حجاب النفس عنده فإن صاحب النفس لا يسمح بهذا القول بحضرة تلامذته من غير تورية أبدا فالله تعالى يكثر فى الفقراء من أمثاله آمين آمين آمين.

ومن وصية سيدى على الخواص رحمه الله تعالى: اياك أن تمكن أحداً

من الأكابر يزورك فإن جميع مـا معك من المدد لا يجيء حق طريقه بل ولا خطوة واحـدة فـقلت له: مَن الأكـابر؟ فـقـال العلمـاء والأمراء والتـجـار والمحتسب ومقدم الوالى وصاحب الديوان ونحوهم، فإن رسول الله ﷺ يقول: أكرموا كريم كل قـوم، ومن إكرام هؤلاء زيارتهم وبداءتهم بها فاعلم ذلك.

اخذ علينا العهود ان لا نحتجب عن حاجـة أحد من خلق الله عز وجل بعد ان نصرنا في البلد واشـتهر لنا اسم فيهـا عند الناس إلا من عذر أو غلبة حال يشق معه مخالطة الخلق، ومصداق ذلك عدم خروج الشخص للجمعة أو الجمـاعة ومثل هذا لا يـكلف بالالتفات للخلـق والقيام بواجب الإقـبال عليهـم وكل فقيـر آمين على ذلك ولا يكذبه ويـحمله على الكبـر إلا أحمق جاهل بأحوال الـفقراء فإنه ربما يرد علـى الفقير فى هذا الزمان أمـور يتمنى الموت دونها فلا يجـاب لا سيما حملات أكابر الدولة والدخول تحـتها فإن تحويل الجبل بتوجه الفقير أهون عليه من تحويل قلوب الملوك والوزراء لما هم عليه من كمال العقل والثروة فى الأمور ولا كذلك الجبل فإن كان ولا بد لك من محبة الاحتجاب عن الناس فقل اللهم اطف اسمى من الوجود حتى لا يصيـر احد يعرفنـى فإن لم تطف اسمى فـلا تكلنى إلى نفسى ومـهد لى البلاد والعباد ونفـذ كلمتى فى الخير يا أرحم الراحمين فـإن الله تعالى يفعل لك ذلك والله أعظم من أن يغش عـبداً فـوض أمره اليـه واما مَن احـتجب بحصول حظ دنيوى كـأصحاب الاسماء والرياضيـات فذلك من أقبح الأمور كما سـيأتي بسطه فى العهـود ان شاء الله تعالى فإن ادعى من احـتجب من

الفقراء انه انما احتجب لكون الناس يشغلوه عن ربه عز وجل، قلنا له فأنت إذن ناقص فاطلب لك شيخا يكلمك حتى يبغك إلى حد لا يشغلك الخلق عن ربك.

ومن إملاء سيدى عبد القادر الدشطوطي رضي الله عنه للفقير يقول الله عز وجل يا عبدى لو سقت إليك دخاير الكونين فنظرت بقلبك اليها طرفة عين فأنت مشغول عنا لا بنا ومعرض عنا مقبل على غيرنا. انتهى.

فان لم يتيسر لك يا اخى الدخول تحت يدى من يربيك ولا أن تعتزل عن الناس فاجعل النهار للخلق والليل للحق تبارك وتعالى وإياك والنوم فى الليل تحرم فائدة العمر وتصير لا أنت في النهار مع الخلق ولا أنت في الليل مع الحق، فاعلم ذلك ولازم الذل وعدم الناموس فإن الناموس إنما يليق بالملوك بشروط وأما الفقراء فقد كنسوا بأرواحهم المزابل والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

اخذ علينا العهود لا ننام قط على جنابة ونأمر أصحابنا بذلك فلا يجامعوا إلا آخر الليل عند استيقاظهم أو فى النهار وذلك لأن من نام على جنابة فقد رضى لنفسه أن يكون مقرونًا بجيفة الكافر والكلب كما ورد فى الصحيح «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا جنب ولا جيفة كافر» وإنما قرن الجنب بالكلب وجيفة الكافر فى صفة تباعد الملائكة منه وقرب الشياطين فإنه ما ثم إلا حضرتان متى خرج من أحديهما دخل فى الأخرى، فاعلم ذلك ولا تنظر إلى نومه ﷺ فى بعض الأحيان على جنابة لانه ﷺ كان مشرعًا فكان يتنزل توسعة على أمته ولو وقف ﷺ فى مقامه الذى هو عليه مع ربه عز

وجل لم يقدر أحـد أن يتبعه عليه، وأيضًـا فإن الملائكة لم تكن تتـباعد فى حال من الاحـوال فجنابته إنمـا هى فى الصورة لا فى المعنى، وأمـا امتناع جبريل عليه السلام من الدخول فى قصة جرو الحسن والحسين فذلك لأجل الجرو لا لعلة أخرى، فإن لم تقدر يا اخى على الغسل فتوضأ فإن لم تتوضأ فتيتم فإن تيممت فاستغفر ثم نم.

وقد ورد أن الجنـب إذا توضأ تقاربت منـه الملائكة وذلك لأنهـا طهارة صغرى على كل حال، والله اعلم.

اخذ علينا العهود ان لا نتام قط فى ساعة من ليـل أو نهار الا غلبة وعلى وضوء وان لا يمد احدنا رجله عند النوم إلا بعد قـوله دستور يا الله كما كان ﷺ يفعل فى أغلب أوقاته وكان لا يمنعه النوم تقـبيل نساخه فكان يقبلهن ولا يحدث طهارة قبل نومه توسعـة لأمته ثم إن الطهارة تتأكد عليك يا اخى اذا تعاطيت نـاقضا مـجمعًـا عليه عند الأئمـة كالبول والغـائط ويحق عليك التأكيد اذا فعلت ناقضًا مختلفًا فيـه كالفصد ومس الذكر والقهقهة ونحو ذلك والسر فى الطهارة المذكورة أن الروح اذا فارقت البدن وهى طاهرة يؤذن لها بالسجود بين يدى الله عز وجل واذا فارقتـه وهى محدثة لا يؤذن لها، فاعلم ذلك والله أعلم.

وكذلك **اخذ علينا العهود** ان لا نتام قط الا على طهـارة باطنة وهى آكد من طهارة الظاهر لإجماع جميع الملل كلها على وجوبها دون طهارة الظاهر فإنها إنما كـانت واجبة على انبياء بنى اسرائيل دون أمـمهم فافهم، وإياك ان تتساهل فتنام على شك فى دين الله أو غل او حقد أو غش أو مكر أو خديعة

فربما طلعت الروح وأحدنا متطلخ بتلك الصفات الحسية والأحوال الخبيثة فلا تمكن من السجود فى حضرة الله عز وجل نظير ما ورد فيمن نام على حدث فافهم ذلك واعمل عليه فإنه نفيس.

واعلم أن أعظم منجسات الباطن حب الدنيا كما أشار إليه خبر: حب الدنيا رأس كل خطيئة، كما مر بسطه أوائل هذه العهود، ومن مات على محبة الدنيا حشر مع مبغوض لم ينظر الله تعالى إليه منذ خلقه كما أشار إليه قوله ﷺ يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل نسال الله اللطف فاعلم ذلك.

اخذ علينا العهود ان لا نام قط فى الثلث الاخير ولا فى ليلة الجمعة ولا فى ليلة النصف من شعبان ولا فى العشر الأواخر من رمضان ولا نتحدث فى هذه الليالى والأوقات لغواً مع أحد ولا نجهر فى الثلث الأخير بتلاوة ولا ذكر كما هى حضرة الملوك إلا إن كنا محجوبين عن شهود صاحب الحضرة او معلمين غيرنا او فى ورد عام بحضرة أخلاط من الناس فنوافقهم حتى ينتظم شملهم فاذا انتظم شملهم سكتنا، قال تعالى: ﴿**وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً**﴾ وفى الحديث «ينزل ربنا إلى سماء دنيا كل ليلة اذا بقى من الليل الثلث إلا فى ليلة الجمعة فإنه تعالى ينزل فيها من غروب الشمس إلى فراغ الإمام من صلاة الصبح» وإلى ما ذكرناه الاشارة بقوله ﷺ لى وقت لا يسعى فيه غير ربى ثم الذى ينبغى وقت مناجات الحق من الدعاء أن يكون فى أمور الآخرة ومصالح المسلمين العامة ولا يسأل لنفسه حاجة إلا بعد فراغه فى حوائج الناس هكذا شأن أصحاب الفتوة وان

وجد تقريبًا وإذنا فليستغفر لجميع عصاة المذنبين السابقين واللاحقين إلى يوم الدين ثم لا ينصرف حتى يرى أثر الإجابة ولها علامات يعرفها اصحاب هذا المقام بل قال لى بعض المتمردين من العيّاق أنا أعرف إن كان الله غفر لى او لا، فقلت بم تعرف ذلك؟ فقال ما عصيته قط إلا وقلت له أنا فى حسبك والحق لك لا لخلقك فلا تدفعنى إلى غيرك وفى بعض الأوقات أقول على الطلاق تغفر لى وحاشى جوده وكرمه ان اقول له انا فى حسبك ويؤاخذنى وحاشاه ان يحشنى فى زوجتى ولا يغفر لى حتى أعيش فى الحرام ولو أنى قلت ذلك لأبى زيد الهلالى لأبر قسمي.

وقال مرة: لو ان الله عز وجل عفا عن جميع الأولين والآخرين لم يكن ذلك بكبير عندي فقلت له لم ذا؟ فقال لأن غاية الامر انه صفح عن لقمة طين. انتهى.

فإياك يا اخى والنوم فى هذه الأوقات التى ذكرناها فيفوتك خير الدنيا والآخرة وتصبح تعبان القلب فى الجسد موكول إلى نفسك لا أحد أتعب قلبًا منك ولو كنت قمت فى الاسحار فسألت حاجتك لأصبح كل شيء تحتاج إليه من أمور الدنيا والآخرة مهيئًا مفروغًا منه لان هذه الأوقات أوقات مواكب للحق ومن نام إلى الفجر فحكمه حكم من طلع الى ديوان السلطان بعد انقضاء الموكب فلا تقضى له حاجة ذلك اليوم، ومن هنا كان الفقراء فى راحة من أمور الدنيا قد سخر الحق لهم الوجود فافهم والله غفور رحيم.

اخذ علينا العهود ان لا نتام كل ليلة ولا نصبح حتى نساعد اصحاب

النوبة من الأولياء فى حفظ إدراكهم فى سائر أقاليم الأرض فلا نمسى ولا نصبح حتى نمر بعهدنا القلبى على جميع أقاليم الدنيا العامرة والبحار المحيطة ونحن نذكر الاسم الأعظم الله الله حتى نفرغ ولا يستبعد احد من الناس مرورنا على جميع مداين الدنيا وبلادها وقفارها وزروعها وأنهارها وبحارها لننا ننظرها كما ينظر الانسان البلاد الكثيرة فى المرآة الصغيرة فالمراد على صحة البصر القلبى لا غير، ومن استبعد أن الله تعالى يقدرنا على ذلك فلا يستبعد عليه أن يشك فى صحة الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات العلى فيكفر فانه ﷺ قطع به مسافات لا يقطعها الطائر المجد فى ألوف من السنين.

وصورة طوافى كل ليلة أننى أقرأ الفاتحة سبع مرات ثم أقول اللهم اجعل نظير ثواب ما قرأته مكتوبًا بقلم القدرة فى صحائف اصحاب النوبة بناحية مصر وسائر أقطار الأرض ثم أقول بقلبى دستور يا أصحاب النوبة فى مساعدتكم فى حفظ إدراككم.

ثم قول بسم الله الرحمن الرحيم الله الله وأصبعى مرفوعة أشير بها إلى الأماكن والبيوت والدكاكين والخانات وغيرها فابدأ بمصر العتيقة فامر عليها زقاقا زقاقًا حتى أستوعبها ثم ادخل القاهرة زقاقًا زقاقًا من قبر السيدة نفيسة الى زاوية الشيخ دمرداش من المشرق ثم أشرع فى طواف القرى والبلاد من بركة الحاج إلى دمياط احوط على دورها وزروعها.

ثم أرجع إلى ساحل بحر النيل إلى ساحل مصر.

ثم أرجع ابدأ من فم البحر الغربى إلى تجاه دمياط من بر السنانية.

ثم اعطف على البرلس وأدور على البلاد بلدًا بلدًا إلى أن أرجع إلى فم البحر الغربى.

ثم أبدأ باسكندرية وأنا مقبل بلدًا بلدًا حتى أصل إلى أهرام الجيزة.

ثم أبدأ مقبلاً من مصر إلى الصعيد فأحوطها بلدًا بلدًا إلى بلاد النوبة إلى بلاد السودان إلى بلاد الجبروت إلى بلاد الحبشة إلى بلاد الصين إلى بلاد السند إلى بلاد الهند الى بلاد اليمن إلى أن أدخل مكة المشرفة فأحوطها سبعًا وأطوف بالبيت سبعًا ثم أخرج من باب المعلا فى الدرب السلطانى إلى بلاد الينبع.

ثم أعطف على بدر والجديدة والصفرا إلى ان أدخل المدينة المشرفة فأزور قبر سيد المرسلين ثم أبى بكر ثم عمر ﷺ ثم أخرج إلى البقيع فأزور ثم أبدأ مشرقا من بلاد غزة إلى بلاد القدس والخليل إلى بلاد الشام إلى بلاد حلب إلى بلاد العجم إلى سد يأجوج ومأجوج ثم أعطف على ساحل بحر التركية إلى دمياط.

ثم أعدى بحر التركية إلى بلاد بحر الروم بلدًا بلدًا إلى أن أرجع إلى جزيرة رودس.

ثم أعدى إلى الغرب فأدور عليها بلدًا بلدًا حتى أعطف على مدينة سبتة.

ثم أعطف على ساحل البحر المحيط حتى أرجع إلى مدينة اسكندرية فأختم بها هكذا حكم واردى على من سنة أحد واربعين وتسعمائة فلا بد أنى أمر على هذه الأقاليم وعلى قبور أهلها كل ليلة فأدخل على جميع المسلمين الرحمة الأحياء والأموات، وظهر لى صدق ما تمثل لقلبى مرات ورأيت

شخصاً من بلاد الحبش بمصر خبرته بصفة دراهم ودور جيرانهم ببلاد الحبش وأخبرته بشجرة نبق فى دار جاره وأخبرته بالكنيسة الكبيرة التى فى آخر زقاق فى حاراتهم فصدقنى عليها، وقال للحاضرين هذا كاهن، والكاهن بلسان الحبش هو الصالح.

وكذلك أخبرت خادم السيد شعيب نبى الله بصفة القبر وشجرة الليمون التى تجاه قبره فصدقنى.

وكان أول واردى أننى رأيت نفسى فى محفة طائرة فى الهوى كالبرق الخاطف وكانت المحفة تطوف بى على قبر كل ولى بأرض مصر من فوق قبورهم إلا قبر سيدى احمد البدوى وسيدى إبراهيم الدسوقى فإن المحفة تواطت بى حتى مررت من تحت عتبة ضريحهما.

ثم صعدت هكذا وقع ولم اطلع إلى الآن على حكمة ذلك.

واعلم يا اخى انك لا تقدر على العمل بهذا العهد إلا بعد جلاء مرآة قلبك من الصد المتولد من محبة الدنيا وشهواتها وبعد تجريد روحك عن جسدك إلى عالم الإطلاق فإن أردت العمل بها فاعمل على الجلاء بإشارة شيخ صادق يحيط بهذه الأقاليم كلها ويشهدها جميعها منطبعة فى مرآة قلبك وتمر على جميعها فى اقل من درجة رمل كما يقع لى ذلك عند ضيق الوقت والله على كل شىء قدير.

اخذ علينا العهود ان نشارك جميع اهل الارض فى جميع همومهم ونرى جميع ما نزل عليهم من البلاء بسببنا لا بسببهم حتى لا تغرب الشمس علينا كل يوم الا وجسم احدنا ذائب كالذى شرب قنطاراً من السم ونغص بالموت

مرات فى الـليل والنهار ونطلب المـوت فلا نجـاب ودليلنا فيـما ذكـر قوله ﷺ «المؤمنون كـالجسـد الواحد إذا اشتكى منه عـضو تداعى له جـميع البدن بالحمى والسهر».

فـانظر يا اخى هذا المـيزان الذى جـعله الشـارع ﷺ محكًا لكمـال الإيمـان تعرف مـرتبـة إيمـانك كثـرة وقلة فـإنه حكم عليك ان كنت مـؤمنًا بمشاركة كل مـريض فى ألمه وبمشاركة كل معـاقب فى بيت الوالى بمقارع وكسارات وقطع الأيدي والـخورقة والعصر ودق البـوص بين الظفر واللحم وغير ذلـك ومن هو كذلك فهو مـعذور فيمـا يقع منه فى بعض الأوقات من أطراقه والتعبيس فى وجوه الـداخلين عليه لانه يغص بالموت ويحس بجميع الآلام التى يتألم مـنها الضعـفاء والمعـاقبون ولولا ان الله تعـالى يمن على احدنا بالغفلة والنوم فى بعض الأوقات لم يبق لنا أثر.

ومن أمارة ذلك إن احدنا يكون جالسًا صحيحًا فيرد عليه وارد فيصير كأن له شهرًا مريضًا فيفارقه الشخص على هذا الحال ويرجع يجده صحيحًا ليس به ألم وذلك لأن المعاقب الذى يشاركه مثلاً فرغت عقوبته فافهم.

ولما حضرت الشـيخ عبد الرحمن المجذوب الوفـاة ثقل عليه المرض العشاء إلى قريب الظهر فـاحسست بدق عظامى ولم أزل كذلك حتى طلعت روحه فزال ذلك عنى كلمح البصر وذلك للمرابطة التى كانت بينى وبينه ﷺ فأثر حاله فى بدنى من حيث لم أشعر أنا بمرضه وهذا الحال لم يزل بى منذ صار لى اسما بين الإخوان فى مـصر وقراها فلا أخلو من دق عظامى إلا فى النار بحسب من يتوجه إلىَّ من الإخوان فى حال المرض والشدائد فلا حول

ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ولا أعلم إلا أن أحداً من إخوانى المشهورين بالصلاح أكثر تحملاً لهموم المسلمين من سيدى واخى الشيخ أبى العباس الحريتى أحد أعيان أصحاب سيدى على بن خليل المرصفى ﷺ فإن كثرة هموم الناس أنحلته حتى صار بدنه كالشن اليابس فالله يكثر فى الفقراء من امثاله آمين.

اخذ علينا العهود ان نداوى كل طائفة رأينا بينهم العداوة والبغضاء وعجزنا عن الصلح بينهم ونقول لكل طائفة إنا معكم ومن عصبتكم لكن لا نقول انما نحن مستهزئون وهذا معدود من المداراة التى أمرنا الشارع بها وهو من النفاق المحمود لأن المنافقين ما وقع عليهم الذم الا من جهة قولهم إنما نحن مستهزئون فقط لا من جهة قولهم إنا معكم ولو أنهم كانوا اقتصروا على قولهم لكل فريق إنا معكم لم يقع عليهم ذم وتأمل لما رد الله عليهم لم يقابلهم إلا بنظير الاستهزاء فقط فى قوله الله يستهزئ بهم، فافهم ذلك فإنه من لباب المعرفة.

واحذر يا أخى أن تظهر أنك مع فريق منهم دون الآخر ولوأن معه الحق فإنك تصير عدوّا كمن جعلت نفسك من خربه ثم لا تقدر بعد ذلك على ان تكون واسطة بينهم فى الصلح فيحتاج الأمر لثالث.

يصلح بينكما كما سيأتى ايضاحه فى هذه العهود.

واحذر أيضًا أن تبغض أحداً من خلق الله بهوى نفسك وتزعم أن ذلك لله عز وجل بل فتش نفسك فإن علامة البغض لله ان لا تبغض الا صفاته لا ذاته ومتى رأيت ذاته فتكدرت من رؤيتها فأنت فى هوى نفسك ومتى احببت

ذاته وكرهت صفاته فبغضك لله عـز وجل فإن طينة بنى آدم واحدة وما افترق الناس إلا بالصفات ولولا صـفات ابليس ما كرهناه ولولا صفـات الأولياء ما أحببناهم.

فاعرض يا اخى ما ظهر من أعمال ذلك الرجل الذى كرهته على الكتاب والسنة فإذا كانـت أعماله محمـودة فيهما فـأحبه وإن كانـت مذمومة فيـهما فابغضه كيلا تحبه بهواك وتبغضه بهواك.

وسمعت شـيخنا ﷺ يقول المنصوص على دسائس النفـوس ان يهجر المتشاحنين تخلقًا بأخلاق الله عـز وجل فى قوله دعوا هذين حتى يصطلحا فإن أعمـالهما ما ردت إلا لتخلقهـا بأخلاق قبضة أهل الشقـاء وأهل الشقاء حبطت أعمالهم، إذا علمت ذلك فمن الأدب إذا وقع صفاء وزالت الشحناء ان تعيد جميع الفرائض والنوافل التى فعلتـها ايام العداوة والبغضاء وهذا أمر سنيته لك بحكم الإرث للشارع ﷺ ولم أجده لغيـرى فاعمل عليه تحمد عاقبته.

ثم اعلم يا اخى ان من أقـبح مـا يكون بغض العلـماء وحـقـدهم على بعضهـم بعضًا مع علمهم بأن المـتشاحن لا يرفع له عمل الى الـسماء ومع علمـهم بأن ذلك الشـخص الذى يـغضـوه يحب الله ورسولـه ويقول لا إله الله محـمد رسول الله وكذلك من أقـبح ما يكون بغض الفقـراء لأقرانهم او غيرهم حتى ان مرض أخوهم لا يعـودونه وان رجع من سفر لا يسلمون عليه وان مات لا يشـهدون له جنازة وربما يقـول بعض الناس الشيخ الفـلانى ما حضر للجنازة فيقول الناس مـا تعرفوا انه كان يكرهه وأصل هذا البغض من

التصدر قبل الكمال فكل فقير بغض أحداً من المسلمين فهو دليل على نقصه هو.

وقد شاهدنا جملة جنائز لجماعة من أولياء مصر لم يحضرها غالب أقرانهم سيدى محمد بن عنان وسيدى تاج الدين الذاكر وسيدى أبو السعود الجارحى وسيدى محمد السروى.

وسيدى على المرصفى وسيدى عبد القادر الدشطوطى.

وكذلك بلغنا عن جنازة جماعة من الشاذلية منهم الشيخ ابو المواهب وسيدى ابراهيم تلميذه وسيدى احمد زروق وسيدى عبد الرحيم الإبناسى فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وأعجب من هؤلاء كلهم الطائفة المغرمون بكثرة الصلاة على رسول الله ﷺ فى المجالس التى أنشأها الشيخ نور الدين الشونى المدفون بمصر ﷺ فيشتد تحريم كراهة بعضهم لبعض إذ كل واحد منهم مكثر للصلاة على رسول الله ﷺ ويدعى انه يحبه أشد من محبة سائر الناس فكيف يدعى احدهم ذلك ويعادى من يكثر الصلاة على حبيبهم ويبغضه.

ولو أنهم صدقوا فيما يدعونه من المحبة لأحبوا كل مسلم على وجه الأرض وعظموه ووقروه إكراما لمن هم من أمته ﷺ ولكن أصل هذا الداء من محبة الطبع لا من محبة الشرع لأن من أحب رسول الله ﷺ امتثالاً لأمر الله أحب كل من احب رسول الله ومن أحب رسول الله بمحبة طبع كره كل من زاحمه على محبته والحق تعالى إنما جعل الثواب فى نظير امتثال الشرع لا الطبع.

فعُلم أنه لا ثواب فى محبة الطبع أبداً لأن صاحبها فى حضرة الشياطين مع ان المصلى على رسول الله ﷺ فى مقام الواسطة بين الله وبين رسوله وتلك حضرة قرب لا تليق إلا بأكمل المقربين لأنها فى وسط قاب قوسين، فافهم والله غفور رحيم.

اخذ علينا العهود ان لا نرى نفوسنا قط قامت بذرة واحدة من واجب حقوق الله عز وجل ومن أين لنا أن ندعي ذلك ونحن نشهد ان الله تعالى خالق لجميع اعمالنا بنور الإيمان وسر الإيقان وقولنا نحن مقصرون انما هو تملق لله عز وجل واظهار لفاقتنا وضعفنا لكونه طلب ذلك منا فى هذه الدار فلا حقيقة للتقصير لانا لسنا بخالقين وانما هو مجاز لكوننا مكتسبين وقد أضاف تعالى الأعمال إلينا فنقبلها مع علمنا بما تحت ذلك ولولا ان الحق تعالى احب منا الاعتراف بالتقصير لكان شهودنا عدم التقصير أفضل لأن ذلك مائل إلى التوحيد الذى هو الأساس فالجبرية أقرب إلى الحق من المعتزلة، والأشاعرة أقرب الى الحق من الجبرية.

والمحققون حازوا الشرف كله لأنهم يشهدون الأعمال لله أصالة ثم يضيفونها إلى الخلق مجازاً لا شركة فيه، ولو قدر أنهم اعتمدوا على اعمالهم فليس ذلك بحجاب عندهم لأنهم ما اعتمدوا عليها إلا لشهودهم أن الله هو فاعلها فما اعتمدوا حقيقة إلا على الله تعالى وذلك حينئذ معدود من جملة النعم وأما بنعمة ربك فحدث.

ومن كلام الشيخ تاج الدين بن عطا الله الشاذلى: من نعمته عليك ان خلق وأضاف فيه إليك. انتهى. والخلق هو الإيجاد وليس لعبد مدخل قط

فى الإيجاد لأن ذاته نفسها مخلوقة فكيف تخلق ولا تتحرك إلا إن حركت فكيف تفعل فافهم.

فعلم ان كل من شهد له شركة فى الفعل يزيد بها وينقص فقد أشرك بالله عز وجل إذ هى كلها لله عز وجل لا يمكن العبد أن يزيد فيها ولا ينقص وما طلب الحق تعالى منا قط خلق الاعمال وإنما قال اعملوا ما أنا خالقه وحدى لا غير فأين التقصير الذى يدعيه المقصر.

واعلم ان كل عارف يشهد اعضاه كالأبواب التى يخرج منها الناس فليس الناس الخارجون متولدين من ذلك الباب ولكن لما كانت الاعمال لا تظهر صورتها إلا فى الجسم لكونها اعراضا أضيفت إلى جسمنا إضافة محققة مشهودة لكل مؤمن ولولا ذلك الشهود ما قال اللهم تقبلها منى ولا طلب عليها ثوابًا قط فافهم.

فالعارف فى مقام الإحسان وغير العارف فى مقام الايمان أو الإسلام فإذا قال العارف إياك نعبد وإياك نستعين مثلاً لا يقول ذلك إلا على وجه التلاوة فقط لا على وجه ان له شركة فى الفعل مع الله عز وجل.

وتأمل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ واعبر من ظاهرها إلى باطنها تعرف ان التقوى خاصة بمرتبة المؤمن لا العارف ولذلك قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فالمحسن لا يقول قط اللهم تقبل منى لأنه لا يشهد له فى تلك الحضرة شيئًا حتى يتقبل إذ الامر كله فى تلك الحضرة لله فتقوى المحسن أنه لا يشهد له أمرًا ولا عملا ومتى شهد ذلك أشرك، وتقوى المؤمن الحقيقية ان يخرج من شهود أن له مدخلاً فى الأفعال حتى

يلحق بدرجة المحسن ويرتفع عنه الحجاب لانه ما سمى مؤمنًا إلا لحجابه ولو ارتفع سمى مشاهدًا لا مؤمنًا فالمؤمن لما وقف مع ظاهر نسبة الأعمال إليه شهد نفسه مشاركًا لله فى الأعمال فسأله قبولها وساله الإعانة عليها كما يتعاون الاثنان على فعل شىء وإجابة الحق تعالى وتقبل منه تفضلاً منه تعالى ورحمة وعذره فى ذلك لحجابه وإلا فإذا كان العبد لا يتحرك إلا إن حُرك فكيف يصح انفراده بفعل واذا كانت الحركات والسكنات والأجسام الظاهرة منها ذلك لم تخرج قط عن ملك الحق فكيف يصح إهداؤها إليه والهداية لا تكون إلا من شخص يأتيك بشىء من غير خزائنك وأما إذا أخذ من خزائنك شيئًا وأنت تنظر ثم غطاه فى طبق وأهداه إليك فهو متلاعب وهو إلى العقوبة اقرب من الثواب والاكرام فافهم، ومن أقوى علامات غلظ حجاب المؤمن كثرة ندمه إذا وقع فى معصية فلو رق حجابه لقل ندمه كما أشار إليه خبر «المؤمن يرى ذنوبه كأنه تحت جبل يخاف وقوعه عليه والفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على وجهه فقال بيده هكذا فنشه عن وجهه» اذ المراد هنا بالفاجر على لسان أهل الباطن من انفجر حجابه حتى شهد الحق اليقين لا الذى يتهاون بمعاصى الله عز وجل لأن ذلك الجناب محترم لا يصح انتهاكه من أحد قط.

فعُلم أنه كلما شهد العبد نسبته وشركته فى العمل أكثر كان الندم عنده أكثر ولكن ما دام فى رتبة الحجاب فالندم مشكور لأنه يرقيه الى رتبة الإحسان.

ولا يصح أن يرقيه الحق تعالى اليها الا ان عظم أوامره ونواهيه وندم

رحزن على مـخالفاته فـإذا ترقى لمرتبـة الاحسان قل نومـه وحزنه ويعلم ان الافعال لله بالـحكمة وان ذلك الواقع كان أكمل فى حـقه ليشهـده حضرات اسمائه ويـتخلق بها ذوقا لا علمًـا ويعلم ان الله تعالى أشفق على عبـيده من نفسه فـاحتقر جمـيع الذنوب فى جانب عفو الله عـز وجل وحينئذ تسميـتها ذنوبًا لأن ذنب كل شيء متأخر عن رأسه والحكم للرزس لا للذنب والرأس كون الفعل لله لا للعبد فإياك أن تأمر المـؤمن بما تأمر به المحسن من عدم الندم فإن ذلك يرده إلى أسفل ومن تحقق برتية الاحسان لم يفرح بكثرة إبراز الاعمال الصالحة على يديْه ولم يحزن لفواتهـا لشهوده ان الفاعل فيها كلها هو الله وحده وبتقـدير شهود العبد انها له فـقد ورد «أنه لا يدخل الجنة أحد بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته» ومعلوم ان أحدًا لا يفرح قط بعمل إلا أن شهده له ومن تحقق برتبة الاحسان أيضًا صار يشكر الله عز وجل على نومـه عن كل طاعة كما يشكره إذا عمل كل طاعة على حـد سواء ويقول الحمـد لله الذى نومنى الليل كله وأراحنى من مشقة التكاليف ثم لا بد له من الاستغفار.

ولكونه من الذين خلطوا عـملاً صـالحًا وآخر سـيئًـا والكامل من نظر بالعينين، والسلام والله أعلم.

اخذ علينا العهود ان نزجر كل من مدحنا بشعر او نثر فى ملأ كان المدح او خلا لكنه فى الملأ أقـبح وذلك هروبًا من مشاركة ربنا فى صـورة الحمد والمدح فإنه تعالى هو الحـقيق بالرتبة دون عبيده فـلا يجوز لعبد ان يزاحم صفات الحق تعـالى ويرضى لنفسه بالمدح وكل من قال أنا لا أتغـير بمدح

الناس بى فهو جاهل بمـا قلناه وليمتحن نفسه عند الذم فيه فـان لم يتغير اذا هجوه وذموه فـهو صادق ولو لم يكن فى إصغائنا لمـدحنا الا أنه يعمينا عن شهود مساوينا حال سماعه فـقط لكان فيه كفاية فى الزجر عنه فإياك ان تغير بقول الناس العارف لا يغـيره شىء كما يقع ذلك كثيـراً ممن يظن فيك انك من العارفين لأنه عدو فى صورة صديق وأن لنا الوصول إلى مراتب العارفين واحدنا غارق فى شهوات بطنه وفرجه وجاهه وصيته ليلاً ونهاراً.

وقد قـال العارفون: أجـهل الناس من ترك يقين ما عنـده لما ظنه الناس فيه.

ومن كلام سـيدى احـمد بن الرفـاعى رحمـه الله تعالى: من لم يتـهم خواطره وأحواله فى كل نفس لا يثبت له اسم فى ديوان الرجال وكم طيرت طقطقة النعام حول الرجال من رأس وكم أذهبت من دين فإياك ثم إياك.

ومن وصـية اخى افـضل الدين رحـمه الله تعـالى: إياك ومـعاشـرة من لعيوبك يستر ولنفسك يمدح ولقولك يسمع ولعملك يظهر وينشر فإنه من أكبر الاعداء لكونه يصيبك فى باطنك من حيث لا تشعر فتهلك.

وسمعت سيدى عليّا الخواص رحـمه الله تعالى يقول: خصلة واحدة اذا شهدها العبد فى نفسه صـار وراء الناس كلهم فقلت له ما هى؟ فقال شهوده فى نفسه انه قدام الناس فى العلم والفضل.

وسمعته ﷺ يقول: كل فقير أصـغى إلى من يمدحه ومال اليه بقلبه فهو مراءٍ والله اعلم.

اخذ علينا العهود ان لا نصادم بأنفـسنا قط أحداً فى حـال قيام نفـسه لا

سيما المجادل فى العلم بغير علم فإن مصادمتنا تضرنا وتضره فيجب علينا الصبر عليه حتى ترق نفسه ويزول غضبه ويجب علينا أن لا نكلمه برفق ورحمة ونعذره فى الغضب بما نعذر به نفوسنا اذا غضبنا ولا ينبغى لنا ان نطلب منه الرجوع قهراً إلى قولنا فإنه لا يمكنه، ومن حالك اعذر أخاك فكما انك لا تقدر على الرجوع إلى قوله بما زين لك فى نفسك فكذلك الآخرة.

واعلم يا اخى انك ومن جادلته تحت سلطان الاسم القاهر لكما فلا يمكن احد كمال الرجوع حتى ينقضى سلطان الاسم القاهر له.

وتأمل أكبر ملوك الدنيا كيف يؤثر فيه الغضب من زقل غلمانه وخدمه ويصير يقوم ويقعد وكثيراً ما يقتل ذلك الغلام او يحبسه تنفيساً وتشفيًا لنفسه ولولا ذلك لهلك من القهر، فإذا كان السلطان فى حال حكمه محكومًا عليه كذلك فكيف بغيره فتأمل ذلك فانه نفيس.

اخذ علينا العهود ان لا نعترض على الأولياء من المجاذيب وغيرهم فى أخذهم الدراهم والأطعمة والثياب من الظلمة وأعوانهم لأن مثل الأولياء لا يجهل طريق الخلاص فى ذلك لما عندهم من النور الفارق بين الحلال.

والحرام ومن يصلح له الاكل من ذلك المال ممن لا يصلح وما من درهم ولا لقمة ولا خرقة يأخذونها من الحرام والشبهات إلا ويعلمون فى الكون من يباح له استعمالها من اصحاب الضرورات كالذى عمى بصره وأقعد من المحترفين مع كثرة دينه وعياله وكمن دار عليه الزمان بكلكله من الملتزمين لجهات الظلم ونحوهم.

وقد أفتى العلماء بأن للحاكم ان يكره صاحب الأموال إعطاء المحتاجين ما يدفع عنهم ألم الوجع والبرد وغير ذلك من الضرورات فكان الذى يأخذه الفقراء من المكاسين عوضًا عن أموال التجار الذين بخلوا عليهم بها فسلط الله المكاسين عليهم فأخذوها ثم أوصلوها الى الفقراء او المحاويج من طريق تغريب عليهم ويقولون فى المثل طعام البخيل من لم يأكله فى هناه، يأكله فى عزاه.

وكان سيدى على الخواص ﷺ لا يرد شيئًا أواخر عمره ويقول الفقير كالبناء يعرف موضع كل حجر يمسكه فكان ﷺ يأخذ من الظلمة ما يأخذ ويضع عنده فى الدكان ويفرقه على من يمر من العجائز والعميان والمساكين ويقول نفعنا الناس بعضهم من بعض والله غنى حميد.

اخذ علينا العهود أن لا نمكن أحدًا من إخواننا يسعى على وظيفة كما يفعل المتشبهون بالفقهاء لا سيما ان كانت عن ميت له أولاد أو إخوان او فى يد فقير لا لسان له ولا نصير فإن ذلك فى غاية القبح.

وقد حدث هذا الأمر فى المتشبهين بالفقهاء حتى صاروا يأخذونها من مستحقها ثم ينزلون عنها بفلوس لغير مستحقها وربما جمعوا بين كذا وكذا وظيفة خطابة أو إمامة فى مساجد متباعدة لا يمكن الجمع بينها ثم يستنيبون فيها او لا يستنيبون ويعطون النائب بعض المرصد على صاحب تلك الوظيفة ثم يأكلون الباقى ظلمًا وعدوانًا فإن المرصد انما هو على من يباشر الوظيفة بنفسه فإذا باشرها نائب استحق المال كله ثم ان من حرق قلب إنسان على وظيفة وسعى فى إخراجها منه يخشى عليه أن يحرق الله تعالى قلبه على

ذهاب دينه فضلاً عن دنياه وان لم يقع له ذلك وقع لذريته هذا مع ما يحصل من تكدير القلب بأخذها فإن القلب لا يزال مكدرًا ما دام صاحب تلك الوظيفة مكدراً لا سيما ان كانا فى حارة واحدة كل ساعة يقع الوجه فى الوجه ولو عرض على العاقل جميع أموال الدنيا ويتكدر بذلك احد منه لاختار عدم تكدره وفوت تلك الاموال كما ان المجنون الفاجر لو عرض عليه جديد واحد ويتكدر بأخذه جميع أصحابه ومعارفه لاختار الجديد.

وكان سيدى محمد بن عنان رحمه الله تعالى يقول: ما عند الفقير الصادق أعز من صفاء قلبه فكل شيء كدره تركه.

وقد وقع لسيدى الشيخ عبد الرحيم الانباسى رحمه الله ان السلطان قايتباى أرسل له مرسومًا بعشرة انصاف كل يوم من الجوالى فانقبض خاطره من ذلك فبينما هو جالس إذ جاءته امرأة وعلى كتفها صبى يرضع فقالت له يحل لك من الله يا سيدى الشيخ تأخذ جوالى هذا الولد؟ فقال لا والله ما يحل لى ثم قام وركب الى تغرى بردى الاستادار فقال ان أردتم تطييب خاطرى اكتبوا المرسوم لولد الميت فلم يزل عليهم حتى كتبوه باسم الولد ثم جاء به الى المرأة وقال اجعلى عبد الرحيم فى حل فإنه أخطأ ولم يعتذر له بعد ذلك. انتهى.

واعلم يا اخى ان كل شيء جاء بسؤال مع الغنى منه فهو غير مبارك على صاحبه لا سيما ان كان أجره للوظائف الدينية فإن ذلك يحق البركة بالكلية لأن ذلك المال قد اكتسب بأعمال الآخرة وما جعل الله البركة إلا فى الأمور الحاصلة من الصنائع والمكاسب الدنيوية وقد نهى الشرع عن أكل كل ما

جاء باستشراف نفس ومعلوم ان صاحب الوظيفة تستشرف نفسه إلى معلومها من أول الشهر إلى آخره واذا انكسر له معلوم يطول زمن استشرافه فيعظم الأمر فى النهى عن قبوله ويصير اقل بركة مما استشرفت النفس اليه مرة او مرات كما جرب ذلك.

وكان سيدى ابو الحسن الشاذلى رضي الله عنه لا يقبل قط شيئًا علم به قبل ان يأتيه وكان اذا قال له شخص ارسل معى احدًا يأخذ الشيء الفلانى للفقراء لا يجيبه ويقول إن النفس تصير مستشرفة له حتى يحضر رضي الله عنه.

وسمعت سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول: المراتب والوظائف الدنيوية والأخروية وجميع الأرزاق الحسية والمعنوية دائرة على أصحابها لتقيم عندهم أشد ما هم دائرون عليه ولكن سبب الإبطاء فى حصولها عدم اجتماع الشرائط فى طالبها فلو اجتمعت فيه شرائط تلك الولاية سعت إليه الولاية بنفسها.

وكان رضي الله عنه يقول: كل من احتاج رلى برطيل فهو متغلب على تلك الوظيفة لحديث «لا تسال الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها» والله غنى حميد.

اخذ علينا العهود ان لا نسبَّ الروافض الذين يقدمون عليًا فى المحبة على أبى بكر وعمر رضي الله عنهما لا الذين يسبونهما لا سيما ان كانوا شرفاء من أولاد فاطمة رضي الله عنها او من أهل القرآن.

فاياك يا اخى من قولك فلان رافضى كلب فإن ذلك لا ينبغى والذى نعتقده ان التغالى فى محبة على والحسن والحسين وذريتهما مطلوب بنص

القرآن فى قوله تعالى ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ والود ثبات المحبة ودوامها فنسكت عن سب من قدم جده فى المحبة على غيره ما لم يعارض النصوص وذلك لأن تعصب الانسان لأجداده الذين حصل له بهم الشرف أمر واقع فى كثير من العلماء فضلاً عن آحاد الناس من الشرفاء وكذلك قالوا من النوادر شريف سنى يقدم ابا بكر وعمر على جده على ﷺ.

وكان الامام الشافعى رضي الله عنه ينشد:

ان كان رفضا حب آل محمد

فليشهد الثقلان أنى رافضى

فاعذر يا اخى كل من قامت له شبهة ما لم تهدم شيئا من اصول الدين الصريحة كإنكار صحبة أبى بكر لرسول الله ﷺ او براءة عائشة رضي الله عنها واترك امر الروافض الى الله يفصل بينهم يوم القيامة.

وأما من يسبُّ الشيخين أو غيرهما من الصحابة فالواجب علينا تأديبه وتعليمه أسباب محبتهما ونقول له لو صحت محبتك لرسول الله ﷺ لأحببت من أحبهم من أصحابه وقدمت من قدمهم.

وقد سئل سفيان الثورى رضي الله عنه ما منزلة ابى بكر وعمر من سول الله ﷺ ومنزلة غيرهما؟ فقال منزلتهما ما هما عليه فى القبر من القرب.

وقد بسطنا الكلام على ذلك فى العهود الكبرى والله واسع عليم.

اخذ علينا العهود ان لا نبيت على دينار ولا درهم ولا نحبس شيئًا على اسم غد إلا لجل دين أو على اسم غيرنا ممن نعوله وغيرهم من المحتاجين

عملاً بقـوله ﷺ «والله ما يسرنى أن لى مثل أحد ذهبًـا تمضى عليه ثلاثة ايام وعندى منه درهم واحد إلا درهم أرصده لدين».

ومن شروط الفقر فضلاً عن المـقتفين آثار رسول الله ﷺ ان لا نبيت على دينار ولا درهم.

واعلم يا اخى أنه كثيراً ما يـجدون بعد موت الفقير شيئًـا من أمتعة الدنيا الزائدة على الحاجـة فيسىء الناس ظنهم به ويقـولون كيف كان يدعى الفـقر وعنده هذا المال والثياب وغاب عنهم ان من شرط الفقراء ان لا يشهدوا لهم ملكًا مع الله تعالى مـع ان ذلك المال إنما أتاهم من الناس صـدقة او هدية لانه لا كسب لغالبهم الا من هذا الباب فكأنه غـير ما لهم، وان كان معدوداً من مالهم ولا ولاية ولا تصرف لأحد إلا فـيما نملك والملك فى ذلك المال لله تعالى لعبـاده الذين أعطوهـم فهم متوحدون لله صـفر اليدين على الدوام والله اعلم.

اخذ علينا العهود ان نسلم المراتب لاهلها ولا ننازعهم فـيها ولا نجادل فى عدم تفضيل من ظهر فضله علينا بالعلم والصلاح وكثرة المعتقدين فيه فإن إبليس لم يخرج من الجنة ولم يلعن ولم يطرد إلا بجداله وعـدم تسليمه لما فضل الله به آدم عليه.

ومن وصية سيدى على الخواص ؓ: إذا جـاء لكم مجادل فلا تقيموا عليه الحجج بالأجوبة المسكتة وتصدقوا عليه بالسكوت فإن السكوت يخمد هيجان النفس والجواب بالجدال يهيجها.

وقد قررنا مراراً ان جميع العلوم المسـتعارة محلها النفس والنفس محل

الظلمة والتلبيس عكس العلوم النازلة على القلب او الروح او السر فاعذر من جاد لك فان علمه فى نفسه لا فى قلبه اذ لو كان علمه فى قلبه لم يجادل اذ الجدال ينافى صفات القلب والله غفور رحيم.

اخذ علينا العهود ان لا ناكل من اطعمة المتهورين فى مكاسبهم او المتفاخرين بالدنيا فإنها كلها أذى فى البدن كطعام البخيل على حد سواء كما جرب ذلك.

ومن علامة المتهور فى الحرام والشبهات كثرة تنوع الأطعمة فى اكثر الأوقات فإن صاحب ذلك الطعام لو تبع الحل فى كسبه ما وجد عنده شيئًا يعمل منه تلك الالوان لا سيما فى مثل هذه الأيام التى كسدت فيها البضائع.

وقد دخل الحسن البصرى ﷺ على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فقدم له نصف رغيف ونصف خيارة وقال كل يا حسن فإن هذا زمان لا يحتمل فيه الحلال الصرف. انتهى.

فينبغى للفقير اذا أكل عند المتهورين فى الكسب ان يختار لونًا واحدًا من أدون ما فى السماط ويأكل منه بعض لقم من غير زيادة والله غفور رحيم.

اخذ علينا العهود ان لا نفشى سرًا ولو لأعز اصدقائنا وان لا نرد قط سائلاً محتاجًا الا ان سألنا غدانا او عشانا الذى لا نملك غيره فى ذلك اليوم واذا جاءنا فى يوم ألف دينار فرقناها فى مجلس واحد على إخواننا المحتاجين.

وقد وقع للإمام الشافعى ﷺ أنه فرق عشرة آلاف دينار فى مجلس واحد لما دخل بلاد اليمن ثم اقترض عشاه آخر ذلك اليوم.

ومن أخلاقه ﷺ انه كان لا يسأله أحد شيئًا إلا أعطاه حتى أنه نزع يومًا القميص الذى لم يكن عنده غيره فلما جاء وقت الصلاة لم يستطع الخروج فأنزل الله عليه ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾.

وقد من الله عز وجل عليّ بهذا المقام من سنة إحدى وعشرين وتسعمائة فكنت لا أرد سائلاً قط ولو سألنى جميع ما عندى من الثياب حتى أنى أعطيت يومًا سائلاً عمامتى وصوفى وجوفتى.

وكانت قيمتهم نحو الأربعين ديناراً فظن اننى سكران لاستغرابه ذلك فى هذا الزمان فصرت أحلف له أننى عاقل فلا يصدقنى لكن لما علمت ان اصحابى لا يتركونى عريانًا ويتكلفون لى القماش والملابس سددت هذا الباب عنى لكون الحق تعالى لم يجعل لى رأس مال إلا محض سؤاله تبارك وتعالى وصار كل من سألنى شيئًا اسأل الله له آن يعطيه ما طلب او يرزقه القناعة، فلله الحمد على كل حال وممن تمكن فى هذا المقام معن ابن زائدة وجعفر البرمكى وابو زيد الهلالى.

وأما أهل البيت عليهم السلام فحالهم فى الكرم مشهور رضي الله عنهم أجمعين.

اخذ علينا العهود ان نقيم العذر للظالمين باطنًا اذا ظلمونا كما نقيم العذر لزبانية جهنم على حد سواء فإن البحر واحد واختلف الحكم من حيث أن الزبانية لا يؤاخذون بخلاف الظلمة فى هذه الدار ولا نتوجه قط فى ظالم من غير تثبت فربما كان معذوراً ومن عذره اعوجاج رعيته عن الطريق المستقيم فإن الرعية اذا انعوجت قابلها الوجود بالعوج فينعوج الأمير عليهم

بانعواج أعمالهم ولو كان حاكمهم القطب عليه السلام اذ لا يمكن الحاكم ان يخرج عن مشاركة ما تستحقه رعيته عن الجور والظلم تنفيذاً لقضاء الله الذى لا مرد له.

فالحاكم كظل الشاخص فى الشمس فان كان الشاخص أعوج فظله اعوج وان كان مستقيماً فظله مستقيم فافهم، فلا يزال الأمير الأعوج تقيمه رعيته الصالحون بأعمالهم الصالحة شيئًا فشيئًا حتى يكون كالرمح ولا يزال الأمير المستقيم تعوجه أعمال رعيته المارقين الفاسقين حتى يكون كالخطاف او الستارة، ومثل الأمير كما ذكرنا جميع أعوان الظلمة كالبردار والمقدم والرسول والقير ونحوهم فإن عوجهم نشأ من عوج الرعية فإذا اشتكى لنا احد من رعيتهم شدة عوجهم عرفنا شدة عوجه هو.

وقد قررنا فى كتاب الدرر والجواهر ان قماق القدر يدق فى ظهر السلطان والسلطان يدق فى ظهر وزرائه ووزراؤه فى ظهر نوابهم ونوابهم فى ظهر نوابهم وهكذا إلى غفير الحارة ورسول المحتسب، وفى المثل تقول الأرض للوتد، لم تشقنى يقول لها سلى من يدقنى، اذا علمت ذلك فانه الظالم عن ظلمه برفق ورحمة فإنه كالمجبور على ما يصدر منه اذ هو فى محل ظهور العلامات.

ولو تأملت بعين البصيرة لرأيت الخلق قد استحقوا الخسف بهم وان حكم ذلك الظالم الذى يشكون منه حكم من استحق النار فصولح بالرماد ومن أراد من العلماء والمشايخ ان يمنع الحاكم من الجور والظلم فليناد فى الرعية: معاشر الناس ألا إن الولاة لم يظلموكم ابتداء وإنما أنتم ظلمتموهم

بأعمالكم حتى ظلموا فعوجهم فرع من اعوجاجكم فان صح لكم إيتها الرعية الاستقامة فى اعمالكم ضمنا لكم استقامة ولاتكم وإلا فاعذروهم بما تعذرون به نفوسكم من باب أولى لأن ظلمهم لا يقع إلا جزاء لأفعال تقدمت منكم قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾.

فهذه هى طريق استقامة الحكام علينا وهو أمر قد فرغ منه بحكم الوعد السابق من رسول الله ﷺ فلا بد للرعية من تعاطى أسباب الجور لتجود الحكام حتى يصدق وعده ﷺ ولو توجه أكبر الأولياء الآن فى إزلة مظلمة او هلاك ظالم لا يجاب اذ الشارع طهره باطنًا ولو وقع ان ذلك الولى أجيب توجهه فى الظالم أخذ به فى الدنيا والآخرة، ومن شك فيما أقول فليجرب فما بقى إلا التسليم، وجميع الأولياء الآن ينظرون ما يقع فى الوجود وهم ساكنون لا يتكلمون لأن الشفاعة لا تكون إلا فى الأمور التى تقبل المحو فإذا حق الأمر من الحق فلا شفاعة ولا يشفع فى امر حق إلا أعمى البصيرة.

ومن وصية سيدى على الخواص لى: إياك ان تكاتب الولاة فى هذا الزمان فى اسقاط شىء ينقص مال السلطان فإنهم لا يجيبونك إلى ذلك وربما قالوا لك يا سيدى الشيخ التزم بما عليه من المال او بما على الجهة ونحن نبطلها لك. انتهى.

وقد وقع لبعض إخواننا انه شفع عند أمراء مصر فى إبطال بنات الخطأ وبيت البوظة والحشيش الذى فى حارته فقال له جانم هذا مال قرر السلطان

فالتزم به ونحن ننادى لك بإبطاله، فالأدب من كل عارف فى هذا الزمان اذا سئل فى شفاعة فيها إسقاط مال ان يقول للسائل إن كنت تكتفى بسؤالنا الله لك سألناه والا فاذهب.

وكذلك من الأدب اذا جاءت المغارم والمظالم على شيء يتعلق به هو ان يبادر الى الوزن كآحاد الناس فإن ردوها عليه كان حماية من الله وإن قبلوها كانت سترة له بين عباد الله، والفقير أولى الناس بالفتوة وعدم رد كل سائل وكثيرًا ما كنت أسمع أخى افضل الدين رحمه الله تعالى يقول: كل فقير نفذ غضبه فى هذا الزمان فى ظالم سلب لسوء أدبه. انتهى.

واعلم يا اخى انه ليس للعارف بالله عز وجل همة تنفذ فى احد من خلق الله لشهوده انه دون سائر الخلق اجمعين فى الرتبة، والهمة لا تنفذ إلا ممن يرى نفسه فوق من يتوجه فيه من الظالمين وإن وقع لمن ظلمه مصيبة فليس ذلك بواسطة توجهه إنما هو غيرة من الله له، فافهم والله غفور رحيم.

اخذ علينا العهود ان لا نخوض فى الكلام على الذات المقدس لا من طريق الفكر ولا من طريق الكشف لأنه باب مستور عن جميع الخلائق ومن فتحه حار أعلى طبقات سوء الأدب مع الله عز وجل، وغالب من يخوض فى ذلك من يدعى دخول طريق القوم بغير شيخ إذ لو كان له شيخ لعلمه الأدب مع الله عز وجل ولو كان علم الذات مأمورًا به لكانت الرسل عليهم السلام أول من تكلم فيها اذ هم أعلم الخلق بالله عز وجل.

وقد دخلت على شيخ تصدى لإرشاد الناس فرأيته جالسًا يطالع هو

ومريد له شيئًا من كتب الشيخ محيي الدين والمريد أقوى منه فى طريق الفهم وهو يرجع إلى كلام المريد على طريق ضعفاء طلبة العلم فى المطالعة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

ومن جملة ما سمعتهم يخوضون فيه: ليس فى الكون إلا الله تعالى وحده، فقلت له فما شهد نفسك أنت؟ فما درى ذلك الشيخ ما يقول، فكلمته فى صفات العبودية فلم يرجع، فانصرفت عنه، ومثل هذا الكلام لا يصدر إلا ممن هو شيطان مطرود. انتهى.

واعلمك يا اخى ميزانًا تزن به كل من ادعى القرب من حضرة الله عز وجل فتعرف بذلك صدقه من كذبه وهو أنك إن وجدته ذا خشية وخوف من الله عز وجل وذا حياء منه ومن خلقه يرى نفسه دون كل جليس اذا كلم أحداً من الناس أرعد من هيبته كأنه يكلم أكبر الملوك لا يكاد يسمع له صوتًا إلا همسًا فهو من أهل الصدق لأنه هكذا صفات أهل حضرة الله عز وجل، وإن وجدته قليل الأدب كثير الكلام يبادر لذكر مناقبه وليس عنده خشية من الله ولا خوف منه ولا حياء ويزدرى جليسه ويرى نفسه عليه ويجهر بصوته فى الكلام ويود أن المجلس يكون له وحده فهو كاذب فى دعواه القرب من الله انما هو من اهل حضرة ابليس ولو كان من أهل حضرة الله لكان كالملائكة فإن كثرة الشعوتة والإضطراب والدعاوى المعضلة انما هى صفات الشياطين ومن تحقق بصفاتهم حجب عن حضرة الله عز وجل.

وقد سمعت مرة هاتفًا تجاه سوق الكتبيين بمصر يقول إن أردت أن تخرج من حضرتى فتخلق بأخلاق أعدائى فإن من تخلق بخلق واحد من

اخلاقهم أخرجته من حضرتى ومَن اخرجته من حضرتى سلطت عليه أعدائى ومن سلطت عليه أعدائى طردته. انتهى.

فكان لسان الحق تعالى يقول لإبليس وجنوده ليس لكم على اهل حضرتى سبيل ولكن كل من خرج منها فعليكم به، وهو قوله تعالى: ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ الآية.

فلا يلومن الخارج من الحضرة الإلهية إلا نفسه اذ ما من سكة من سكك الحضرة الالهية الا وعلى بابها شيطان ينتظر من يخرج بغيرا أمر ربه فيركبه كما يركب الإنسان الحمار.

واعلم يا اخى ان مرادنا بالحضرة الإلهية هو شهود القلب انه بين يدى الرب وقد حبب إلى ان اذكر لك يا اخى جملة من الصفات المانعة لصاحبها من دخول حضرة الله عز وجل حتى فى صلاته، فمن كان فيه خصلة واحدة منها لا يمكن من دخول الحضرة أبَاد وهى: التعاظم والتكبر والعز والغنا والقهر ورؤية العبد نفسه أنه خير من أحد من المسلمين والحسد والبغى وكثرة الحيل والخداع والمكر والفشر والنفاق والميل إلى زينة الدنيا والشره والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج كالبهائم والزنا والسرقة والبخل والغضب بغير حق والإلاذى لأحد من خلق الله. انتهى.

فإن سلمت يا اخى من هذه الجملة صلحت للقرب من دخول الحضرة فإن للخضرة ألف أدب إن لم يتخلق العبد بجميعها لا يمكنه الدخول.

فعليك يا اخى بتعليم صفات أدب العبيد إن أردت الوقوف بين يدى حضرة ربك تبارك وتعالى فكل صفة استحقتها الربوبية فإياك والتخلق بها الا

بإذن، وخذ على الضد دائمًا من صفات الربوبية ولا تخدش مرتبة ربك بشيء والله عليم حكيم.

اخذ علينا العهود ان لا نتبرأ قط من صفة أضافها الناس إلينا من محاسن أو قبائح فى ذلك لأن العبد فلك لجريان جميع الصفات المحمودة والمذمومة فيه ففيه من صفات الخير إلى الطرف الأقصى وفيه من صفات الشر الى الطرف الأقصى فإن مدح العارف الى الطرف الأقصى لا يزداد بذلك علمًا عما يعلمه في نفسه وإن ذم إلى الطرف الأقصى لا يزداد علما عما يعلمه فى نفسه وإن وقع من عارف فرح بمدح او تكدر من ذم كان تكدره باللسان دون القلب لئلا تنتهك حرمات المسلمين مثلاً او تحمله على انه محجوب اذ ذاك عن شهود كمال صفاته ونحو ذلك لأن الفرح لا يكون إلا بشيء يأتيك من خارج والتكدر لا يكون إلا بشيء لم يكن فيك، والعارف كالبئر يملي ويفرغ فتارة تنزح البئر وتارة لا تجد حبلاً وتارة لا تجد دلوًا وتارة تفيض وتجد الآلات.

فعلم ان من علامة جهل الفقير بصفاته يبرئه من وصف نسب إليه من حسن وقبح وإنما الأدب اذا وصف بمدح ان يقول الحمد لله، واذا وصف بذم ان يقول أستغفر الله، ثم لا يخفى ان الحق تعالى استخلص من هذه الطينة سائر الأنبياء وطهر طينتهم من سائر الصفات المذمومة بسابق العناية وجعل صفاتهم كلها محاسن وبقى غيرهم من الأولياء وغيرهم على الأصل فى الطينة ولكن ما دامت العناية تحف العبد فالصفات المحمودة كلها مستعملة وجميع المذمومة معطلة عن الاستعمال ويقول الناس لذلك العبد

شيء لله المدود وخاطركم علينا وانظروا النور الذى على وجهه وإذا تخلفت عن العبد العناية تعطلت الصفات المحمـودة كلها عن الاستعمال وتحركت المذمـومة فيقـول الناس لذلك العبد عند رؤيـة وجهه أعوذ بالله من شـر ما رأيت اللهم اكفنـا السوء وانظروا إلى ظلمة وجـهه وتتبـرأ من صحبـته الجن والإنس ويسمونه فاسقًا ومارقًا وقليل الدين ونحو ذلك، فاعلم ذلك وإياك ان تجيب عن نفسك اذا وصفت بذم مـا دمت لم تبلغ مبلغ الرجال واقبل تلك النسبة الـقبيحة على التـقليد لمن وصفك لهـا كما تقبله اذا وصـفك بصفات المدح فانه ان كان صادقًا فى المدح فهو صادق فى الذم فافهم.

وكان سيدى احمد الرفـاعى ﷺ يقول: من لم يتهم نفسه فى كل وقت ويسد باب الجواب عنها لا يثبت فى ديوان الرجال اذ الاتهام يرفها والتصديق يرفقها ثم أقل ما تشـهد فى عذر من وصفك بالذم ان الحق تعالى هو الذى سلطه عليك اختبارًا لك ليشهدك خـيانتك ودعواك انك تكتفى بعلمه فيك ولا يؤثر فيك ذم الناس فان كنت غافلاً فـتنبه لسبب التسليط عليك وسد بابه لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ والله غفور رحيم.

اخذ علينا العهود ان لا نفتح على انفسنا فـى هذا الزمان باب المشى الى الولائم والموالد الا ان تكون عملت باسم من حق له قدم الولاية المحمدية كسيـدى احمد البدوى، وسـيدى ابراهيم الدسوقى، وسـيدى داود العزب، وسيدى عبد السلام القليبى، وسيـدى عبد الله البلتاجى، وسيدى ابى السعود ابن ابى العشـائر، والسيدة نـفسيـة، والإمام الشافـعى، والإمام الليث، وذو

النون المصرى وأضرابهم، فإن هؤلاء أعظم من الملوك وطاعة خدامهم علينا حق بخلاف آحاد الناس فاعلم ذلك.

اخذ علينا العهود ان لا نأكل من النذور ولا من طعام العزاء وتمام الشهر فى الترب وغيرها حتى شرب الماء ممن يسقى حال الدفن.

وكذلك لا ينبغى لنا الأكل من طعام الطُّهور والعرس والعزومات الكبيرة فى المحافل وغير ذلك مما فيه تكليف فى العادة فإن رسول الله ﷺ نهى عن النذور وقال إنما يستخرج به من البخيل ولولا عظمة المنذور عنده ما ألزم نفسه به.

وأما طعام العزومات فإن نية أصحابها فى فعلها غير صالحة فى الغالب إنما هو تجوينات وأهوية النفوس وربما عمل طعام العزاء والجمع وتمام الشهر وطعام الطهور من مال اليتيم وذلك غير جائز للوصى.

وإن شككت ياأخى فى قولى ان نيتهم غير صالحة فأمرهم عند عمل الطعام للطهور أو العرس مثلاً أن يفرقوه على الأرامل والأيتام والعميان والمساكين والعجائز ويتركوا أبناء الدنيا فان أجابوك فالنية صالحة لأن أكل المحاويج أرجح فى الميزان يوم القيامة وان توقفوا فذلك رياء وسمعة لأنه لا ينبغى إطعام أبناء الدنيا الا إن فاض عن المحاويج.

وقد نهى رسول الله ﷺ عن أكل طعام المتفاخرين فى الطعام رواه الطبرانى وغيره، هذا إذا كان الكسب حلالاً فكيف بمال اكتسب من غش ونصب ومكر وخداع ولو ان المكتسب تبع الحل ما وفى كسبه بالخبز الحاف كما سيأتى إيضاحه فى هذه العهود ان شاء الله تعالى، ثم إذا قدر

أننا ذهبنا الى وليمة من ختان او عرس او غيرهما فلا ينبغى لنا ان نأخذ أحداً من الفقراء الذين هم تحت الترتيب فضلاً عن غيرهم لما فى الأكل من ذلك من تغير قلوبهم وضعف استعدادهم.

واذا وصلنا إلى منزل الداعى نظرنا أدون فرش وأدون مكان وجلسنا فيه وذلك لأن الفرش النفيسة لا تفرش لأمثالنا في العادة انما هي لوجوه الناس كالعلماء والأمراء والتجار والمباشرين والمعلمين ولا نجيب من دعانا للجلوس عليها الا اذا أيسنا من دخول أحد من الأكابر وإذا طلب صاحب الدعوة منا قراءة او ذكراً برفع صوت لا نجيبه فإن أكد علينا فى ذلك خرجنا من بيته لأنه ما دعانا لنأكل لا ليستعملنا فى نظير الأكل فى قراءة او ذكر فى محل كله لغط وصبيان ونسوان وفى ذلك إخلال بحرمة الفقراء وبحرمة القرآن والذكر فإن ذلك لا ينبغى أن يكون إلا بحضرة قوم إذا سمعوه وجلت قلوبهم ومصداق قولهم لا يطعمونا تلك اللقمة إلا لأجل القراءة والذكر قول النساء ما كان لنا حاجة فى مجىء هؤلاء فإنهم ما سمعونا القرآن ولا الذكر ولا قرءوا لنا البردة ولو كنا دعونا غيرهم كان اولى ولكن قدر فكان، ثم إذا مدوا السماط غمزنا أصحابنا أن يقللوا الأكل ما أمكن ونعدهم بالأكل اذا رجعوا صيانة للخرقة ان يسىء احد الظن بمن انتسب الى اهلها وتوسعة أيضًا على صاحب الوليمة فان العاتبين عليه من جهة الأكل كثير ولو عمل اوسع ما يكون من الطعام بل بعضهم لا يكتفى بأكله عنده ويطلب منه ان يرسل له الى بيته.

وسمعت سيدى عليًا الخواص ﵁ يقول: كل فقير لا يقدر على ان يمد

صاحب الطعام بالبركة الخفية ويغنيه ذلك العام كله لا ينبغي ان يمد يده الى لقمة من طعام ثم ليحذر الفقير من الجلوس على رأس السماط المسمى بالحجر فانه مسموم لنظر جميع العيون اليه فإنهم يضعون فيه أطايب الطعام في العادة ولا ينبغي لفقير ان يمد يده إلى أطايب الطعام ولأنه لم يعمل فى العادة والعرف لهم وانما يعمل لوجوه الناس، وأعرض ما اقول لك على ما لو دعاك صاحب الطعام وحدك فى غير وقت ذلك المحفل هل كان يصنع لك الأطعمة كما يلونها فى العرس مثلاً تعرف صدق ما أقول.

فعُلم ان اصحاب الطعام لو قدموا بين يدى الفقراء فلا ينبغى لهم الأكل منه لأن حكم العدل ان يكون وجوه الطعام لوجوه الناس ومن شرط الفقير خفة الدم وحفظ مراتب الوجود.

وقد جلست انا واخي افضل الدين رحمه الله تعالى على حجر سماط فشاهدت أنا وإياه الخاروف المشوى يغلي دوّاد كأذناب المغازل فصار صاحب الطعام يقطع منه ويقول كلوا ونحن لا نقدر ان نضعه فى فمنا ولا ان نذكر للحاضرين ما رأينا فأكلنا الخبز بفجل وخرجنا.

وأخبرتني والدة سيدى افضل الدين انه قال لها: يا أمّى اذا دخلت بيت ناس لزيارة او لعيادة او غيرها فاجلسي تحت الإيوان وإياك والجلوس على فرشهم فربما دخل احد من الناس الكبار فأقاموك فيحصل عندك الخجل. انتهى. فاعلم ذلك.

اخذ علينا العهود ان لا نطلب على اعمالنا ثوابًا من حيث عملنا وانما نطلب ذلك من باب المنة فإن من طلب على اعماله الصالحة اجراً من حيث

عمله هو فلا يبعد ان يقام عليه الميزان فى مـجازاته بأعماله السيئة فإن البحر واحد.

فاطلب يا اخى كل ما تطلبه من ربك من باب المنة والجود ولا حرج.

وتأمل قول أكابر الأنبياء: ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ ﴾ يعنون الأجر الموعود من الله تعالى من باب المنة لا غير لأن كل عارف بالله يشـهد ان افعاله كلها خلقًا لله عز وجل وحده لا شركة فيها لنفسه لأن الله تعالى يقول: أنا لا اقبل عملاً أشـرك فيه غيرى ونفس العـبد غير بلا شك فإذا أشـركها مع الحق فى العمل حبط العمل ولـم يقبل فافهم.

وقد جهل ما قلناه بعض المتصوفة حتى ترك السؤال.

بحصـول الثواب وهو قصور فـإن باب الكرم الإلهى واسع لا يحد ولا يحصر.

فاطلب منه مـا شئت وقل لا غنى لى من بركتك يا رب وقد قـال تعالى ﴿ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ وقال: ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ﴾ فما من عمل يصدر من الجـوارح إلا وفى مقابلته جزاء خيـراً او شراً ويعفو عن كثير.

واعلم يا اخى ان من شهد اعـماله خلقًا لله كان جزاؤه غيـر محدود ولا محصور ومن شهد الأعمال له كان جزاؤه محدوداً محصوراً على صورته.

وقد قررنا مراراً أن سـؤالنا الحق تعالى ان يصلى على رسول الله ﷺ لا يقبل عدداً إلا من حيث سؤالنا لا مـن حيث صلاته تبارك وتعالى لأنه لا افتتاح لها ولا انتـهاء ولم يكن غير مصل قبل سؤالنا ثم صلى فهى مـستغرقة

للعدد والمعـدود وأما قوله ﷺ. «من صلّى عليّ مرة واحـدة صلى الله عليه بها عشراً» فمعناه رحمه عشـر مرات بكل مرة لو قدر أن العبد وقع فى عشر معـاصى ذلك اليـوم لأن الصلاة من الرحـمـة فافـهم، فمـعنى قولنا عـدد معلوماتك ومداد كلماتك مثـلاً أى لو قدرنا ان نسألك ان تصلى على محمد عدد ذرات الوجود لسألناك فافهم ذلك فإنه دقيق.

اخذ علينا العـهود ان لا نغـفل عن شـهـود كـون الحـق تعـالى أعلم بمصـالحنا منا وذلك ليقل اعـتراضنا بالباطل على تقـديرات ربنا علينا وعلى عباده فمن غفل عن شهود ما ذكر فمن لازمه الاعتراض.

وقد رأى الجنيد ﷺ بعد وفاته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال غفر لى ولم يعـاتبنى على شىء وقع منى الا على قـولى مرة: إن الارض مـحتـاجة للمطر، فقال يا جنيد تنبؤنى وانا العليم الخبير فاعلم ذلك

اخذ علينا العهود ان لا نتخلف قط عن شفاعة الا ان عـملنا عدم فائدتها فإذا علمنا ذلك كـانت شفاعـتنا سيئـة من ذلك الوجه وكان الإثم من جـهة فصار من جهتين فلا ينبـغى شفاعتنا عند ظالم علمنا عناده أبداً لأنا نزيده إثما فنسىء فى حقه فافهم.

واعلم يا اخى ان الناس ما سألوك ان تشفع لهم الا لظنهم فيك الصلاح والخير فلا تخيب لهم ظنّا ومن أين لأمثالنا ان يكون شافعا لولا ستر الله لنا بين العباد واذا خرجت إلى الشفـاعة فلا تخرج الا على طهارة ظاهرة وباطنة ليصح لك دخول حضرة الشفاعة عند ذلك الحـاكم مثلاً فإنها حضرة الله عز وجل وسؤال التخـفيف والصفح انما هو مـنه حقيقة وذلك الحـاكم انما هو

باب من ابوابه فافـهم، فمن خرج لـلشفاعـة وهو متحـدث او متلطخ بحب المعاصى وشهـوات الدنيا فلا يمكن من دخول حضرة الشـفاعة الباطنة أبداً فليخـرج الشافع بذل نفـس وانكسار واذا كان المـشفـوع عنده اغلق القلب فليلبس الشافع الثياب الخلقة واذا كان منور القلب كالعلماء العاملين والأمراء المعـتقـدين فليلبس أفـخر مـا عنده من الثيـاب وذلك لان أغلق القلب من الظلمـة واعـوانهم إذا ازدرى الشافع فـقـد فـتح باب انتصـار الحق تعـالى للمشفوع له والشافع فافهم ذلك واعمل به فإنه مجرب لقضاء الحاجة وتنفيذ السهم فى ذلك الظالم وإذا وصل الى حـضرة المشفـوع عنده ورآه فى أشد الغـضب على المـشفـوع له فليـوافق المـشفـوع عنده ولا يجـيب قط عن المشـفوع له حـتى يسكن الغضب فـاذا سكن أجاب عنه بمـا شاء كـما أنه ﷺ يقول يوم الـقيامـة سحقـًا سحـقًا لقوم غـضب الحق تعالى عـليهم تسكينًا للغضب الإلهى ثم بعد ذلك يشفع فيهم.

وكان ﷺ يقول هلا مع صاحب الحق كنتم وذلك لأن صاحب الحق قلبه محروق على ماله مثلاً فلا أقل من أن يخرج غضبه ببعض كلمات وإظهار نفس وجمـيلة على المديون فـسد باب نقـائص صاحب الحق جـملة واحدة واجب لئلا تتحرك نفسه بذكر نقائصه فى المـلأ فيعسر القضية وان كان مكان الشفاعة بعيدا وركبنا لا ندع أحداً من أصحابنا يمشى أمامنا ولا خلفنا ولا عن يميننا ولا عن شمـالنا لأن فى ذلك نوع استعباد لإخواننا بـل إن احتاج الأمر إلى حضورهم معنا أرسلناهم يسبقونا الى مكان الشفاعة.

وكان سيدى احمد الزاهد رضي الله عنه يقول لصاحب الحاجة اذهب الى الامير

او المحتسب بأحد من وجوه الناس وانتظرونى هناك وكبرونى عند ذلك الأمير والبردار والنقباء وغيرهم وامدحونى جهدكم فإذا جئت فتلقونى.

وأكرمونى وعضدونى من تحت إبطى فان ذلك اسرع فى قضاء حوائجكم فانى رجل مجهول عند الحكام. انتهى.

ولما حكيت تلك الحكاية لسيدى على الخواص رحمه الله تعالى قال: هذا شأن من يستر حاله من الرجال وإلا فالفقير لا يقضى الحاجة إلا بقلبه وانما يمشي ويشفع اظهاراً لشعار الشفاعة ولحصول الأجر فى الخطا.

وقال ﷺ : «من مشى فى قضاء حاجة أخيه ثبت الله قدميه على الصراط» فمن قضى الحاجة بالقلب ربما لا يعطى تثبيت القدمين على الصراط لأنه لم يمش بهما.

وقد كان سيدى محمد الغمرى رضي الله عنه يمشى فى قضاء حوائج الناس ويقضيها ولا يعلم بها اصحابها، ومن دعائى اذا خرجت لشفاعة عند احد من الأكابر: اللهم إن أردت أن تشهرنى بين عبادك فمش لى ما أقول وما أشفع فيه وإلا فاطف اسمى من الوجود، وهذا من باب التفويض إلى الله عز وجل فافهم.

وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يرسل اصحاب الحوائج إلىَّ لأكتب لهم رسائل للحكام على لسانه فلما دخلت سنة تسع وثلاثين وتسعمائة قال لى لا تعد تكتب لأحد على لسانى شيئًا، فقلت لم، قال كان عند الحكام بقية خوف من ربهم ومحبة ادخار الأجر لآخرتهم فرفع الله ذلك من مدة ثلاثة ايام فكل من جاءك يطلب قضاء حاجة عند حاكم فقل له أعط

الحاشية شيئًا من حطام الدنيـا ولو ان تقترض ذلك فانهم يعملون مصلحتك ولحيذر ان يطلب منهم قضاء حاجة بـلا شيء فانهم لا يلتفتون اليه ولو كان ابن السيدة نفيسة، ومن شك فليجرب والله اعلم.

اخذ علينا العهود ان نرضى عن ربنا إذا قلل علينا الدنيـا أكثـر من رضانا عنه اذا كثـرها علينا او مساويًا وان كان كل من الشـقين نعمة منه لكـن نعمة التقلل من الدنيـا اكبر لأنها طريق الأنبـياء والأصفياء ولولا أن التـقلل افضل واكثـر أجرًا ما قـال ﷺ اللهم اجعل رزق آل مـحمد قـوتًا، والقوت هو الذى لا يفضل منه شيء عند الغداء والعشـاء فشيء اختاره رسول الله ﷺ لنفسه وأهل بيته لا أكمل منه.

وكان الفـضيل بن عـياض ﷺ يقـول: من طلب من الحق كثـرة الدنيا طالبه الله بكثرة العمل ومن رضى منه بالقليل من الدنيا رضى منه بالقليل من العمل والله غنى حميد.

اخذ علينا العهود ان نحسن مجـاورة نعم الله عز وجل بمعرفـة مقدارها وإنفاقـها فى مـرضات الله عـز وجل دون شهـوات نفسنا من مـأكل وملبس ومنكح وبناء دار وغـير ذلك وننسى جـارنا اليتـيم او المسكين إلى جـانبنا لا نتفـقده بكسـرة ولا مرقـة ولا حسنة من حـسنات الدنيا فـإن ذلك من اعظم اسباب تحـول النعم عنا فى اسرع من لمح البصـر ثم اذا تحولت النعم عنا وسألنا الحق تعالى بعد ذلك فى عودها لا يجيبنا ويقول لنا قد اختبرناكم فما وجدنا عندكم خيرًا لأحد من عبيدنا فـحولنا نعمتنا عنكم إلى عبدنا فلان لأنا رأيناه لا يرد سائلاً ولا ينسى جارًا ولا يخصص نفسه عن إخوانه بشيء.

وسمعت سيدى عليّـا الخواص ﷺ يقول: ان لله تعالى ملائكة ينزلون إلى الأرض بقصد امتحان العباد فربما دقوا الباب على شخص اشتهر بالكرم بعد ان ناموا الناس وكان ذلك اليوم قد تعب فى الضيوف إلى الغاية ويقولون له قم فاذبح لنا واطبخ واعـجن واخبز فـإنا لا نأكل طعامًا بايتًـا ويكثروا من التعنت عليه حتى تضيق نفســه فإن منّ الله تعالى عليه يوسع الخلق والا نفر فيهم فحولوا عنه النعم ويؤيد ذلك حديث الأعمى والأقرع والأبرص وهو فى البخارى حين أراد الله امتحانهم وقد حق الوعد من الله ان لا يخلد النعم الا على من ينشـرح بإعطائها للعبـاد ويتحمل حـسدهم واذا هم وكـفرانهم ولا يطلب منهم شكراً وذلك لأن الكريم انما هو خازن مال الله لعباد الله لا غير فاعلم ذلك، وإياك ونسـيان مقدار النعـم وعدم البر لإخوانك وتـعلل بضيق اليد وقلة المكاسب فان الله ما ضيق عليك الا لبخلك وشح نفسك هذا على زعمك ان حالك ضيق ولعلك كاذب فان الذى يـملك مائة دينار فاكثر يحرم عليه ان يقـول حالى ضـيق وكلما قال ذلك حـقق الله دعواه فـلا تزال يقول ذلك حتى يصير لا يملك عشاء ليلة كما ان الذى لا يملك عشاء ليلة لا يزال يقول أنا بخير ونعمة حتى يصير بخير ونعمة.

وقد كان الشيخ عـبد الدايم احد أصحاب سيدى الشيخ مـحمد السروى رحـمه الله تعـالى يأخذ بدرهم رجلـة ودرهم سيـرج ودرهم حطب ويطبخ ويطعم جـيرانه فـأين أنت منه يا من يضيع كل يوم عـلى طعام بيـته العـشرة انصاف واكثر لا يطعم منه سائلاً ولا فقيراً ولا مسكينًا ولا جاراً بل بطنه كنيف الخلاء يملى وينزح ليلاً ونهاراً.

ولو انك يا اخى زدت فى الدست دلواً من المـاء لفرقت على الجـيران ولو كانوا مائة وسيأتى فى هـذه العهود ان رسول الله ﷺ كان يحث أهل بيته وأصحابه على إحسان مجاورة نعم الله عز وجل ورأى مرة فى بيت عائشة ﵂ كسـرة يابسة على الأرض قد عـلاها الغبار فأخـذها رسول الله ﷺ فنفضها من الغبار ثم أكلها وقـال يا عائشة أحسنى مجاورة نعم الله عز وجل فإن النعم قلما نفرت عن أهل بيت فكادت ترجع إليهم.

وحكى أن ذا بالنون المصرى رحمـه الله تعالى رأى رجلا قد بصق على بحر النيل فقال له: تعست يا بغـيض تبصق على أكبر نعم الله عز وجل على عباده.

وسمعت اخى افضل الدين رحمه الله تعالى يقول والله ما أبول او أبصق على الأرض الا وأنا فى غـاية الحـيـاء والخـجل من الأرض وكـيف يبـول الانسان على أمه التى منها خلق. انتهى.

ومن هنا قللت الأكـابر من العلماء والصالـحين وأهل الأدب الأكل ولم يأكلوا إلا عند الاضطرار تخفيفًا لقضاء الحاجة وليكون لهم عذر فى التغوط على أمـهم التى منها خلقـوا ومنها ركـوبهم ومنها يأكلون ولهـم فيهـا منافع ومشارب أفلا يشكرون.

ومن هنا أيضًا اتخذ الاكابر من ذوى البـيوت منديل الكم لأجل البصاق حتى لا يبصقوا على ذات أمهم ومن ثم يعـرف المتشبهون بأهل الأدب الآن بذلك ﷺ أجمـعين، فـتدبر هذا العـهد واعمل به فـإنه مبـارك والله يتولى هداك.

اخذ علينا العهود ان لا نمكن أحـداً من الخدام يدخـل على عيـالنا فى غيـبتنا ولو كانـوا مخاصى فـإنهم من أولى الإربة من الرجال ويحـرم عليهم النظر إلى الأجانب ومسهن والخلوة بهن.

فاحجب نساءك يا اخى عن المخاصى والخدام كما تحجبهم عن مخول الذكران من الأحرار.

وما أدخل الأكابر المخاصى على حريمهم إلا ليأمنوا من وقوع الزنا بهن خوف الحبل لا غير لا مطـلقًا من باب ظلم دون ظلم فافهم، واعلم يا اخى انك كمـا تشتـهى فى بعض الاوقات جوار الـمطبخ السود لتتـملح بهن مع دعـائك العقـل والحرية فكذلـك امراتك تشـتـهى العبـد الاسـود فى بعض الأوقـات لتتـملح به بل هى إلى ذلك أحوج فـإنهـا تزيد عليك فى الشهـوة بسبعين ضعفًا.

وقد كثر سـقاطة النفوس فى هذا الزمان ووطئهم جـوار الخدمة والتنفى من أولادهم حـتى ان بعضـهم نفى ولده من جـاريته لأجل امـراته ثم حلف لزوجته ان هذا الولد ما هو منه خشية وجوه العظم ومن فعل ذلك حرم عليه الجنة كما ورد فى الصحيح.

وقد كـان شخص من اخوانى يأتى جـارية عنده وينكر ذلك من سيـدتها فمسكها يومًا فى المطبخ واغتسل فى الخلا فى الغلس ثم أخذ لباس الجارية فتنشف به ووضعه على رقبته يعتقـد انه منشفة ودخل به على سيدتها فمسكت لحيـته وصارت تقـول كم تنكر يا كلب يا قليل الدين يا كافـر وتضربه على وجهه بنعلها وهو ساكت كأنه أحدث على نفسه فاعلم ذلك، وإياك أن تمسك

الجارية تعمل معك سيدتها مثل ما عملت هذه المرأة والله يحفظ من يشاء كيف يشاء.

اخذ علينا العهود ان ننبه كل من صحب الأولياء ان يخلص صحبتهم لله أو للدار الآخرة كان يأخذوا بيده.

وليحذر ان يصحبهم لعلة دنيوية كما يفعل اكابر الدولة واصحاب الحملات من الظلمة واعوانهم فان ذلك قصور منهم بل الواجب ان ينووا بصحبتهم خير الدنيا والآخرة وان يطلعوا من ولايتهم على سلامة وليس للسلطان عليهم مال وليس للخلق عليهم تبعة فى الآخرة وبركة الأولياء أعظم من ذلك فلا يستبعد على من صحبهم بصدق سعادة الدارين.

وعليك يا اخى بالإحسان إلى كل من صحبته من الأولياء ولا تخص نفسك عليه بماكل ولا ملبس ولا منكح ولا تبخل على عياله ولا أولاده ولا اصحابه بشيء من حطام الدنيا فانك بذلك تملك قلبه اشد الملك لكون الأولياء اهل النخوة والمكافأة إذا احسن احد اليهم بيذرة لا يروا أنهم كافئوه الدهر كله.

واعلم يا اخى ان ذلك الشيء الذى اعطيته لذلك الولى لا فيش ولا عليش بالنسبة لما يحصل لك على يديه من خير الدنيا والآخرة وعدم.

تخلفه عنك فى كل شدة فاعلم ذلك وإياك ان تنكر على ولى قال لك ان تبرنا وتحسن الى جماعتنا فلا تجالسنا لأن ذلك إنما هو امتحان لك لا محبة فى الدنيا اذ لو كان محبة فيها ما كان وليًا ولا رفعه الله عليك بالتقريب والولاية فقصد بذلك تحقيق دعواك بأنه أحب اليك من مالك كما يقع فى

ذلك كثير من التجار وأرباب الاموال فيقولون لشيخهم والله يا سيدى انت أعز عندى من روحى ومالى وولدى ثم يطلب منهم ديناراً واحداً لفقير فيفتضحون واذا افتضح احدهم نفض شيخه يده منه لأنه اذا اثقل عليه اعطاء دينار لشيخه الذى ادعى انه أعز عنده من زوجته فكيف يمنح لغيره من الأجانب وكيف يصدق على دعواه أنه يحسن إلى الفقيراء والمساكين ذلك أبعد ما يكون، وبالجملة فمن ادخر عن شيخه شيئًا من عروض الدنيا لا يشم من اسرار الله رائحة ويصير محجوبًا حتى يموت شيخه.

وقد كان سيدى يوسف العجمى ﷺ يقول لبواب الزاوية اذا دق داق الباب فانظر من الشق فان رايت معه شيئًا للفقراء فافتح له وإلا فهى زيارات فشارات فقال له شخص كيف تقولون هذا وأنتم لا تحبون الدنيا ولا تصحبوا أحداً لأجلها فقال اعز ما عندنا وقتنا واعز ما عند ابناء الدنيا دنياهم فإن بذلوا لنا اعز ما عندهم بذلنا لهم اعز ما عندنا والا فنحن فريق وهم فريق، والله غنى حميد.

اخذ علينا العهود ان نعطى كل سائل ما سأل ولو كان قادراً على الكسب اعطى لسؤاله حقه، قال ﷺ : للسائل حق وإن جاء على فرس، فمحمل المنع من إعطاء القادر وتقديم الاحوج عليه اذا لم يسأل القادر فافهم.

وكان سيدى يوسف العجمى طريقه التجرد عن الدنيا وعدم الاستناد إلى معلوم من رزقه او جوالى او وقف او غير ذلك وكان اذا لم يفتح الحق تعالى على الفقراء بحمل شىء إليهم يخرج ويطوف شوارع مصر، ويسأل لهم الناس بالحال لا بالقال وكان يقف على الدكان فيقول الله، ويمدها حتى

يكاد يسقط فكان من لا يعرفه يقول والله ما هذا الا حشيش ثم يفتح عينه ويقول الله ويغيب فيها، هكذا نقل إلينا كيفية سؤاله الناس للناس وكان كل يوم على فقير وكان يومه اقل رزقا من غيره من الفقراء فسأله عن ذلك فقال انا فنيت بشريتى وما بقى بينى وبين الناس كبير مجانسة وانتم بشريتكم قوية فلذلك كثر عطاء الناس لكم ﷺ.

فعلم مما قررناه ان من كمال الفقير التخلق بأخلاق الله عز وجل فى إعطائه للسائل ما سأل ولو كان يملك مائة ألف دينار وفى منعه للفقير ما زاد عن كفاية غداءه او عشاءه لأن العطاء الإلهى لا يجرى الا بالحكمة والمقدار وكذلك عطاء كل العبيد، فإياك أن تنكروا على فقير اعطى الاغنياء وحرم الفقراء ويقول كان الفقراء احق بذلك فإنه طعن فى الأخلاق الإلهية فإياك من الإنكار على الفقراء الطوافين على الأبواب والدكاكين اذا الحوا عليكم واحملوهم على أحسن المحامل وتبسموا فى وجوههم فإنهم يريدون ان ينفعوكم ويدفعوا عنكم بالصدق أنواعاً من البلايا ولو على رغم أنفكم.

وكان محمد بن الحسين ﷺ اذا رأى سائلاً على بابه قال له مرحبا بمن يحمل زادى إلى الآخرة حتى يضعه لى بين يدى الله عز وجل بغير أجرة، وقد رأيت جماعة كثيرة من الفقراء الزاهدين فى الدنيا منهم سيدى ابو بكر الحديدى ﷺ يدورون يسألون الناس ويلحون عليهم فى السؤال ويقولون نحسن إليهم وننفعهم على رغم أنفهم لأنهم كالبهائم فيجمعون من ذلك خبزاً كثيرا وفلوساً كثيرة ولا يذوقون من ذلك لقمة وإنما يفرقونه أواخر النهار على الأرامل والأيتام والعاجزين عن الكسب وربما يقول لهم الأرامل فى

بعض الأوقات نحن اليوم غير محتاجين إلى الخبز فبعه لنا وخذ لنا بفلوسه صابونًا او زيتًا او إبرة وخيطًا ونحو ذلك فيبيعه لهم فربما يراه أحد ممن يتصدق عليه وهو يبيع الخبز فيسيء به الظن ويقسو قلبه عليه بعد ذلك ويظن انه ينادى وربما يقول مثل هذا حرم عليه الشحاتة فلا اعينه على أكل الحرام وهو حجة فى البخل.

وقد رأيت من يدور طول النهار بطبل ويهزل للصغار ويضحك الناس وكل شيء حصّله يفرقه على عجائز الحارة ورأيته يعول خمسة أيتام مات والدهم وامهم فكفلهم حتى كبروا وهو ينفق عليهم.

ثم لا يخفى عليك يا اخى ان اكبر الناس مروءة الرسل عليهم الصلاة والسلام وقد كان منهم من لا حرفة له انما كان يأكل من بيوت إخوانه حتى مات ولله فى ذلك حكم وأسرار يعرفها العارفون لا تذكر إلا مشافهة لأن الكتاب يقع فى يد اهله وغير اهله، والله عزيز حكيم.

اخذ علينا العهود ان نرشى بالدنيا وبالملق كل من تحرك علينا بالأذى من جار وشيخ بلد وغفير وغيرهم لا سيما اذا اتصدى للمرافعة فينا عند الحكام والقضاء.

ولو لم يكن بيدنا الا لقمة واحدة اعطيناها له وذلك لأن جوعنا مع هدوء السر احسن من شبعنا مع النكد والذى يريد احدنا يضيعه على الحاكم وحاشيته يعطيه لمن حرك النكد فيسكن الحاكم ضرورة لأن الحاكم لا يقدر على الدخول بين اثنين إلا إن رأى بينهما تنافرًا.

فمن حرم خصمه وأعطى الحاكم فهو أعمى القلب لأن خصمه الذى

حرك ذلك الأذى لو اهدى إليه مـا اعطى للحاكم سد باب الشر كمـا فتحه فالعارف من سد كل باب يخرج له منه أذى.

وقد اهتدى لذلك بعض النسانيس فحكى أن نسناسًا كان فى مركب فيها شخص كثير الفساء فصار النسناس يعطس من ذلك الفساء فلما نام الناس دار عليهم النسناس ليعرف من أين تخرج ذلك الفسـاء فعرف من خرج منه فأخذ مشاقًا وصار يدسـه فى دبر الفاسى فاستيقظ واخبر بذلك الناس فـتعجبوا من حذقه.

فافهم، واعتبر واعرف زمانك فان الحكام الآن صاروا مع الدنيا حيث ما شرقت او غربت والله يلطف بنا فيما بقى آمين.

اخذ علينا العهود ان نقبل سيـاق الاكابر من المعلمين والتجـار والفقراء الصادقين ونقدم رضا خاطرهم على جـميع أموالنا وأغراضنا فنصفح عن من جنا ونبرى من عليه دين قـد عجز عن وفائه ونسقط على من طلب التـسقيط على حسب حاله ولا نرد سياقًا قط.

واعلم يا اخى ان جـميع الدنيا لو كـانت لك عند شخص وجـاء فقـير يطلب منك ان تسـامح ذلك الشخص فـيها وسـامحتـه لا يجىء ثمن خطوة واحدة يمشيها اليك الفقير.

واحذر يا اخى كل الحذر ان ترد شفاعة الـفقراء الشعث الغبر الذين لا يعبؤ بهـم ولا يعتقد أحد فـيهم فإنه يخاف عليك تحـول النعم فى أسرع من لمح البصر فإياك ثم إياك.

اخذ علينا العهود أن نلين الكلام لمن له علينا دين ولمن لنا عليه دين:

أما الأول فلأنـا تحت أسْره في الدنيا والآخرة نوفى له حـقه واذا اغلظنا عليه القول ربما قسى علينا وشاحجنا في الدنيا والآخرة.

وأما الثاني فـلأن الغالب اليوم على الناس رقة الدين فربمـا جحد الحق الذي لنا عنده لا سيما إن كان بلا بينة ثم يرشي الحاكم ببـعضه فيقيم له بينة زورًا بأنه غلق له فى اليوم الفلانى كـما شاهدت ذلك من بعض الناس مرارًا وقسم ذلك المـال بينه وبين الحاكم وحـرم صاحب الدين فـشكرنا لمن لنا عليـه دين طريق لعـدم الجـحد ثم إذا قـضـاه لنا زدنا في الشكر لأنه كـان كالضـالة التي يخاف ان لا ترجع إما بزوال نعـمة او هرب او جحد او غـير ذلك ولولا مجازفتـه ما أعطانا شيئًا لكثرة الحقـوق التي على المعاملين الآن اقل ما هناك ان يقيم بينة بالإعسار ويقول خذ بقدر المحاصصة فلا يفضل لك شيء.

وان اعطيت يا اخى من وفاك دينـك شيئًا منه ولو نصـفا بطيبـة نفس كان أقـرب الي الود والرجوع إلى مـعـاملتك بانشراح صـدر وكـتبت أيضـًا من المحسنين.

وقد كان ﷺ يقـول: «خيركم أحسنكم قـضاء» فاشتـر يا اخى شهادة رسـول الله ﷺ لك بالخيـر بنصف أو عـثمـانى، وإياك يا اخى ان تطلب ممن له عليك دين ان يسقط عنك شيـئًا منه مع قدرتك فيكون له المنة عليك لا سيمـا ان كان ذميًا، وكان ﷺ يقـول: اللهم لا تجعل لمنافق على منة ولما أهدى له حكيم بن حـزام قبل إسلامـه حلة ردها ﷺ وقال نحن لا نقبل هدية من مـشرك فلا ينبـغي لك ان تطلب الإسقـاط الا إن صرت على

الارض لا مال ولا عقار ولا كراكيب فى البيت من صندوق ودست وحمار وجوخة وشاش كبير وقبقاب فإعطاؤك مثل هذه الأمور وجلوسك بلا شيء منها أخلص لذمتك وأرضى لربك، والله غفور رحيم.

اخذ علينا العهود ان لا تخلى يومًا من صدقة ولو رغيفًا او فلسًا او بصلة او تمرة او زبيبة او صلاة ركعتين او تسبيحة او تهليلة وذلك لأن لا ينزل علينا فى ذلك اليوم بلاء ان شاء الله تعالى، قال ﷺ «باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطاها» فمن لم يتصدق فى يوم وأصابه ذلك اليوم بلاء فلا يلومن الا نفسه لكن لا يخفى ان شرط الصدقة الدافعة للبلاء ان تكون مشاكلة لذلك البلاء فى العادة كبير او صغير فالتهمة بفساد جارية إفسادها حقيقة او بقتل قتيل او بسرقة مال له جرم لا يكفى فيه من تاجر مثل رغيف ولا عثمانى ولا بصلة وانما يكفى هذا من فقير لا يملك شيئًا من الدنيا.

واعلم يا اخى أن أصل كل بلاء نزل عليك من شحة نفسك وسقاطتها فإن فى الحديث «إن الله تعالى أخذ بيد السخى كلما عثر» ومن كان الحق تعالى آخذًا بيده فلا ينزل عليه بلاء والله أعلم.

اخذ علينا العهود ان لا نتصدق بالأشياء الكثيرة التى تضعف يقيننا بإخراجها ويحصل لنا ضيق صدر وندم عقبها ونقول يا ليتنا اعطينا البعض وخلينا البعض.

وكان ﷺ يقول «لا يخرج أحدكم صدقة الا طيبة بها نفسه قارة بها عينه» يعنى لما هو عليه من قوة اليقين بالله عز وجل وأنه يخلف عليه اضعافها فمن لم يجد فى نفسه قوة يقين فلا يتصدق الا بما تطيب به نفسه

وهو فى غنية عنه، وفى الحديث «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى» يعنى لا يتصدق أحدكم إلا وهو مستغن بالله عز وجل عن ذلك الشيء الذى يتصدق به مع الحاجة إليه فافهم، ويؤيده قوله ﷺ «ليس الغنى عن كثرة العوض وإنما الغنى غنى النفس» وقوله ﷺ «القناعة كنز لا يفنى» فصاحب القناعة لا يعقب عطاءه اتباع نفس لأنه لا يعطى أحداً شيئًا إلا ويعقب ذلك العطاء الغنى بالله على الأثر.

وكذلك يؤيد ما ذكرناه وقررناه قوله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ وذلك لأنهم ما آثروا على أنفسهم مع الخصاصة حتى استغنوا بالله عز وجل وهذا وان كان محموداً فثم ما هو أحمد منه وهو ان يقدم العبد نفسه على غيره عملاً بقوله ﷺ : «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول» وبقوله ﷺ «الأقربون أولى بالمعروف» ولا أقرب إليك من نفسك، قال شيخنا رضي الله عنه ومن لم يصل إلى درجة الاستغناء بالله عز وجل عن ذلك الشيء الذى يعطيه للناس.

فلا ينبغى له أن يتصدق إلا بما لا تتبعه نفسه أو يطعم نفسه من ذلك شيئًا ثم يتصدق بالفاضل فيجمع بين المصلحتين وذلك معدود من الصدقة التى هى عن ظهر غنى أيضًا فاعلم ذلك فإنه نفيس.

اخذ علينا العهود ان نبدأ فى اصطناع كل معروف بفعل الأشياء التى تدوم وتتوالد فى الأجر كحفر الآبار وإعانة من يتزوج ليكون لنا ان شاء الله تعالى أجر جميع ما يتولد من ذلك المعروف من الماء المنفجر من عين الأبيار ومن الاعمال الصالحة التى تنشأ من الأولاد الحاصلين بذلك النكاح، وأما

الأعمال السيئة الحاصلة منهم فلس علينا ان شاء الله تعالى منها إثم كما لا إثم على أبينا آدم عليه السلام من جهة معاصى ذريته فافهم.

ثم اعلم يا أخى أن الإعانة على النكاح أفضل من الإعانة فى فك الرقاب ومن الجهاد لأن النكاح أصل لوجود المجاهد وغير المجاهد فلولا النكاح ما وجد أحد من الخلق فهو أفضل نوافل الخيرات والأجر يعظم بعظم السبب.

واحذر يا اخى ان تخرج من الدنيا وعندك الألف دينار وأكثر لا تزوج فقيراً ولا تحفر بئراً ولا تكسى يتيماً ولا توفى عن معسر ديناً ولا تدخل على جار سروراً فإن ذلك هو الخسران المبين وكأنك لم تدخل الدنيا الا لحمل الأوزار لا غير فإنك لم تفعل شيئًا يكفر عنك اوزارك فافهم والله أعلم.

اخذ علينا العهود اذا اعطينا أحداً شيئًا ان نسقط المكافأة عنه اذا كان ذلك الشيء مما يهتم اخذه بالمكافأة عليه فى العادة كالصوف والشاش والتفاصيل الحرير والجوخ والإزار ونحو ذلك من هدايا الحجاز والشام والروم فإننا بالإسقاط نريح سر أخينا ونعينه عن الوقوع فى الكلام الناقص كقوله والله ما كان لى حاجة بهذا الذى أرسله فلان وأنا حائر أقابله بإيش كما سمعت ذلك كثيراً من التجار وغيرهم، ويجب علينا التصريح بإسقاط المكافأة مع القاصد الذى راح بالهدية كقولنا للقاصد: قل له: يقول لك فلان: هذا بلا عوض وإذا أرسلت لنا العوض فكأنا لم نهد لك شيئًا، كل ذلك حتى لا يهتم ساعة وصول الهدية اليه فإن إدخالنا الهم على مسلم ولو ساعة واحدة لا يعادله جميع مالنا لو دفعناه له.

وكان لـى صديق يرسل إلى الشىء ويقـول هذا أخذته على اسـمك من البلد التى كنت فيـها فلا ترده فكان يحـصل لى فى سرى بهذا القـول راحة عظيمـة لأنه دليل على اعتنائه بى لا رياء وسمـعة ثم إنه ان كافـأنا بعد ذلك ولم يعمل بالإسـقاط فالواجـب علينا إظهار الكراهة لنريح خـاطره ثم نقبل ذلك منه إن علمنـا أن الرد يحصـل عنده به تأثيـر وإن عـرفنا أنه يجب ردنا ذلك له وانما تجمل معنا بالكلام فقط رددنا عليه بسـياسة بحيث لا يشعر أننا لحقنا بذلك منه والله أعلم.

اخذ علينا العهود اذا أعطينا شيئًا للفـقراء الأكابر وذوى البيوت الذين دار عليهم الزمان ان لا نعطيه له بحـضرة احد من الناس فإن ذلك يخجله ثم لا تفى عطيتنا له بما حـصل له من الخجل فإذا كان العطاء له سرًا فـقد جبرنا كسـر خاطره الذى حـصل له بذل سؤاله لنا ووقـوفه على بابنا بعـد أن كان أحدنا لا يصلح أن يكون غلامًا عنده ثم لا نمكن أحـدًا من الإخوان يذكر ما أعطاه لذوى البـيوت او الفقـراء لأخ او صديق او غيـرهما ولو على سبيل إظهار التوجع والترقق لهم فـان ذلك دليل على ان ذلك العطاء رياء وسمعة فهو حابط من أصله لا أجر فيه مع ما حصل فيه من الأذى لمن أخذه ولو أن المتصـدق عامل الله وحده لاكتـفى بعمله ولم تنازعه نفسـه قط بإظهار ذلك لأحد من الخلق ولا كانت تسـتحلى إظهاره وليتأمل المتـصدق إذا كان أجره قد حـبط بالرياء والسمعـة فكيف يرى انه قد أعطى مـا أعطى وكيف يمن به فتأمل.

وقد شاهدت من بعض الإخوان الصادقين اذا جاءه شىء من أكابر الدولة

ليفرقه على الفقراء يخلط عليه من مـاله أضعافه ثم يفرق ذلك فى غمار مال أرباب الدولة بحيث لا يشعر به أحد.

وكذلك بلغنا عن سيـدى على بن الجمال النبتيتى أنه كـان يحمل القمح من مصـر الى مكة ويجلس يبيـعه ويفتح باب السـعر أغلى من جـميع الناس فمن أجابه إلى الشراء بغلو الثـمن يعرف أنه محتاج فيبيـعه ويسقط عنه الثمن ومن لم يجبه بالشراء بالغالى لا يبيعه ويقول هذا غير محتاج، وكان إذا تكلم أحد بذلك للناس يرسل يأخـذ منه الثمن كغيره ويقـول له غلطت فيك كنت احسبك فلانًا، رضي الله عنه.

وقـد شاهدت من شـيخنا شـيخ الإسلام زكـريا الأنصارى رضي الله عنه مـا لا أحصيه من إخفـاء الصدقة حتى كان اهل عصره ينسـبونه الى البخل لجهلهم بحاله.

وقد جاءه مرة شريف خطفت عمامته يطلب منه حق عمامته فأعطاه جديد نقره فسـخط عليه ورده فأخذه الشيخ وقـال لى سرًا: هو أعمى القلب أليس جاء بحضرة الناس، رضي الله عنه.

ثم احذر يا اخى ان تشـهد لك فضـلاً على من يقبل صـدقتك لأنه لولا قبول صدقتك مـا حصل لك ثواب فله الفضل عليك وليس لك ان تنظر لك فضلاً عليه إلا بقطع النظر عنه لكى تشـرك ربك الا لتزدرى الفقراء وإن خطر لك فضل عليهم فاستغفـر الله تعالى على الأثر واحذر من قولك حالنا اليوم ضيق وأنت تملك ما يفى ربحـه بنفقتك الشرعية التى كـان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته من أكـل الشعير غيـر منخول بالملح او الخل او الزيت او

اللبن او الجبن او حافًا من غير ادم ولا يرخص لك تقول حالنا اليوم ضيق إلا إذا لم تجد الرغيف الحاف، والله غفور رحيم.

اخذ علينا العهود إذا زرنا فقيراً ان نقدم بين يدى نجوانا صدقة ولو أن نهدى له ثواب قراءة الفاتحة قبل الدخول عليه والأدب ان نعطى ذلك على اسم الهدية لا اسم الصدقة وإذا قدمناها فلنسلمها إلى النقيب او لاحد من إخوان الشيخ الخاصين به وتسليمها للشيخ سوء أدب لأن مرتبة الشيخ كمرتبة السلطان والإنسان لو طلع بهدية الى السلطان من فراخ أو غنم مثلاً وقال لا أسلمها إلا إلى السلطان فى يده عُدَّ ذلك من أقصى غايات قلة الأدب وربما ضرب ومقت، واذا بعثنا الهدية فى وعاء إلى فقير نخرج عن الوعاء مع الهدية ولو كان نفيسًا واذا كان لنا حاجة إلى الشيخ ذكرناها للخادم ولا نذكرها للشيخ لأن الخادم اجرأ على سؤاله منا واعرف بمصطلحه.

واعلم يا اخى أن الأولياء اكثر الناس بالمكافأة فمن أهدى إليهم شيئًا قابلوه بأضعافه فى الدنيا والآخرة وسيأتى حكم الإحسان الى المجاذيب فى عهودهم ان شاء الله تعالى، ويقولون فى المثل من أكل الغفارة رد الغارة.

فاعلم ذلك وإياك ان ترد الى ولى بعد تعرفك به إلا بإذن منه فى الزيارة كما يفعل مع الملوك، والله عزيز حكيم.

اخذ علينا العهود إذا زرنا المسجد الحرام أو الأقصى أو مسجد رسول الله ﷺ أن نعظمهما اشد من تعظيم غيرها من المساجد ولا نتبختر ولا نرفع صوتًا ولو بذكر الله عز وجل ونلبس هناك خلق الثياب كالهدم والجبب الخشنة ونكشف رءوسنا ونمشى حفاة ما دمنا فى تلك الأرض المشرفة كما كان الأنبياء والسلف الصالح يفعلون.

وسمعت سيدى عليًا الخواص رحمه الله تعالى يقول من أدب الحاج إلى مكة أن يخرج بكل ما يملكه من المال حتى لا يبقى في وطنه شيء ولا ثمن رغيف ثم يوسِّع بجميع ذلك على الناس في الطريق وذلك ليدخل مكة التي هي حضرة قسم صدقات الحق تعالى فقيراً مسكينًا لا مال له ولا عمل كما أشار إلى ذلك صورة إحرامه فإن الغني لا يعطى من الصدقات.

وسمعته أيضًا يقول: من أدب الداخل للمساجد الثلاثة ان لا يمشي قط فيها بتاسومة ولا يلقي فيها درسًا في علم المنطق او علم الكيمياء او غيرهما مما ليس مأموراً به في الشرع وكذلك لا ينبغي ان يتخذ فيها مجلس قضاء لا سيما في الأمور المتعلقة بالأمور المبنية على الخصام والجدال فإن ذلك يكدر تلك الحضرة ولا يفسر فيها أيضًا القرآن إلا بما ورد في السنة صريحًا ولا يشرح فيها أيضًا الحديث النبوى على مصطلح المذاهب في التعصب لمذهبهم دون غيره فإن تلك الأماكن حضرات الوحي كقاب قوسين او ادنى فافهم.

وكان سيدى إبراهيم المتبولي رضي الله عنه يقول: من الأدب عدم المجاورة في مكة او المدينة او بيت المقدس الا ان يكون العبد على قدم أكابر الأولياء وذلك لأنه لا طاقة لغالب الخلق على مجالسة الحق تعالى او مجالسة رسول الله ﷺ بالأدب والمجالسة بلا أدب إلى المقت أقرب ومن لم يكن باطنه مطهراً من كل رجس ومكر وخداع وغش وسوء ظن ونفاق ومحبة للدنيا وغير ذلك فمجاورته خسران والسلام، ولا يكاد قلبه يحضر مع صاحب تلك الحضرة إذا اذ لا يحضر مع أهل حضرة الملوك إلا من طهر

كمـا تطهروا، ولا يحضـر مع رسول الله ﷺ إلا من كان قلبـه مطهراً من كل إثم.

وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليـه السلام: يا داود قل لبنى اسرائيل لا يدخلون بيتًا من بيـوتى إلا بأيد طاهرة وأعضاء غير عـاصية وقلوب لا تخطر لها على بال فمن دخل منهم على غير ذلك لعنته من فوق سبع سمواتى.

وسمعت اخى افضل الدين رحمه الله تعالى يوصى فقيهًا ويقول له: إياك ان تنكر على أحد رايـته يخالف مـا سطره العلماء فى المناسك مـمـا لم يرد صريحًا فى السنة فإن تلك حضرة تغفر فيها كبائر الذنوب فضلاً عن صغائرها ولا ينكر إلا مـا صرحت الشـريعة بالنهـى عنه فقط وإياك ان تكثـر هناك من الاكل فتـحتاج الى تقـذير تلك الأماكن المـقدسة ببـولك وغائطك وإياك أن تأكل وواحد من الفقراء الجياع ينظر اليك الا أن تشركه معك وإياك ان تتبسط فى مأكل او تنوع لك هناك طعامًا او تبيت عندك طعامًا او تتخصص عن اهل تلك المواطن بشىء من الشهوات فتكون فى المـثل كقولهم حججت وفوق ظهرك خرج زادٍ رجعت وفوق ظهرك ألف خرج. انتهى. فاعلم ذلك واعمل عليه ولا تغتر بمن يخالفه فليس من يعلم كمن يجهل، والله يتولى هداك.

اخذ علينا العهود أن نأمر إخواننا ان يشهدوا على معاملاتهم بثمان شهود وأكثـر وهيهات أن يتحـصل منهم نفع شاهدين فى هذا الزمان لكثـرة ترجيح الخصوم لـهم عند البادية بأمور تفسقهم ظاهرة لا يحتاج إلى تأمـل وإمعان نظر بحيـث يصدقهم اهل المـجلس كلهم على ذلك التجـريح لا سيـما إن وقعت الخـصومة عند قـاض يحب الدنيا ويميل مـعها حيث مـا أشرقت أو

أغربت فإن المسألة تكون عنده اهون من شرب الماء فيتورك على الشهود ويرجح جانب المجرحين لهم ويطلب من يزكى الشهود ومن يزكى من يزكيهم وهكذا ويوهم الناس أنه متحذر محتاط فى الدين.

وقد صار غالب الناس يعرف من بعض القضاة رقة الدين وصاروا يدعون الدعاوى الباطلة ويقيمون البينات الزور ويقولون للقاضى معنا وما فيها إلا غرامة فلوس وهم يعملون لنا كل ما نطلب.

وقد سمعت سيدى الشيخ عبد القادر الدشطوطى ﷺ يقول إذا ذهب أحدكم إلى قاض ليثبت له حقًا فليرشه قبل ذلك بما استطاع والا يخاف عليه أن يقبل الرشوة من الخصم ويضيع مالكم فإن غالب قضاة الزمان قد صار دينه موضوعًا على طرف ظفر رجله أدنى شىء يسقطه، وهذا الذى قاله الشيخ ﷺ من باب دفع الأشد بالأخف كل ذلك لتغير أعلام الدين.

وسمعت اخى افضل الدين رحمه الله تعالى يقول: إياكم ان تبخلوا على القاضى والشهود فلا تعطوهم عادتهم وتكتفوا بشهادة غيرهم من آحاد الناس فإنه ضياع لحقوقكم لأن شهود غير المحكمة فى هذا الزمان قد كثر رد شهادتهم واما شهود المحكمة فإن لم تعطوهم عادتهم إما أن ينكروا الشهادة وإما أن يكتبوا لكم شيئًا لا ينفعكم واعلموا ان المشهود به من الدراهم والأمتعة مثلاً اكثر ما يأخذه القاضى والشهود بيقين، فأعطوا فلوس القانون والقسام بطيبة نفس وتأدبوا مع الله عز وجل الذى أبرز ذلك فى الوجود ومكن الظلمة من الحكم فيكم بمشيئته وإرادته والله عليم حكيم.

اخذ علينا العهود ان نعطى الغفير غفارته وجابى المظالم جباته أدبا مع

الله عز وجل الذى سلطهم علينا بحق وبغير حق ونأمر جميع أصحابنا بذلك ولا أن نمكنهم من أن يستشفعوا فى عدم الوزن بأحد من العلماء والصالحين وغيرهم فإن جباة الظلم تحت حكم من لا يقبل فيهم شفاعة ولا بحبة خردل كما هو مشاهد.

واذا ظهر للولاة من أحد من الفقراء وجباة الظلم تساهل فى تحصيل تلك المظالم عزلوه وولوا خلافه.

وقد صار مال السلطان الآن لا يقدر أحد من الولاة ان يسعى فى نقصه حبة ولا فى ذلك شفاعة شافع وقد شفع بعض الإخوان عند نائب مصر فى ابطال بنات الخطأ والبوظة والحشيش الذى فى حارة زاويته فقال له النائب يا سيدى الشيخ هؤلاء عليهم مال مقرر للسلطان فالتزم بالمال الذى عليهم ونحن نبطلهم لك فسكت الشيخ ونزل وأذناه مرخية.

إذا علمت ذلك فمن الأدب مع الله إجابة الفقير او جباة الظلم الى ما طلبوه من المال بحكم العادة التى هى مقررة على البيوت والدكاكين والسوقة وأن تحفظ رتبتهم التى أقامهم الله تعالى فيها وكون لهم معينا ومساعداً حتى صار أكابر التجار والعلماء وغيرهم تحت حكمهم فيأخذوا ماله من بين يديه كرهًا وإن أبى عن الوزن سمروا بيته وحانوته وغرموه الفلوس وضربوه ويهدلوه.

ولا أحد يأخذ بيده، والعاقل يتأمل فى سبب تحكمهم فى أمواله وبدنه فيعرف ان سبب ذلك انما هو لفقد أعماله الصالحة التى كانت تكفر عنه سيئاته من قيام الليل وكثرة الصدقة والاحسان الى الاقارب والجيران

والاخـوان ويعرف أن مـدارت حب الظلم مطلوبة وإن لم يـرشهم ويحـسن اليهم ويبدأهم بالعطاء قبل السؤال تعب.

وكان سـيدى على الخـواص يراشي الظلمة والـغفراء ونقـيب الخط مع قدرته على الامتناع من العطاء بالتصريف والتـولية فيهم والعزل فكان يعطيهم عادتهم قـبل السؤال ثم يدعو لهم بظهـر الغيب بالمـعونة وأن يرضى عنهم جميع خـصمائهم يوم القيـامة، فسألتـه عن ذلك فقال من قوة الفـقير ان لا يكون له على احـد حق فى الآخرة بل يسـامح الناس كلهم فى دار الدنيـا، وكان يقول إعطاء هؤلاء الظلمة عادتهم معـدود من الصدقة الخفية وإلا فأى حق لهم علينا، وقـالوا له مـرة: ان مثلكم لا ينـبغى أن يؤخـذ منه شىء من المظالم فقال أنا رجل مـحترف معدود من السـوقة والله يكره العبد المتـميز عن أخيه.

وكان كـثيراً ما يأمـر إخوانه بإعطاء نقيب الخط عـادته ويقول إن للخلق اعمالاً لا يكفرها إلا مثل ذلك.

وسمعته ﷺ يقول: اذا رجع أحدكم من سفـر التجارة من البلاد البعيدة كالشام والحـجاز فليعط أعوان السلطان عادتهم من الغفـارة فى قطية او غزة او مصـر على حسب عادتهم وليس ذلك من المكس الحـرام فى شىء إنما هو أجرة غفارة السلطان فإنه لا ظل سبغـه وحرمته ما أمن أحد من التجار ان يخرج بماله ونفسه فى البرارى والقفار.

وتأمل يا اخى الطرقات اذا مـات السلطان او حصل فى مـملكته خلل لا يستطيع احد ان يخرج من بلده بل رأيت الناس خطفوا عـمائم بعضهم بعضًا

فى أسواق مصر عند بلوغ كلمة واحدة عن السلطان وطلب الزعر والعياق ان يقتلوا غالب التجار ويأخذوا أموالهم ويفسقوا فى حريمهم جهاراً، فأعط يا اخى أعوان السلطان عادتهم فإن ذلك مجرب لنزول البركة فى الرزق ومعدود من الصدقة الخفية فإن لم تسمع نصحى وأخفيت عن الأعوان شيئاً من عروض التجارة فلا تلومن إلا نفسك إذا غمزوا عليك ثم تصير تسألهم بأضعاف ما كانوا يأخذونه منك فلا يرضوا وربما ضربوك وحبسوك وعملوا معك القانون فتدبر يا اخى حكمة الله فى إبراز ذلك وفى تمكينهم من أخذ مالك ومن عقوبتك وعدم قبول شفاعة العلماء والصالحين فيك تجد الحق تعالى هو المسلط لهم عليك بذنوبك السالفة ولولا أراد تعالى ذلك ما استطاع أحد منهم أن يفعل معك ذلك.

وقد جاء شخص من تجار الشام إلى سيدى على الخواص رحمه الله فقال يا سيدى معي فردة حرير وأنا أريد أن أفوجها من المكاسين كما فعل رفيقى فلان، فقال له الشيخ لا تفعل رفيقك جاهل بأحوال الزمان، فقال له يا سيدى إن الفقهاء يقولون يجب على التاجر أن يفوج ما معه من عروض التجارة عن المكاسين، فقال صحيح ولكن إيش يفعل العبد فإنه ربما فوج ما معه فرجع عليه ضرر أشد مما فر منه، فقال له فما تأمرنى قال أعطهم عادتهم على نية أن ذلك أجرة غفارة السلطان لا على نية المكس، فلم يسمع من الشيخ وفوجها من أعوان السلطان فى المجلس وادخلها فى خان الى بكرة النهار.

فأخذها إنسان غريب كان بائتاً فى الخان وحملها من الفجر وخرج فلم

يعرف له طريق فجاء صاحب الفردة الحرير وغوش على الخان، فعلم بذلك أعوان السلطان فربطوا صاحب الفردة الحرير حتى أخذوا منه مكسها وقالوا له تكذب ما راح لك شيء، فجاء إلى الشيخ وقال أستغفر الله وأتوب إليه وراحت الفردة الحرير إلى يوم تاريخه، فقال له الشيخ يا ولدى ربنا مع السلطان فى كل ما يطلب، وفى هذا الذى قاله الشيخ أدب مع السلطان وجواب عنه فإن من يجعل ذلك من قبيل المكس يحكم بفسق السلطان فإنه الآمر بأخذه، فاحفظ لسانك واعرف زمانك.

فعلم من ملخص كلام شيخنا ان المكس حرام انما هو ما يأخذه الولاة وأعوانهم عند امن الطريق لو تصور الأمان بلا سلطان أو ممن جاءوا من البلاد البعيدة فى غفارة سيوفهم من الشطار دون غفارة سيف السلطان او ما يأخذه المحتسب وأعوانه من السوقة والتجار وهم آمنون فى بلدهم اللهم إلا ان يكون نية المحتسب صالحة وقصد منع الناس من غلاء الأسعار على بعضهم بعضًا وتعطل بذلك عن الكسب فله ولأعوانه ان يأخذوا نفقتهم من الناس بالمعروف، والله على كل شيء شهيد.

إخذ علينا العهود ان لا نطلب إقامة من أفقره الله من التجار وأرباب الأموال فإن لله تعالى فى ذلك حكمًا وأسرارًا تدق على أمثالنا، وما ضيق الحق تعالى على غنى بعد وسع دائرته إلا لحكمة بالغة، فمن طلب إقامة من أفقره الله تعالى وطلب له من الناس والتجار مالا ليربى له رأس مال فلا يأمن أن يعاقبه الله تعالى كذلك بضيق الحال.

فإذا علمت ذلك فمن الأدب أن لا يزيد من انكسر من التجار وأرباب

الأموال على إعطائه نفقة يومه فقط واحذر ان تغتر بأحوال المتقدمين الذين كانوا إذا غرق تاجر منهم أو انكسر جمعوا له راس مال وأقاموه فإن ذلك الزمان الذى كانوا فيه كان يحمل ذلك وكان اهله يستحقون ما يفعل معهم من الخير.

وقد كان الفلاح تجرى الريف يموت فيجدون وراءه الجرة والقدرة او الابريق ملآنًا ذهبًا بما يفضل من زراعاته بعد وزن الخراج ونفقة عياله وضيوفه فصار اليوم يكمل خراجه بقمحه وفوله وشعيره وثوره الذى يحرث عليه وبقرته التى يشرب لبنها وان فضل عليه شىء بعد ذلك أدخلوه الحبس وربما حبسوا امرأته وأولاده وربما زوج الكاشف او الامير ابنة الفلاح لمن شاء بغير إذن أبويها ليأخذ مهرها ويغلق به الخراج وربما كان ذلك الخراج ليس عليه انما هو على ناس رحلوا من البلد من كثرة الظلم الذى قاسوه وربما كان ذلك الخراج على العاطل الذى فى البلد لم يزرعه احد وربما كان خراج الأرض الشراق التى لم يصعد عليها الماء.

وقد قلت مرة لسيدى على الخواص رحمه الله تعالى: يا سيدى ايش هذا الكلام الذى لفلان فى الطريق؟ فقال: يا اخى ما خلاه يتكلم إلا كونه يأكل من قتة محلولة ولو أنه زرع سنة واحدة طين الفلاحة واخذوا منه الخراج والمغارم ولم يتركوا له شيئًا تأكله أولاده لخرس ولم يقدر على النطق بكلمة ولا قدر على نظم بيت واحد، ثم قال من لم يعذر الفلاحين الآن فحكمه حكم البهائم.

قال: وقد أدركت الناس فى زمن السلطان قايتباى يغضب أحدهم من

اهل بلد فيرحل فتصير اهل البلاد يتقاتلون عليه كل واحد يطلب ان يقيم عنده يقاسمه في زرعــه وبهائمه وماله حتى لا يكاد يجد للغربة طعمًــا فصار اليوم كل فلاح خرج مــن بلده يذوب كما يذوب الملح في الماء ويصــير لا يدافى البلاد لا يجد أحدًا يأويه ثم اذا إرجع بعــد طول الغربة يرجع كلحانًا كالقط الاجــرب لا يجد أحــدًا يسعى في رده إلى وطنه فــلا حول ولا قــوة إلا بالله العلى العظيم، فاعرف يا اخى زمانك فإنه زمان ختام ذوى البيوت والمراتب وقد أشرفت الدنيا محملة وأعمالهم على الآخرة كالمركب التى أشرقت على دخول الساحل فــإن لم ترخ حبالها ورواجــعها تكسَّرت فى البــر وقد مضى زمان السدد وانعكست الأمور.

وصار كل من شرع فى فعل خير يقوم له عدة موانع تمنعه عن فعله كما هو مشاهد، والله غفور رحيم.

اخذ علينا العهود ان لا نزور أحدًا من إخواننا بعيالنا إلا أن كنا نرجع فى الحال من غير بيات وذلك لأن فى زيارتنا بالعيال والأولاد مشقات على أخينا لا تخفى على عاقل لا سيما ان كــانت الزيارة فى ايام الشتاء مع ضيق البيت وقلة الفرش والغطاء ثم ترجع تلك المشقة التى حصلت لأخينا فى استحقاقه المكافأة وإن لم نتكلف تلك المــشقة وندعوه الى بيــتنا صارت له المنة علينا وتحــمل المنن ثقــيل على كل من فى قلــبه نور، واعلــم يا اخى انه لا تليق الزيارة بالعيال والجــمعية فى بيوت الإخوان وطــبخ الملوخية والحلو إلا فى اوقات الســرور وإقبال المكاسب وعدم الهم والكرب وهذه الأمــور قد تودع منها مــا بقيت الدنيا، فــإن خالفت كلامى وزرت بعــيالك وطبخت ملوخــية

وأظهرت السرور فلا تلومن إلا نفسك إذا أعقبك التكدير وضيق الصدر وتراد في الغم على قلبك كما هو مشاهد في الجماعة إذا خرجوا مواضع التنزهات وأكثروا من الضحك والمزاح وغفلوا عن الله تعالى يرجع أحدهم آخر النهار وهو في غاية قبض الخاطر وذلك لأنه فعل شيئًا لا يناسب حال الزمان فالعاقل من اعتبر، والسلام.

اخذ علينا العهود إذا شاورنا فقيرًا في شيء أن لا نزين له الكلام المخفي لما في نفوسنا من الميل عن الفعل أو الترك فان ذلك من اكبر الخيانة لأنفسنا ولذلك الفقير وإنما الواجب علينا لزوم الصدق وإخبار الفقير بما في نفوسنا من الميل وان كان من الشهوات المستقبحة في العرف وذلك ليتضح لنا طريق الصواب على لسان تلك الفقير إذا دهمشنا عليه حصل لنا الدهمشة في جوابه فافهم.

وسمعت سيدي عليًا الخواص يقول: لا تشاور في أمور الدنيا من ليس له وجهة إلى الدنيا كالزهاد والعباد الذين تجردوا عن اسباب الدنيا وبتقدير أنهم يحبوا الدنيا فلا يثبت حبها في قلوبهم زمانين فتدبيرهم ناقص، فقيل له فمن نشاوره؟ فقال شاوروا العارفين الكاملين الذين لهم ذوق في أعمال الدنيا وأعمال الآخرة او شاوروا أبناء الدنيا الذين عرفوها بالتجارب والله تعالى أعلم.

اخذ علينا العهود أن ننهى إخواننا من التجار أن يثبوا على السلع المفرطة كالأسد على الفريسة ويتركوا إخوانهم من المحاويج ينظرون اليها نظرة بحسرة كما يفعله جبابرة التجار ثم بعد هذا الفعل القبيح يهربون بتلك

الفوائد عند حصول رمية او مظلمة على سوقهم ويتركوا الفقراء للمصايب بل كمـا كانوا أول مستـفيد كذلك ينبـغي أن يكونوا أول وازن فى تلك المظالم ومن هرب ولم يفهم شيئًا فلا بد ان يقيض الله تعالى بماله الآفات والعاهات ومن يأخذها منه مصادرة او جحداً فلا يلومن الا نفسه فاعلم ذلك.

اخذ علينا العهود ان لا نمكن أحداً مـن اخواننا يتوكل فى تـخليص مال لمعســر عند معسر او لمـوسر عند معسر بخلاف المال الذى لمعــسر عند موسر فإنه مـعروف وخير وكذلك لا نمكن أحـداً منهم يصير ديونه لمن هو أقدر على التـخليص منه من ظلمة الحكام فـإن كل شىء تخلص على يدهم ممحوق البـركة لا سيما ان كان ذلك المديون مـعسراً لم يأذن الله تعالى لنا فى الأخذ منه، قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾.

وفى الحديث «الصبر على المعسر صدقة».

قال شـيخنا ﷺ: وإنما أمـر الله تعالى صاحب الدين بالصـبر لأنه هو الذى عرض مـاله للسلف لكثرة طمعــه فى الدنيا واستجـلابها بذلك ولو ان الشخص كان يعطى ماله لاخيه بنية الـتفريج عن المعسر والمكروب ويجعل نفع نفسه بعـد ذلك بحكم الشبع لأذاقه الله تعالى حلاوة القـبض عاجلاً من غير تعب ولا مخاصمة كما عجل بالتفريج عن ذلك المكروب.

وكذلك لا نمكــن أحداً من اخواننا ان يدخل فى ضــمان إحـضار إلا إن كان وطّن نفسه على وزن ذلك القدر الذى على المضمون بطيبة نفس فإن لم يوطن نفسه على الوزن فلا ينبغى له ان يضــمن ولو كان أخوه الشقيق وربما هرب المضمون ولم يحضر اذا طلب فيغـرمون الضامن غضبًا عليه كما وقع

ذلك مراراً لكثير من الإخوان وتابوا الى الله تعالى عن ضمان أحد، والله أعلم.

اخذ علينا العهود ان لا ندخل مال التركات على مالنا إلا إن كان لا الحظ والمصلحة للأيتام فى شراء ذلك فنشتريها بقصد النفع لهم لا لأنفسنا بحيث لا يكون هناك رائحة خوف ولا محاباة وهذا أقل ان يوجد فان الغالب من جميع من يحضر التركات مراعاة من يحضر للشراء من الأكابر وأرباب الدولة ومشايخ الاسواق دون اليتيم ومقصود القاضى والقسام وأعوانهم البيع لتلك الأمتعة والكراكيب ولو بأقل الثمن ليأخذوا ما على ذلك من الرسم ويذهبوا الى تركة اخرى لا سيما أيام الفصول.

وقد حضرت مرة عند قاض يقسم تركة أيتام يقول لأحد الشهود ميز حقنا وحق الأيتام، فقال الشاهد الحكاية مقسومة هذا القاضى وهذا للقسام وهذا للشهود وهذا لجماعة رسل الأفندى هذا أمر ما فيه كلام وهذا للأيتام فحررت الذى أخذوه نحو الثلث من مال اليتيم.

فإياك ثم إياك يا اخى.

وكذلك لا نمكنهم أن يبادروا بالشكوى للحكام لمن شرع من المديونين فى أسباب الجحد او المطل بل نأمرهم أن يطولوا روحهم عليه بالحامى والبارد فإن الشكوى للحكام ربما حركت الجحد او أقامت بينة باطلة يشهدون له بانه غلق ما عليه فإذا داريناه واذعن للحق جمعنا عليه اهل الخير ودخلنا نحن واياه فيما حكموا به علينا من تقسيط او مسامحة فإن أبى ولم يسمع لما قاله الحاضرون فاشتكوه عند الحكام فإنه مغلوب لكم فى كل

مجـلس بشرط أن لا يكون فى المـسألة حـيلة باطنة هو مظلوم فـيها ونـامر إخواننا اذا تعـلق عليهم احد فى اسـقاط شىء من فـضلة معاملـة ان يسقطوا ذلك له ولا يتكل على مسـتند براءة بينهم وبينه فإن للحكام فى تلك المـسألة ألف فم فيقلب المسألة ويفتقـها ويغرم الجهتين وبعض الحكام يكون شريكًا للمـدعى والمـدعى عليـه ويخـاصم عن هذا تـارة وعن هذا تارة وله رسل يكشفون له عن خبر من يزيد له من الرشوة او البلص أكثر فيعلمونه به ليكون معه ولهم لغز فى ذلك يعرفونه دون الاخصام لا يطلع عليه إلا الحذاق فإياك يا أخى والركـون إلى حكم الحاكم فـى حكمه لك بالبـاطل وتقول انا مـا أخذت شيئًا إلا بحكم الحاكم فإنك تدخل النار، والسلام.

اخذ علينا العهود ان لا نزيد على احد فى كـراء بيت او حانوت او زرقة او طاحون او معصرة او غيرها فإن ذلك معدود من قبائح الذنوب لما فيه من شـدة الإيذاء إما بتكلف السـاكن ثقل تلك الأجـرة وإما بالخـروج من ذلك البيت او الحانوت لا سـيما إن تربى لذلك الساكن زبونات كثـيرة فإن روحه تكاد تزهق من النكد وحمل الـهم ومن أدخل على إنسان همًا او غمًـا قيض الله تعالى له من يدخل عليه نظير ذلـك بحكم العدل مع ما الفاعل ذلك من المقت والغضب وخراب القلب.

ثم أكثر من يقع فى هذه المصيبة المستخفون من قراء ولا يقع ذلك منهم الا فى حال خصام ويستندون إلى قولهم الزيادة فى الوقف حلال إيهامًا بأنهم قائمون لله عز وجل فى عمارة بيوته.

ولو كان ذلك صحيـحًا منهم لم يتخصص الحكم بمسجـد دون مسجد

فكم من مسجد مهجور والناس يأكلون وقفه لا يتكلم أحد منهم فى مصالح وقفه.

واعلم يا اخى ان ذلك المال الذى يزاد فى الجرة الوقف كله ممحوق البركة لأنه زيادة ضرر لا تدوم وهو مما أُهِلَّ لغير الله به لا سيما والغالب فى الزائد أنه لا يصل إلى عين الوقف منه شيء إنما يأخذه النظار والجباة والمباشرون لا معهم، فإياك يا اخى والزيادة فى كراء ما ذكرنا فإن الله تعالى قد قرن إخراج العبد من وطنه بإخراج روحه من جسده فى شدة الألم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم﴾ الآية، فكل من تسبب فى إخراج أحد من سكنه فجزاؤه جزاء من قتل نفسًا بغير حق، والله غفور رحيم.

اخذ علينا العهود ان لا نقبل الفائدة الكثيرة فوق رأس المال ولو كانت بطيبة نفس من المشترى فكيف بها اذا كانت بغير طيبة نفس او من جاهل بالقيمة فمن فعل ذلك ذهبت البركة من رزقه فان الجن موكلون بأخذ كل ما باعه البشر وإخبار المشترى باطل فيصير الانسان يبيع بالخوف والشطارة ويعد فى الكيس والجن الحاضرون يأخذونه أولا فأولا.

وقد وقع للشيخ فخر الدين إمام جامع الأزهر وكانت الجن تقرأ عليه أن شخصًا من طلبة العلم من الإنس طلب من الشيخ المساعدة فى الزواج فطلب له من بعض الجن فأعطاه كساء فيه مائة دينار فذهب به إلى سوق القماش ليشترى به شيئًا فعرف الكيس تاجر فأخذ الرجل وذهب به إلى الشيخ وراء الجنى فحضر فصار يكلم الشيخ على البيعات الحوف واحدة

واخدة والتاجر يصدقه ويقول والله هذا أمر ما علم به إلا الله فقال الجنى نحن طوائف في مصر موكلون بمن يغش الناس كل جنى له خط يجلس فيه ثم تاب التاجر من ذلك اليوم فمن شك فالتجرب.

فعُلم ان من اراد البركة فالبيع بالفائدة اليسيرة فإنها تربو في الصدقة حتى تكون كالجبل واذا اشترى قطعة مثلاً برخص فالواجب عليه إخبار المشترى برخصها وإلا كان غاشًا للمشترى كما أنه قد غش البائع له تلك القطعة بأخذها منه بدون ثمنها فى ذلك الزمان فليستبرئ لدينه في بيعه وشرائه وليحذر الشخص ان يبيع فى هذا الزمان شيئًا برأس المال ولو لصاحب فإن نصاب للخسارة والبيع ما وضع إلا للفائدة وإلا كانت عبثًا، والله عليم حكيم.

اخذ علينا العهود ان نقبل شيئًا من مال المريدين لأن مال المريدين حرام على الأشياخ عند جمهور المحققين من القوم الا ان كان ذلك المريد يرى نفسه وماله ملكا لشيخه يتصرف فيه كيف شاء وهذا عزيز وجوده، والعلة فى تحريم ذلك كون المريد بإحسانه له إدلال على شيخه وتجرؤ على مجالسته ويصير يشهد له فضلاً على الشيخ فإذا وقع فى ذلك تلف وحرم النفع من شيخه لا سيما ان كان ذلك الشيخ لا قدم له فى الطريق فإن قلبه يفسد كقلب الطاحون فيحرم النفع بالكلية، وخرج بقولنا المريدين جماعة الأشياخ والمحبين الذين لم يدخلوا فى حكم التربية بل يحبونا من بعيد فإن مالهم حلال بشرط إصلاح النية، والله عليم حكيم.

اخذ علينا العهود ان لا نتزوج ولا نحج إلا مع القدرة فإن الله تعالى

يقول ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ فمن دخل فى زواج او حج وليس معه مال ولا بيده حرفة وقال الرزق على الله فلا تسأل ما يجرى عليه وذلك لكونه دخل بهوى نفسه دون أمر الشارع والشارع إنما ضمن السلامة من العطب لمن كان ممتثلا لأمره وتحت حكمه وأما من خرج عن أمره بهواه فهو موكول الى هواه فافهم، وأنشدوا:

قال تكتك لتكتكا

لا تزوج فتهلكا

إنما العرس ساعة

ثم تنغص عمركا

وان تكأكأت ساعة

جعلوا الحبس بيتكا

فإياك يا اخى ان تخالف ما شرطناه لك تقع فى العطب ثم لا يتحيك إلا الهرب وكفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول ثم لا يخفى ان العبد لا يشرع له التوكل على الله عز وجل الا مع مراعاته الأمر الإلهى فمن خرج حاجًا بلا زاد ولا راحلة هلك فى الطريق فهو عاص لا طائع.

وسمعت شيخنا رضي الله عنه يقول انما شرط الشرع الاستطاعة فى الحج هروبًا منن تحمل من الخلق فإن كل لقمة او شربة لمن حج بلا زاد تستغرق اجر حجه لعزة ذلك فى الطريق ومن تزوج وليس له شىء يقوم بعياله جره ذلك إلى الكل بدينه ان كان متعبدًا او طالبًا للعلم فيرائى ضرورة ويحس

أخواله لمن يحسن اليه من الاخوان واشق ما عليه اطلاع من يحسن اليه على نقيصة او عيب وذلك لأنه يخاف أن يقطع عنه بره وإحسانه وان لم يكن من تزوج متعبداً ولا طالب علم جره ذلك الى الأكل بلسانه وسلق الناس الذين لا يبروه بألسنة حداد تارة بالتعريض وتارة بالتصريح حتى يستخرج منهم الشيء رياء وسمعة واتقاء لفحشه ثم يأخذه هو منهم سحتًا وحرامًا فلا يبارك له فيما يأخذ ولا يكادون يؤجرون على ما يعطونه له لعدم تحرير نيتهم فى الغالب فيما يدفعونه إلى مثل هذا فأسس الأرض ثم تزوج وتأسس الأرض إما بحرفة او بقوة يقين بشرط ان تكون المرأة التى تتزوجها قوية اليقين كذلك لتخف عليك يا أخى الحمل. ف

فان المرأة اذا كانت قوية اليقين تصير متوجهة الى الله تعالى فى طلب رزقها لا اليك عكس ضعيفة اليقين وثقل المؤنة إنما تحصل على الرجل من توجه قلوب من يعولهم إليه دون ربهم فكأنهم بذلك يكلفونه ما لا يطيق ولو كان العيال كلهم متوجهين إلى الله وحده لم يحصل للقائم عليهم مشقة أبداً ولو بلغوا ألف نفس.

فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك.

أخذ علينا العهود ان لا نجمع بين امرأتين ولا بين امرأة وجارية إلا لضرورة ترجح على جمع الضرر ككثرة العيال وكثرة الضيوف والواردين فإن الواحدة لا تكفى فى مثل ذلك، كل ذلك خوفًا من عدم العدل قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ الآية، وكلامنا انما هو فى حق من يجمع بهوى نفسه لغير حاجة شرعية.

وقد أنشد سيدى عبد العزيز الديرينى رضي الله عنه :

تزوجت اثنتين لفرط جهلى

وقد حار البلاء زوج اثنتين

فقلت أعيش بينهما خروفا

أنعم بين أكرم نعجتين

فجاء الحال عكس الحال دوما

عذاب دائم ببليتين

لهذه ليلة ولتلك أخرى

نقار دائم فى الليلتين

رضا هذى يحرك سخط هذى

فشأنى دائمًا ذو سخطتين

إذا ما شئت ان تحيا سعيدًا

من الخيرات مملوء اليدين

فعش عزبًا فإن لم تستطعه

فواحدة تكفى العسكرين

وفى الحديث «من تزوج لله كفى ووقى» ومفهومه أن كل من تزوج لهوى نفسه فقط لا يكفى ولا يوقى بل يشتت شمله فى أودية المهالك كما هو مشاهد فإن الرجل يكون عنده المرأة الواحدة وهو مستور ورزق بيته فائض حتى يتزوج أو يتسرى فتقل بركة البيت ويقل رزقه وتنكشف السمكية التى كانت على الزبدية فيجدها فارغة فإن صفاء نية المرأة فى البيت أساس عظيم فى السترة.

وقد كنت كثيراً ما أنظر نفسى أنسج وزوجتى أم عبد الرحمن تدور دولاب المواسير فكنت أعرف أن السترة موجودة وربما كانت تفتح الزلفة وتخرج للفقراء والواردين منها الاشهر واذا فتحتها لا تكفى شهراً واحداً ﵁ فاعلم ذلك، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

أخذ علينا العهود ان لا نشترى الرزق والغيطان والدواليب فى هذا الزمان لكثرة ما أنزل الله على ذلك من البلاء والمغارم ومالكها هو المطالب بها فلا يفى خراجها بغراماتها وذلك لأن كل شىء جر لصاحبه نفعًا كثيراً تحدق إليه الظلمة بأعينهم ويطلبون مزاحمة صاحبه فى نفعه كما هو مشاهد فى تحجيرهم الملح والأطرون.

وقد مضت الدنيا وأهلها ومكاسبها وأخذت فى الطى بعد النشر فمن خالف واشترى فلا يلومن إلا نفسه حين يحتاج إلى التردد إلى الظلمة والحكام والخضوع لمن يحميه من الظلمة واذا طلبوا من البيوت او الرزق للتجاريد أجرة سنة او خراج سنة يقول يا فرح من لأله ملك مع ان كل من اشترى له بستانًا او عمر له ملكًا يركن إلى الإقامة فى الدنيا ضرورة ويكره الموت.

واعلم يا اخى ان من الحكمة الإلهية فى وضع الظلامات والمغارم على أصحاب المكاسب الكثيرة كون الإنسان إذا استغنى طغى وبغى بخلاف المكاسب القليلة.

وتأمل ما يقع لبعض الملوك حين يزاحمه بعض الأمراء على المملكة كيف يمده أهل عصبته من التجار والسوقة وغيرهم ليضادد ذلك المتولى

وينشئ من ذلك الفساد فى العالم فلذلك سنة الملوك تقصيص كل من كان كسبه كثيراً خوفًا من هذه المفسدة، فاعلم ذلك.

أخذ علينا العهود ان لا نصغى لسماع الآلات المطربة وترجيع النغمات المستحسنة من الأحداث والنساء لأن ذلك يسرق النفوس الضعيفة والقلوب اللطيفة ويهيج الشهوة فيرمينا ذلك فى شبر من البلاء ولا ينبغى لضعيف مثلنا ان يتشبه بمن كان يسمع ذلك من الأولياء السابقين كسيدى على بن وفا وسيدى ابى المواهب الشاذلى وغيرهما فإنهم كانوا أقوى حالاً منا وأقمع لشهواتهم بحكم الإرث لرسول الله ﷺ فإنه كان يقبل نساءه ويمص لسان عائشة وهو صائم ويقول: أنا أملككم لأربى فلا تشبهوا بى، ومن ادعى أنه متمكن مثلهم فليمتحن نفسه عند الغضب فهو يملك نفسه عند سماع الآلات، والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود أن لا نمكن إخواننا من الانهماك على الدنيا الزائدة على نفقاتهم ووفاء ديونهم.

ومن علامة الانهماك ان يكثر تراقب أحدهم للرزق ويقعد له كل مرصد واذا وقع له مصيبة يكاد يذوب تحتها ويصير كئيبًا حزينًا متخشعًا وذلك لخراب سره بينه وبين الله.

وكذلك من صفات المنهمك على الدنيا ان يصير على وجهه كآبة ويعلو بشرة وجهه سواد واذا ضحك تكاكأ بتكلف واذا سمع القرآن لا يصغى له واذا أصغى كأنه جماد لا يلين له قلب نسأل الله العافية.

وكذلك لا نمكنهم أن يتكلفوا من مآكل الدنيا وملابسها ومراكبها ما لا

يقدرون على المداومة عليه ومن لم يقنع منهم باليسير طوعًا عن قريب يقنع بها كرهًا كم قد رأينا من تاجر ويزداد من ألون الملابس والأطعمة والمراكب ثم فى لمح البصر صار يسأل الناس او دلالا فى الأسواق.

وكذلك لا نمكنهم من التوسع فى مال الغير فإن كل من توسع فى مال الغير أعقبه الضيق والحبس والخزى في الدنيا والآخرة لا سيما من صرف ذلك فى مأكله التى صارت عذرة فى الأخلية لا يمكن استرجاعها لأربابها.

وكذلك لا نمكنهم من أن يسمحوا لاولادهم وأزواجهم وإمائهم بما فوق الكفاية ولو كان الله تعالى قد وسع عليهم فإن طاعة العيال والعبيد بقدر حاجتهم إلى سيدهم، والله غنى حميد.

أخذ علينا العهود ان لا نأكل من أطعمه الطوافين او الموضوعة على الشوارع فانه ثم من العيون ما هو مسموم وكم من عين تنظر إلى تلك الاطعمة وتتحسر على لقمة او لعقة منها لا تصل إليها والطعام المعيون يورث الأمراض الخطرة في الباطن لعدم استحالته كما وقع لبعض الصحابة أنه دخل دار قوم فرأى برمتهم تفور فأخذ منها قطعة لحم فأكلها فاشتكى سنة كاملة فشكى ذلك لرسول الله ﷺ فامره أن يقيئها فألقاها طرية كما أكلها فبرئ، فإن وجدت يا اخى فى باطنك وجعًا من كل شيء فبادر إلى قيئه تسترح منه وأكثر ما تصيب العين السمك واللبن والمحمرات كالشوى والجبن المقلى فإياك والأكل من ذلك واسأل الله تعالى ان يقيض لهؤلاء السوقة من يأكل طعامهم ولا يؤثر فيه العيون من المتوكلين على الله عز وجل وان كنت منهم فكل وتوكل على الله، والله عليم حكيم.

أخذ علينا العهود ان لا نمكن إخواننا من وقف أملاكهم على الأجانب ويتركوا ذريتهم وقراباتهم وأن لا يتعدوا إلى الأجانب إلا بعد انقراض القرائب وذوى الرحم.

قال ﷺ : «الأقربون أولى بالمعروف».

وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول: لا ينبغى ان يصدر الوقف إلا من مثل الملوك والأمراء وأكابر التجار اصحاب اللكوك من الأموال اما المحترف بنحو الحياكة وصنعة اليد ونحو ذلك فلا ينبغى لاحدهم ان يقف شيئًا على غيره الا بعد عينه لسرعة فقر أحدهم وقلة رأس ماله وكثرة تحون النعم عنه وربما تحولت النعمة عن الواقف منهم فيندم على ما وقف وصار يطلب من مستحقى وقفه ثمن رغيف او خرقة يستر بها عورته أو عورة عياله وأولاده فلا يعطيه المستحقون فلسًا واحدًا ويقولون له أنت صرت أجنبيًا من هذا الوقف لا يحل لك الأكل منه، وكان من المعروف أن يجعلوا الواقف اذا افتقر كأحدهم فى الأكل من وقفه صدقة منهم عليه على زعمهم كما تصدق هو عليهم.

وقولهم للواقف حرام عليك ان تأكل من وقفك باب فى المنع ولولا شحة نفوس المستحقين لما حرم بالإجماع.

وقد رأيت بعينى جماعة من المستحقين انكسر عند الواقف بعض معلوم لهم فطالبوه فقال اصبروا على حتى احصل لكم شيئًا فلم يصبرو واشتكوه لقاضى العسكر فجمع القاضى والشهود.

ورجع عن ذلك الوقف وقال تبت الى الله أنى أوقف شيئًا على فقيه.

واعلم يا اخى ان الوقف فى هذا الزمـان صار كـأنه ملك الظلمـة النظار والمباشرين والجـباة كما هو مشاهد فهـو كحسنة محتفة بسيئات ثم إذا قدر عليك ووقفت شيئًا فإياك ان تقيده بشـروط تشق على المستحقين فربما أخلوا بها فاكلوا حرامًـا على مقتضى شرطك فلا يجيء أجـرك فى نظير ما ارتكبوه من إثم المخـالفة وذلك كـأن تشتـرط أن لا ينام المستـحقـون خارج مكان الحضور مثلاً او تشتـرط ان لا يكون له وظيفتان فى مكانك او ان لا يستنيب فى وظيفة ونحو ذلك وربما عـينت يا اخى الوقف على ذرية او غيرهم وكان هناك من هو أحـوج منهم وربما يكون من تولى النظر على وقـفك أتم نظرًا منك فـيريد يـغيـر أو يبـدل بما هو انفع لك فـى دنياك وآخـرتك فـيمنعـوه المستحقون وتقوم عليه القيامة ويقولون شرط الواقف كنص الشارع.

ففوض يا أخى أمر وقـفك إلى ربك وقل اللهم اجعل وقفى هذا يصرف لأحـوج الناس فى هذا الزمان فـإن الله تعالى يجـيب دعاك ان شـاء، والله سميع عليم.

أخذ علينا العهود ان لا نكثر من التـحجير على الأرقـاء فى عدم تناول شهواتهم المباحة او المكروهة.

فإنهم أقل صبرا وأقل إثمًا من غيرهم لدناءة رتبتهم ولذلك نقص حدهم فى شرب الخمر وغيره عن حـد الحر واذا كنا مع دعوانا الحرية والكمال لا يقدر احـدنا على منع نفسه مـما تشتهى فكيف بـالرقيق مع ذل نفسه وغـربته وبعده عن أمه وأبيه وإخوته وكثرة بيـعه فى السوق من سيد إلى سيد وكل من اشتراه يحكم فيه ويستخدمه من شروق الشمس إلى أن ينام الناس بعد العشاء

لا يرحمه ولا يمكنه أن ينام ساعة من النهار ولو لم يكن لهم إلا تحجير الرق الدائم لكان فيه كفاية لهم فضلاً عن دوام الخدمة فاعذروهم بما تعذرون به نفوسكم فى كثرة نومكم وراحة أبدانكم وعدم صبركم على تناول شهواتكم وليتأمل أحدكم نفسه وهو يطأ النساء وينط على جوار المطبخ ليلاً ونهاراً لا تشبع له نفس ثم بعد ذلك إذا وقع عبده مع جارية يكاد أن يضربه مقارع وكسارات وأن يقتله قتلا وينسى هو نفسه.

وقد وصى رسول الله ﷺ على الأرقاء فى مرض وفاته فكان آخر وصية أوصى أمته بها الصلاة وما ملكت أيمانكم وما زال يكررها حتى غاب عن الحاضرين فمن أراد أن رقيقه يستقيم فليداره بالحسنة والمساعدة فى الخدمة على الحد المشروع ولا يفرط ولا يفرط فإن فى الحديث: الأسود إذا جاع سرق وإذا شبع فسق.

وفى الحديث إخوانكم حولكم فاطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فإن كلفتموهم فأعينوهم ومن لم يلائمكم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله.

وقد رأى رسول الله ﷺ رجلاً راكبًا بغلة وهو يسوقها وعبده يجرى وراءه، فقال رسول الله ﷺ : قطع فؤاد العبد قطع الله فؤاده.

واعلم يا اخى ان حبس العبد شهوته والجارية شهوتها على الدوام من غير وقوعه فى فاحشة لا يكاد يتمالك منه عقل فزوج العبد للجارية فإنه أحفظ لفروجهم ان شاء الله تعالى وأمرهم بالتوبة والاستغفار كلما أذنبوا ولا تهتكهم فى دارك بين عيالك فإنه غاية القبح واحذر من العتق لمن ليس بيده

سبب يقوم به من الارقـاء فإن العتق المذكور تضـييع له وان كان ولا بد من العتق فليكن عن دبر منك او علمه صنعة ثم أعتقه، والله عليم حكيم.

أخذ علينا العـهود أن لا نمكن أحـداً من اخـواننا التـجار ان يتـعـاطى الأسباب القاطعـة لحول الزكاة فراراً من إخراجها فإن ذلك من اكـبر صفات المنافقـين المارقين عن امـتثال امـر الله عز وجل، ومن فعل ذلك اسـتحق تحويل النعم ومحق البركة فى رزقه.

وقد قلت مرة لشـخص من التجار: ما لك لا تخرج زكـاة مالك كلها؟ فقال: نفسى لا تسمح بذلك، فقلت له أين إيمانك بالكتاب والسنة؟ فقال قل لذلك العالم الفلانى فى شىء لم تسمح به العلماء أسمح أنا به فما رأينا قط عالمًا يخـرج زكاته في مصر أبدًا وإذا مات وجـدوا عنده الألف دينار وأكثر، فقلت إحســان الظن بمثل العلماء أنهم لا يبخلوا بحق الله عـز وجل، فقال يخرجونه على من اسأل من الفقـراء والمحاويج يخبروك بأنهم لم ينظروا منه قط نصفًا واحدًا، فقلت له فإذا عصى واحد من الأمة هل يجوز لك أن تتبعه على معصيته وتحتج بفعله وأنت تعلم الحكم من خارج؟ فقال لا، ولكن إذا رأى الواحد منا العـالم يفعل شيئًـا من المخالفات هان عليـه ارتكابا ويقول احدنا لولا ان العالم علم له رخصة فى ذلك مـا فعله، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وقد رأيت بعـضهم كان يقبل الزكـاة وصدقات الخبز من الأوقـاف فلما مات خص واحداً من أولاده الذكـور خمسة عشر ألف دينار ذهبًـا وقد سألته مرة فى ثمن طاقية ليـتيم فلم يعطه ومثل هذا حياته فتنة ومـماته رحمة لكون

التجار والمارقين صاروا يحتجون بمثل أفعاله فى إسقاط حقوق الله عز وجل، فاعلم ذلك.

وكان شيخنا رضي الله عنه يقول: من أراد حفظ ماله من السرقة والحرق والغرق.

والجحد وعدم تسليط الظلمة عليه فليخرج حق الله عز وجل كاملاً لمستحقه.

ثم بعد ذلك لا يمنع سائلاً رغيفًا ولا فلسًا فإنى اضمن له على رسول الله ﷺ حماية ماله من كل نقص فإنه ﷺ يقول: ما نقص مال من صدقة.

وفى رواية حصنوا اموالكم بالزكاة وغير ذلك من الأحاديث فإن ادعى تاجر ان ماله غرق او تلف او جحد مع اخراجه الزكاة التى فى ذلك المال كذبناه تصديقًا لرسول الله ﷺ وكذلك اذا نصب عليه نصاب او جارت عليه الحكام فإن الآفات لا تدخل على مال الا عقوبة لصاحبه حيث منع حق الله عز وجل فتنكر عليه الا في أخذ أمواله وجاه من طريق غريبة لا يكاد يقدر على تحرير نيته في إخراج شيء منه بطيبة نفس وإنما يخرج منه بعقوبة السلطان وضربه وحبسه واحراق ظهره بالنار كما شاهدنا ذلك أيام جور الولاة.

وفى الحديث قالوا: يا رسول الله إنه يكون علينا أمراء فيأخذوا منا الزائد ما علينا ظلمًا أفنحسب ذلك من الزكاة؟ قال لا.

فإياك ان تنسى حق الله تعالى عليك فى مالك زيادة على الفرض مما

جعله الله ذخيرة عندك للسائل والمحروم وفك الأسير وتفريج كرب المكروبين.

سئل رسول الله ﷺ هل فى المال حق سوى الزكاة؟ فقال ﷺ: إعارة الناضح وطرق الفحل ومنح لبن العنز ونحو ذلك.

وسمعت شيخنا ﷺ يقول: زكاة على عين المال وزكاة على نفس المزكى فالأولى مطهرة للروح مما يسوؤها وينقصها فى الدار الآخرة والثانية مطهرة للجسد مما يسوؤه ويوصف بالأمرض والعاهات. انتهى.

واعلم يا اخى ان كل درهم تعطيه للسائل فى هذا الزمان اليابس ارجح فى ميزانك من الف دينار اخرجته من أيام إقبال المكاسب وأوقات الوسع فى الزمان الماضى كما أشار اليه خبر سبق درهم ألف درهم، ولا ترد السائل ولو بلقمة او فلس فإنه أحسن من العدم بيقين.

وقد كانت عائشة ﷺ تعطى السائل اللقمة والحبة من العنب فاعطت سائلاً يوما حبة عنب فردها ومضى فأرسلت خلفه وقالت ويحك أما تقرأ قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ فكم فى هذه الحبة من مثقال ذرة فقال السائل جزاك الله خيراً وأخذ الحبة.

وإياك ان تظن بالسائل عدم الحاجة قياسًا عليك انت فإنه باب فى البخل واعذر كل سائل فى هذا الزمان فإنه معذور فى السؤال فإنه إذا سكت لا يفتقده أحد ولو مات جوعًا وإذا الحال ضاق على أكابر الناس من ذوى البيوت والأموال من قلة المكاسب والأكل من رأس المال فكيف لا يضيق الأمر على من رأس ماله سؤال الناس ثم قليل من يعطيه لقمة أو فلسًا وذلك

لا يساوى ذل نفسه لهم، وقد أنشدنى فى حال هذا الزمان والدى سيدى حضر:

سجدنا للقرود رجاء دنيا

حوتها دوننا أيدى القرود

فما بلت أناملنا بشيء

منحناه سوى ذل السجود

وقد أخبرنى الشيخ الصالح محمد العجمى أنه أنشد تائية سيدى عمر بن الفارض ﷺ من باب زويلة إلى باب الشعرية فحصل له ثلاث جدد فاعلم ذلك وإياك يا اخى ان تحتسب على عيالك ما تنفقه عليهم وتكتبه فى ديوان فإن ذلك يعسر عليك أسباب الرزق إلا أن يكون المال الذى بيدك لغيرك فإن من حسب على عياله ما يأكلونه خاف الفقر وشح على الفقير والمسكين ومن سمح يسمح له، والله أعلم.

أخذ علينا العهود ان نكثر من الإحسان الى ذى الرحم الكاشح والجار والمتعفف عن السؤال حياء لا تكبراً منادى بحر النيل والقيم على أسبلة الدواب وقعاوى الكلاب ومعداوى البحر والسقا والفران والشيخ الكبير الذى يحترف مع العجز ولا يسأل الناس والطواف بالسلعة وعلى رأسه طول النهار مع عجزه وكبر سنه لا سيما إن بارت ولم يشترها أحد فكل هؤلاء اصحاب منافع عامة للخلق لا يقوم على منافعهم جزاء ثم قبيح على من وسع الله عليه بالمائة دينار وأكثر أن يشاحح مثل هؤلاء ويحوجهم إلى مطالبة بعادتهم بل الادب ان يعطوا عادتهم قبل السؤال.

وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يعطى منادي البحر نصف فضة يوم البشارة ونصف فضة يوم الوفاء ويعطيه ما تيسر بين ذلك ﷺ.

أخذ علينا العهود ان نعلم اولادنا الحرف والصنائع إذا بلغوا عشر سنين بعد قراءة ما يمكن من القرآن والعلم مما لا بد لهم منه ومن لم يعلم أولاده ذلك صاروا يأكلون بدنهم إن كان له وجود.

وقد كان الناس فى الزمن الماضى يكرمون حملة القرآن والعلم ويرتبوا لهم المرتبات ويهدوا إليهم الهديات ويفتقدوهم فى المواسم ويقولون لهم اشتغلوا بالقرآن والعلم ونحن نكفيكم ما تحتاجون إليه فصار الفقيه اليوم لا تحصل له اللقمة حتى يذوب قلبه من النصب والحيل فتعلم الحرفة الآن للفقيه من أبرك المصالح ولو كانت دنيئة فهو أولى من التعرض لسؤال الناس بالحال أو المقال ومن أنفث نفسه عن تعلم الصنعة الدنيئة خوفًا من إذلال نفسه قيل له ما تقاسه من الجوع والعرى والحاجة من الناس أقوى ذلاً لنفسك من الحرفة التى تكبرت عليها، فتعلم يا اخى الصنعة فان أحوجك الله اليها كانت وقاية لك من ذل السؤال وان لم تحتج اليها فاشكر الله تعالى الذى فرغك لعبادته وسخر لك عباده.

وكان سيدى على الخواص يقول: لا يكمل الرجل عندنا حتى تكون له صنعة تكف وجهه عن الحاجة الى الناس ويتكرم بما كسبت يمينه من غير تبذير ولا علة وأما من يأخذ من مال هذا ويطعم هذا فله أجر القاسم لا المتصدق. انتهى.

وإياك يا اخى ان تعتمد على مال بيدك أو صنعة دون الله تعالى فإن المال غاد ورايح وأعضاؤك قد يحصل لك والعياذ بالله فـيها خلل فيمنعك الحرفة، كما حكى عن ابى بكر الوراق ﷺ انه قيل له كيف حـالك، فقال بخير بما بقيت لى يداى، فشلتا فى الحال فاستغفر ورجع إلى الله فزال الشلل، وإياك أن تتكل على مـال أبيك او عمـك أو وراثة من أحد من أقـاربك فإن أمـوال الإرث كلها ممحوقة البركة لكونك لم تتعب فى تحصيلها بخلاف ما حصل من كد اليمين وعرق الجبين.

وعلم يا اخى ان من الفقراء من قبض الله تعـالى قلبه عن عمل الصنائع والحرف حتى يكون الموت أهون عنده من حبـس نفسه فى عملها ومنهم من إذا عمل صنعة لا يقسم له الاكل منها لموضع اخـتياره وتدبيره فإن لله تعالى فى ذلك حكمًا وأسرارًا اقل ما هناك ذلك نفس ذلك الفقير بسؤال الناس ولو اغناه عنهم لفسق وتكبر فمثل هؤلاء لا يؤمرون بحرفة.

وكان الشبلى يقـول لمن هو بهذه الصفة: كد اليمـين أن تتوضأ وتصلى ركعـتين ثم تمـد يديك تسأل ربك حـوائجك فذلك هو كـسب يـمينك أنت فلكل حال رجال، والله اعلم.

أخذ علينا العهود ان نتتصـر لولدنا ورقيقـنا ممن آذاه وشوش عليـه وفاء بحقه علينا من حيث كونه رعيتنا وكوننا مسئولين عنه لا من حيث كونه ولدنا فمن انتصر لولده من حيث محبـة الطبع فهو من قسم الأنعام ومن لم ينتصر له ويأخذ له حقة ممن ظلمه كان مسئولاً عنه يوم القيامة والله اعلم.

أخذ علينا العـهود ان نلحّ فى الطلـب على من لنا عليـه دين تخليـصًـا

لذمته وعمـلاً بقول بعض العارفين إنه لا يقام لنا فى الآخـرة حق قصرنا فى طلبه فى دار الدنيا أو تركنا المطالبة به حيّا فإذا طالبنا غريمًا فى الآخرة فربما يقول لنا أنتم المـقصرون فلو طالبـتمونى بحـقكم فى دار الدنيا كنت أوفيـته لكم.

قال سيدى على الخواص ﷺ: وأكمل الطـلب سبعون مرة فمن غلب بعد ذلك فليقل اللهم إنى أشهد أنى طالبت وبالغت فى الطلب والححت فيه جهدى فلا تؤاخذنى بالتقصيـر فمثل هذا يقام له الحق جزمًا فى الآخرة لأنه بالغ فى إقامة الحجة على غريمه وكان الغريم هو المماطل.

وكان سيـدى على الخواص ﷺ يبالغ فى المطالبة ويقـبح على غريمه ولو كان الديـن درهمًا واحدًا، فـقيل له ذلك، فـقال إنمـا أفعل ذلك مـعه لاعلمه بثقل ذلك الدين فى الدنيا والآخرة لئلا يتهاون بحقوق الناس لا محبة للدنيا كما يعلم الله تـعالى وأيضًا فإن ذلك خلاصًا لذمتـه فإغلاظنا عليه من جملة الشفقة عليه وفى ذلك أيضًا حـفظ لمقام عبوديتنا وهو ان لا نتصف بأن لنا حقا على احـد من عباد الله ولا منة على احد جرح مقـام عبوديته وزاحم الحق تعالى فى مـقام المنة على العباد فـتأمل ذلك فإنه نفيـس، والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود ان لا نشكك السلع لمن يوعـدنا بالفائدة الكثيرة ولو برهن فإنه نصاب لا سيما أيام كساد البضايع وغالب الناس الآن يأخذ عمامة هذا يلبسها هذا ويعزم على دخول ويتوسل بالأولياء والعلماء وسياقات الناس على صاحب المال، ومن شك فليجرب، والله عليم حكيم.

أخذ علينا العهود ان لا نمكن إخواننا من السفـر للتجارة فى هذا الزمان ما دام أحدهم يجد فى بلده الرغيف، فمـن سافر وهو يجد الرغيف والخلقة فلا يلومن إلا نفســه فاعلم ذلك وإياك ان تغتر بمن سـافر وربح فى سنة من السنين فإنها مصادفة القدر وهو فيها على خطر وإياك ان تسافر بمال الغير الا ان تكون تعلم يقـينًا من دينه أنه يصدقك فى جـميع ما تدعـيه من الخسـارة والكلف فى تلك السفرة من غير بينة ولا يمين.

واعلم يا اخى انه لا ينبغى لاحد من التجار فى هذا الزمان ان يسفر أحدًا من المتسـفرين بماله لغلبة النصب والجحد والحيل ودعوى الـخسارة على المتسفرين وعلبة تغيير النية من كل من الشخصين فإن كل واحد منهما ناوٍ أن يكون الحظ الأوفر له وهذه النيـة تمحق البركـة من جميع ما سـافر به ذلك الشخص ويصـير المتسفـر يحلف بالله وبالطلاق انه مـا خان ولا نقص من الربح وهو صادق لأن النقص إنمـا جاءه من تغـيير نيتـه ثم إن الغالب على المتسفرين عنـد غاية امرهم الخسارة ودخول الحبوس بعد سـياقات العلماء والصالحين على صاحب المال ويصيـر كل واحد يسليه ماله ويقول ياما راح للناس ثم إن قدر الله على أحد تسفير أحد فلا يسفره بأكثر من عشر ما يَمْلك لئلا يقع فى ذلك المـال آفة فيعود الرجل فـقيرًا بعد أن كـان غنيًا، وكان فى الزمن القديم لا يسفر الرجل بماله إلا أصحاب اللكوك من الأموال الذين ان تلفت السفرة كلها لا يتأثرون لها أمـا مثل صاحب الألف دينار مثلاً اذا أسفر احدًا بالشطر منه فإنه عن قريب ينكسر، ومن شك فليجرب.

أخذ علينا العهود ان لا نشترى من احـد شيئًا ولا نبيـعه له ولا ننسج له

ولا نخيط ولا نطبخ ولا نسافر لتجارة ولا نفعل شيئًا من الحرف النافعة فى هذه الدار إلا بقصد نفع الخلق بالأصالة ونجعل نفع نفوسنا بحكم التبع لا بالقصد الأول.

قال بعضهم: ولا فرق فى الحرف النافعة بين المحمودة والمذمومة فى ظاهر الشرع كالمشاعلى وحيل الوالى فإن هذه مطهرة للخلق مما اكتسبوه من السيئات فى هذه الدار فليحرر المشاعلى ونحوه نيته لله تعالى بقصد تطهير الخلق، والله على كل شىء شهيد.

وكان لى صاحب مشاعلى فكان يقول لمن يريد يعاقبه: يا اخى اثبت فان هذا تطهير لك وهو أهون من دخولك النار وما بينك يا اخى وبين دخول الجنة إلا طلوع روحك فكان يشوق المعاقب الى الجنة حتى تصير كل شعرة منه تحب الموت ﷺ، وإذا قدر أنا فعلنا شيئًا من ذلك بغير نية نفع الخلق لا نتفع به ولا بثمنه وان كان ذلك الفعل من العقود أعدنا العقد ثانيًا بنية نفع الناس كل ذلك لتكون أفعالنا كلها عبادة لا عادة ولتدخل فى ضمان الله عز وجل لنا بالمعونة المشار اليها بقوله ﷺ «والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه» وايش يضر الطباخ مثلاً لو نوى لقيامه للطبخ من نصف الليل نفع عباد الله بذلك الطعام لا نفع نفسه فان نفع نفسه بالثمن حاصل على كل حال ولو لم يقصده، ومن كانت هذه نيته فى حرفه وصنائعه فهو فى عبادة فى جميع ما يتقلب فيه من ذلك وإنما حثينا على النية فى مثل ذلك وان كان نفع الناس منطويًا فى ضمنه بلا شك وإن لم ينو عملاً بقوله ﷺ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» فجعل الشارع كل ما ينويه

العبد سائبًا لا ثواب فيه يقينًا وإن كان فيه رائحة ثواب من حيث كون الناس انتفعوا به ولا تقدر يا اخى على العمل بهذا العهد الا ان كنت زاهدًا فى الدنيا فان الراغب فيها ما همته الا الفلوس ولا يكاتد يفتكر نفع الناس أبدًا فتأمل ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك.

أخذ علينا العهود اذا وفينا لأحد حقه الذى علينا وبالغنا فى الاحتياط جهدنا ألا نرى نفسنا خلصت من تبعته سواء كان مالا او عرضًا وذلك لأن القاعدة أن الميزان لا تقام الا على أرباب الدعاوى للخلاص او غيره من المقامات فإن الدعوى لكمال من الكمالات فيها رائحة الفرار من إقامة حجة الله تعالى عليه بخلاف صاحب الاعتراف بالتقصير فان الله تعالى لا يقيم عليه ميزانًا ان شاء الله تعالى فكل من رأى نفسه مخلصًا اشتبك وكل من رأى نفسه مشبوكًا تخلص.

فاعلم ذلك واحذر ان تسأل من كل من لك عليه دين او له عليك دين ووفيته براءة الذمة فتكون له المنة عليك بذلك بل أعطه حقه كاملاً موفرًا حتى يذهب الشك او اعترف له به إلى وقت القدرة وزده عند الوفاء عن حقه ثم أسقط عنه المنة بعد ذلك لئلا تدخله فى منتك فتسىء فى حقه ولا يقال إسقاط المنة منة أخرى فإن ذلك ليس من مقدور البشر لفتح باب التسلسل إلى غير نهاية، كذلك من الواجب على كل من تخلق بالرحمة على خلق الله اذا اشترى من انسان شيئًا بزيادة على ثمنه فى ذلك الوقت ان لا يعلم البائع بذلك ثم يهبه الثمن ويستوهب منه تلك العين فيخلص ذمته وربما كان البائع فقيرًا وركبته ديون الناس فتكون قد ساعدته وتصدقت عليه من حيث لا

يشعر وهذه من معاملات سيدنا ومولانا الخضر عليه السلام وعلى كل من تبعه على أخلاقه.

ثم اعلم يا اخى أنه ما فى الوجود حق لآدمى إلا وهو مختلط بحق الله عز وجل وحق رسول الله ﷺ وحق سائر من فى الوجود فمن طلب براءة الذمة من صاحب الحق فإنما هو لجهله بما قلنا لأن ذلك الحق الذى طلب الخلاص بالبراءة منه كقطرة من البحر المحيط لما عليه من حقوق الوجود.

واعلم يا اخى ان مشهد كل عارف بالله ان يرى جميع الوجود مملوءاً حقوقًا ويرى نفسه مطالبًا بوفائها كلها ولذلك قالوا يسأل العارف يوم القيامة عن حقوق جميع العباد هل وفاها ام لا، وإيضاح هذا الذى قلناه كما قاله بعضهم إن كل فعل صدر من العبد يفرق جزاؤه على جميع من فى الوجود من إنسان وحيوان فمن عمل صالحا فقد أحسن إلى جميع الوجود ومن عمل سيئًا فقد أساء على جميع الوجود فما يريد من قصر أن يفعل وعمره كله ينفد ولا يقدر على الطواف على أهل بلده ليبروا ذمته من إساءته عليهم فى كل ذنب عمله طول عمره بل لو أراد براءة ذمته من ذنوب يوم واحد ما قدر على الدوران عليهم كلهم لا سيما من مات فإنه تتقذر منه البراءة بيقين.

وقد سمع سيدى على الخواص رجلاً يطلب من آخر براءة الذمة من المجهول على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه فقال أبرأت ذمتك، فقال قل على مذهب الإمام مالك، فقال الشيخ وماذا يفعل معك مالك فى الآخرة حين يحصى على العبد مثاقيل الذر، فعلم ان الواجب على كل عبد ان يملأ قلبه خوفًا ولا يرى انه تخلص فى عمل من الأعمال فانه حينئذ لا يقام ميزان

التدقيق إن شاء الله تعالى إذ الميزان إنما توضع للخلائق ليظهر لهم تقصيرهم في حقوق الله وحقوق العباد وصاحب هذا المشهد قد اعترف بذلك من هذه الدار فأكثر الناس شبائك في الآخرة وتبعات المتورعون في زعمهم والمتوسوسون الذين يرون صحة عبادتهم وأحوالهم ويقولون نحن أكثر الناس احتياطًا، والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود أن نقرض كل من استقرضنا قوت يومه من الفقراء والمحترفين ثم لا نجعل ذلك ديدنًا فندخل الفقير والمحترف في ثقل المنة وإنما يكون القرض له في وقت الاضطرار وذلك انما هو في بعض الأوقات فإن خير الله فائض على عباده في أغلب أوقاتهم وإنما يضيق عليهم في بعض الأوقات تأديبًا لهم فإن العبد اذا اضطر عظم نعمة الله وتلقاها بكلتا يديه واذا وسع الله تعالى عليه استهان بالنعمة وجهل مقدارها فافهم، فلا يقع في الوجود غلاء إلا عند استهانتهم بالقوت ولا يقع لهم سلب نعمة من مال او علم أو صلاح إلا بعد إخلالهم بأدبها.

فعلم انه اذا جاءنا فقير يطلب شيئًا وهو غير مضطر منعناه وأمرناه بالصبر فإنه أقوى في استعداده ولا نرق له كل الرقة فقد أخل في ادعائه مقام الرحمة على العباد فوق رحمة من ابتلاهم فتخطى الطريق المستقيم.

وقد طلب رسول الله ﷺ أن يكون رزقه كفافًا وذلك ليكون العبد دائمًا متوجها الى الله بقلبه محتاجًا إليه لا يوصف بالغنى عنه تعالى في ساعة من ليل أو نهار بخلاف من وسع الله عليه فإن قلبه يكون معرضًا عن ربه في اكثر أوقاته لحجابه بغناه بالأسباب عن مسببها، قال تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ

لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ فافهم، فالحق تعالى أرحم بعباده من والدتهم ومن رحمته بهم عدم تحنين قلوب عباده عليهم بالعطاء والصدقة لأنه لشدة اعتنائه بهم أراد أن لا يكون لأحد من الخلق عليهم منة.

وقد رأيت مرة فى واقعة أن القيامة قامت وجماعات كثيرة من الفقراء واقفون حفاة عراة متجردين من أعمالهم الصالحة وهى عنهم بعيدة كالجبال الرواسى فقلت ما بال هؤلاء؟ فقال لى شخص منهم نحن قوم من الفقراء كنا نقبل من الناس الصدقات نأكلها ونتقوى بها على العبادات، فنادى المنادى ألا إن كل عمل نشأ من لقمة فهو لصاحب تلك اللقمة، فجاء أصحاب اللقم إلى الموقف وهم مفاليس من الأعمال فطلبوا أجر إحسانهم علينا فتحكموا فى أعمالنا ولم يبقوا لنا منها شيئًا، فلا ينبغى لفقير أن يركن إلى إحسان الناس، قال بعضهم إلا إن صار من الموحدين الذين لا يشهدون منعمًا فى الوجود إلا الله وحده، والخلق كالحمير الذين يحملون أهدية إليك فأول ما يشهد النعمة تضيفها الى خالقها لا إلى حاملها فإذا صار كذلك خلص ان شاء الله تعالى من منة المحسنين اليه فى الدنيا والآخرة وفيه نظر، فاعلم ذلك وتدبره والله غنى حميد.

أخذ علينا العهود اذا وسع الله علينا الدنيا ان لا نوسع بها على أنفسنا وعيالنا وإنما نجعل التوسع فى الصرف على الفقراء والمحاويج ولا نزيد نفوسنا على ما كنا عليه قبل الغنى من المأكل والملبس والمركب والمنكح فنأكل الخبز ولو حافًا ونركب الحمار ولو عريًا ونلبس الجبة ولو غليظة وننكح النساء ولو جارية سوداء ونرضى بذلك عن ربنا هذا شأننا ما دام لنا

مع الله اختيـار وتدبير وعلامة ذلك ان نتأسـف على فوات شيء في الوجود ويحصل لنا بفواته بعض ندم فإن من علينا بفناء الاختيار كنا معه على حسب ما يريد بنا من وسع او ضـيق ولكن ميلنا إلى الضيق لا حرج علينـا فيه لأنه هو القدم المحمدى.

ثم اذا قدر علينـا التبسط فى الدنيـا فينبغى لنـا ان لا نخرج فى ذلك عن الوسط.

واعلم انه لا ينبغى لأحـد فى هذا الزمان ان يلبس الأصواف الرفـيعة ولا الجوخ البندقى ولا الشاشات الرفـاع ولا الظهور المحررات ولا أن يأكل فى أوانى الصينى والزجاج الافرنجي هذا فى حق الخـواجا نفسه فكيف اذا لبس عبـيده من ذلـك، وأما الذى يكسـو دابته البـرادع المثـمنة والدبابى الحـمر واللجام والركب المـطلية ويركب على بساط قـيمتـه عشرون ديناراً فـحكمه حكم البهائم بل ثمن كسوة الدابة ما ذكر كـثير على لبس أكبر المباشرين فى هذا الزمان فـضلاً عن أحاد الناس، هذا الـنهى فيمـا اذا وجد ثمن ذلك من كسب حلال لا تبعة فيه فكيف بمن يحصل ذلك من كسب كله غش وحوف وخداع ونصب وحيل مع قلوب مائلة ونفوس كالبة وعقول سالبة فى زمان لا يوجد فيه القوت إلا بمعاينة أسبـاب الموت كما يعرف ذلك جميع أصحاب الصنائع والحرف.

وإياك يا اخى وفعل الأطعمة النفـيسة فى العزومات فإن تحرير النيـة فيها عسر على مثلك وهى ممـا أهل لغير الله به وذلك لا يخلفه الله فى الدنيا ولا يثيب عليه فى الأخرة وغالب من يفعل مثل ذلك الذين يميلون إلى كثرة مدح

الناس لهم ورفعهم على أقرانهم فتدخل رءوسهم الجراب حين يسمعون الصيت بالكرم ثم فى أقل من القليل ينفد جميع ما معهم من المال ويصيرون يشتهون شهوة من شهوات الدنيا ويفر عنهم جميع من كانوا يعطونه وكثير منهم من لا يرجع عن الفشولة بنفاد ما معه من المال بل يصير يقترض بالربا ويطعم على عادته خوفًا ان يقول الناس فلان غلب فإذا طالبه الناس بأموالهم ذهب ففلس نفسه عند القاضى بشهادة هؤلاء الذين كانوا يأكلون طعامه وصارت ديون الناس فى عنقه إلى يوم القيامة ثم بعد ذلك يوضع فى تابوت من نار ثم يلقى فى جهنم كما رآه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء وقال يا جبريل من هذا؟ فقال هذا رجل مات وفى عنقه ديون الناس.

وهذا امر قد كثر فى هذا الزمان حتى تجد غالب أهل السوق عليهم الديون لا يسلم منهم الا القليل ثم يموتون على تلك الحلال كما شاهدنا ذلك فى كثير من المعارف فإياك ثم إياك.

واعلم يا اخى ان من أكبر علامات كونك تطعم الناس وتعزم عليهم رياء وسمعة حرمانك الفقراء والجيران والأقارب وذوى الرحم من ذلك الطعام وثقل إطعامهم على قلبك وتعديهم إلى الأغنياء والأجانب الأباعد من أبناء الدنيا فإن كل لقمة يأكلها الفقير أو القريب لا سيما ان كان محتاجًا تعدل فى ميزانك قناطير مما يأكله أبناء الدنيا بل رأيت من يطبخ وينوع الأطعمة إلى نحو أربعة عشر نوعًا لا يمكن أحدًا من أهل البيت والجوارى اللاتى طبخن من أكل لقمة واحدة مع كونهن ولين حره وعلاجه طول النهار، وإياك أن تصغى إلى من يقول تنوع المطاعم والملابس مباح، وكان سيدى على بن

وفا وسيدى عبد القادر الجيلى وسيدى مدين وغيرهم يلبس أحدهم كل بدلة بخمسمائة دينار وأكثر وكانوا يأكلون الأطعمة الفاخرة فى أوانى الصينى فإنهم كانوا فى زمن يحتمل ذلك مع أنه كان بإذن من ربهم على لسان الهواتف المحفوظة فأين أنت منهم يا غارقًا فى ظلمة نفسه وهواها يا من هو فى حضرة إبليس يا من هو فى زمان صار الحكام يأخذون فيه خراج الأرض البايرة ويأخذون الخراج من الفلاح مضاعفًا حتى يبيع بهائمه وقمحه ووزه ودجاجه ويصير كَلاّ على الناس أو يدخلوه الحبس عن بقية خراج العاطل فى البلد ولا يرحمونه ولو مات هو وأهله واولاده، فاعرف زمانك يا أضل من البهائم والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود ان نصبر تحت جور الحكام ونرضى عن ربنا بما فى يدنا من الدين والدنيا وإن قلّ ولا نطلب الزيادة فربما وقعنا فى كفة الخسران باتساع الدنيا وكثرة تولى الأعمال الصالحة لموضع اختيارنا مع الله تعالى اذ العبد كلما كثرت طاعاته يطرقه العجب والإدلال واستبعد ان مثله لا يؤاخذ فيهلك من حيث لا يشعر بخلاف قليل الأعمال الصالحة فإنه لم يزل خائفًا من الله تعالى واقفا على قدم الاعتراف بالتقصير والرحمة أسرع إلى مثل هذا من السيل إلى منتها.

واعلم يا اخى ان الله تعالى لم يأمرنا بطلب الزيادة من الأعمال الصالحة لعلمه بأنه لا يدخل أحد الجنة بعمله وإنما يدخلها برحمة الله بخلاف العلوم الشرعية فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ بطلب الزيادة منها فى قوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ وذلك لأن الزيادة من العلم تكشف عن حقائق الآداب وغايات

الاعمال وثمراتها فلو ازداد علم من طلب زيادة الأعمال لعلمه أن الله تعالى اعلم بمصالحه عبده من نفسه وأن كل من اعتمد على عمله خسر اعتماده على غير الله وما دعى المحجوبون إلى طلب كثرة الأعمال لاعتمادهم عليها دون الله ولو اعتمدوا عليه لتساوى عندهم كثرة الأعمال وقلتها فتأمل، ولا ينافى ما ذكرناه طلب الانبياء عليهم السلام من الله ان يكونوا من الصالحين فإن الصلاح رتبة توجد بدون الأعمال بتعلقها بالسرائر إذا اعتنى الحق تعالى بعبد بارك له فى قليل المال وفى يسير الدين كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ فافهم وإياك والخوف فى نقص المال الذى بيدك لك او لغيرك فان الخوف لا يرد المقدور لا سيما مع التبذير.

فخذ يا اخى فى الأسباب المخففة عنك بتقليل نفقات زوجاتك التى لا تستحق الواحدة منهن الآن ان تطعمها نخالة الشعير من غير ادم لقلة صبرهن معك على مرارة الدهر وضيق احواله وعدم حفظهن لعهد الأزواج وسمعت سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول: لا يذهب الله عز وجل البركة من يد عبد إلا إن خرق السياج فى الإسراف فى المآكل والملابس لمن لا يستحق ذلك ولم يهتم لما عليه من الديوان فحينئذ يكله الحق تعالى إلى نفسه ويترك امداده بالمعونة فيجد نفسه فى اقل من لمحة على الارض السوداء فمن أراد دوام النعم فليصرفها فى مواضعها المشروعة والله عليم حكيم.

أخذ علينا العهود ان لا نمكن احداً من إخواننا من الاشتغال بفتح الكنوز والمطالب كما عليه طائفة العرجان الذين أعمى الله تعالى قلوبهم عن

مصالح دنياهم وآخرتهم واشغلهم إبليس فى الفارغ الذى يتحدث به ولا يرى.

وقد انهمك على هذا الامر جماعة كثيرة من أهل زماننا حتى بلغوا الغاية فى ضيق الحال وضيعوا ما كان معهم من عروض الدنيا على البخورات والعزائم وأجرة الفحارين وحلاوة النصابين.

وقد حدث أيضًا جماعة أقبح منهم حالاً عجزوا عن فتح المطالب فشرعوا يحفروا قبور الملوك والأمراء ونساءهم وجواريهم ويهتكوا سترهم بعد موتهم حين أخبرهم بعض النصابين أنه وجد تحت أمير ذهبًا مفروشًا نسأل الله العافية، ثم إن كان ولا بد للطماع من طلب فتح المطالب فليقرأ كتاب خواص الحروف المرقومة فى اللوح المحفوظ على الملائكة الموكلين بظهور الأحرف وحفظها، ويقرأ كتاب سر خواص الأزمنة على كاتم سر الشمس والقمر، ويقرأ كتاب خواص العقاقير المناسبة روائحها لأرواح الجان الموكلين بحفظ المطالب على شيخ هذه الطريق إبليس الأمين علي ذلك ويجمع ذلك كله اللوح المحفوظ فإن كل خط وضع على باب مطلب فإنه مفسر فى اللوح المحفوظ فيعرف من ينظر فى اللوح جميع الموانع التى وضعها صاحب ذلك المطلب ويعرف بخورها وعزائمها وما هى متوقفة عليه وليس ذلك إلا لمن حق له قدم الولاية المحمدية ولكن صاحب هذا القدم لا يفتح شيئًا من ذلك لتنزهه عن أوساخ الناس من المسلمين فضلاً عن الكفار والمشركين، فاعلم ذلك يا اخى واقبل نصحى.

وكذلك أخذ علينا العهود ان لا نمكن احدًا من إخواننا من الاستغناء

بعلم جابر المتعلق بالكيمياء ولا يصغي قط لمن يقول بصحته فى هذا الزمان من النصابين.

وقد أخبرنى شيخنا ﷺ بأن الله تعالى رفع صحة العمل بهذا العلم من سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة فمن عمل الآن بما عمله من ذلك لا يصح وانما هو زغل يستحق فاعله الشنق.

وقد أجمع جميع القائلين بصحة عمل الكيمياء على أنها لا تصح قط على يد عبد محب للدنيا لانه من علم الحكمة والحكمة لا تدخل قلبًا يرجح الذهب على الزبل وليس هذا الا للرسل ثم لكل أتباعهم من الأولياء والصالحين والعلماء العاملين.

واعلم يا اخى أن من أكبر الموانع بعد زوال محبة الدنيا من القلب عدم معرفة شروط العمل مأخوذًا عليهم العهود والمواثيق أن لا يذكروا قط فى كتبهم شروطًا كاملة ولا يتكلموا بتدبير كامل أبدًا إنما يحذفون منه مراتب كثيرة ويحيلون من أراد العمل بها على الذوق والكشف.

وأخبرنى اخى أفضل الدين رحمه الله تعالى انه سمع هاتفًا يقول: نحن ولو اقدرناهم الآن على العلم لا نقدرهم على العمل.

وكان رحمه الله تعالى له اليد الطولى فى هذا العلم.

وقد قال لى: وعزة ربى لقد أطلعنى الله عز وجل على أمور فى هذا العلم لو أدركنى جابر تتلمذ لى فيها فإنى وصلت فيه إلى معرفة تدبير أمور وصحتها فى اقل من درجة رمل ولم يصل جابر ولا غيره الى كمال التدبير الا فى نحو الأربعين يومًا ومع طول باعه فى هذا العلم وصحة كشفه مكث

إلى أن مات يضفر الخوص ويأكل منه ولا يعمل شيئًا من هذا العلم فقال له بعض الفقراء الاكابر لا بأس بعمل شيء نوسع به على الفقراء والمحاويج فسمع منه وفعل نحو الالف مثقال أنفقها جميعها فى طريق الحجاز اول سفرة فلما أراد أن يعمل ثانى سفرة قيل له إن فعلت شيئًا أتلفنا بذلك لان هذه ليست لك إنما هذا أمر خاص بمرتبة السلطان فخالف وفعل فتفتح بدنه كله جراحات حتى يدخل الإنسان أصابعه الخمس فيها ولم يزل يخرج منها القيح والصديد إلى أن مات بها ولم ينتفع ببدنه، فاعلم ذلك وخذ حذرك، والله يتولى هداك.

أخذ علينا العهود أن نلبس احسن ما نجد من الثياب إظهارًا لفخامة سيدنا سبحانه وتعالى من حيث أن ضخامة العبد تدل على عظم السيد وعلو شأنه كما ان الغلاسة والوسخ يدلان على حقارة السيد ومن هنا اتخذت الفقراء الصادقون السجادات النفيسة للصلاة فافهم، وكل صادق يغار على سيده ان ينسب الى عبيده نقص وأشق ما على المحبين سماع من يقول على عبد من عبيد سيدهم ما أغلس هذا العبد فإنه كالتوبيخ للسيد اللهم إلا أن يكون مشهود أحدًا من العبيد تحمل أوساخ النسب عن عبيد سيده حين استقرت قسمة الوجود على ذلك وجعل من عبيده النظيف والوسخ فلصاحب هذا المشهد الوسخ والمخرق من الثياب تحملاً عن عبيد سيده وإظهارًا للذل والفاقة فإن الله جعل للذل أقوامًا والله غنى حميد.

أخذ علينا العهود ان لا نقبل صدقة ولا هدية ممن علمنا ان عليه دينًا للناس قد استحق أداؤه ولو درهمًا لان الدين مقدم على الصدقة والهدية لا

سيما إن كان صاحب الدين يطالبه وهو يماطل فإن ذلك حرام كما أشار اليه قوله ﷺ «مطل الغنى ظلم» فأكلنا ممن ذكر معدود من الشبهات فإن الحق تقديم صاحب الدين فإذا أكلنا من مـال هذا المديون فكأنا أكلنا مال صاحب الدين بغير إذنه هذا مع مشاركتنا للمـديون فى الإثم فانا لولا قبلنا صدقته او هديته مـا أثم بمخالفـة الشريعة فنحن المسـاعدون له على المخـالفة، والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود ان ننقص من تعظيم من عـزل من ولايته عن تعظيـمه قبل العزل منهـا سواء كانت تلك دنيوية أو اخروية ومـتى عظمناه بعد العزل لتعظيمه قبل عزله اخطأنا الحكمـة ونقص من مقدارنا بقدر ما رفعناه إليه من غير اسـتحقاق اذ التعظيم حـقيقة انما هو للرتـب لا للذات، قال تعالى فى حق محمد ﷺ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فساوى ذاته بذات أمـته ثم ذكر الرتبة بقوله ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ فافترق عنهم.

فعلم ان التعظيم يزيد وينقص بلبس خلعة الله ونزعها قيامًا بواجب الرتب هكذا أدرج الأنبياء وأتباعهم.

وسمعت شيخنا ﷺ يقول: لا يورث فى القلوب حـقيقة إلا ما قام بها من العلم.

وتأمل: إذا دخل السلطان السوق فى هيـئة العامة ومشى بين رعـيته ولم يعرفـه أحد منهم لا يقـام له وزن فى نفوسـهم وإذا لقيه فى هـذه الحالة من يعرفـه من الوزراء او العلماء قامت بنفـوسـهم عظمتـه وقدره ولـم ينظروا إلى هيئته التى هو عليها الآن لانهم يعرفـونه فى سائر مراتب التنكرات فاثر فيهم

علمهم لا غير فـما احترموه وتأدبوا معه وخضـعوا له إلا لقيام العلم بهم ثم اذا اشتـهر بين الرعـية تعظيم الوزراء والعلمـاء لذلك الشخص قـام عندهم بالتقليـد أنه الملك لعلمهم بأن الوزراء لا يفعلون مثل التـعظيم فى العادة إلا معه وحـينئذ تغض العامة أبصـارهم وتخشع أصواتهم ويوسـعوا له ويبادروا لرؤيته واحترامـه فلولا قيام العلم بهم ما احترموه لأن صورته كـانت مشهودة لهم ولم يحـترمـوها حين كـانوا جاهلـين به وإيضاح ذلك أن كـونه سلطانًا وملكًا ليس عين صورته وإنما هى رتبة نسـبية أعطته التحكم فى العالم الذى هو تحت حكمه وبيعته والله أعلم.

أخذ علينا العهود أن لا نمكن إخواننا الـقاصرين من القـراءة بالأنغام أو الأذان أو التبليغ كذلك ونأمرهم أن يقرءوا ويؤذنوا ويبـلغوا سادجًا لأن مراعاة الأنغام تخرجهم من حضرة القرآن والصلاة فيغرقهم أمر أعظم مما راعوه من تحسين الصوت ومـعلوم أن حضرة الحق تبارك وتعالى الغالب عليهـا الهيئة والوقار والدلال فيها عارض.

وتأمل: لو قال السلطان لإنسان ما حاجـتك؟ فوضع ذلك الإنسان أصبعه فى أذنه وصـاح بجوابه مـراعيًـا للنغمـات عند ذلك من خسـافة عـقل ذلك الإنسـان ومن باب الاستـهـزاء بالسلطان وربمـا ضرب وخـرج من حضـرته فافهم، وإنما قيدنا منع النغم بالقـاصرين ليخرج الكاملون من الأولياء الذين لا يكون البـاعث لهم عـلى النغم إلا الأمـر الإلهى فى نحـو قـوله ﷺ «حسنوا القـرآن بأصواتكم» فـهو فى حال امتثال الأمـر فى غايتـه الموصلة والغنى به لا حجـاب عنده كحال داوود عليه السـلام حين كان يقرأ أمـا غير

الكمل من الأولياء فيحجبون عن شهود حضرة ربهم بمراعات الأنغام ضرورة لا سيما أئمة المساجد وخوفهم من الغلط واللحن والوقوف على غير وقف ومراعاتهم التفخيم والترقيق والإخفا والإقلاب والإظهار والإدغام فلا يكاد أحد منهم يحضر مع الحق فى حال القراءة ولا الصلاة بل نقول لو صح حضورهم مع شهود الحق لخرسوا عن الكلام ولم يستطع أحد منهم النطق فضلاً عن غيره، والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود ان نأمر اخواننا بخرق الناموس ونكون أمامهم فى فعل ذلك وهذه طريقة السلف الصالح ﷺ أجمعين فكانوا يقفون على الحلقية ويمشون حفاة ويأكلون فى الأسواق ويخرجون إلى السوق فى قضاء حوائجهم بلا عمامة ولا ثياب حسنة ويحملون متاعهم من السوق ويحملون طبق الخبز إلى الفرن على رءوسهم ونحو ذلك.

وقد نقل هذا الخلق عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام وابن دقيق العيد وعن الشيخ جلال الدين المحلى شارح المنهاج وعن العارف بالله تعالى سيدى محمد ابن اخت سيدى مدين ﷺ وهو أمر فى غاية الرياضة للنفوس فإن قفص الطبع ما دام صحيحًا لم يكسر فالمانع عن الخير قائم ولو كان على عبادة الثقلين إذ قفص الطبع كالخوذة الفولاذ المكفية على القلب فما دامت مكفية لا يصل الى القلب من أثر العبادات شىء فافهم.

فعلم ان كل من لم يأمر اصحابه بخرق الناموس ولم يختبرهم فقد غشهم وربما تربت عندهم الرياسة والكبر والتشبه بأولاد التجار وغيرهم فى الملابس والمراسم فيفسدوا، ومصداق ذلك أنك تقول لأحدهم احمل هذا

الفـرد التراب الى الكوم او احـمل هذا الطبق إلى الفـرن فـيجـد فى نفسـه استيحاشا حين يراه الناس على تلك الحالة ولو كان راض نفسه وارتاضته لم يقع له استيـحاش وكان ماله كحـال الفقراء الصادقين فـإنهم لا يتكبرون قط على فـعل شىء ممـا يزرى وانما الله تعـالى يسخـر لهم من يخدمـهم ولا يمكنهم من فعل ذلك جزاء على كثرة خدمتهم لربهم فإن من خدم الله خدمه جميع الوجود.

وقد قيض الله تعالى وأنا صغير من تعب فى رياضة نفـسى أكثر مما تعبته فى رياضة الدابة الجموح وكـان اسمه سيدى خضر رحـمه الله تعالى ومات وهو يقول لى: نفسك حية إلى الآن.

واعلم يا اخى ان الرياضـة واجـبة عـليك ولو لم يكن لك شـيخ يربيك فتكون دائما على نفسك لتستريح وتريح الناس من شرك والله واسع عليم.

أخذ علينا العهود ان نأمر إخواننا ان يأخذوا كل كـلام سمعوه من واعظ أو خطيب فى حق نفوسهم دون غيرهم عكس ما عليه غالب الجماعة الذين يحضرون الواعظ فى جامع الأزهر وغيره فإنهم اذا سمعوه يحط على العصاة والظالمين وأعوانهم مـثلاً يخرجون.قائلين أفلح الشيخ اليوم فى الحط على هؤلاء الكلاب وينسـون نفوسهم مع انهـم كذلك عصـوا وظلموا نفـوسهم وغـيرها فـدخلوا بيقـين فى جـملة العصـاة والظلمـة وأقل ما هناك ظلمـهم لإخوانهم وغيرهم بسوء الظن فيهم فيحملون إخوانهم على محامل سيئة ربما لم تخطر لهم على بال وهذا لا يكاد أحد من أمـثالنا يسلم منه، فاعلم ذلك فإنه نفيس.

أخذ علينا العهود ان نكرم كل من بلغنا أنه يـكرهنا وينقصنا بين الأقـران وغيرهم ونداويه بالكلام الحلو والتردد إليه بالبشـاشة والتغافل عما بلغنا عنه مـا أمكن كل ذلك رحـمـة لأخـينا أن ينـقص رأس مـاله بكراهة أحـد من المسلمين لا نفرة من وقوعه فى حقنا بالخصوص فان ذلك من حطول النفس ومن شرط كل عـارف بالله ان يشفق على كل من عصى أمـر الله مطلقًا وإذا قدر انه كره فلا تكون كراهته إلا لله وميزان الصدق فى ذلك ان يتساوى عنده كراهته ذلك الشخص اذا نقصه وكراهته اذا نقص غيره من المسلمين على حد سوى ومتى تأثر ممن نقصه اكثر من تأثيره اذا نقص غيره فكراهته لغير الله.

فعلم ان من رحـمتنا بأخينا اذا نقـصنا وعاب علينا أحوالنا ان نسـد عليه تلك الأبواب بالمهادات بالمآكل والمـلابس وبيان فضله وعلمه وردنا الكلام الناقص اذا بلغنا عنه ونقول حاش لله أن مـثل فلان يقول فى حق مسلم ذلك وان كان القلـب يشهد عندنـا بخلافه فـإنه اذا بلغه عنا ذلك خـجل منا وندم وترك الحط فينا بعد ذلك وأما إذا خطينا نحن الآخرين فيه يزداد الأمر وتعظم الدخيرة فينبغى لنا ان نبلغ كل من نقـصنا بالاحتمال والجواب عنه ولا نتكدر منه ولا نصدق فيه ما قال فيـبلغنا هو فمن هادى من يحط عليه فقد سد باب الشر عنه ورحمه بتقليل الحط ضـرورة ومن ترك مهادته وتركه يقع فى عرضه فعليـه إثم من قدر على زوال منكر ولـم يزله على حد سواء فـما ثم أسـتر للعيب من الـكرم والسخاء أبدًا ويجب على المـريدين اذا نقصـهم احد من اخوانهم ان يرجـعوا على نفوسهم باللوم ويقـولون لها يا نفس ان كنت عند الله ناقصـة فلا ينبـغى لك الغيظ من هذا الشـخص لانه ذكرك بمـا فيك وان

كنت صالحة عند الله فلا تخرجى عن الصلاح بكلام هذا المنكر فتخمد النفس ضرورة عند سماع هذا الكلام وتستريح اليه ومتى أجاب الفقير عن نفسه تعب لا سيما وجميع الأقران إلا من شاء الله لا يستطيعون ان ينظروا إلى من رفعه الله عليهم من أقرانهم بل يتكرون له العيوب من ذات انفسهم ليطفئوا نوره وان شككت فى قولى فجرب ولا يكلموه الا ملقًا، ومصداق ذلك انك تقول لاحدهم لم لا تأخذ عن فلان الطريق مثلاً فيتمعر وجهه ويقول فلان رفيقى فى الطريق وكنت أنا وإياه على شيخ واحد وهذا احسن جواب يقع منه ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ فالله تعالى يستر فضائحنا آمين.

أخذ علينا العهود ان لا نمكن ابليس من البول فى آذاننا بانتفاخنا بما ليس لنا كأن نقول للتلميذ: اذا عرض لك الشيطان فاصرخ باسمنا فانه يرجع عنك كما يقع فيه كثير من المتصوفة وإذا كان الشيطان يصرع الأكابر من الأولياء ويلعب بهم كالكرة فكيف بأمثالنا الذين أضاء لهم مصباح ضعيف ينطفئ من نفخة ناموسة ولكن القول الحق فى ذلك أنك يا اخى إن كنت تعلم عمرى المقام وان الشيطان تحت حكمك وتصريفك فتصرف فيه كيف شئت فلك أن تقول لتلميذك اصرخ باسمى اذا جاءك الشيطان وإلا فالزم الأدب، فإن إبليس عالم بجميع شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبجميع ما استنبطه أممهم من الأحكام فى كل عصر وأوان ويعرف ما تتفق فيه كل شريعة وما تختلف من كل ذلك يا أهل حضرته بالضد من ذلك ولولا علمه بذلك لالتبست عليه طريقه فكان يامر بما أمرت به الشرائع فأين

علمك انت يا من اذا قلنا له اشــرح لنا مخـتصراً واحـداً فى علم من العلوم ولـم يقدر فــما من طريق الى الحق إلا وللشـيطان فيهـا قدم يدعــو منها إلى حضرته ولذلك قال تعالى محذراً النا ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ .

وقد اوضــحنا القول على وقــائع إبليس مع الأنبيــاء والأولياء فى العــهود الكبرى ويكفى فى التنويه بقوة تسليطه كون الحق تعــالى أمرنا أن نستعيذ بالله منه ولـم يكتف تعالى بأن نستعيذ بغـير الله منه لعلمه تعالى بأن الاستعاذة من إبليس بغير الله تــعالى لا تكفى ولو كان الغير من أكــابر الملائكة أو الرسل فافهم، واحذر مــمن جعل الحق تعالى نفسه فى مقــابلته فى القوة ولا تكن من الغافلين عن شــهود ذلك فإن جند جميع الرسل يجىء عــشر جند إبليس وذلك لوسع حضرات الرحمة الإلهية وغلبتــها على حضرات الانتقام فافهم، والله عليم حكيم.

أخذ علينا العهود ان نفرح بكل شــيخ او واعظ برز فى بلدنا وانقلب اليه جمــيع اصحابنا ومــتى تكدرنا من ذلك وضاق صــدرنا فهو دليــل على حبنا للرياسة على عبــاد الله دون محبة الخير للناس لـم نفرق بــين حصول الهداية لهم على يدنا أو يد غـيرنا فع ان شرط الشــيخ ان يشهد مــعيــة الحق تعالى للوجود وأنه الفاعل فيهم بهم ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ ولـم يبلغنا قط عن رســول أنه كره رســولاً ارسل فى زمانه بل ولا بلغنا ذلك قط عن كامل من الأولياء فضلاً عن الرسل.

وقد أجمع الأشياخ على وجوب انقياد الشيخ لمن رآه أرقى منه فى طريق

الله عـز وجل بل أقـول يجب انقـياد الشـيخ لكل من رآه يدعي الدعـاوى العريضة فتتلمذ له ونصيـر نسارقه شيئًا فشيئًا حتى نـقوم بموجبه من حيث لا يشعـر ذلك المدعي بتقويمنا له فـقد علمت أن انقيـادنا للشيخ الذى برز فى زماننا أولى لأنه إن كان فوقنا تعلمنا منه وإن كان دوننا علمناه.

وسمعت شـيخنا ﷺ يقول: كان الحلاج يقول: مـا دعى داع إلى خير إلا وهو غارق فى حظ نفـسه لترجـيحه جانبًـا على جانب وأقل ما يقع فـيه الداعي محبة كثيرة الإشكال فى طريقه دون غيره.

قلت: وهذا الذى قاله الحـلاج فى حق من لم يكمل من الدعاة كـقوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ فافهم فإن ذلك من دقائق العلوم، والله أعلم.

أخذ علينا العهود ان نشهـد افتـقارنا الى الله هو افتـقارنا الى الأسـباب الكونية، فإن افـتقار الخلق إلى الله لا يعقل إلا كذلك والمـراد بقوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ** ﴾ فقرنا للأسبـاب، فإذا سألنا الحق تعالى مثلاً قمحًا أو خبزًا ردنا إلى شونة القمح أو دكان الخباز فما استغنينا حقيقة إلا بالأسباب والحق منزه على ان يستغنى بحقيقته فافهم، فالغنى بالله الذى يشير اليه الطائفة هو أن يعطى الله تعالى عبدًا من عـبيده أمرًا ما يغنيه عن الوقوف على الوسايط دون الله فتكون الوسايط كالقناة التى يجرى فيها الماء فالحقيق بالحمـد من أجرى القناة لا نفس القناة ثم لا يخفى ان فى دعوى الاسـتغناء بالله تعالى دسـيسة فى غاية الدقـة وهى أن النفس بطبعها تحب صـفة الغنى وتزاحم الحق تعالى فى التسمى بتـلك الصفة التى لا تليق إلا به تعالى وإذا

شهدات النفس غناها بالله تعالى زهت عـباد الله وتكبرت وجهلت العالم بل جهلت صفة نفسها اذ الافتـقار لها ذاتي والغنى لها عرضي والعارف لا يغيب عن الأمر الذاتي له بالأمر العرضي دنيا وأخـرى ولا يزال عبداً فقيراً إلى ربه ثم إلى الأسباب في كل نفس، والله عزيز حكيم.

أخذ علينا العهود ان لا نذكر الله تعـالى إلا امتثالاً لأمره لا لقـصد تنزيه ولا أنس بذلك وذلك لأن الحق تعالى له الكمال المطلق فـما ثم فيه نقص لنزهه عنه فمن قال سـبحان الله مثلاً على وجه الـتنزيه فكأنه شهد في الحق تعالى نقصًا ثم نزهه عنه ولا يخفى ما فيه ولعل عدم تنزيه هذا كان أكمل من تنزيهه.

وكان بعض العـارفين يقول: الأنس بالحـق تعالى لا يصح إذ الأنس لا يصح إلا بمن بيننا وبينه مجانسة ولا مجـانسة بيننا وبين الحق تعالى بوجه من الوجوه وجميـع من يدعى الأنس بالحق تعالى من العباد والمجتـهدين انما ذلك أنس بأنفسهم وبنفحات أعمالهم لا بعين الحق ولذلك يذهب أنسهم اذا تركوا عـبادتهم وتهجدهم، ولو كـان ذلك الأنس بالله إذا وقع لا ينقطع أبد الآبدين ودهر الداهرين.

وسمعت شـيخنا ﷺ يقول: الخلوة بالحق تعالى خـاصة بالقطب في كل زمان لا تكون لغيره أبداً فإياك ودعواها.

ثم لا يخفى عليك يا اخى: أن الحق تعالى يقول أنا جليس من ذكرني، ولا يصح المجالسة القلبية لعـبد إلا ويتخلق في كل جلسة بما لا يحصى من الأخلاق الرفيعة فيقال لكل من ادعى مجالسة الحق تعالى في ذكره أى خلق

اكتسبته من مجالسة الحق وأى علم وهبه الحق لك فإن حضرة الكرم والجود لا يرد عليها وارد قط الا ونتحفه، فإن قال لم يتحفنى بشىء، قلنا له إنك لم تجالسه فى شىء.

وقد قيل للجنيد رضي الله عنه بمن استفدت هذه العلوم التى لم نجدها عند أحد غيرك، فقال استفدتها من جلوسى بين يدى الله عز وجل تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة وأومأ إلى درجة فى داره فاعلم ذلك فإنه نفيس.

وكان شيخنا رضي الله عنه يقول: لا ينبغى لعبد أن يترك ذكر الله عز وجل اذا لم يجد فى باطنه طهارة كما عليه بعض المتصوفة لأن الله تعالى يقول ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ فلم يقيد الذكر بحال دون حال.

وكان صلى الله عليه وسلم يقول: الحمد لله على كل حال، وغاب عن هؤلاء أنه ما ذكر الله أحد قط عن غفلة.

وسئل الشبلى رضي الله عنه ما الحكمة فى كون الجنب والحائض ينهيان عن قراءة القرآن دون ذكر الله عز وجل.

فقال رضي الله عنه لأن اسم الجنب لا يمنع أحداً من ذكره ولو صح أن العباد منعوا من ذكر اسم الله لانفطرت أكبادهم، هذا ما عليه المحققون من أهل الله عز وجل، والله واسع عليم.

أخذ علينا العهود ان لا يكون لنا فى هذه الدار راحة لا فى ظاهرنا ولا باطننا اقتداء بالسلف الصالح من كل العارفين.

وقد جهل هذا من قال هنيئًا للعارفين وأين الراحة لهم وهم مسئولون عن حقوق جميع العالم وأين الراحة لهم والحق تعالى يحصى عليهم مثاقيل

الذر لا يسامحهم فى واحدة مما يسامح فيه غيرهم وأين الراحة لهم وهم مكلفون بأن يشهدوا الحق عيانًا والخلق إيمانا ليلاً ونهاراً حتى فى حال جماعهم وبرازهم وأكلهم وشربهم ومرضهم وعجزهم وفقرهم وغير ذلك.

فعلم ان المحجوب فى عذاب والعارف فى عذاب وما تنعم من تنعم فى هذه الدار إلا لغفلته عما جعله الله عليه من الحقوق.

وحكى عن الشيخ محيى الدين بن العربى رضي الله عنه أنه قال: تذاكرت مع الشيخ ابى العباس بن حوذى رضي الله عنه بأمر من الحق تبارك وتعالى فقلت له ما لامر فقال ابو العباس كنت أجهد فى الطلب وأنصب وأبذل الجهد فلما كشف لى علمت بأنى مطلوب فاسترحت من ذلك الكد فقلت له يا اخى رحمك الله ان من كان خيراً منك وأوصل بالحق تعالى قيل له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ وقيل له ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ فأين الراحة يا اخى فى دار التكليف ما فهمت ما قيل لك فى كشفك ولم تدر بماذا أنت مطلوب بما كنت عليه من الاجتهاد والجد فإذا فرغت من مراتب فيه فانصب فى كل أمر يأتيك فى كل نفس فأين الراحة والفراغ، فشكرنى أبو العباس على ذلك ورجع لقولى.

وقد حكى الجنيد رضي الله عنه أنه ختم القرآن وهو محتضر قد مات نصفه الأسفل فقيل له فى هذه الحالة وأنت تتعب وتنصب، فقال ومن أولى منى بذلك وهو ذا تطوى صحيفتى.

فاعلم ذلك.

أخذ علينا العهود ان نسكن تحت جريان الأقدار كائنًا ما كان فإنها من

تقدير ربنا علينا ثم اذا سئلنا تحويلها فليكن ذلك على وجه امتثال الأمر لا على وجه الترجيح قال تعالى معلماً لنا ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾.

وحكى عن إبراهيم بن أدهم انه قال: نمت عن وردى ليلة من الليالى فتكدرت لذلك فعوقبت بالنوم عن الفرائض ثلاثة ايام فضاق صدرى اكثر واكثر، فنوديت فى سرى يا ابراهيم كن عبداً لنا تستريح فإن أنمناك نم وإن أقمناك قم وليس لك فى الوسط شيء، فقال فرضيت بما قدره الحق علىّ فاسترحت وتساوى عندى نومى ويقظتى وطاعتى ومعصيتى لعلمى بأنه تعالى أعلم بمصالحى منى وقد طلبت حال الشباب ان يحفظنى الله تعالى من الوقوع فى المخالفات فنوديت فى سرى ما اخترناه لك أولى مما تختاره لنفسك فاصبر تحت أقدارنا إن كنت عبدنا.

فعلم ان الرضا عن الله تعالى فى تقديره لا يلزم منه ترك الشكوى الى الله تعالى كما ان الشكوى الى الله لا تنافى الرضى عنه فى التقدير.

وقد أوضحنا الكلام فى ذلك فى رسالة الانوار القدسية والله غنى حميد.

أخذ علينا العهود ان نتوكل على الله تعالى فى جميع أمورنا وصورة توكلنا ان نشهد ان الأمور كلها لم تزل موكولة الى الله عز وجل والا فكيف يوكل المالك؛ على ملكه الذى لم يخرج عن ملكه طرفة عين ففى ذلك من سوء الأدب ما لا يخفى لان الموكل هو المالك دون الوكيل فتأمل ثم إنه يقال للمتوكلين فيما ذا وكلتم فيه ربكم ان وكلتم الأمر فيما هو له فالأمر هو له قبل ان نكله اليه وان وكلتم إليه ما رأيتم أنه لكم فليس لكم من الأمر

شيء فإضافة الأمور لكم كإضافة سرج الدابة للدابة وباب الدار للدار ونظير ذلك أيضًا التفويض الى الله تعالى فالواجب علينا ان نشهد الأمر لم يزل مفوضًا إليه تعالى قبلنا ومعنا وبعدنا لعلمنا بأن أفعال الحق تعالى كلها عين الحكمة فلا ينبغي ان تعلل بالحكمة إذ لو عللت افعال الحق بالحكمة لكانت الحكمة موجبة له فيكون الحق تعالى محكومًا عليه وهو محال، فاعلم ذلك. انتهى.

أخذ علينا العهود إذا كشف لنا عن تقدير معصية علينا ولا بد ان لا نبادر لفعلها ولو شهدنا ان وقوعنا فيها كمال فى الوجود فإن من كان كشفه تامًا يشهد الحق تعالى غير راض عنه فى الوقوع فى المعصية لا يشهده راض عنه فيها أبدًا وان كان الله تعالى ما قدر علينا المعاصى إلا ليشهدنا كرمه وحلمه وفضله ولو كان الخلق كلهم مطيعين لم يظهر كمال فضله وحلمه اذ الطائع لا لوم عليه ولا يقام عليه حجة على أنه لا يتصور من مؤمن معصية قط خالصة اذ لا بد ان يشوبها طاعة وهى موافقة الإرادة فمن لم يطع الأمر أطاع الإرادة فالعاصى داخل فى سياج العبودية لم يخرج وإن كانت السعادة منوطة بموافقة الأمر وكثيرًا ما كنت أسمع سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول: من المحال أن يأتى مؤمن معصية توعد الله تعالى عليها بالعقوبة إلا ويعقبه الندم بعدها، وفى الخبر: الندم توبة، ولا يندم أحد على فعل إلا بعد إيمانه بأنه مذموم فهو من الذين ﴿ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ وعسى من الله واجبة الوقوع عند بعضهم فالعمل الصالح إيمان العاصى بأنها معصية والعمل السيئ كونه مكتسبًا لها. انتهى.

وسمعته ﷺ يقول أيضًا من المحال ان يعصى المؤمن على الكشف والشهود فلا بد من حجاب ولو رقيقًا أدناه تزين الوقوع للعبد فى ذلك المقدر بتأويل بخروجه عن كونه مؤاخذًا بمثل ذلك لاتساع الرحمة الإلهية وذلك لئلا يقع فى انتهاك الحرمة فيشتد عذابه ثم إنه بعد الوقوع يظهر الله تعالى له فساد ذلك التأويل الذى أداه الى الوقوع فيندم ويخاف ويستغفر، ويؤيد ذلك حديث «اذا أراد الله تعالى إمضاء قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقولهم حتى إذا أمضى فهم قضاءه وقدره ردها عليهم ليعتبروا» وفى هذا الحديث بشارة عظيمة من عالم بالأمور لأنه فتح باب الرحمة والعفو وعدم المؤاخذة لكل عاص على وجه الأرض لأنه ما عصى قط أمر الله تعالى إلا وهو غير مكلف لزوال عقله فافهم، لكن فى هذه البشارة رائحة الاستدراج فإياك ثم إياك.

وقد بسطنا الكلام على ذلك فى رسالة الأنوار القدسية والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود ان لا نمكن احدًا من إخواننا يهتم بأمر الرزق كل الاهتمام ويجب علينا ان نقدر لهم ان الله تعالى قد قسم لكل عبد رزقًا معينًا لا يزيد بالإقبال ولا ينقص بالإدبار وأنه ليس للمقبل على الدنيا ليلاً ونهارًا إلا ما للمدبر عنها كذلك.

والتحقيق فى ذلك أن الرزق على قسمين: رزق يأتى إلينا ورزق نأتى إليه، فلا يقال السعى أفضل مطلقًا ولا تركه أفضل مطلقًا بل كل قسم مطلوب فى مرتبته فافهم ذلك فانه نفيس ومن آمن بأن رزقه لا يقدر أحد أن

يأخذ منه ذرة لم ير للزهد ولا للورع مقامًا كبيرًا لأن جميع ما تركه الزاهد او المتورع ليس هو له ولو كان له ما صح تركه، والله أعلم.

أخذ علينا العهود ان لا نرى لنا مع الله اختيار لعلمنا بأنه تعالى أعلم بمصالحنا منا ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ وانما جعل العلماء للعبد نوع اختيار خوفًا من أن يمرق من تحت إقامة الحجة عليه ويقول بأى وجه يؤاخذنى الله تعالى وانا لا قدرة لى على فعل شيء إلا إن كان هو المحرك لى كما يقع فيه بعض المارقين، فنقول ايش كنت أنا وهذا كان مكتوبًا على جبينى.

واعلم يا اخى أنه ليس من الاختيار المذموم الاختيار للمأمورات الشرعية فإن ذلك محض الإيمان وكذلك ليس من الاختيار المذموم الاختيار المقارب لنا حال الفعل لأننا لو منعنا من ذلك لتفسخت عزائمنا ولم يكن لنا إقدام على شيء فالاختيار المذموم ما كان بهوى النفس دون الشرع، والله أعلم.

أخذ علينا العهود ان نسلم للنفس ما تدعيه من مقام الرضى والتسليم فانه لا بد فى مقام الرضى والتسليم من نزاع خفى كما يشهد ذلك كل عارف فيجب على كل من ادعت نفسه الكمال فى مقام الرضى والتسليم ان يبحث عن سبب هذا النزاع ويسأل الله تعالى تعطيل صفة النزاع عن الاستعمال فإن كل ما كان جبليًا من أصل الطينة لا يزول كما مر تقريره وإنما تتعطل عن الاستعمال بالعناية الإلهية وإيضاح ما ذكرنا من حصول النزاع الخفى أن الرضا مشتق من راض يروض ومنه رضت الدابة حتى ذلت ومعلوم أنه لا يوصف بالرياضة إلا الجموع والجماح نزاع بلا شك فلولا جماح المهر

الصغير ما راضوه ولولا جهله بما خلق له من الركوب ما أبى وامتنع على صاحبه، وكذلك القول فى مقام التسليم لا يصح إلا مع نزاع خفى وكل من نازع فى شىء لا يمكن زواله فلا بد له من القهر لكنه لا يخفى بقلة النزاع ويظهر بكثرته فينبغى لكل عارف ان لا يغفل عن نفسه طرفة عين فإنه اذا غفل عن نفسه فقد غفل عن ربه واذا غفل عن ربه نازع بباطنه فى كل ما يخالف عرضه فيجيز القهر الإلهى فيقهرهم ثم إن كثر النزاع سمى صاحبه عبد القهار وان قل سمى عبد القاهر.

فعلم ان الحق تعالى لا يتجلى لقلب كامل قط فى اسمه القاهر او القهار إلا فى حال غفلته عن ربه واختياره خلاف ما اختاره تعالى له أما مع شهوده لربه فلا يقع له تجلى فى هذين الاسمين قط.

وبلغنا عن الشيخ محى الدين بن العربى ﵁ انه كان يقول: ما تجلى الحق تعالى لى قط فى اسمه القهار أبدًا وإنما رأيت هذا التجلى فى مرآة غيرى من الخلق وكل مخالفة او منازعة تبدو منى لمن ينازعنى فى أمر إنما هى تعليم له لا نزاع فما ذقت طعم التهد فى نفسى قط وما شهدت تجلى الحق تعالى لى إلا فى رءوف رحيم وكذلك كان يقول سيدى على بن وفا ﵁ ما عرفنا ولا ألفنا سوى الموافات والوصال، والله تعالى أعلم.

أخذ علينا العهود ان نحلم على كل جاهل لقوله تعالى ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ونعنى بالجاهل كل من لا يرجع فى علمه بحكم من الأحكام إلا لما تصوره فى نفسه دون غيره من الناس ولذلك كان المجادل أقل الناس علمًا وأكثرهم شكًا فى أمور دينه لأنه كلما أنكره وجادل فيه لا

يسمى عالمًا فافهم، ومثل هذا لا ينـبغى لأحد منازعته بل يقال له سلام لأنه لا يرجع عـما زين له فى نفـسه لـكن إن رأى العارف عند الجـاهل قبـولاً للترقى ينهـه على طريق الترقى وان لم ير عنده قـبولاً سلم له وأقـره على ما فهمه حتى يريد الله تعالى له الانتقال بتجلى علم آخر والله أعلم.

أخذ علينا العهود ان نخدع لكل من خـادعنا من غير ان نعلم المـخادع اننا انخدعنا له فننخدع له ولا نعلمه اننا انخدعنا له ونتباهل له كما يتباهل من يظن فيه انه أبله وليس بأبله.

وكـان عمـر بن الخطاب ﷺ يقول: مـن خدعنا فى الله انخـدعنا له، يعنى على علم منا بخداعه وهذا لا يقع إلا ممن تمكن من الحكم على نفسه غاية التمكن وهو نظيـر الحلم مع القدرة فإنه اعتبار من الجـانى من غير ان يظهر له انه اغـتبى ومن فعل ما ذكر فـقد وفَّى الصفة التى ظهـر بها المنافق حقهـا إذ من شأن الكمل ان لا يعاملوا الناس الا من حيـث صفاتهم لا من حيث أعيانهم ومن هو كذلك فلا يتصور منه ان يفضح مخادعًا له فى خداعه أبدًا لانصباغه له باللون الـذى أراد المنافق منه ان ينصبغ له به لكن لا يخفى انه يجب الدعاء لهذا المنـافق بظهر الغيب بالحميـة له والتوبة عسى الله ان يتوب عليه من نفاقه فلا يشقى، ومن انصبغ له فقط ولم يدع له كان مؤذيًا له أشد الأذى وفاته مرتبة الكمال.

وفى الحديث إن الله تعـالى يمشى لبعض العـبيد خداعـة لله تعالى يوم القيامة وذلك أنه يدعى أنه عبمل خـيرًا وهو لم يعمله ويصدقه الله على ذلك ثم يدخله الجنة، فتقـول الملائكة الحفظة يا رب إنه كاذب، فيـقول الله عز

وجل قد علمت ذلك ولكن استحييت ان أكذبه بين عبادى وهذا غاية الكرم فما كل خداع مذموم والسلام.

أخذ علينا العهود أن نرجو الإجابة فى كل دعاء وننشرح بعدم الإجابة لشهودنا إذ ربنا تبارك وتعالى اعلم بمصالحنا منا فما منعنا شيئًا إلا لما هو أفضل منه قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ومعنى قوله ﴿عَنِّي﴾ أى عن أسمائى وصفاتى لا عن ذاتى لأن علم الذات ليس مطلوبًا لأحد من العباد ولذلك كان المراد هنا بالقرب قرب الإجابة وسرعتها بقوله تعالى لعبده لبيك عبدى لأقرب المسافة فى كونه أقرب من حبل الوريد وانما قال تعالى ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ولم يكتف بقوله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ لأنه لا يلزم من القرب سماع الدعاء الذى هو كناية عن الإجابة فحصل من إعلامه تعالى لنا بهذا القرب إعلامنا بأنه تعالى يسمع دعاءنا وبالإجابة أنه يجيبنا فلم يترك لنا حجة، وحصل لنا أيضًا العلم بأن الدعاء هو قول العبد يا الله أو يا رب مثلاً وأن الإجابة هى قوله تعالى لبيك عبدى، هذا لا بد منه من الله تعالى فى حق كل سائل، ثم يأتى بعد هذا الدعاء فهو خارج عن الدعاء وقد وقعت الإجابة كما أخبر تعالى عن نفسه فيوصل بعد هذا النداء من حوائجه ما قام فى خاطره بما شاء وإنما لم يعجل الحق تعالى للعبيد فى هذه الدار كلما سأله لغلبة رحمته به فإن العبد جاهل بالعواقب وربما سأل العبد وقوع شىء لا خير له فيه فلو ان الحق تعالى ضمن تعجيل الإجابة فى كل ما سأله العبد لربما هلك العبد وأضر ذلك به دنياه وآخرته من حيث لا يشعر كما وقع لثعلبة

حين سأل رسول الله ﷺ أن يدعو له بكثرة المال، فقال لا يا ثعلبه قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيق القيام بحقه، فعادوه ثانيًا وثالثًا ورسول الله ﷺ يرده، فلما أبى سأل الله له فكان فى ذلك هلاكه وأنزل الله تعالى فى حقه ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾.

فعُلم مما قررناه أن من الأدب أن يسأل الإنسان حاجته من ربه على وجه التفويض إلى الله تعالى من غير ترجيح لجانب على جانب قائلاً فى نفسه أعطنى ذلك ان كان لى فيه خيرة فى الدنيا والآخرة.

قال شيخنا رضي الله عنه: وينبغى أن يكون سؤال الخير مبهمًا لا معينًا وإن عين العبد ولا بد فليسأل ما فيه ملامة الدين ويكون ذلك بالدعاء الوارد فى الشريعة لا بدعاء مخترع فإن الوارد في السنة لا يدخله مكر ولا استدراج وهو مأمون العاقبة ان شاء الله تعالى، ولا يخفى أن الحق تعالى ما أخبرنا بالإجابة إلا ليتحفظ السائل ويراقب ما يسأل فيه إذ لا بد من الإجابة إما فى الدنيا وإما فى الآخرة هذا هو شأن أكرم الأكرمين فلم يرد تعالى سائلاً قط وإنما يؤخر الإجابة فيظن الداعى أنه رده فاعلم ذلك، وتحفظ فيما تسأل وانظر إلى بلعام بن باعورا لما لم يتحفظ فى دعائه على موسى عليه الصلاة والسلام وقومه كيف شقى هو فى نفسه وسلبه الله تعالى علم خاصية تلك الأسما العظام والدعوات التى كان يدعو بها فمن دعا الله تعالى بدعاء لم يرد فى السنة وأراد السلامة من العطب فلا يدع إلا إن أطلعه الله تعالى على

علامـات ما ينبغي الدعاء بـه مما لا ينبغي للتـخلص من أسباب المـقت فإن النفس من شـأنهـا أنها تحب الشـغـوف على أبناء الجنس وتطلب الرياسة عليهم فى الدنيا والآخرة.

ومن هنا كان أكابر الرجال فى كل عصر أخـفياء أبدًا لا يظهر عليهم قط كرامة ولا علامة تدل على مكانتهم وقربهم من الله أبدًا بل لا فرق بينهم وبين العـامة بخـلاف أرباب الأحوال الذين ملكـتهم أحـوالهم فى خرق العـوايد ومحبة الظهـور وكثرة التصريف فى قضاء حـوائج الخلق فإنهم لـم يراعوا ما ذكرناه فلا ينبغى أن يتبعوا عليه ثم إنه لا يفى ما يترتب على ظهورهم من نفع الناس بما فى طـى ذلك من المكر والاستدراج اذ هو فى غـير مـوطنه ظهر ولـم يجب على صاحبه الظهور به.

قال شيخنا رضي الله عنه: وأصعب ما فى التصريف أن صاحبه يذوق طعم نفسه.

وقد أجمع المـحققون على ان من ذاق طعم نفســه لا يفلح أبدًا، فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك.

اخذ علينا العهود أن نشكر الله تعـالى اذا أظهر مسـاوينا وهتكنا فى هذا الوجود لعلمنا أنه ما فـعل ذلك إلا لمصلحة وحكمة بالغـة تدق على أمثالنا فنقلد له فى ذلك ونقول الحـمد لله الذى أطلع الخلق على مساوينا لـيبلغونا ذلك فنأخذ حـذرنا من تلك النقائص ومن شأن البـشر أن كل شىء نقص به بين الناس يتحول بقلبه عن فعله.

واعلم يا اخى أن الحق تعالى لا يهـتك عبدًا قط ما دام ينزجـر باطلاعه على غيب نفــسه فإذا اطلع ولـم ينزجـر أطلع الحق تعالى الناس على عـيوبه

لينزجروا والأصل فى كل عبد المساوئ والمحاسن عارضة وكماله بشهود الجهتين فيه لأنه إن شهد محاسنه فقط خيف عليه العجب وإن شهد المساوئ قط قل شكره فافهم.

وقد قال شخص لسيدى على الخواص إنى أجد فى نفسى قساوة، فقال الحمد لله الذى أظهر لك مساويك وستر عنك محاسنك، فالحمد لله رب العالمين.

اخذ علينا العهود ان لا نخرج قط ريحًا فى المسجد أدبا مع الله عز وجل ومع الملائكة فإن المساجد لا يناسبها شيء من ذلك إنما محل ذلك الحشوش او الخرايب كالبول والغائط سواء وان قدر أننا أخرجنا ريحًا فى مسجد استغفرنا الله تعالى ألف مرة وتصدقنا بما نقدر عليه كفارة لذلك فينبغى للمجاور فى مسجد إذا أراد إخراج ريح أن يكلف خاطره فى دهليز الميضأة ليخرجه فيه والله تعالى ينزل العبد فى حضرته على قدر ما عنده من الأدب، فاعلم ذلك والله أعلم.

اخذ علينا العهود ان لا نشتغل بالرد على كل من آذانا لعلمنا ان النفس بيت كل نقيصة ولولا أنه تجلت تلك النقيصة فى قلب أخينا ما نقصنا بها وما فى أخينا فينا إذ الطينة واحدة فحال أخينا قد غمز على ما خفى علينا فى نفوسنا فافهم، فالواجب على كل عاقل أن يرجع إلى الله تعالى فى بيان الأمور ويتعرف أسبابها منه فيعرف السبب الذى حرك ذلك الشخص بالأذى له فيتوب منه فيرجع المؤذى له ضرورة.

وقد قلت مرة لسيدى على الخواص: إن فلانًا يؤذينى، فقال ارجع عن

أذاه يرجع عنك، فقلت إني لم يقع مني له أذى، فقال هذا محال لا بد للذخيرة ممن يحرك نارها ولو سوء ظنك به في أمر من الأمور، فقلت لا أعلم أني آذيته قط، فقال فتش نفسك، ففتشت فوجدت هناك بواقي اعتراضات عليه فأزلتها فجاء ذلك الشخص من نفسه واعترف بأنه ظالم عليّ وطيب خاطرى وزالت الوقفة، فكل من ادعى الرجوع عن خصمه ولم يرجع خصمه عنه فهو كاذب.

واعلم يا اخى ان السياسة مطلوبة من كل عبد فإذا آذاك انسان فاسع فى مصالحته ولا تقل أنا ما جنيت عليه وما عليّ منه فيتولد من ذلك الحقد فتتعب بعد ذلك في إزالته ولو مسحته أولا فأولا لم يتولد ذلك.

وكان شيخنا ﷺ يقول ليس لمظلوم مطالبة خصمه فى الآخرة الا بعد الدخلة عليه فى دار الدنيا فإذا تدخل عليه وسأل فضله أن يرجع عن أذاه فلم يرجع فهناك تقام عليه الحجة فى الآخرة وأما من لم يتدخل بل سكت ولم يداو من كان يؤذيه فربما يقال له فى الآخرة لو كنت سألتنى أن أرجع عن أذاك فى دار الدنيا لكنت رجعت، هذا ما علمنا ربنا من طريق السياسة، والله عليم حكيم.

اخذ علينا العهود إذا دعينا إلى بيت الوالى والعياذ بالله تعالى لأجل تهمة مثلاً أن نتصدق قبل الذهاب الى الوالى او فى الطريق قبل الدخول إلى بيته لأن رسول الله ﷺ يقول «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة» فإذا كان هذا فى شأن النار الكبرى فنار الدنيا أولى.

وفى الحديث أيضًا «باكروا بالصدقة إن البلاء لا يتخطاها» ثم يقول

احدنا بقلوبنا قبل الدخول لبيت الوالى بتوجه تام يا أصحاب التوبة أنا فى حسبكم وتحت نظركم فلا تهملوا قضيتى فربما كان منهم واحد أو جماعة فى بيت الوالى فيعطفوا علينا الوالى وجميع حاشيته بالرحمة فإذا دخلنا بيت الوالى قلنا بقلبنا سراً اللهم أنت ولينا وناصرنا وربنا ومولانا ونحن عبيدك السوء لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ونتخيل أننا والوالى والأعوان والأخصام بين يدى الله عز وجل وهو ناظر إلينا كلنا ولا نجيب عن أنفسنا بشيء فانه تعالى يقول انا اولى من سكت، وأيضًا فإنه تعالى لولا أراد امتحاننا ما أوقعنا فى التهم فجوابنا عن انفسنا لا يرد البلاء عنا لا سيما والمتهم لا يصدق حتى أن الوالى وأعوانه يصدقون قول جارية مخبلة العقل أن القاضى فلانًا عمل بى فى الموضع الفلانى بمجرد قولها من غير بينة ويقيم القاضى بينته ببراءه فلا تقبل.

وقد سئل الجنيد ﷺ عن دم الحسين ودم الحلاج فقيل له ما الحكمة فى أن دم الحلاج لما وقع على الأرض كتب الله الله دون دم الحسين بن على ﷺ.

فقال الجنيد ﷺ المتهم يحتاج إلى تزكية وذلك أن الحلاج قتل بتهمة فى دينه فكان ما كتب من دمه براءة له مما نسب إليه من الزندقة بخلاف الحسين بن على ﷺ، فاعلم ذلك.

اخذ علينا العهود ان نسبغ الوضوء فى المكاره عملاً بترغيب رسول الله ﷺ لنا فى ذلك وهو رحمة بنا فى صورة مشقة فإنه ﷺ رغبنا فى إسباغ الوضوء فى شدة البرد إلا لتلازم ذلك ويصير عادة لنا إلى زمن الصيف

فنستحضر تلك الحالة ونخرج عنها إذا وجدنا من استعمال الماء لذة في أعضائنا لنتميز حق الله من حظ نفوسنا إذ النفس ربما يخفى عليها مثل ذلك فنبالغ فى إسباغ الوضوء فى الصيف بقصد التلذذ ببرودة الماء بقصد اتباع السنة وما تخلف من تخلف إلا باتباعه حظ نفسه فإن ادعت النفس فى الصيف أن تلذذها بالماء انما هو بامتثال امر الشارع لها بالإسباغ قلنا لهما فلم لم تتلذذى بذلك فى الشتاء فيتبين لها كذبها.

قال شيخنا ﷺ: ويمكن العارف أن يعطى النفس حظها من التلذذ مع مراعاة حظ الحق تعالى وكذلك كما غلبته نفسه في هذه المسألة على محبة استعمال الماء للتلذذ في الصيف فينوى بذلك زوال ألم النفس مما أصابها من شدة الحر فيكون مأجوراً بذلك لأنه تصدق على نفسه بدفع المضار عنها، والله غفور رحيم والله اعلم.

اخذ علينا العهود أن لا ننام قط على غير وتر كما درج عليه الأكابر فما ناموا قط إلا على وتر طلبًا لمحبة الله عز وجل لهم فإنه تعالى وتر ويحب الوتر فكل من نام على وتر نام على عمل محبوب عند الله عز وجل فإذا أخذ الله بروحه فى تلك النومة حشر فى زمرة من أحبهم الله عز وجل ولا فرق فى الوتر قبل النوم بين الشتاء والصيف لأن العلة إنما هى خوف أن يأخذ الله روحه فى تلك النومة لا خوف فوات الوتر بطلوع الفجر فافهم، ومن هذا قررناه أمرنا الشارع بالاكتحال وتراً فى كل عين ثلاثة من حيث ان كل عين عضو مستقل وأمرنا أيضًا بأن لا ننزع يدنا عن الأكل إلا عن وتر من اللقم وكذلك الماء اذا حسوناه بيدنا كما رواه البزار وأمرنا أيضًا اذا اخذنا

الفواق ان نشرب من المـاء سبع مرات ينقطع الفواق وأمرنا أن نعـيد الكلمة ثلاثًا إذا تكلمنا وغـير ذلك كل ذلك عـملاً بقـوله «إن الله وتر يحب الوتر» والله غنى حميد.

اخذ علينا العهود ان لا نستبـعد رحمة الله عـز وجل على أحد من خلق الله لأنهم عبيده.

فأما الكافر فيرحمه بأن يسلم.

وأما العاصى فيسامحه فإن رحمة الله وسعت كل شيء.

وقد سمعت سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول: ثم من الظلمة والمارقين من لا يمـسى كل ليلة ولا يصبح إلا مغفـوراً له بامور تقع منه ولا يلقى لها بالاً ولولا ذلك لمحق الله العصاة بأسرهم فـما من معصية تقع من مؤمن إلا ويجنبها طاعة تقع منه كما يشهد ذلك أرباب البصائر.

وحكى أن جباراً من ملوك بنى اسرائيل مر فى عسكره بكلب أجرب يرعد فى يوم بارد فأمر بالكلب أن يدفى بالنار وأن يطعم ويسـقى ويدهن ففعلوا به ذلك، ثم مات الجبار بعد ثلاثة أيام فجاء إلى جماعات من الناس فى المنام وأخبرهم ان الله تعالى غفر له جمـيع ذنوبه بإحسانه إلى ذلك فتعجب الناس من ذلك.

وكان فى بلد سيدى أحمد بن الرفـاعى كلب أجرب ابرص فأخرجه أهل البلد فـبلغ ذلك سيدى احـمد فـخرج الى البـرية وضرب عليه مـظلة وصار يطعمه ويسقيه ويدهنه الى ان برئ وغسله بالماء الحار ودخل به البلد فقيل له وتعتنى بهذا الكلب هذا الاعتناء فـقال ومن أولى منى بذلك فى البلد والجار

محسوب على الجار ولعل الحق تعالى يقول لأهل أم عبيدة حين أخرجوه أما كان منكم أحد يكرمه لأجلي ﷺ.

اخذ علينا العهود ان ندور مع اهل زماننا كما يدورون ولا نجمد على حال الزمان الماضي فإن الأمور كلها قد انعكست الى وراء كما هو مشاهد عند أرباب البصائر حتى صار الناس يقولون اتق شر من تحسن إليه، وصاروا يقولون خير ما تعمل شر ما تلقى، وصاروا يقولون لا تعمل خيراً فينقلب عليك شراً، والحكمة في ذلك عدم ارتباط النيات بالحق تعالى فصار الناس لا يقصدون بالإحسان إلا وجوه الخلق وكل الخلق مفاليس فيطلب المحسن جزاء إحسانه ممن أحسن إليه فيجده عاجزاً فإذا ألحّ عليه في طلب المجازاة مرق فيه وجحد إحسانه وبره كما يفعل المفاليس في الحقوق الظاهرة ولو أنهم كانوا قصدوا بإحسانهم إلى الخلق وجه الله لوقع أجرهم على الله عز وجل على إحسانهم وهذا أمر قد تودع منه ما بقيت الدنيا ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، فالعارف من عرف أحوال زمانه لا يقال اعمل خيراً وما عليك من كونهم يستحقون أو لا يستحقون فإن هذا كلام من هو غافل عن علامات الساعة.

وقد رأيت الشيخ عصفير المجذوب وكان من أرباب البصائر كلما يرى خادمه ملأ حوض البهائم يفتح سدته فيسيل في الطريق ويقول للخادم يا أعمى القلب هذا زمان ما بقي فيه أحد يستحق أن يعمل معه خير فكان غالب الناس يسخر به وكان الفقراء يعتبرون بكلامه لأنه على لسان حال الزمان.

ثم تأمل يا أخي لما كان اهل هذا الزمان لا يستحقون فعل الخيرات

معهم كيف قامت دونهم الموانع فى وصولهم إلى أرزاقهم وكيف استولت الظلمة على الأوقاف وعطلت خراج الرزق المرصودة على شعائر الدين وأسبلة البهائم وغيرها وأخذت الأمور كلها فى الطى بعد النشر وقد وقف الأوائل أوقافًا لمن ينكسر منه صحن أو زبديه من الجوارى او الصغار وأوقافًا لمن يسرق منه نعل او قبقاب في الجامع وأوقافًا على زيت الفقراء وصابونهم ونعلهم وطحينهم وخبيزهم وحكيمهم ومزينهم وغير ذلك، فبالله عليك تقدر الآن على أحد أن يعمل أمثال ذلك من أهل مصر كلها وأقل الموانع عن فعل الخيرات أن من أحسنت اليه طول عمرك لا يحمل منك الآن كلمة جفاء بل يصير يمزق عرضك فى الآفاق ولا يتذكر قط حسنة ولا لقمة فإذا عرضوا عليك بعد ذلك شخصا لتحسن إليه كالأول لا تجد عندك داعية لما قاسيت من الأول.

وفى الحديث «إن الله يحول نعمه حين تكفر» فكيف بالعبيد مع ضيقهم وضعفهم.

اذا علمت ذلك فيحتاج الانسان فى هذا الزمان إلى قلة الحياء فى مواطن كثيرة ويكون ذلك أرجح وأصلح من الحياء والحشمة.

وقد كان الامام الشافعى ﷺ يقول: يحتاج من كثر حياؤه أن يجعل له سفيهًا يسافه عنه فاذا كان هذا فى زمانه ﷺ فكيف بهذا الزمان الذى صار أطفاله لا يوقرون كبيراً ولا كهوله يرحمون فقيراً ولا ولاته يعتقدون صالحًا ولا ظلمته يقول لهم مظلوم انا من جهة الله عز وجل او من جهة رسول الله ﷺ فيوقرونه أو يكرمونه وإذا ارتفعت الرحمة من الخلق تقطع البلاء ونزل

عليهم لا يمنعه عنهم مانع ثم ينزل على شاكلة ما يصعد منهم من الأعمال ظلمة ونوراً فكلما كانت الأعمال كالدخان كلما نزل البلاء أشد نسأل الله اللطف فإن هذا زمان قد فسدت فيه الأحوال وتغير فيه المراسم وتبدلت فيه الأعمال بالأقوال وعم فى كل شىء حتى الدين المحمدى نزل عليه القانون فلم يستطع الدين أن يدفع ذلك عن نفسه.

فكن يا اخى مشاكلاً للناس فى أحوالهم وتلون لهم كما تلونوا لك فان ظهروا لك بمظهر الذئاب فكن ذئبا وان ظهروا بمظهر السباع فكن سبعًا وان ظهروا بمظهر الثعالب فكن ثعلبًا وان نصبوا عليك فانصب عليهم حتى تصل الى حقك.

وهكذا وانو يا اخى بذلك كله تصديق رسول الله ﷺ فيما أخبر بوقوعه بين يدى الساعة فإن أثمت من جهة عصيانك أجرت من جهة إيمانك فتكون من الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا إن شاء الله تعالى.

وعليك يا أخى بالاستغفار جهدك ليلاً ونهاراً فان العمر ما بقى يحتمل غير ذلك بل لو جلست بقية عمرك كله تستغفر عما مضى من الذنوب ما جبرت خلل الماضى السابق فضلاً عن اللاحق وإياك ان تزن على الناس أحوالهم بميزان يوم مضى فإنك تظلمهم فكيف إذا وزنتهم بميزان الصحابة والتابعين بل سمعت بعض الفقراء يقول لو قد أن يكون السلف الصالح تأخروا إلى هذا الزمان لوقعوا فيما وقعنا فيه تصديقًا لرسول الله ﷺ وكذلك قررنا غير ما مر انه لا ينبغى لنا ان نطلب من إخواننا فى هذا الزمان صفا فى وقت من الأوقات لعلمنا بأننا خلقنا من ماء وطين والماء والطين اذا

حرك وراق نحو ثلاثين مرة وأكثر كيف يكون حاله إذا كشط رايقه فنحن عكارة جميع من سلف فى سائر الأدوار الإسلامية وكلما حركنا لا تزداد إلا كدرًا وما بقى هنالك شىء من الماء الصافى حتى يقطف منا فافهم.

ومن هنا كان أولاد أكابر الأولياء الغالب عليهم عدم التوفيق لأنهم عكارة ظهور آبائهم الطاهرين وكلما تصفى الظهور من الكدر كان الولد أفسق فهو سيئة من سيئات والده التى نزلت من ظهره فأصلح الناس كما ترى من كان من أولاد الأجلاف من العوام والفلاحين الذين لم يتصفوا من الأكدار ولا عملوا على رياضة نفوسهم وإن أتى لنا صالح من أولاد الصالحين فهو على خلاف القواعد، والله غفور رحيم.

اخذ علينا العهود ان لا نمكن إخواننا من غلبة الاستناد علينا دون الله فإننا لا نغنى عنهم من الله شيئًا بل ولا نغنى عن أنفسنا فضلاً عن غيرنا وكيف ينبغى لنا ان ندعى اننا نغنى عن اخواننا من الله شيئًا ورسول الله ﷺ يقول لفاطمة رضي الله عنها: يا فاطمة انقذى نفسك من النار فإنى لا أغنى عنك من الله شيئًا.

وقد رأى اخى سيدى افضل الدين رحمه الله تعالى انه حامل نصف جسمه وسيدى على الخواص حامل نصفه الثانى فلما قصها عليه قال الشيخ لا يكمل الرجل الا ان حمل جسمه كله عن شيخه وغيره فإياك يا ولدى وتحمل المنن. انتهى.

وحكى لى أخى المذكور رضي الله عنه أنه حصل له مرة حادث عظيم كادت روحه تزهق منه وكان ذلك تأديبًا من النقباء الموكلين بقيام الميزان على

أرباب الأحوال وعلى كل من دخل فى دائرة الفقراء فلما جاء لسيدى على الخواص يستنصر به قال له قدر موتى وافعل ما كنت فاعلاً وولى عنه بباطنه ولم يساعده.

وكان ﷺ اذا رأى بعض الفقراء يتحمل عن احدهما يزجره ويقول دع الناس يتعودون حمل الشدائد ومصائب الزمان ولا تساعد أحداً منهم يتلف ويضعف استعداده عن تحمل البلاء الآتى فان الجاى أكثر من الرايح.

قال اخى افضل الدين: فقال يا ولدى لا تقبض فى هذا الزمان سوى الإيمان فإنه أساس دينك الذى تبنى عليه ما شئت ولا تلتفت إلى شيء سواه تقع فى كفة النقصان ولأن يأتى العبد ربه فقيراً من جميع العلوم والأعمال ومعه الإيمان فقط أحب من أن يأتى الى ربه بعلوم الأولين والآخرين وأعمالهم وفى إيمانه ثلمة ونقص.

قلت: وقد حدث لى حادث عظيم فى شهر الله المحرم افتتاح سنة ستة وأربعين وتسعمائة حتى كدت ان اهلك وكان ذلك من هؤلاء النقباء الذين قدمنا ذكرهم فتوسلت بكل ولى فلم يجبنى أحد منهم سوى سيدى الشيخ شعبان المجذوب بمصر المحروسة فجزاه الله تعالى عنى خيراً ونفعنا والمسلمين ببركته آمين اللهم آمين.

اخذ علينا العهود ان نسأل الله عز وجل ان لا يستجيب لنا دعاء قط فى احد من هذه الامة فى حال غضب ولا غيره سواء أكان الدعاء على ذلك العبد بحق أو ظلم او يكون هذا السؤال فى حال صفاء وقت مع الله عز وجل ليكون أبلغ فى الإجابة والله تعالى اولى من وفى بالعهود فيفعل لنا

ذلك عند شيطان غضبنا على ولد أو زوجة او صاحب او خادم او غيرهم فلا يستجيب لنا دعاءنا عليهم.

وقد كان ﷺ يدعو كثيراً على كـفار قريش فلما أنزل الله تعالى عليه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ ترك الدعاء عليهم وصار يدعو لهم بالهداية وكان بعد ذلك اذا سئل ان يدعو على احد عدل عن الدعاء عليه ودعا له.

وكان ﷺ يقول اللهم إنى بشـر أغضب كما يغضـب البشر اللهم من سببتـه أو شتمته فاجعل ذلك كفـارة وظهورا له، فاعلم ذلك وإياك أن تدعو على أحد مـن أولادك أو غيرهم فـيستجيب الله تـعالى ذلك الدعاء عـليهم فيعسر عليك فتدعو لـهم ان يرد الله تعالى ذلك البلاء عنهم فلا يستجيب لك وانت كنت الجـانى ولو سبق منك السـؤال الى الله فى انه لا يستـجيب لك دعاء على احد لاسترحت من هذه الورطة، والله غفور رحيم.

اخذ علينا العهود ان نصغر الخبز عملاً بما كان عليه أهل بيت رسول الله ﷺ وكانت عائشـة رضي الله عنها تقول أصغروا قرصكم يبارك الله لكم فـيه ويقوم الرغيف الصغير مقام الكبـير فى الشبع يعنى والله اعلم أن اسمه رغيف سواء كبر أو صغر وأما تصغيره جداً كمـا يفعل بخبز سيدى احمد البدوى وسيدى ابراهيم المتبولى وغيرهمـا فلم يبلغنا فى ذلك شىء ولكن قد أخبرنى سيدى على الخواص ان سـيدى ابراهيم المـتبولى كـان يجتـمع برسول الله ﷺ يقظة ويشـاوره عن جميع أمـوره وكان يقول ليس لـى شيخ غيـر رسول الله ﷺ، فالظاهر أن رسـول الله ﷺ أشار عليه بـذلك، وكذلك نقل عن سيـدى عبد العـال انه كبر الخبـز يوماً فنهاه سـيدى احمـد عن ذلك وأمره

بتصغيره على هذا الحد الذى هو عليه اليوم ولعل السر فى التصغير بيان عزته وتعظيمه فانه نظام الوجود ولذلك اختاروا له الشكل الكروى الذى هو أفضل الأشكال، وقد نظم الشيخ محيى الدين بن العربى فى شرف الرغيف أبياتًا:

اذا عاينت ذا سير حثيث
فذاك السير فى طلب الرغيف
لأن الله صيره حجابًا
على اسميه المهيمن واللطيف
به وله تجارات الذرارى
وأرواح اللطائف والكثيف
وتسخير العناصر والبرايا
وتكوين المعادن فى الكهوف
وتسير المشققة الجوارى
لموج البحر والريح العسيف
وقطع مهامه فيح تبادى
بها الأنعام بالسير العنيف
فمن شرف الرغيف بمن ربى
عليه للوضيع وللشريف
يضج الخلق ان عدموه وقتًا
عن إذن الواحد البر الرءوف

له صلوا وصاموا واستباحوا

دم الكفار والبر العفيف

له تسعى الطيور مع المواشى

له يسعى القوى مع الضعيف

فمن ساع له من غير شك

وللسبب الثقيل أو الخفيف

هو المعنى ونحن اذا نظرنا

به عند التفكر كالحروف

هو الجود الذى ما فيه شك

فيا شوقى لذى الجود الظريف

فديتك من رغيف فيه سر

جلى بالتليد وبالظريف

فقل للمنكرين صحيح قولى

لقد غبتم عن المعنى الظريف

اليس الله صيره عديلا

لرؤيته على رغم الأنوف

يعنى فى حديث «للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه» فتأمل ذلك وتدبره والله يتولى هداك.

اخذ علينا العهود اذا أكلنا او شربنا ان نتذكر بقلوبنا تنزيه الحق تعالى عن مثل ذلك فمن واظب على تذكر ذلك اثمر له التواضع مع الخلق

أجمعين واذا اكلنا ان نصمت مراقبة لله تعالى فاننا على سماطه وهو يرى ولا نتحدث بشيء إلا إن كان شكراً لله تعالى او تأنسيًا لضيف ولا نلهوا ولا نلعب ولا نمزح فمن واظب على ذلك أثمر له شبع النفس وعدم شرهها ونهمتها فى الطعام المثير للشهوات وارتكاب المحرمات وإذا فرغنا من الأكل ان نصلى ركعتين شكراً لكن لا نواظب عليها كما نواظب على السنة المحمدية أدبًا مع رسول الله ﷺ.

وقد كان سيدى الشيخ ابو مدين وجماعته يصلون هاتين الركعتين من غير فاتحة ويقرءون من الاولى ﴿لإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ وفى الثانية الإخلاص والله أعلم.

اخذ علينا العهود فى هذا الزمان إذا أكلنا طعامًا او لبسنا ثوبا ان نقول اللهم ان كان فى ذلك شبهة فلا تدعه يقيم فى بطوننا او علينا من فضلك وكرمك فاننا جاهلين بما فى ذلك من الخبث، فإذا قلنا ذلك فقد سلمنا قيادنا الى الحق فإما يمن علينا بتقى ذلك الطعام وإما يفارقنا ذلك الثوب بعد ان مكث عندنا بقدر ما فيه من الحل كما جربنا ذلك، والله عليم حكيم.

أخذ علينا العهود ان ندعو لإخواننا بظهر الغيب كلما وجدنا فى قلبنا رقة وذلاً وانكسارًا.

قال شيخنا رضي الله عنه وينبغى ان يكون الدعاء للإخوان من غير تعيين أسمائهم فان الله تعالى يعلمهم ويعلم أسماءهم وما يستحق كل واحد منهم مع أننا عاجزون عن استيفائهم بلا شك وليكن اكثر دعائنا لأنفسنا ولإخواننا باللطف وباسمه اللطيف وأخواته كالمعين والمساعد والمقيت ونحو ذلك فإن

الأسمـاء الإلهية قد اسـتدارت حضـراتها إلى الغروب لنفـاد سلطان المحل الذى كان حكمـها فيـه ولم يبق سلطان الاسم الإلهى الآن أقوى من اسـمه تعالى اللطيف وقد تزحزح باب الدعاء للغلق الذى هو باب الرحمة وما بقى فى الأرض من الرحمة العامة فيما نعلم أعظم من الموت على الإسلام فهذا هو الذى بقى يطلب فى هذا الزمـان وأما طلب المـراتب العاليـة فى الدين فصار فى غاية العسر لخبث باطننا وكثـرة أحوالنا المائلة عن الاستقامة وغير ذلك من شروط المراتب، والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود ان لا نتأدب مع مريد بقيام أو غـيره فإن ذلك يوقفه عن الترقى كما سـيأتى فى عهده وانما الواجب فى التربيـة زجره ونهره حتى عن المـبـاح ولا نقوم لـه قط فى ناصر إلا إن عـرفنا منـه الثبـات فى الأحـوال والإخلاص فى النيـات فلنا حينئذ أن نمدحـه ونظهر فضيلته كـما لنا ذلك اذا علمنا ضعـفه فنقوم فى ناصره مداواة له ثم لا نزال نمـدحه ما دامت همـته فاترة كل ذلك ليقوى عزمه فاذا قوى عزمه تركنا مداواته والله غفور رحيم.

أخذ علينا العـهود أن لا نتـداوى بإشـارة يهـودى أو نصـرانى ولا نمكن أصحـابنا من ذلك والحكيم اليهـودي أشد كراهة لكثـرة نفاقه وظـلمة باطنه ومكره وتدينه بقتل كل مسلم قدر على قتله بسائر أسباب القتل وهذا الأمر قد حدث فى أرض مصر حتى عطلوا أستعمال حكماء المسلمين وكيف بمرضى القلوب أن يداووا مـرضى الأبدان ومـعلـوم أن مـريض القلب لا تصـور له صحيح لأن صحة التصور فـرع عن صحة القلب ولذلك لما يمرض الحكيم لا يقدر على مداواة نفســه بل يرسل الى حكيم يداويه كل ذلك لنقص تدبيره

وتصوره ولو قدر كمال تدبيره لم يحتج إلى غيره من الحكماء فافهم، وربما كان ضعف الفقير من وارد ورد عليه ليس للحكماء كلهم فيه يد كما يقع لكثير من الفقراء فيحير الحكيم فى أمرهم وعلامة كون ذلك المرض من وارد سرعة ضعفه وسرعة برئه فيدخل الحكيم عليه فيجده لا حراك فيه أو يصلى قاعداً يتحدث وجسمه طيب كأن لم يكن به مرض، وأعلمك ميزانًا سمعتها من شيخنا ﷺ تعرف بها من يستحق الحكيم ممن لا يستحق وهو أنك إذا رأيت فى قلب فقير ناراً وفى نفسه هيجانصا وفى بدنه طيشانًا بسبب حال قاهر فاعلم يا اخى أنك عاجز عن مداواته لان المحل غير قابل للاستعداد فمثل هذا ادع له وانصرف واذا وجدت حاله كحال الاموات لشدة ألم فى باطنه وضعف فى بدنه وانحطاط فى روحه وهو مع ذلك كثير الاستغراق والغيبة فلا تتعرض له كذلك بحكيم فإن ذلك فتوح من الله تعالى قبله ذلك المحل لقوة الاستعداد وإن وجدته خال عن كل ما ذكرناه فأرسل للحكيم يداويه فإنه مرض لا وارد من واردات القوم.

وكان سيدى على الخواص وسيدى افضل الدين رحمهما الله تعالى إذا نظرا لضعيف يعرفان مرضه هل هو من قلبه او من بدنه وهل هو مرض فتوح او مرض سلب ﷺ.

ومن وصية سيدى على الخواص رحمه الله: إياك ان تستعمل طبيبًا من غير الملة المحمدية فإن الكفار مرضى القلوب ونحن مرضى الأجسام ومريض الجسم أحسن حالاً من مريض القلب بيقين وربما كان أحدنا مرضه من قلبه فيزداد قلبنا مرضًا بميلنا إلى الطبيب الكافر وتصديقه فيما يصف لنا

من الأدوية وربما استحسنا شكله حتى انطبعت روحانيته بباطننا فيواد من حازب الله ورسوله لأنه لولا ودنا له ومحبتنا ما أطبعت صورته فى مرآتنا.

وسمعته مرة يقول: من قدر على ترك التطيب فهو خير كبير وللمرض انتهاء إما بآجالنا وإما أن نبرأ منه ونعيش إلى أجل مسمى.

وطلع فى ظهر سيدى عبد العزيز الدرينى خراج كبير فكان ينضح قيحًا ليلاً ونهارًا فكان يقول للناس انظروا هل خف؟ فيقولون لا، فيقول نحن نخف عنه ولا بد لأحدنا أن يفارق الآخر. انتهى.

وسمعت شيخنا أيضا يقول: ينبغى لكل إنسان إذا رأى طبيعته يابسة أن يستعمل ما يلينها واذا رآها مايعة أن يستعمل لها ما يحبسها إلا إن كان الحبس يورث ضررًا أشد فإن الإسهال على أنواع واذا رآها ضعيفة عن إحالة الطعام على العادة فيستعمل لها ما يعين على الهضم كالخل ونحوه ولا ينبغى لأحد أن يغفل عن طبيعته لأن فيها قوام مصالحه ولا يأتيه قط مرض إلا بواسطة الأكل.

وتأمل الملائكة لما لم يكن احد منهم يأكل الطعام كيف لا يمرضون، ويؤيد ذلك حديث «جوعوا تصحوا» وينبغى لكل إنسان أن يستعمل من كل ما أخرجه الله تعالى من البقولات فى جميع فصول السنة استعمالاً شافيًا ويتفطن لكل ما يخرج فى كل فصل من ذلك فان كان كثيرة فوق العادة فليعلم زن كثرة ذلك البقل انما هو لكثرة الداء المقابل له النازل فى ذلك الفصل فليكثر من أكل ذلك البقل بنية الشفاء من ذلك الداء النازل لا بنية شهوة النفس فإن الحق تعالى لم يضع ذلك بالأصالة لشهوة وإنما وضعه

لحكمة بالغة، وسمعت سيدى افضل الدين يقول: أصول الطب كلها ترجع إلى تقليل الغذاء لا سيما ان كان موافقًا لزيادة الداء بالطبع او الخاصية.

واعلم أنه ما دامت الطبيعة تقطع الغذاء لقوتها فلا تضر زيادة الأكل لأن حكم هذا الشخص فى أكله كحكم من أكل قليلاً، وإذا وجدت يا اخى ثقلاً وضعف طبيعة عن الهضم مثلاً فاستعمل فى كل اسبوع شرب منقوع العود السوس مع يسير من الملح والشمار من غير قيئ فإن الحكماء الأول إنما حكموا بالاستدعاء كل أسبوع لقوة أبدان أهل زمانهم، وهذا أمر قد رفع الله تعالى حكمه من أبدان أهل هذا الزمان لشدة الهموم والبلايا وخبث المطاعم والمشارب والملابس وهذه أمور تهدم الأبدان كما ان اكل الحلال يقوى الأبدان حتى تصير كالفولاذ فى القوة بل أقول إن الحكماء ولو حكموا بالاستداعاء المناسب لابدانهم فى زمانهم فان حكمهم غير صحيح فى نفسه لأن فى ذلك قلب الحكمة عن موضوعها وهو أيضًا يورث الضعف فى البنية قطعًا لخروجه قبل ان تطبخه المعدة وتجرى قوته فى العروق ويأخذ البدن منه حظه ولا بأس ان يستعمل الضعيف البقل والملح على الفطور غالب أيامه مع تقليل الأكل ويكفى الضعيف الأكلة الواحدة من الوقت إلى مثله لكن مع تقليله الشرب أيضًا فإن كثرة الشرب توجب فى قوى الطبيعة امتلاء بزيادة بمحكم تأثير الأغذية وتخرج أيضًا فواشات فى البدن كالأورام ولا بأس بالحجامة او الفصد فى فصل الربيع لمن غلب على مزاجه الدم سواء كان ثم حادث او لم يكن وشرب الدواء المسهل أبلغ أقطع من الدواء بالفصد فى حق الامزجة الضعيفة والحجامة والفصد أبلغ فى حق الأمزجة القوية وثم

من الأمزجـة القوية ما لا يحتـاج إلى دواء ولا غيره لصـحة تركيبـه أو لكثرة تعاطيـه الأعمـال الشاقة النافـعة للمـسلمين وغـيرهم كالحـصادة والتـراسة ونحوهمـا ولا بأس بترك اللحم والحلواء زمن الصيف والربيع والإكـثار من استعمال الامراق والحوامض وما شاكل ذلك مما هو معلوم وجوده فى ذلك الفصل ولا نعلم قط للصحة مثل الجوع الوسط أبدًا، والله أعلم.

أخذ علينا العهود ان لا نأكل وعين تنظر إلـينا من خادم او كلب او هرة او غيرهم فإن من العـيون ما فيه سم ينفصل فى كل شيء قـابله لا سيما فى الشمس وأكثر ما تؤثر فى اللبن والسمك.

ثم تأمل يا اخى ملاحظة عـين الكلب أو الهرة لك فى رفع اللقـمة إلى فمك كيف ترفع رأسها عند رفعك اللقمة وتفض رأسها حين تضع اللقمة فى فيك وتيأس منك أنك لا ترميها لهـا وطريق السلامة ان تطعم صاحب العين معك أو تأمره بالخروج حتى تفرغ. وكان الشيخ احمد بن عاشر الشيخ تربة قايتباى ﷺ يفعل ذلك مع جليسـه ولو كان أميرًا تقدم النهى عن الأكل من طعام الطوافين، والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود أن لا نكثر من الأكل لا سـيما فى ليالى رمـضان فإن السنة النقص فيها عن مقدار ما كنا نأكله فى غيرها لأنه شهر الجوع.

وقد كان الشبلى ثم سيدى ابو السعودى رحمهما الله يطوفان رمضان كله ﷺ، فعُلم أن من يأكل فى رمـضان قدر مـا كان يتغـذى ويتعشى فى غـيره فحاله كحال المفطر على حد سـواء وكأنه لم يصم شيئًا وغاية أمره أنه قلب الليل نهارًا وقدم غداءه إلى وقت سحوره لا غير.

وفى البخـارى أن رسول الله ﷺ يقول «الصيـام جنة» يعنى على بدن الصائم يمنع دخول وسواس الشيطان من العام الى العام، وأما إذا أكل كثيراً فى رمضان فإن بدنه كله مخـرق بلا جنة فيدخل منه الشيطان إلى قلبه من أى موضع شاء طول عامه.

وكان الشـيخ عصيـفر يقول أنـا ما عندى صوم إلا صـوم النصارى لأن احـدهم يفطر على قليل خل او زيـت او دقة او غـيـر ذلك ممـا لا يحـرك الشهوات المقصود منعها بالصـوم وأما المسلمون فصومهم عندى باطل لأن احدهم يطبخ يوم صومه الخمسة أرطال ضانى ويأكل حتى تمل نفسه، فكان الناس يسخرون من كلامه لكونه مجذوبًا وكان الفقراء يعتبرون بقوله.

وسمعت مرة بعـض النصارى يقول لآخر يا إسحاق صـومك يشبه صوم المسلمين في العالم، يعيره بأكله كثيراً أيام صومهم.

وكان شيـخنا ﷺ يقول: من السنة ان لا تقدم للضيـف فى رمضان الا قليلاً من الطعام فـمن قدم له كثيـراً من الطعام فقد أساء فى حـقه لأنه ربما شرهت نفس الضيف فأكل كـثيراً فيحرم بركة رمضـان ولو كان قدم له قرصًا واحداً لم يشبع وحـصل له الخير لا سيمـا أكثر الضيـوف يستحى ان يطلب طعامًا اذا لم يشبع، وما رفعت مائدة رسول الله ﷺ من بين يدى الضيف وغيره قط وفيها فضلة من طعام.

فاعلم ذلك واعمل عليه.

أخذ علينا العهود ان لا نزيد فى الاكل والشـرب على السنة المحـمدية وذلك ان نقوم عن الطعـام والشراب ونفسـنا تشتهى ذلـك الطعام أو الشراب

وعند أئمة اللغة إن أكثر الأكل تسع لقم لقول رسول الله ﷺ «حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه» واللقيمات من الثلاث إلى التسع.

قلت: ولعل الحديث محمول على اكل العباد والزهاد وأصحاب الرياضات أما أصحاب الأعمال الشاقة والحرف النافعة كالذاكرين الله كثيراً والذاكرات فلهم الأكل على قدر حاجتهم، وذلك ليقوموا بتلك الأعمال الشاقة يخرج الأكل عرقًا من البدن وكذلك الذكر يحرق كل شيء فى الجوف.

وكان سيدى محمد الشناوى رحمه الله يقول: نحن لا يحتاج إلى هضم الأكل إلى خل أو فجل لأن الذكر لا يدع عندنا شيئًا من الكثايف ومحك بيان اقتصار الأكل والشرب على السنة المحمدية الصرف التى لا يخالطها حظ ولا شهوة نفس ان لا يوجد لبوله ولا غائطه ولا ضراطه ولا فساه كبير رائحة منتنة فكل من وجد فى طبيعته ذلك فهو دليل على تعديه السنة فإن الشهوة البهيمية كلما قويت زاد النتان حتى يصير كغائط اليهود فإن غائط اليهود أنتن من غائط النصارى بل شهدت مرة غائط راهب من النصارى فوجدته لا رائحة له فقلت له يا راهب ليس لطبيعتك رائحة فقال ومن أين يأتى غائطى الرائحة المنتنة وأنا لا آكل حتى أجوع وإذا أكلت فلا آكل إلا سد الرمق، وكذلك شهدت بول اخى افضل الدين وروائحه لا رائحة لها حتى كان يخبرنى ببعض الأوقات بالروائح التى خرجت وأنا بجنبه لا أشم منها شيئًا فقلت له فى ذلك فقال ومن أين يأتى النتان لغائطى وأنا لا آكل إلا عند الاضطرار ثم إذا أكلت لا آكل قط بشهوة إنما آكل امتثالاً لأمر الله لكونه

تعالى قد أمننى على جسمى وأمرنى بالقيام بحقه وكان يقول لا أتذكر انى أكلت لنفسى وإنما آكل إكرامًا لكون نفسى ملكًا لربى. انتهى.

وبلغنا عن الإمام البخارى رحمه الله انه كان يقلل بالتدريج حتى انتهى أكله فى اليوم والليلة إلى لوزة أو تمرة واحدة فسألوه عن ذلك فقال إنما فعلت ذلك حياء من الله عز وجل أن يكثر ترددى إلى الخلاء ويكثر كشف سوأتى.

وكذلك بلغنا عن الإمام مالك انه كان لا يأكل إلا بعد جوعه يومين أو ثلاثة وكان يقول أستحى من الله أن يرانى مكشوف العورة على الخلاء.

وأخبرنى سيدى الشيخ ابراهيم وسيدى الشيخ شهاب الدين الوفائى أجلّ أصحاب سيدى الشيخ تاج للدين الذاكر ان سيدى الشيخ تاج الدين شيخهما كان يتوضأ كل سبوع مرة واحدة وانتهى أمره آخر عمره أنه صار يتوضأ كل اثنى عشر يومًا مرة كما أخبرنى بذلك الشيخ عبد الباسط الطلحاوى خادمه وسألت سيدى الشيخ شهاب الدين الوفائى عن ذلك فقال لم يكن سببه قلة الأكل وانما ذلك من حال كان يرد على الشيخ، قال وقد رأيته معزومًا عند جماعة من أهل الجيزة أيام الربيع وهم ينوعون له الأطعمة على عادة الأرياف ما بين لحم ورز بلبن وسمن وغير ذلك فمكث عندهم تسعة أيام ونحن ننظره ليلاً ونهاراً لم يجدد له وضوءاً.

وكان ﷺ يقول: لا يسمى الفقير قانعًا حتى يأكل كل ثلاثة أيام أكلة وأما الذى يتغدى ويتعشى كل يوم ولو قليلاً فلا يسمى قانعًا بل لم يشم من القناعة رائحة ﷺ، فتأمل هذا العهد واعمل به والله يتولى هداك.

أخذ علينا العهود أن نلزم الأدب مع اصحاب النوبـة وإن لم نجتمع بهم ولم نعرفهم وذلك لأنهم يشـهدون ما نفعله فى قصور بيـوتنا ولهم المؤاخذة بذلك والتأديـب عليه حق والخواطر الـتى لا تنبغى لا سيـما إن كـان أحدنا يدعى أنه من الفقـراء الصادقين وينفخ شـواربه فإن قوسهم مـوتور بالتأديب على كل من ادعى ذلك.

وقد أوصانى سيدى على الخواص فـقال: اذا خرجت من بيتك لسفر أو حاجة ضرورية أو إلى محل التنزهات والمفـترجات فلا تجاوز صور البلد او عمرانها حتى تستأذن بقلبك أصـحاب النوبة فإذا رجعت فاستأذن فى الدخول كمـا فى الخـروج لأنهم يحبـون من يحفظ لهم المـقام ويتـعرف اليـهم به ويحبون من يـستغيث بهم عند نزول البـلايا والمحن ويقادون ممن يسـتغيث بغيرهم من الأموات أو الأحياء ويتكدرون منه لقلة أدبه وعدم مراعات مراتبهم فإنهم هم المتصرفون فى قضاء حوائج العباد وتولية الملوك والنواب وعزلهم وهم خواص الأولياء بعد أصحـاب الدوائر الكلية العلية ويكونون فى كل بلد وإقليم بالنوبة ويزيد عـددهم وينقص بقلة البـلاء وكثـرته وهم الآن فى مصـر سبعـون رجلاً أعنى فى سنة خمس وأربعين وتسعـمائة وسوف يزيدون بزيادة البلاء الآتى قريبًا.

واعلم يا أخى انه لا يقضـى لأحد من الخلق حاجـة إلا بواسطتهم ولو استـغاثوا بأكبـر الأولياء من الأفراد لا يقـدر على قضاء تلك الحـاجة إلا إن سألهم أو اسـتغـاث بهم وكل من استـغاث بغـيرهم وأغيث إنـما هو لأجل استغاثته بأصحاب النوبة فالعارف من أتى البيوت من أبوابها.

واعلم يا أخى أنه لا يعرف أصحاب النوبة على التعيين إلا من حق له قدم الولاية لتحجبهم عن كل من مال الى الدنيا بقلبه ولو طرفة عين وما رأيت أعرف بهم من سيدى على الخواص فكان يعرف من تولى منهم ومن عزل فى سائر أقطار الأرض وقد بسطنا الكلام على وقائعه معهم فى العهود الكبرى والله أعلم.

أخذ علينا العهود أن لا نعود مريضًا فى بيته إلا بشىء يناسبه فى الملاطفة من سكر ولوز ومستحلب لا سيما إن كان ذلك المريض فقيرًا.

ورأيت شخصًا دعا سيدى محمد بن عنان يومًا لعيادة مريض فى بيته فأبى وقال لا ينبغى لمشهور بالصلاح ان يذهب الى بيت مريض إلا إن كان يقدر على تخفيف المرض عنه إما بالتحمل عنه بالقلب وإما بسؤال الله عز وجل فإن لم يعلم قدرته على التحمل عنه دعا له بالشفاء من غير دخول عليه وأمره بالصدقة ولو بماله كله على حسب شدة المرض وخفته فإنه ليس شىء الآن أعون على حصول الشفاء من الصدقة وكثرة الاستغفار.

وسمعت شيخنا رضي الله عنه يقول لا فائدة فى الحضور عند المريض إلا التخفيف عنه يقينًا لا ظنًا وتخمينًا فهذه عيادة أرباب الأحوال وأما من دخل على مريض وخرج والمريض على حالته لم ينقص ألمه فكأنه لم يعده وإن كان فى ذلك ائتلاف بين المؤمنين فافهم وعد كل من خفت عليه التنافر بعدم العيادة.

وقد دخلت مع سيدى محمد بن عنان على سيدى على البليلى المغربى بجامع الأزهر وكان فى أشد المرض فحمل عنه سيدى محمد واضطجع

مريضًا وقام سيدى على فمشى إلى مطهرة جامع الأزهر وتوضأ فتعجب الناس من ذلك، ومرض سيدى محمد نحو اربعين يومًا من ذلك الوقت رضي الله عنه.

أخذ علينا العهود ان لا نمكن أحدًا من إخواننا من الشكوى ممن ظلمه وإنما نأمر كل من اشتكى بالصبر وكظم الغيظ والرجوع باللوم على نفسه ويقول لها ما ظلمك إلا من قلة سياستك ولو طاوعتيه على غرضه ما شوش عليك فأنت الجانية عليه بالإخلال بحقه وعدم توقيره وتعظيمه او عدم الرد عن عرضه فى غيبته او عدم الهدية إليه ونحو ذلك وما رأينا أحدًا طاوع احدًا فى غرضه فكرهه من حيث المطاوعة أبدًا وقد كنت مرة عند سيدى على الخواص فجاءه شخص فشكى له من إنسان وبالغ فى تنقيصه وذكر مساويه فرفع الشيخ رأسه وقال اللوم عليك أنت الذى أحصيت عليه مساويه ولم تذكر من محاسنه ولا واحدة وذلك دليل على خبث طويتك، فخجل الشخص وقال أقول فى حقه أستغفر الله، فقال الشيخ اسمع يا اخى هذه قاعدة مقررة كل من شكى من إنسان وبالغ فى الشكوى منه فهو دليل على أنه أذى ذلك الانسان اشد الأذى لان الذخيرة لا تهيج إلا إن حركها محرك، فاعلم ذلك.

أخذ علينا العهود لا نمكن احدًا من إخواننا يشتغل بشىء من العلوم الكاسدة التى تعطل العمل بها فإن العمر ضاق عن مثل ذلك بل قال بعضهم نسيان العبد لكل علم لا يستطيع العمل به من رحمة الله به فإن موضوع العلم إنما هو ليعمل به فافهم، ومثال من يشتغل الآن بمثل ذلك مثال من

عمر له قرنًا فى مدينة خراب ليس فيها أحد وصار يحمى الفرن ليلاً ونهاراً رجاء ان تعمر تلك المدينة ويجىء الناس يخبزون عنده وما بقى الآن بعد ما فرض الله عز وجل افضل من الاشتغال بذكر الله وكثرة الاستغفار.

ومن أعظم دليل على أفضلية ذلك انشراح الصدر للاشتغال به عند طلوع الروح فلو سئل الفقيه المختصر عن مسألة من مسائل البيوع والدعاوى والاقارير التي كان يقول قبل ذلك انها افضل من الذكر لم يجد له داعية لأنها باله لها فلو كان الأمر كما يقول من الأفضلية لكان الاشتغال بها فى ذلك الوقت واجبًا مقدمًا على كل قربة فهذه الحالة التى تكون للمحتضر فهى التى تكون للفقراء طول عمرهم كان أجلهم لم يزالوا يشهدونه حاضراً عندهم فاعلم ذلك.

قلت ولكن التحقيق أن لكل مقام رجال فالفقير فقير والفقيه فقيه والقاضى قاضى وبذلك كمال الوجود وإنما العارف فى كل عصر يدعو كل شخص من الطريق التى هى اقرب، والله على كل شىء شهيد.

أخذ علينا العهود ان لا نرجع إلى محبة الدنيا بعد إذ خرجنا منها إلا بمصلحة ترجح على مصلحة تركها وذلك لئلا نرجع إلى دخول الحجاب الذى كنا خرجنا منه ومعلوم أن أحداً لا يعرف عيب الدنيا إلا إن خرج عن محبتها لقوله ﷺ حبك للشىء يعمى ويصم، فإذا خرج عبد عن الدنيا عرف إذ ذاك عيبها ونقصها ووجدها حية تسعى فإذا عرفها كذلك وقيل له خذها ولا تخف فمن الأدب أخذها لقوله ولا تخف فيمسك الدنيا بحذافيرها بالإذن كما كان القاها بالادن كما سيأتى بسطه إن شاء الله تعالى فى مواضع

وهذا العهد يقع فى خيانته كثير من الفقراء الذين لم يسلكوا الطريق ولم يفطموا على يد شيخ فيصطادهم إبليس أواخر عمرهم ويموتوا على محبة الدنيا كما شاهدنا ذلك فى بعض المنقطعين فى الكهوف والزوايا المهجورة وكان آخر أمرهم الخيول المسومة والملابس الفاخرة والأطعمة المنوعة وصاروا منهمكين على الدنيا أعظم من أبنائها، وقد قلت مرة لشخص من المنهمكين على الدنيا خفف عنك هذا الانهماك العظيم، فقال قل ذلك للشيخ الفلانى وأشار إلى شيخ معظم فى البلد، فلا حول ولا قوة، الا بالله العلى العظيم.

واعلم يا اخى أنك لو تفكرت فى قوله ﷺ «ازهد فى الدنيا يحبك الله» لعلمت يقينًا مرتبتك فى الزهد فى الدنيا وعلمت كون الحق تعالى يحبك أولا يحبك لأنه ﷺ علق محبة الله على الزهد فى الدنيا وكذلك لو تأملت فى قوله ﷺ «إن الله عز وجل منذ خلق الدنيا لم ينظر إليها» عرفت ان الفقير المحب فى الدنيا أولى لعدم نظر الحق تعالى إليه ما دام يرجح الذهب على الزبل لا سيما إن تظاهر بأحوال الصالحين ومراسمهم الظاهرة وجلس فى زاوية يرصد الدنيا كل مرصد بالكشف والنصب والكذب على الله تعالى بنفسه أو بفعل ذلك على يد النقيب.

وحكى أنه لما دنت وفاة سيدى داود الأعزب رضي الله عنه أراد النقباء والفقراء أن يحملوه إلى قرافة مصر ليموت بها فأخبروه بذلك فنظر إليهم مغضبًا وقال تريدون أن تجعلونى كالقرد تجبون على الدنيا وطردهم من البلد إلى وقتنا هذا.

وسمعت سيدى محمد بن عنان يقول اولى من محب الدنيا لعدم نظر الحق تعالى إليه من طلب الحق تعالى والقرب منه بالأعمال الصالحة وكثرة الأوراد والتملق إلى الله تعالى فى الأسحار والحق تعالى إنما طلب من عباده أن يخلصوا له الدين لا أن يشركوا معه أهوية نفوسهم وأكثر من يقع فى هذا المشتغلين بعلم الحرف ورياضات الاسماء فيجسوا نفوسهم ليلاً ونهاراً بقصد أغراض خسيسة لا تساوى جناح بعوضة كما سيأتى بسط ذلك فى عهده.

وسمعت سيدى عليّا الخواص يقول: ثلاثة توجب المقت وقلة البركة فى الرزق وظلمة القلب وخراب السر: الاشتغال بعلم الروحانى والكيمياء واللواط، نسأل الله العافية.

أخذ علينا العهود ان نمد أصحابنا بما نقدر عليه ولا نعلمهم بأن ذلك المدد بواسطتنا وذلك ليكون الأجر فرا إن شاء الله تعالى فإن الإخوان إذا شعروا بذلك ربما دعتهم نفوسهم إلى مكافتتنا بالخدمة وكثرة الشكر فينقص رأس مالنا ان كان له وجود لضعف أمثالنا عن شهود مدحه من غير ميل ثم اذا فتح على أحد من الإخوان بفتوح وهو يعمل حرفة من الحرف لا نمكنه من تركها اعتماداً على فتوحه وقوة يقينه فإن غالب فتوج اهل هذا الزمان كالعرض الزائد لتحرق غالب القلوب فلا يمكث فيها مدد دنيا الانسان فى صنعته وهو راض مثاب خير من عوده إلى الاسباب وهو كاره معاب وقد شهدنا كثيراً من فقراء عصرنا اجتمعوا ببعض اشياخ فحصل لهم بعض آفات فتركوا صنائعهم فذهبت تلك اللمعات وصاروا قاعًا صفصفًا يأكلون بدينهم

كل يوم بيوم ودخلت رأسهم الجراب وصاروا كمن تولى قاضى القضاة ثم عزل وافتقر لا يمكنه ان يعمل بعد ذلك نائبًا ولا شاهدًا.

وكان سيدى على الخواص يقول: ما عندى فقير أعظم ممن بيده حرفة تكفه عن سؤال الناس باطنًا وظاهرًا وكان يقول: من كانت له صنعة ثم تركها فقد عرض جسمه لسائر العلل لأن الصنعة مصحة للجسم من سائر الأمراض وللروح من سائر العاهات، والله غفور رحيم.

واعلم يا اخى انه لا ينبغى لفقير ان يتكرم بالمدد إلا على من هو صادق فى همته كامل الأخلاق فى نشأته فإنه أزكى لزرعه ومن زروع فى أرض سبخة أحرقت كل شىء بذره فيها.

واعلم يا اخى انه لا يصلح ان يتصدق لإمداد الإخوان إلا من ذهب فى الدنيا ونعيمها وذلك لأن من رغب فيما ذكر فمن لازمه الشح والبخل ثم إذا فتح على أحد من الإخوان فالأدب من جميع إخوانه مرعاة حقوقه وحمل نعله وخدمته فإن ذلك يرقيهم إلى محل الفتح وأما اذا قامت نفوسهم منه وحسدوه ونقصوه فإنهم لا يزدادون بذلك إلا طردًا فإن من خدم أهل حضرة الملك جره ذلك إلى مقامهم فيصير جليس الملك ولو على طول كما هو مشاهد من أحوال أركان الدولة ومن قل أدبه معهم طردوه إلى حضرة البهائم والشياطين وإذا لم يفتح الله تعالى على فقير بعد طول المجاهدة فمن الواجب علينا أمره بالشكر لله ونقول له احمد الله الذى لم يعطك حالاً ولا مقامًا تقيم به صدرك على الناس ووفر لك أجر أعمالك الصالحة، والله تعالى أعلم.

أخذ علينا العهود أن نتعفف عن الاكل من أطعمة الناس جهدنا ولا نلتفت قط بقول من يقول الفقير كالبحر لا تكدره الرمم لانا نعرف من أنفسها التى هى فى الصفات أنجس من الخرارة وهذا القول من الجهل بأحوال الأكابر الذين نقل عنهم ذلك القول واين الحال من الحال فإن لم نتعفف ووقعنا فى الأكل من طعام ظالم أو مكاس أو قاض نوينا بذلك الاكل عتق إخواننا المسلمين من كله إذ لا بد لذلك الطعام ممن يأكله فنكون من الذين خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً كما مر أول العهود ثم نلقيه من ساعته بالقيء.

وكان سيدى ابراهيم المتبولى رحمه الله إذا خرج الى دعوة عند احد من أكابر الدولة يقول لأصحابه ارجعوا فانى عازم إلى أكل السم تحملاً عن المسلمين فيرجعون.

وسمعت سيدى على الخواص يقول: للقمة أثر عظيم فى قلوب الآكلين وان علت مراتبهم فتؤثر فى كل أحد على قدر استعداده فأثرها فى المؤمنين أعمال مذمومة بحسب ما يقتضيه حقيقة تلك الأطعمة حلاً وشبهة.

وأثرها فى أصحاب الأحوال قسوة فى القلب وثقل فى الطبيعة وأثرها فى العارفين غفلتهم عما يعود عليه نفعهم من مصالح الدارين ما دامت تلك المطعمة فى بواطنهم وأثرها فى الكاملين كثرة الخواطر التى لا منفعة فيها وأثرها فيمن هو أعلى من ذلك لا يحزنه إلا أصحاب تلك الرتبة.

اعلم يا أخى كلما عظمت المشقة فى تحصيل اللقمة كانت أحل وسمعت سيدى الشيخ شعبان المجذوب بجباب النصر يقول: لقيمة

الصنائعي اليوم من الجنة، فتدبر ما قررناه لك واعمل عليه فإنه نفيس، والله يتولى هداك.

أخذ علينا العهود ان لا نغتر بصفاء حالنا مع الحق تعالى فإن حكم ذلك كحكم اللبن الطيب اللون والمطعم ثم لا بد له من ذلك من خلطه بالمنفحة الخبيثة المنظر والرائحة فى افتقاره اليها لتشده وتثبته وتصبره على مصائب الزمان وتقلب الحدثان ولولا المنفحة لتغير وتلف فى أسرع زمان.

وكان سيدى على وفا ﷺ ينشد:

كل ما يشعر ان وقتى راق

يخترع تشويش يظلم الآفاق

وسمعت سيدى عليًا الخواص رحمه الله تعالى يقول أعظم الآفات الداخلة على الفقير حصول الكشف والركون الى صحته فإنه كالمنازعة لأوصاف الربوبية.

لخروج صاحبه من سياج من خلق من طين ولما فيه من التشبه بصفات الحق تعالى الذى يعلم السر وأخفى.

وتأمل للنبات لما تشبه بأعلى منه وقام على ساق طالبا للانتقال عن رتبته إلى مرتبة الحيوان صاحب التدبير والروية والحركة كيف عوقب بالحصاد والدوس بالنعال وحوافر البهائم إلى أن صار كالتراب على أوطأ حالة ترى فما ساوى صعوده هبوطه هكذا يكون سياط القدر على أهل الاغترار بالله تعالى.

ومن اعظم أبواب الاغترار ثناء الناس على الانسان ومدحهم له.

وفى كلام سيدى على بن سودون رحمه الله :

يوم طهورى يا ما رأيت

زغرتو لى وكيت وكيت

فرحونى ومسا دريت

ما القضاء فى صانع

زغرتت أهل حارتى

وايش يبالى الاشاكع

فتأمل باطن هذا الكلام يا اخى واعتبر والله يتولى هداك .

أخذ علينا العهود أن نتعلم آداب ذوى البيوت فان عندهم من الأدب ما ليس عند غيرهم من المتصوفة وغيرهم وتأمل حياءهم وكرمهم وعدم نطقهم بالفاحش من الكلام وعدم إشاعتهم الفاحشة عن أحد من جيرانهم ومعارفهم.

وتأمل تواضعهم تجدهم أكثر تواضعًا من بواب دارهم كما سيأتى بسطه فى عهد توقير الاكابر ان شاء الله تعالى.

أخذ علينا العهود ان ننهى إخواننا عن مجالسة المجاذيب وعن سؤالهم ان يدعوا لهم لأن المجاذيب فى حضرة لا يمكن دخولها لغيرهم وحالهم غريب وربما سألناهم أن يدعوا لنا فدعوا علينا فنفذ الله ألسنتهم فينا لأن مرتبتهم ربما اقتضت ان الله يجيبهم فى كل ما سألوه وكان دأب الشيخ عصيفير فى حارتنا أن كل من سأله الدعاء يدعو عليه.

وكان شخصًا قال له يا سيدى ادع لنا قال الله يبليك بالعمى فى حارة اليهود، وسأله شخص آخر ذلك فقال الله يبعث لك بسهم ربانى.

وسأله الأخ محمد المنوفى أن يدعو لـه فقال جاءتك داهية بطبل خانه، وكان الله ينفذ له كل ما يقول.

وكان سيدى إبراهيم المبتولى يقول سلموا على المجاذيب بالقلب لا باللسان ولا تبدءوهم بالعطاء إلا إن طلبوا ذلك ثم إن طلبوا فأعطوهم ما سألوا من الدنيا إلا أن يطلبوا شيئًا يحتاج إليه عيالكم، واعلموا أنهم لا يطلبون منكم شيئًا قط إلا طلبًا لدفع البلاء عنكم أو رد ضائع لكم وذلك لغناهم عن الدنيا فمن شاء فليمنع ومن شاء فليدفع.

وقد ذكرنا جملة من وقاهم فى العهود الكبرى والله واسع عليم.

أخذ علينا العهود ان نستشير إخواننا فى كل أمر مهم نفعله او نتركه كزواج او سفر حج او تجارة او عمارة مسجد وبيت أو غرس بستان او طلاق زوجة ونحو ذلك من سائر الأمور ولو كان الشارع امرنا بها على العموم فإنه ثم من السنن والواجبات ما هو أهم من بعض فنشاور إخواننا فى أيهما نقدم ونعمل بما اشار به كلهم أو معظهم فإن لم يظهر لهم شىء استخرنا الله تعالى فان لم يظهر لنا ترجيح أمر على آخر أعدنا الاستخارة ثانيًا وثالثًا إلى سبع مرات ثم نقول اللهم خر لنا واختر لنا ما هو الأصلح فى علمك، وإنما شاورنا فى هذه الأمور إخواننا لأن الله تعالى قد أمنهم علينا فى كل ما يرقينا ومعاذ الله ان اخواننا يجتمعون على ما فيه غش لنا، واعلم يا اخى ان الاستشارة والنصح بمنزلة تنبيه النائم او الغافل من نومه او غفلته فإذا استيقظ رأى السبب الذى تنبه من أجله فيحكم عليه بما يهديه الحق تعالى إليه من خير أو شر ولا حرج على الناصح فى جميع ما ينصح به الا إن خرج عن

مقـام الأدب لعدم حفظه مـقام الخضـوع وما يليق بحالـه من الفاظ النصح الموضـوعة لكل نوع من النـاس من ملوكهم إلى سـوقتهم ولا يسـاوى بين الناس فى ذلك إلا أعمى البصيرة فعلم أن من نصح الأمير بالفاظ تقال لآحاد الرعية فقـد أساء الأدب لأن الحكام قلوبهم غير مملوكة لغـيرهم من الرعية فلهم ان يزجـرونا بالعنف ويخرجـون وليس لنا فعل ذلك مـعهم لسيادتهم وعبوديتنا فافـهم وإياك والعمل بمشورة النساء فانهم قالوا: المـحبوب لهوى النفس لا يسـتشار، ومـا ثم أميل إلى النسـاء من الرجال لافـتقارهـم اليهن بشهوة وحـالاً وطبعًا وإذا كان غـالب الرجال ما بقى له كمـال عقل فى هذا الزمان فكيف بالنسـاء اللاتى نقصهن خلقى وإياك أيضًا والعـمل بمشورة من هو راغب فى الدنيا فإنـه أعمى القلب او تـستشيـر زاهدًا فيها واستشر كمل العارفين الذين يصـرفون كل شىء فى الوجود فيـما وضع له وإياك ان تفتح باب النصح لإخوانك أو غـيرهم فى الملأ إلا بعـد أن تستشـيره فى ذلك لا سيما إن كان صاحب نفس فقـد قالوا: النصح فى الملأ تقريع فنقول له مثلاً ما أحسن المسلمين إذا تناصحوا ونبه بعـضهم بعضًا على نقائصه ومقصود فى فتح هذا الباب بيننا فتنبهنى وأنبهك فلا يسعه أن يقول الا نعم وأما النصح من غير استشارة ولا استئذان فهو خاص للعارفين بالسياسة النبوية لأنهم يمهدون سياسـتهم للأعوج بساطًا يـشهدونه فيه عـوجه حتى يكون هو المـبادر لترك العوج لما يرى لنفـسه فى ذلك من المصلحة فهـؤلاء هم الذين ينصحون به الناس فـلا ينصـحون أحـدًا من الخلق فى فـعل شىء أو تركـه على ظن أو تخمـين أبدًا فهم ولو شـهدوا التقـدير على عبـد بزواج أو سفر مـثلاً ورأوا

المصلحـة فى ترك ذلك يقولون له لا تفعـل لما جبلهم الله تعـالى عليه من الشفعة والرحمة على خلقه واذا شهدوا التقدير على عبد بالزنا ولا بد يقولون له لا تفـعل ويحرم عليـهم أن يقـولوا له افعل لان الاضـلال نعت إلهى لا يكون لعبد من العـبيد خلافًا لما عليـه بعض متصوفة العجم فـإنى اجتمعت بواحد منهم قال لى: للعارف إضلال من أراد الله إضلاله لتخلقه بأخلاق الله تعالى، فـقلت له إنما يكون التـخلق للعارف بأسـماء الافعـال المأذون فى التخلق بهـا كالمريد والجواد والحليـم والكريم ونحو ذلك، فلم يرجع إلى قولى وقال الذى أعتقده أن لرسول الله ﷺ ولكل عارف من أمته ان يضل من شاء من الأمـة، نسأل الله تعالى أن يسلك بنا سبـيل السنة ويجنبنا طريق البدعة إنه جواد كريم.

وقد بسطنا الكلام فى العهود الكبرى أبسط مما هنا والله واسع عليم.

أخذ علينا العهود ان نكثر من الاستغفـار والندم على ما فات من أوقات الخيرات تعظيمًا لحضرة الله عـز وجل فإن من لم يحزن على فوات مجالسة الأكابر لا يسـتحق منهم التقـريب لأن قلبه فارغ من مـحبتـهم، وأنشدوا فى ذلك:

كل يوم لا يـراكم بصـــرى

ذاك لا أحسبـه من عمـرى

فإن بلغنا مبلغ الرجـال وارتفعنا من مقام الإيمان إلى مقـام الإحسان كان لنا مشـرب خريرى صاحـبه الندم سـوء أدب لأن ما وقع بقضـاء الله وقدره وحكمته فلأى شىء يندم العـبد فان قيل يندم للجزء الاختيـارى قلنا الاختيار

يغنى هناك فى تلك الحضرة، واعلم يا اخى ان الاستغفار واجب علينا سواء استحضرنا اننا عصينا او لم نستحضر واكمل الاستغفار ان يقول العبد ألف مرة صباحًا وألف مرة مساء أستغفر الله العظيم الذى لا إله الا هو الحى القيوم وأتوب إليه من كل ذنب فعلته إلى وقتى هذا، والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود ان لا نمكن أصحابنا من الجلوس فى مجالس القيل والقال والخوض فى عيون الناس من التجار والقضاة والأمراء والمقدمين وغيرهم ولا نمكنهم من الجلوس فيها إلا لضرورة ثم يقومون بسرعة فقل من يطيل الجلوس مع الناس فى هذا الزمان ويسلم من ذكر أحد بما يكره ومن فتش نفسه فى كل مجلس عرف صدق ما أقول.

وقد نهينا عن مجالس القيل والقال اذا كان الجلوس فى المزابل فكيف إذا كان الجلوس لذلك فى المساجد والقرآن يتلى فيه لا ينصت أحد له ولا يلقى باله لمواعظه بل يثقل على أحدهم إذا قلت له اترك هذا اللغو أو قم اسمع القرآن ولكن كل ذلك تصديقًا لحديث «سيأتى على أمتى زمان يكون معبودهم بطونهم وفروجهم وحديثهم فى مساجدهم أمر دنياهم لا يعبأ الله بهم» ولكن من كان صاحب بصيرة فى هذا الزمان فليتنو بكل ما وقع من المخالفات تصديق رسول الله ﷺ فيما أخبر كهذه الواقعة المذكورة فى الحديث فيكون من الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا فهو أحسن ممن كانت أفعاله سيئة صرفًا، ثم إن كان لك يا اخى حاجة فى مجلس عند كبير فيه لا يقضيها لك إلا إن فرغ مما هو فيه من اللغو وجر قوافى الناس فاجلس مكثرًا من الاستغفار كلما جروا قافية أحد وأجب عن إخوانك الغائبين جهدك

إذا ذكروا بسوء فلعل ذلك يرقع ما تخرق من دينك فى ذلك المجلس ان شاء الله تعالى، وإياك يا اخى ومجالسة من يجمع الأخبار طول النهار ثم يأتى إليك فتخوض أنت وإياه فتقول فلان ما كان يستحق الحسبة والقضاء او الوزارة وما كان ينبغى ان يكون مقدمًا عند الوالى إلا فلان وفلان أصلح للولاية من فلان وغير ذلك من الهذيانات التى لا يسمع لك أحد فيها من الولاة ولا يفرقوا من قلت انه لا يستحق فإياك ثم إياك، والله يتولى هداك.

أخذ علينا العهود ان نلازم البيوت ونقلل الحركة والأسفار الى الريق وغيره أيام الفتن واشتغال قلوب الناس ما دام عندنا الرغيف فمن خالف فلا يلومن إلا نفسه.

وكذلك لا نعمر دارًا أيام غم الناس واشتغال قلوبهم ولا نزرع بستانًا ولا نعمل عرسًا ولا طهورًا ولا عزومة فى مفترجات ولا نضحك ولا نمزح ولا نجامع ولا نلبس ثيابًا فاخرة ولا مصقولة ولا نتطيب ولا نتزين ولا ننعم بدخول حمام وغسل ثياب من غير نجاسة ولا نتبسط فى مأكل ولا مشرب ولا ملبس وسواء كنا آمنين على أنفسنا وأموالنا وعيالنا أم غير آمنين ودليل جميع ما قلناه قول رسول الله ﷺ «مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» وقوله ﷺ «من لم يهتم بأمر المؤمنين فليس منهم» وغيرهما من الاحاديث ولا تصل يا اخى إلى هذه الدرجة إلا بأن تصير تتألم مثل ما يتألم سائر المتألمين من المسلمين فى سائر أقطار الأرض كما تقدم بسطه فى عهد مشاركة الناس فى الهموم ونظير ذلك تألم سائر الفقراء الصادقين وغمهم

وضيق صدورهم أيام نكد سلطانهم أو أميرهم لما هو عليه من الارطباط امتثالا لقوله ﷺ «لا ينزع أحدكم يده من طاعة إمامه وذلك لأنه الرأس» فكل فقير لم يتكدر أيام نكد السلطان فهو ناقص العهد وحكمه حكم البهائم.

واعلم يا اخى ان كل من انبسط أيام قبض الناس ولم يشاركهم فى وزن خراج البور والعاطل أو فى وزن المصادرة والرمية على السوق مثلاً فإن الله يقبضه أيام بسطهم فى الدنيا والآخبرة ويصب عليه بلاء وحده من جهة أخرى أعظم مما فر منه عقوبة له لسوء أدبه وفراره من تقدير ربه وتميزه عن إخوانه وفى الحديث «إن الله يكره العبد المتميز عن أخيه» وحكى عن الشيخ ابى الحسن الشاذلى انه رُئى بعد موته وهو مقبوض الخاطر فقيل له ما هذا القبض وأنت لست فى دار التكليف والامتحان؟ فقال يا ولدى هذه أوقات كان اللائق بنا فيها القبض فى دار الدنيا فجعلناها انبساطًا فنحن نتضمنها فى البرزخ فإياك يا اخى والانبساط فى شىء مما قدمناه حتى تطمئن قلوب الخلق على ذلك البلاء الذى نزل عليهم وتستقر قلوبهم فى أماكنها على جارى عوائدهم ولعل الناس يا اخى ما بقى لهم استقرار قلب ما بقيت الدنيا فإنهم كما هو مشاهد لا يفرغون من تحمل بلاء إلا وينزل عليهم بلاء آخر تبلغ به قلوبهم الحناجر، وقد سمعت سيدى عليًا الخواص يقول: إن الخلق الآن ليسوا فى الدنيا حقيقة إنما هم فى واد من أودية النار ينقلبون ثم لا يزالون يزدادون فى كل ساعة من الغم والانكاد والشدائد ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر قط على قلوبهم أنه يقع لهم ولا يسلم لهم واحد

بل ولا ساعة من تكدير ولا نقص فى معيشة إما من عدو أو خسارة فى دين أو دنيا أو جحد حق او مناقرة امرأته أو حماته فى البيت بسبب وطئه جارية الخدمة مثلاً أو ترويجه على امرأته او من تنافر خلقى بينهما وأنشد سيدى خضر رحمه الله تعالى:

ومن نكد الدنيا على المرء أن يرى

عدواً له ما من صداقته يد

وقد قدمنا فى سبب جور الولاة أن الوجود يقابل العبد بصورة ما برز منه عوجًا واستقامة فان كنت يا أخى رجلاً فأصلح ما برز منك من الأعمال ليقابلك الوجود بنظيره وإلا فلا تلومن المقابل لك فإن أقمت العذر لنفسك فأقمه لمقابلك من باب أولى كان الناس فى الزمن الأول إذا رأوا من جارهم أو عدوهم أو زوجتهم وولدهم عوجًا يرجعون إلى أنفسهم فيقيمونها ليستقيم مقابلها فصار الواحد اليوم يريد أن يرجع إلى نفسه لقيمها فلا يستطيع ولذلك دام النكد، فاعرف يا اخى زمانك فإنه زمان ظهور العجائب ووطن نفسك على الأنكاد المتواترة وإن كنت قد ربيت على الراحة فذلك أمر قد فرغ منه ومن يظن بالدنيا عود نظامها وعود ما درس من مقالها فليوجد له كونًا جديدا وحكما جديداً بل أقول من ظن ذلك بالدنيا فهو قريب ممن لا يؤمن بعلامات الساعة التى نحن الآن فى زمنها فإنه ليس لمحل ظهور علاماتها مكان إلا جوارحنا وجوارح حكامنا فوقوعها مركب من اعمالنا وأعمالهم، جف القلم بما هو كائن وإن جاءنا فى هذا الزمان من حكامنا عدل أو رحمة أو أمن أو رخاء فهو كصحوات المريض يعقبها غشوات لكون ذلك فى غير

أوانه وفى غير مكانه لعدم استقامتنا فالخلق الآن فى أمور لا تحد ولا توصف ولا يعرف ما قلناه من النكد والتعب إلا أصحاب الدنيا الذين يلزمون بما لا يلزم من وظائف الظلم وغيرها كالمحتسب وشيخ البلد وشيخ العرب وصاحب طمة الوزر وأضرابهم وطمة المتجردين عن الدنيا فلا يعرفون ما الناس فيه لعدم رائحة الدنيا بأيديهم وما رأينا عريانًا قط تعرض له ظالم ولا قاطع طريق ولا احتاج قط إلى باب ولا صنبة ولا مفتاح فأنت ايها الأخ بالخيار بين أن تطلب الدنيا وتحمل الهم والنكد ووزن الرمايات والمغارم وبين انك تزهد فى الدنيا فيخف عنك الهم والنكد ولا يقف لك أحد فى طريق، فاعلم ذلك وتدبره والله يتولى هداك.

أخذ علينا العهود ان نأمر أحدًا ممن صحبنا أول اجتماعه بنا الخروج عن حالته التى دخل فى صحبتنا بها ولو كانت مذمومة فى الشرع فإنه ربما نفر منا ولم يسمع لنا وانما نسارقه شيئًا فشيئًا حتى يكون هو الخارج منها بنفسه أو يقيم فيها بنية صالحة كنية تخفيف المظالم ونحوها فإذا صحبنا متزوج او تاجر او حيلى او مكاس او قاض او مشاعلى او رأس نوبة الوالى او مقدم المقرعة او مشغول بخدمة السلطان أو محتسب او شيخ عرب او بلد فلا تأمر أحدًا منهم بترك وظيفته وإنما نعلمهم طريق الأدب فيها فنأمر المتزوج بأن ينام مع زوجته بالليل حتى تنام ثم يقوم لطاعة ربه عز وجل وأن يزهد بقلبه فيها فإنها من أكبر متاع الدنيا، وإذا ترك وطئها وهى نائمة بجنبه كتبت له حسنة ولا يتبعها فى هواها وتحصيل كل ما تطلبه منه من الشهوات فإنه يهلك فإذا فعل ما ذكرنا فهو أحسن من العارف بيقين ونأمر التاجر بأن يخبر المشترى

حقًا ولا يغش احدًا ولا يسكت عن ذكر عيب يعلمه فى السلعة ولا يجحف فى الفائدة لا سيما ان كان المشترى جاهلاً بالقيمة وغير ذلك ونأمر الحيلى بأن يحلى كلامه لمن أرسل إليه من ارباب الجرائم والتهم ويعلمه طرق صبر الرجال فى بيت الوالى ويساعده بالكلام جهده ويسكن روعه قبل ان يدخل به للوالى ويقول له ضمانك على ولا يأخذ منه فى حق طريقه إلا ما طابت به نفسه فإنه إنما جاء ليأخذه للعقوبة او ليعرضه لها مع ما حصل له أيضًا عند رؤيته من الخض والرعب وكل ذلك لا يستحق عليه الحيلى أجرة ولكن اذا ساعده وطمن خاطره كما ذكرنا ربما طابت نفس المجرم او المتهم بشىء يعطيه له حلالاً لما رأى منه من الحنو والشفقة ونأمر المكاس إذا لم يخرج من وظيفته بأن يقف فيها بنية تخفيف المظالم فهو فى عبادة ونفع بذلك نفسه ونفع السلطان ومن وقف بنية تحصيل الدنيا ضر نفسه وضر السلطان فى الدنيا والآخرة ونأمره ان لا يأخذ من المكس زيادة على ما قرر فى الديوان رلا ثمن جبة او فروة او رغيف له او لعياله فإن مشى على ما ذكروا أراد أن يخرج من الوظيفة منعناه لعلمنا بأن الوظيفة لا تتعطل وربما جاء فيها من لا يسمع لنا معروفًا ولا يرحم غنيًا ولا فقيرًا ونامر القاضى بأن يقضى بالحق ولا يأخذ على ذلك معلومًا لنفسه غير ثمن الورقة وأجرة الكتابة وأما فلوس القانون فليس فى يده أن ينقص منها درهمًا بل يعزلوه اذا نقص شيئًا منها ونامر المشاعلى بأن يكون كارهًا لعقوبة الخلق وأن يسن السكين لقطع الأيدى والسيف للتوسيط وضرب الرقاب ويحد الخاروق للخوزقة ويخنق المخنوق برفق حتى تغيب ويذبح المسلوخ قبل سلخه تهوينًا عليه ونحو ذلك

ونأمر رأس نوبة الوالى بأن ينظر إلى من أقبلوا به عليـه من المجرمين ويبسّم في وجهه وان كـان في الحديد او مخشبًا قـال فكوا الحديد او الخشب عنه فإن وجه هذا ما هو وجه شيء من هذا ونامره ان يقبل عليه ويخلو به ويطمئن خاطره ويقـول للناس الذى عنده ان الناس كذبوا علـى هذا ومن قال ان هذا قتل او سرق او زنا او قطع طريق او فعل زغل او فسد الجارية وهذه الواقعة تشبه واقـعة فلان امس الذى كذبوا عليه ونحـو ذلك من الكلام الحلو ونأمر مقدم المـقرعة بأن يخفف يده عند ضرب المـقارع والكسارات وان يقلل من الجير والملح اذا سقاه للمعاقب وإن رأى الوالى مشدداً في ذلك وفي تكسير الجيـر والملح فليوره ذلك ثم يدخل به موضع العـقاب ويسقيـه خلافه وإذا رأى الوالى مشددا في العـصر لرأس المعاقب او يديه او رجليه فليذبـح شيئًا ويلطخ به ثياب المعاقب وعمـامته ويديه ورجليه إشارة إلى انه بالغ في ذلك جهده وليس ذلك من الخيانة انما هو معروف ولو ان المعاقب فعل كل كبيرة على وجه الارض لا يـستحق هذا التـعذيب قـال ﷺ «إذا قتلتم فـأحسنوا القتل، الحديث. . .» جميع هذه الأمور التى تفعل في بيوت الحكام مخالفة للشرع فـاعلم ذلك ونأمر من كـان مشغـولاً في خدمة الـسلطان او احد من الأمراء ان لا ينقص أجيراً شيئًا من أجرته بـل يحسن إليه اكثر مما حدَّ له ولا يسخر عاجزاً ولا من له عيال ولا من خرج عازمًا على سفر فان شق ما على الانسان أن يمنع من السفـر عند توجه الهمة إليه وكـذلك لا يسخر ترابًا ولا جمالاً قرب من مقـصده الذى سافر إليه فيرجعه ثانيًـا إلى البلاد البعيدة التى كان سافر منها ونأمره أن لا يتوسع قط في مأكل ولا ملبس فإن ذلك ليس من

ماله وفى المثل من دهن رأسه بزيت السلطان لا يمت إلا أقرع واذا كان هم الناس إلى خلجال رجهلم فهم عمال السلطان إلى آذانهم ونأمره بأن يخرج حق الله عز وجل من ذلك المال للفقراء والمساكين وغيرهم وأن لا يمنع سائلاً مما فى الدواليب من عسل او سيرج او زيت حار بالمعروف على العادة فى الدواليب سواء رضى أصحاب المال بذلك او لم يرض ونأمره ان يحسن الى بنى حاشيته الذين استعملهم بحسب منازلهم فى العادة والبلص الذين يصيرون يساعدون ذا عثر أو غضب عليه السلطان او الامير فيترك بابًا للصلح فمن فعل ما ذكرناه خرج من صحبة ذلك السلطان او الامير سالمًا غانمًا ومن خالف خرج معطوبًا خاسرًا ونأمر المحتسب بأن ينظر فى السوق بنور الله وأن يقف بالحسبة بقصد مصالح الفقراء والمساكين لئلا تغلو عليهم الأسعار ونأمره ان لا يتخذ من النقباء الا من كان ذا سياسة عنده قليل الصيد ولو اصطاد كثيرا لا بركة فيه ونأمره بان لا يقبل ممن يجازف فى كثرة الفائدة من الزياتين والخرارين والخبازين ونحوهم ونأمر شيخ العرب او شيخ البلد ان لا يأكل من الواسطة ولا يفرد عليهم مظلمة لنفسه ولا يسخرهم فى بناء دار ولا فى حرث ولا فى حصاد ولا دراس ولا غير ذلك ولا يسخرهم قط فى حرث ارض او حصادها وزرعهم ذائب فى الغيط فهكذا نفعل مع أهل سائر الوظائف الخارجة عن طريق الاستقامة فان هذه الوظائف قد استحكمت بحكم الوعد السابق من رسول الله ولا يقدر أكبر الأولياء اليوم على رفع خصلة منها وهى آخذة فى الزيادة حتى يخرج المهدى والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود إذا عصينا الله بأرض ان لا نبـرح منها حتى نعمل فـيها طاعة ولو صلاة ركعـتين أو قولنا أستغفر الله أو لا إله إلا الله مـحمد رسول الله ونحو ذلك فكما صارت البقعة تشهد علينا بالـمعصية فيها كذلك صارت تشهد لنا بالطاعة فيها إذا استشهدت يوم القيامة ثم بعد ذلك تخرج من تلك الأرض ان شاء الله وهذا الأمر قـد أغفله غالب الناس وقالـوا اذا عصينا الله تعالى فى مكان فتـحول عنه ولو كانوا قالوا كما قلنا لجمـعوا بين الطرفين، ثم اعلم يا اخى ان اللوم حـقـيقـة إنمـا هو على العـاصى لا على الأرض فقولهم إنها أرض سوء مجازاً قـال شيخنا ﷺ وحكم الثوب اذا عصينا الله تعالى فيـه حكم المكان وكذلك جميع مـا يكون آلة للعصيان حـتى الحمار الذى نركبه لموضع المعصيـة أو النعل أو القبقاب الذى مشينا به وان تصدقنا به كان افضل وافـضل بشرط ان يكون يصلح ان يستعـمل فى طاعة ومن هنا أمر الـنبى ببناء المساجد فى مـوضع الكنائس والبيع اذا أسلـم أهلها عـملاً بالعـدل فى الأرض فكما عـصى الله فيـها فكذلك يطاع واعلم انه لا يـجوز لمن عصى الله تعالـى بجارحة من جوارحه ان يقطعـها او يتلفها كـما يفعله بعضهم بل يفعل بها الطاعات الـتى خلقت لها بالاضافة وهذا الامر كان فى شريعـة من قبلنا فخـفف عنا تكريمًا لنبينا مـحمد ﷺ ، فـإذا فعلناه فكأنا نسخنا كرامة نبينا فـافهم وكذلك إذا تبنا عن فعل مباح كالمفـترجات وسماع الآلات المباحة نفعله بعد ذلك بنية ان الشـرع أباحه فيحصل لنا أجر الإيمان بأن ذلك مباح وهو طاعة بلا شك فاعلم ذلك.

أخذ علينا العهود أن لا نهجر صاحبنا اذا صحب أحدًا من الأشرار فربما

صاحب الاشرار ليسارقهم بالمـواعظ حتى يتوبوا عن الشر فتثنت في ذلك، ونستدل على صــلاح ذلك الرجل بصحبة صاحـبنا له الذى هو صالح عندنا ونجعل إشاعـة الفسق مثلا عن ذلك الرجل من باب سوء الـظن بالمسلمين فان المبغضين والحاسدين فى الناس اليوم كثير لا سيما أهل الدين والصلاح الذين رفعهم الله علـى أقرانهم ولم يزل التنقيص فى كل عصـر للأخيار من طائفة الاشرار.

وقـد تقدم فى عـهد أصـحـاب الكتب وجوب إحـسـان الظن بجمـيع المسلمين ورؤية العبد أنهم خير منه ولو فـسقة فضلاً عن العلماء والصالحين فـإنه لا يظن بالناس الشـر الا من كـان من أهـل الخـير ومن ادعى انه انمـا هجر صاحـبه لله تعالى لصحـبته للفسـقة قالوا له هذا ميـزان يقام عليك فى صحبتـك كذلك فإنك لا تسلم من الفسق فى عمل من الأعمـال إذا حققت النظر بعين البصـيرة بل تجد نفسك أكثـر فسقًا كما مـر أول هذه العهد والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود أن نتفـقد جمـيع ما فى دارنا من الدواب والحـشرات حتى الهرّ والعرسـة والنملة والذبابة وان لا نغفعل عن مصالحـهم ومعاشهم فنقدم اليهم ما يأكلون وما يشـربون بأنفسنا او بمن نثق به من العيال والخدام لا سيمـا فى أيام رمضان فان الناس لا يأكلون فـيها فلا تجد الـهرة ما تأكله فعلى من عنده الدواب والحشرات ان يفضل لها من عشائه ويترك لها لقيمات الزفر على اسمها كل ذلك لنكتب في ديوان المحسنين ان شاء الله تعالى ولا ينبغى لنا أن نهسمل من حل بساحتنـا من الدواب ونكلهم الى انفسهم فـربما

وكلنا الحق تعالى الى أنفسنا عقوبة لنا فنهلك كما هلكوا إما جوعًا وإما عطشًا وتقسو علينا القلوب التى كان يحصل لنا منها البر والمعاش.

واعلم يا اخى ان هذه الدواب ما طافت بك أو أقامت عندك إلا ترجو نوالك وحسنتك لحسن ظنها فيك فلا تخيب ظنها يخيب الله ظنك واذا رأيت نملة فاعلم انها ما خرجت من جحرها وبايعت اصحابها على الموت إلا لأجل القوت فإنها معرضة في حال خروجها لوقع حافر او نعل عليها فإذا رأيتها كذلك ولو فى غير بيتك فاجعل لها شيئًا فى طريقها او على باب جحرها مما تعلم انها تأكله كالدقيق او الطعام او الشراب وهون عليها طريق تحصيل رزقها يهون الله عليك طريق رزقك واحذر يا اخى ان تضرب الهرة اذا اكلت الدجاجة التى طبخت لك أو اكلتها نيّة فإن فى الحديث «العجماء جرحها جبار» ثم تأمل تجد اللوم عليك لا عليها لأنها ما خطفت الدجاجة إلا بعد أن جربتك فى البخل وأيست من برك وإحسانك ورأتك مرات وأنت تمر مش العظام إلى ان لا تخلى عليها رائحة لحم ولا جلد ثم ترميها لها منجرة مع انها مسكينة ليس لها صنعة تأكل منها ولا بيت تدخر فيه قوتها فلو كنت تفتقدها ولو بمصارين الدجاجة أو رأسها او تخلى لها على العظم بعض لحم لم تخطف شيئًا وقنعت بذلك واطمأنت على رزقها واذا كان الغالب على الرجال فى هذا الزمان عدم الطمأنينة فى الرزق فيكف بالقطيطة فافهم واحذر ان تجعل للنمل الطائف من قطران او تعليق فى السقف او مكان لا يحصل اليه فربما قيض الله لك بحكم العدل من يفعل لك مثل ذلك فى طريق رزقك ويقهرك على عدم الوصول اليه كما قهر تها ثم ان كان

ولا بد لك من جعل المانع فى طريق رزقها فأخرج لهـا نصيبًا مفروضًا على قدر ما يخصها إذا قرنت مع جميع أهل البيت ثم اجعل المانع بعد ذلك لئلا تتلفه أو تقـذره وتأمل اذا كان الله يجـازيك بالمعارضـة فى طريق رزقك اذا عـارضت نملة فكيف تـكون مجـازاتك اذا عـارضت أحـدًا من مـسـاكـين المسـلمين كمـا يشهـد لذلك حديث البـخارى «دخلت امـراة النار فى هرة حبستها فلا هى أطعمتهـا وسقتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الارض». انتهى. فاعلم ذلك.

أخذ علينا العهود ان لا ندعى قط كمال الإيمان بمـا اخبر به الشارع فإن أفعالنا تكذب دعوانا كـما تقدم بيانه أوائل العهود فإن عـلامات الساعة بارزة على كواهلنا وقد ارتفعت الأسـافل فى الأرض وقل البر والمعروف وساءت الظنون وانتشرت قلوب الخـلائق انتشار حبات الشعـير فى الماء الذى يغلى على النار وقل الرزق من كل شىء من المـعانى والأجسام وانحلت أسـباب رباط القلوب وغير ذلك من الأحوال المشاهدة لأرباب البصائر فإياك يا اخى ان تتكدر مـمن يقول يـا فاسق يا قليل الديـن يا من لا يخاف من الله فـإنه صادق فى قوله شئت أم أبيت كما سيأتى بسطه فى عـهد شهود الانسان فسقه ان شاء الله تعالى وقد وقع للأخ محـمد السرسى الضرير انه رآنى فى المنام وانا أقوده إلى ارض ناعمة سهلة وهو يتـفلت من يدى إلى ارض كثيرة الوعر والحرورات فقص ذلك على سيدى على الخواص وقال يا سيدى خفت على نفسى ان اكون قليل الدين فقال له الشـيخ هون عليك يا اخى فان اكثر الناس اليوم يشـاركونك فى قلة الدين ومن هو كامل الدين اليـوم أو يقدر على ان

يدعي ذلك فان شرط الكمال ان لا يقبل صاحبه زيادة وهذا أمر لا يصح لمخلوق. اهـ فاعلم ذلك.

أخذ علينا العهود أن لا نشاحح بياعًا قط ولا شريكًا لا سيما ان كان ذميًا وذلك لئلا يكون له المنة علينا في الدنيا والتبعة علينا في الآخرة ومن ذلك شحاتة الليمونة والفجلة بعد ان يفرغ أحدنا يشترى وأقبح من كل قبيح وقوع ذلك من تاجر عملك كذا كذا ألف دينار وبياع الليمون اكثر ما يكون رأس ماله أربعة انصاف فاعلم ذلك واعمل عليه.

أخذ علينا العهود ان نحثو في وجوه من يمدحنا التراب وصورة ذلك أن ياخذ أحدنا كفًا من تراب ويرمى به بين يدى المادح برفق كما كان الصحابة والسلف الصالح يفعلون ثم يقولون له وما عسى ان تمدح من خلق من هذا التراب الذى تطؤه الاقدام وتبول عليه الكلاب ومن هو انا وما قدرى توبخ نفسك بحق وصدق هذا معنى قوله ﷺ «احثوا التراب في وجوه المداحين» قولك ذلك يصدق ان لا تتأثر ممن لا يعظمك ولا يقوم لك ولا يجبلك فإذا تأثرت قيل لك فأين قولك نحن أقل الناس او تحت نعالهم فلولا انك ترى نفسك فوقهم ما تكدرت لعدم قيامهم لك مثلاً وما رأينا عبدًا تكدر من سيده اذا لم يقم له عند دخوله أبدًا بل ولا خطر له ذلك فافهم، فإن هذه ميزان تطيش على الذر ثم إياك يا اخى ان تمدح أحدًا في وجهه فتخجله ثم يجب على الممدوح ان يظهر الكراهة للمدح بين أصحابه حتى لا يرجع إلى مدحه ثانيًا فإن مدحهم له في الملأ يفتح عليه باب إقامة الميزان من جميع الحاضرين لينظروا هل هو كما مدح ام لا واكثر الموازين في هذا

الزمان جائرة فيخرج الممدوح كالنصف الزغل بعد ان كان مستوراً، وكان أنس ﷺ يقول: «لم يكن احداً أحب إلينا من رسول الله ﷺ وكنا لا نقوم له إذا مر علينا لما نعلم من كراهته بذلك» وإياك ان تمدح من يغلب على ظنك ان المدح يورثه العجب بحاله ولو من ورائه فإنك تؤذيه ولا تمدح ان مدحت إلا قوماً كنسوا بأرواحهم المزابل، والله عليم حكيم.

أخذ علينا العهود إذا كسلنا عن عبادة أن نتركها ذلك الوقت ولا نتكلف لفعلها إلا أن تكون واجبة تعظيماً لاوامر الله عز وجل وقد وقع للخليل عليه السلام أنه لما أمر بالختان لم يجد موسى يختتن بها فاختتن بالفأس فقيل له هل صبرت حتى تجد الموسى فقال انما فعلت ذلك خوفاً من تأخير امر الله تعالى، وقد نهى الله تعالى عن النفاق وعن التلبس بصفات المنافقين فى الصورة، قال تعالى فى صفاتهم ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ فخرج من يكلف نفسه بالعبادة مجاهدة لنفسه لا رياء فلازم فى ذلك وهذا العهد خاص بالكمل من العارفين أما المريدون فالواجب عليهم فعل العبادات مع الكسل لئلا يقع فى الردة عن طريق القوم وذلك أشد من الكسل فاعلم ذلك.

أخذ علينا العهود إذا كنا فى تلاوة قرآن أو حديث رسول الله ﷺ أن لا نقطع ذلك لكلام احد من الخلق إلا لضرورة نعرف من الله تعالى سامحتنا بمثلها وعدم دخولنا فى سوء الأدب بفعلها كما أنه لا ينبغى لآحاد الناس أن يطلب منا الإقبال على مخاطبته وترك مخاطبة من نحن بين يديه من الملوك والأولياء بل يعد ذلك من سوء أدبه ثم لا يلزمنا الإقبال عليه بخلاف

العكس قلنا الإقبال على الأعلى اذا كنا نكلم الأدنى بلا مشاورة قيامًا بواجب الرتبة واما اذا كنا نخاطب الأكابر فـمن الأدب أن لا نلتفت للأصاغر الا بعد استئـذانهم فنقول بقلوبنا دستور يا الله او دستـور يا رسول الله أن أكلم فلانًا ثم يكلمه بعـد ذلك ولا حرج وان كان قلب أحـدنا حيًا سـمع اذن صاحب ذلك الكلامك بحكم خـرق العادة إما على لسـان هاتف وإما بنطق الأرواح والله واسع عليم.

أخذ علينا العهود إذا ضرب أحدنا زوجته أن لا يجـامعها فى ذلك اليوم فإن من فعل ذلك صغـر فى عين زوجته وصار عندها كعـبدها حين ترى ذله بين يديها ورقتـه لها لأجل شهوة تلك الجلدة المدبوغـة بدم الحيض والبول وفى الحديث «لا يضـرب أحدكم ضعـيفتـه ضرب العبـد ثم لعله يجامعـها ويعانقهـا من يومه ذلك» ثم إذا أراد الجماع بعـد ذلك اليوم فليكن ذلك من طريق بعيدة.

أخذ علينا العهود ان لا نمكن احدًا يؤذى احدًا صلّى الصـبح فى جماعة لأنه فى ذمـة الله وجواره كمـا ورد فى الحديث الصـحيح فـإياك يا أخى ان تشـتكى من ذلك عليـه حق او تقـابله بالأذى إذا بداك هو به ونقـول ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ بل احتـمله لأجل من هو فى خفـارته سبـحانه وتعالى وتـأمل لو صرح لك أميـر بأن ذلك الرجل فى ذمتـه وجواره ذلك اليوم كيف تكرمـه غاية الإكرام فـضلاً عن السكوت عن مقابلته. وفى الحـديث «من كان يريد أن يعلم منزلته عند الله فلينظر منزلة الله عنده فان الله ينزل العبد حيث أنزله من نفسه» والله اعلم.

أخذ علينا العهود ان نذهب لصلاة العشاء والصبح فى غير سراج إلا لضرورة وذلك لما ورد من فضل الخروج للجماعات فى الظلام والسر فى ذلك يعرفه العارفون بالله عز وجل.

وفى الحديث «بشر الماشين إلى المساجد فى الظلام بالنور التام يوم القيامة» فعلق ﷺ حصول النور التام على الصراط وغيره لمن مشى فى المساجد هنا فى الظلام ومفهومه ان من مشى إلى المساجد فى سراج قل نوره هناك فافهم والله اعلم.

أخذ علينا العهود ان نكرم كل ضيف ورد علينا سواء كان مؤمنًا او كافرًا حتى الأيام والساعات والخواطر فنكرم الأيام والساعات والدرج والدقائق والثوانى بذكر الله عز وجل فى كثرة الاستغفار لتفارقنا وهى شاكرة غير ذامة اذا وقفت بين يدى الله عز وجل فإن كل شىء برز عن كن يرجع إلى محل بروزه بعد ادباره وشرط العارف الإقبال على ربه ليلاً ونهارًا فلا يفارقه ثانية او دقيقة او درجة او غيرها إلا وهى راضية عنه فتفارقه مختومة على ما وضعه فيها فلا يفك ختامها إلا بين يدى الله عز وجل فإذا فكت ظهر ما عمله فيها من خير أو شر أو هما معًا وأعظم صحائف الدواير مدة العمر ثم السنين ثم الشهور ثم الجمع ثم الايام ثم الساعات ثم الدرج ثم الدقائق ثم الثوانى فان عمل فيها كلها خيرًا كانت كلها بيضًا وان خلط كان فى كل دائرة نكتًا سوداء على حسب عدد السيئات، فأكرم ضيفك ولا تتوقف على كونه مسلمًا بل أطعم كل وارد ولو من غير الملة وقد استضاف مشرك إبراهيم الخليل فأبى الخليل أن يطعمه حتى يسلم فولى المشرك ومضى فأوحى الله تعالى

إلى إبراهيم: لأجل لقــمة تأمره ان يتــرك دينه ودين آبائه وعزتــى وجلالى إنه يشرك بى منذ سبعين سنة وأنا أرزقــه ليلاً ونهاراً فرجع ابراهيم فى أثره فرجع فأخبره فأسلم وصار يبكى ويقول وعاتبك ربى من أجلى، فاعلم ذلك.

أخذ علينا العهود ان لا نتكلف قط لضيف ولو أعز أصحــابنا ومن نعتقد فيه سدا لباب التكلف الذى تبرأ منه رسول الله ﷺ فى قوله «نحن معاشر الأنبياء برآء من التكلف» واعلم يا اخى ان كل من فتح باب التكلف للضيوف كره لقاءهم ضرورة وصــار يتوارى عنهم وأخطأ السنة وان شككت فى قولى هذا فامتحــن نفسك بما لو جاءك ضيوف من بكرة النهــار فذبحت وطبخت وعجنت وخــبزت لهم على ضحــوة النهار فأكلــوا ذلك ثم جاءك على الأثر جماعــة أخر يستحقــون الذبح فذبحت لهم وطبخت وعجــبت وخبزت لهم على العصــر فأكلوه ثم جاء جــماعة أخرى يســتحقــون الإكرام ففعلت كــما فعلت لمن قبلهم وأستوى ذلك على المغــرب فأكلوه ثم جاء جماعة أخرى فذبحت لهم وفــعلت كالاول وخبــزت بعد العشاء برقــدة فأكلوا ثم استــقبل جمــاعة أخــرى من الصبح وأظنك لا تطيق المــشى على ذلك ثلاثة أيام إلا وتعزم على الرحيل فى بلد اخرى وبتقدير أنك تصبر للتكليف فى شر الطعام فالعيال لا يصبرون لصنعه ذلك وأشق ما على المرأة العجين والخبيز والطبيخ فى يوم واحد مــرتين فإياك أن تتكلف وتغــتر بحكايات الكرام كــحاتم طيئ ومعن بن زائدة وأبو زيد الهــلالى سلامة واضرابهم فانهــم كانوا اهل مراتب فى الدنيا لا يــقدر أحد من أكــابر الأمراء اليــوم ان يتبعــهم على ذلك الكرم فضلاً عن مشايخ القرى والفلاحين وآحاد المعلمين والفقراء المتوكلين.

وقد كان أبو زيد الهلالى ينشد:

ومن يجعــل الطرقات أطناب بيــته

ولم يكرم الأضــيــاف ذاك ظلوم

وكان هو وغيره ينحر أحدهم للضيف الواحد الناقة فى عشائه فإذا أصبح ذبح له أخرى ويقول لا أطعم ضيفى من الــلحم البايت وكان لا يتعشى قط حتى تغيب نجمة الضيف.

وكان انس بن مالك ﷺ يخرج لضيفه الكسرة اليابسة والخل ويقول كُلْ يا اخى ولولا ان رسول الله ﷺ نهانــا عن ان نتكلف للضيف لتكلفت لك فوق ذلك، وأخرج عمــر بن عبد العزيز ايام خلافته لــلحسن البصرى نصف رغيف ونصف خيارة وقال كل يا حسن فإن الحلال فى هذا الزمان لا يحتمل السرف، وكان إذا دخل عليــه ضيف ولم يجد إلا الماء يسقــيه قبل ان يذهب وكذلك أدركت الشيخ يوسف الحريثى يفــعل ذلك، وفى الحديث «ما جعل ولى الله تعالى إلا على السخاء وحسن الخلق» فعلم مما قررناه أن من أخرج لضيفــه ما تيسر فى البــيت دامت ضيافتــه ومن تكلف هرب وترك فعل السنة كرهًا عليه، والسلام.

أخذ علينا العهود ان نتخلق بالرحمة على سائر الوجود لكن لا نبالغ فى الرحمة بالكلية بحيث نرق للذبيحــة مثلاً فلا نذبحها لأن الحق تعالى أرحم بها منا بلا شك وقد أمــرنا بذبحها فنذبحها من غــير مبالغة إلى غايتــها إيثاراً لجناب الله الذى هو أرحم الرحــماء فندع من الرحمــة بقية لئــلا يحصل لنا صورة ادعاء فى الرحمة اعلى منها فللرحــمة حكم لا تتعداه كما أن من رحم

الحربى أو الزانى البكر او المحصن او المرتد فلم يقتله فهو مذموم، وقد ذبح رسول الله ﷺ وهو أرحم خلق الله بعد الله وإنما قال ﷺ للذى رحم الشاة أن يذبحها إن رحمتها رحمك الله لكون ذلك الرجل كان فى مقام الترقى فمدحه لرحمته الشاة لكونه لم يجد عنده قسوة وإلا فمعلوم أن امتثال امر الله تعالى فى الذبح أرجح من تلك الرحمة التى منعته عن الذبح فافهم ذلك فإنه نفيس.

أخذ علينا العهود ان لا نهمل فعل الفضائل ونتساهل فيها بل نبادر بها قبل غيرنا، وقد قال بعض العارفين إياك ان تبدأ بالسلام من علمت بالقرائن أنه عازم على البداءة بالسلام عليك بل اصبر حتى يسلم هو وتكون أنت الراد وذلك لأن أجر الرد أعظم لكونه واجبًا وأحب ما يتقرب به إلى الله الواجبات، وقولهم الإيثار فى القرب الشرعية مكروه محله ما اذا لم ينتقل الى أعلى ما تركه فان انتقل الى اعلى ما تركه فليس ذلك مكروهًا لأن الله تعالى يباهى بالمؤمنين اذا تنافسوا فى الفضائل والكفارات فتأمل، فعلم ان المبادر للسلام فى هذه الصورة مؤثر بالقرب الشرعية وذلك مكروه فلو قدر أن كلا منهما كان عارفًا بهذه الصورة فيتربص حتى يكون غيره هو البادئ بالسلام لئلا يؤدى إلى رفع حكم المسألة بالكلية وأيضًا فلعلمنا بأننا أحوج إلى فعل الأمور المكفرة عنا سيئاتنا من غيرنا ولا شك ان فعلنا الواجب اعظم فى التكفير من المسنون واذا علمنا من انسان انه يكره سلامنا عليه وغلب على ظننا انه لا يرد علينا السلام فلا يطلب منا السلام عليه شفقة عليه فإنا اذا سلمنا عليه اوقعناه فى الإثم الحاصل من عدم الرد واذا لم نسلم عليه

رحمناه وأحلنا بينه وبين الوقوع فى الإثم فبهذه النية يا اخى اترك السلام واما اذا علمنا من دينه انه يرد السلام مع الكـراهة والاشمئزاز فنسلم عليـه ونجهر بالسلام جهراً قويًا ونبداه به فندخل علـيه ثوابًا برده السلام ونسقط من كراهته لنا بسلامنا عليه بقدر إيمانه ونفســه الصالحة ان كان ممن جبل على الاخلاق الحسنة وانما بدأنا بالسلام هنا وآثرنا عدونا باجراء الواجب لأن بدايتنا له فتح لباب الصلح وزوال العـداوة وذلك أوجب وأكثر أجـراً من الرد ويؤيده قوله ﷺ فى المتقاطعين «وخيرهما الذى يبدأ بالسلام» فافهم وتأمل واعلم ذلك فإنه نفيس.

أخذ علينا العهود ان لا نتزوج قط شريفة ولو للتبرك فـإن السلامة مقدمة على الغنيمة ويمكن التبرك بها وخدمتها والإحسان إليها بلا تزويج فلا يليق أن يتزوج بشريفـة الا من هو شريف او من ماتت نفسه وتهذبت أخـلاقه وباشر الايمان قلبه بحيث صار يعد نفسه خادمًا لهـا وعبداً من عبيدها يعتقد أنه متى خرج عن طاعتها أبق ولا يرفع له إلى السماء عمل فمن صار كذلك فليتزوج وإلا فالبعد اولى لأنها بضعة من رسـول الله ﷺ فمن أغضبها أو ساء أدبه عليهـا فكأنه فعل ذلك مع رسـول الله ﷺ وقد ثبت هذا الحكم لفـاطمة رضي الله عنها ثم هو لذريتها من بعدها إلى يوم القيامة.

فعلم ان من أقبح الخصال ان يتزوج الواحـد على شريفة او يتسرى عليها او يؤذيها بسوء خلقه او بخله ونتانه او يخالفها فيما تطلبه منه من المباحات.

ومن وصية سيدى على الخواص رحمه الله إياك ان تتزوج شريفة او تنظر إلى حجم بدنها وهى فى الأزار فـإن ذلك مما لعله يؤذى رسول الله ﷺ

وانت يا اخى لو رأيت أحداً يمعن النظر الى ابنتك وهى مارة أو وهى فى بيتها لتكدرت منه غاية التكدير وإياك ان تنظر إلى شريفة فى حال مبايعتها او فصدها او مداواتها إلا وأنت فى غاية الحياء والخجل منها ومن رسول الله ﷺ وإن كنت كامل المحبة لجدها ﷺ فاهد لها ما تطلب شراءه منك فإن الهدية لا تتوقف على معرفتها ولا رؤية وجهها وإياك إن كنت تبيع الأخفاف للنساء ان تنظر إلى رجلها فان ذلك من اعلى طبقات سوء الأدب واحذر ان ترد شريفًا خطب ابنتك او اختك مثلاً لأجل فقره وضيق يده او غير ذلك فإن رسول الله ﷺ قد سأل ربه عز وجل ان يكون رزق آى بيته كفافًا لا يفضل منه شىء فى غداء ولا عشاء فشىء اختاره رسول الله ﷺ لنفسه ولأهل بيته لا يسمى عيبًا ترد به الخطبة بل من سماه عيبًا كفر بكلام رسول الله ﷺ فاعلم ذلك.

أخذ علينا العهود ان لا نتقدم قط على قوم فى أمر من أمور الدنيا والاخرة إلا إن كانوا راضين بنا او كانت المصلحة لهم فى ذلك من حيث لا يشعرون او كان محموداً فى الدين فإن كان ينفعهم أو كان محموداً فى الدين تقدمنا عليهم ولا نبالى بكراهتهم لأن من كره ما ينفعه فهو جاهل ومن كره ما احبه الشارع فما هو بمؤمن ولا مراعاة لجاهل ولا لغير مؤمن فى الدنيا فإذا كنا أقرأ منهم مثلاً وأعلم منهم بواجبات الصلاة وسننها وآدابها فنقدم عليهم ولو لم يقدمونا عملاً بتقديم الشارع لنا ومراعاة لغرضه لا محبة فى الرياسة على غيرنا وأما اذا كرهوا إمامتنا لما فيها من الجامكية وأردنا محبتهم لنا نبعنا لهم ما فيها من المعلوم ولم نأخذ منهم شيئًا او تركنا لهم الإمامة

أصلاً إن كان فيهم من يقوم مقامنا وتأمل لما كره قوم امارة إسامة بن زيد قال رسول الله ﷺ والله إنه خليق بالإمارة ولم يعزله ﷺ لأجل كراهتهم له لكونها لحظ نفوسهم لا نصرة للدين وذلك لأنهم ما كرهوا توليته إلا لكونه من الموالى وهم من أكابر قريش فاعلم ذلك.

أخذ علينا العهود ان نذكر الله تعالى فى جميع مواطن الغفلات كالأسواق والمفترجات بقصد نزول الرحمة على الغافلين بحيث لا يعلمون فمن فعل ذلك سمى من المحسنين وتسمى هذه الخلوة خلوة العارف بربه عز وجل.

قال محيى الدين رحمه الله: ويكون ذكرنا لله فى مواطن الغفلة سرا بحيث لا يتنبه أحد له فينزل على الخلق الرحمة من حيث لا يشعرون.

قلت: الوارد فى ذلك ان يذكر الله جهراً فاعلم ذلك.

أخذ علينا العهود ان نكثر من الإحسان للناس رجاء ان يعمى الناس عن مساوينا ويتأكد ذلك على من كثرت عيوبه وما ثم لستر العيوب شىء أنفع من البر والإحسان وقد رأينا كثيراً من العباد لا يفترون عن العبادة ومع ذلك فعيوبهم مكشوفة لتجلهم وعدم إحسانهم ويقولون الكرم يستر، فاعلم ذلك.

أخذ علينا العهود أن نعمل بأحاديث الفضائل ولو قيل بضعفها لا سيما إن اعتضدت بالكشف ولا نهمل العمل بها كما هو الغالب فى الناس فبمجرد ما يسمعون بضعف الحديث يتهاونون بالعمل به.

وقد وقع للشيخ محيى الدين بن العربى ﷺ أنه اطلع على تعذيب امراة فى النار وكان قد عمل سبعين الفا لا إله إلا الله بقصد فكاك رقبة من النار

فقال اللهم اجعل ذلك فى صحائف فلانة فخرجت من النار لوقتها، والحديث الوارد فى ذلك لم يزل المتحدثون يتكلمون فى سنده فاعمل بمثل ذلك يا اخى ولا تستبعد حصول الأجر العظيم بالعمل اليسير فإن مقادير الثواب لا تدرك بالقياس.

أخذ علينا العهود أن لا نفشى لأحد سرا الا ان تكون مصلحة الإفشاء ترجع على مصلحة الكتمان ولا يشترط فى تسميته سرا أن يوصيك اخوك على ذلك بل يكفى القرينة فإذا حدثك وصار يلتفت يمنًا وشمالا فاعلم انه يريد منك الكتمان ولو لم يصرح هو لك بذلك ومتى تكلمت به ولو لزوجتك وصديقك كنت من الخائنين واذا علمت من نفسك عدم الكتمان فالواجب عليك ان تعلم بذلك من يريد يساررك ليأخذ حذره فإن الدين النصيحة فإذا أعلمته بحالك وأطلعك على سره بعد ذلك فاللوم عليه لا عليك.

وكان الإمام الشافعى رضي الله عنه ينشد:

اذا المرء أفشى سره بلسانه
ولام عليه غيره فهو احمق
إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه
فسر الذى قد اودع السر اضيق

فاعلم ذلك.

أخذ علينا العهود ان نسمع كلام العلماء والوعاظ ونعمل به ولو لم يعملوا هم به فننتفع وننفعهم بعلمهم من حيث لا يشعرون ومن قال لا أعمل

حتى يعمل العالم او الواعظ فاته خير كثير وهو حجة فى قلة الدين فإنه ليس لمسلم ان يترك العمل بما يعلمه من شرع ربه ويقول لا اعمل به حتى يعمل بذلك زيد من الناس فاعلم ذلك وسيأتي بسطه ان شاء الله تعالى فى مواضع.

أخذ علينا العهود ان لا نبغض احداً من الأنصار ولو بالغ فى أذانا فإن رسول الله ﷺ قال علامة الإيمان حب الأنصار وكيف ينبغى لمسلم أن يبغض ذرية من يحبهم رسول الله ﷺ من المسلمين ما ذلك إلا نفاق واعلم يا أخي أنه يلحق بأنصار النبى ﷺ وذريتهم فى المحبة كل من نصر دين الله تعالى في زمننا هذا من العلماء والمؤمنين فيحرم بغض هؤلاء وفى الحديث «إذا بغض الناس علماءهم واظهروا عمارة أسواقهم واكبوا على جمع الدراهم والدنانير رماهم الله بأربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولاة الحكام والصولة من العدو». انتهى. ثم إن أنصار الدين ينقسمون إلى قسمين قسم نصر دين الله تعالى ابتداء من نفسه من غير ان يعرف وجوب ذلك وقسم عرف وجوب نصرة الدين من نحو قوله تعالى: ﴿كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾ فهذا قد أدى واجبًا من حيث امتثاله امر الله تعالى فله اجر النصرة وأجر أداء الواجب، والله أعلم.

أخذ علينا العهود ان لا ننام قط مع احد تحت غطاء واحد ولو كان أعظم صديق وكذا لا ننام بحضرة مستيقظين أبدًا وذلك خوفًا أن يخرج منا ريح فى حال النوم لا نحس به فيضحك الناس علينا ويتعين ذلك ويتأكد على أصحاب المراتب العالية كالأمير والقاضى والصالح والمقدم والمعلم وكل من له مروءة.

وكان سيدى ابو الحسن الغمرى رحمه الله يقول لا أقدر على نوم بحضرة المستيقظين أبداً وكان اذا سافر فى مركب فى البحر ينام جالسًا لثلاثة أيام وأكثر. وكان يقول لا استطيع ان يخرج منى فى المركب بول ولا غائط ولو مكث جمعة ﷺ.

أخذ علينا العهود أن نلبس أنفس ما عندنا عند كل مسجد ومجتمع وعند قدوم الوفود والدخول على الاكابر عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ فعلمنا تعالى الادب معه كلما حضرنا بين يديه فى الحضرة الخاصة.

وفى الحديث أيضًا «إن الله جميل يحب الجمال» فنحب التجمل بالثياب تحببيًا لله تعالى لا بحكم الطبع والفخر فى الدنيا وكان ﷺ إذا قدم عليه وفد لبس أحسن ثيابه وأمر بذلك أصحابه وكان يصلح طيات عمامته فى حبب الماء ﷺ ثم لا يخفى ان من حضر بين يدى الملوك وعليه ثياب وسخة مخرقة تبدو عورته منها مع القدرة على أعلى منها فقد أزرى بحضرتهم فكن يا اخى جميلاً فى ظاهرك ذليل القلب بين أيديهم ساكن الجوارح بحضرتهم ودع عنك كل ما يزرى بك او بحضرة الاكابر فان حضرة الاكابر ملحقة بحضرة الحق لما هم عليه من محبة الجمال المقيد بالأشخاص وحسن الصور وغير ذلك ولذلك يتنازعون فى استخدام من كان جميلاً من الغلمان والعبيد ويتشوشون من وقوع بصرهم على شىء من القاذورات او العورات الحسية أو المعنوية فأعظم ما يكون عندهم وقوع بصرهم على شىء من محاشم رجل او امرأة.

وتأمل حياءهم فى اتخاذهم السراويل الطويلة العنان وتضسييق أكمام القمصان واتخاذ الخف والطـوق كل ذلك خوفًا منهم أن يبـدو للناس من أرجلهم أو أيديهم أو عنقهم لا سيما بحضرة الأكـابر فكل ما يكن عورة عند غيرهم فهو عندهم عورة ما عدا الوجه والكفين ﷺ.

وكـان الإمام على ﷺ يقـول لئن أنشـر بمنشـار احب الى من ان ارى عورة احد او أن يرى عورتي ولذلك يقال فى حـقه كرم الله وجهه لكونه لم يقع بصره على عـورة أحد قط، فعند الأكابر من الأدب ما ليـس عند غيرهم كما تقدم من بسطه مراراً.

أخذ علينا العهود ان نغتسل لكل يوم جـمعة وإن لم نحضر عـملاً بامر الشارع لنا بذلك وهو أحد المـذاهب والحكمة فى ذلك ان الله تعالى خلق الأيام سبعـة وهى أيام الجمعة فكلما انقضت دورة جـاءت دورة أخرى فهى الجديدة الدائرة ولا ينبغى لمسلم ان تفارقه دورة جمعة الا عن طهارة يحدثها فيها إكراما لها وتقديسًا لذاته فحكم هذا الغسل حكم السواك من حيث كونه مطهرة للبدن مرضاة للرب.

وسمـعت سيدى عليًا الخـواص يقول إذا أراد الخلائق التـأهب لدخول حضرة القدس فى الجنة لا يؤذن لأحد منهم فى الدخـول إلا بعد الغسل كما فى دار الدنيا فـإن لم يكن اغتسل للجـمعة فى دار الدنيـا وقف هناك خارج حضرة القدس ولم يؤذن له فى الدخول.

فدخول الناس فى حضرات الآخرة على صورة دخولهم فى حضرات الله فى الدنيا سواء.

وتأمل من أتى الجمعة في دار الدنيا من غير غسل لا يؤذن لهم في دخول حضرة الحق التي يدخلها المغتسلون أبدًا بل يجد عنده جفاء وحجابًا وقبضًا فعدد غسل الناس ودخولهم حضرات الآخرة على عدد غسلهم ودخولهم هنا فينغمس أهل الجنة هناك في الأنهار الكافوريات الكوثريات الممسكات من غير ان يجرد أحد منهم ثوبًا او ينزع حليًا فلا الماء يبلهم ولا الهواء ينشفهم بل ترشح أبدانهم من رشح الند والعنبر وتندو رءوسهم من طل المسك الأذفر. انتهى. وهذا الحكم الذي قررناه في الغسل يجرى في سائر المسنونات من أنواع الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها فكل سنة لها مرتبة في الجنة لا تنال تلك المرتبة إلا بفعل تلك السنة فإياك يا اخى والتهاون بفعل السنن وتقول الأمر سهل هذه سنة يجوز تركها كما عليه غالب طلبة العلم في هذا الزمان فيقال له في الآخرة إذا أراد درجة تلك السنة لست من أهلها لانك لم تفعل ما تنالها به، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

أخذ علينا العهود أن لا نكثر من النوم فمن أكثر من النوم جامع المفلسين يوم القيامة لأن النوم أخو الموت لا تحصل منه دنيا ولا آخرة وأكثر ما يكون النوم في الليل والنهار سبعون درجة منها مقدمات النوم والاستيقاظ وأعدل النوم أن ينام ثلث الليل دائمًا ويقوم الثلثين فينام ثلث عمره فإذا عاش ستين سنة يكون قد نام عشرين سنة فإنهم لم يعدوا النهار من العمر لكون الحق جعله معاشًا فافهم.

وكان شيخنا يقول: النوم زيادة على سبعين درجة معدود من الإسراف

وذلك يميت القلب عن تعاطي أسباب الدنيا وأحوالها مما لا بد للعبد منه وربما استحكم نوم الإسراف فى الإنسان حتى يصير ذلك مخالفًا لنوم الطبيعة الذى جعله الله راحة للجسد وزيادة فى النفس فيفسد على العبد أمر معاشه ويفسد عليه صحة مزاجه الأصلى وأعظم مفاسده فى الإنسان إضعاف الروح لكثرة ارتباطها بعالم الخيال وانفصالها عن الجسد لا سيما ان كان مظلما كثيفا بالأعمال الخارجة عن قوام السنة الإلهية والطبيعة الكلية ومن هذا الارتباط يتولد ضعف الاعتقاد وفساد القوة الخيالية المصورة للأشياء فى مرآة العقل فلا يشهد شيئًا قط إلا قابلا للتعقيد والإشكال حتى يختلط حاله فضلاً عن غيره فإن تمكنت العادة فى شخص بالنوم فى الأوقات المنهى عن النوم فيها كنوم الإنسان بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس ومن العصر إلى الغروب فقد عرض نفسه.

للهلاك وفساد صحة المزاج حتى يلتحق بالحيوانات البعيدة الإدراك.

قال شيخنا ﷺ: ومن آفات مطلق النوم فى غير وقت الصبح والمعصر أنه يورث الغفلة والنسيان ويورث كثرة البلغم والسوداء ويضعف المعدة وينتن الغفم ويربى دود القرح ويضعف البصر ويربى الغشاوة على العين ويضعف الباه عن الجماع ويفسد الماء ويورث الأمراض المزمنة فى الولد حال تكوينه وغير ذلك.

وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول: من أدمن من النوم بعد الصبح والعصر ضعف إيمانه بالبعث والنشور وأحوال البرزخ ويوم القيامة وكثر عليه التخيلات الفاسدة حتى لا يكاد يعقل شيئًا أبدًا من مصالح

دنياه وآخرته. انتهى. ولا بأس بالقيلولة فى أيام الصيف ولو قبل صلاة الظهر لحديث «استعينوا بالقيلولة على قيام الليل».

قال سيدى عبد العزيز الديرينى رضي الله عنه: والنوم قبل الظهر دواء للسهر الماضى وبعد الظهر دواء للسهر المستقيم، والله أعلم.

أخذ علينا العهود أن نأمر إخواننا بالإقامة فى حرفهم ولو قوى يقينهم بالله عز وجل كما تقدم بسطه فى عهد مشاعل الوالى هذا مع مراعاتهم إشارة شيخهم فى ذلك.

وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول: أحب العباد إلى الله تعالى من كان فى مشيه كالدابة التى تحمل أمتعة الناس ويسوقونها لا تدرى المتاع الذى على ظهرها لمن هو ولا مع من هو ولا تعلم هى مع من ولا بنفاسة ما حملته ولا نجاسته وهى صابرة على ما تقاسيه من كد العمل وعلى ما تلاقيه من شدة الجوع والعطش غير طامعة فى شىء ترتجيه فى الدنيا والآخرة فتأمل ذلك.

أخذ علينا العهود ان نسرع بتزويج البكر اذا بلغت فربما ساء خلقها على الرجال وطال لسانها عليهم بالتأخير لاحتراق شهوتها واحذر يا اخى ان تقيد تزويج بنتك على احد معين او بنظام فيه تعنت فتنفر نفوس الناس عنها ثم انك بعد ذلك تقع فى أخبث الناس حالاً لموضع اختيارك وتعنتك على إخوانك واحذر ان ترد صاحب حرفة دنيئة بل زوج يا اخى كل من له حرفة يحصل بها الرغيف، والله عزيز حكيم.

أخذ علينا العهود ان لا نمكن أحداً من إخواننا يشهد على ابنته بأن

جهازها لأمها او جدتها مثلاً بقصد حرمان الزوج او اولادها منه اذا ماتت فإن ذلك من اعلى درجات النفاق وعلامة على سوء الاعتقاد وشدة البخل وطول الامل ثم انه لا يبارك لمن فعل ذلك فيما حرم الزوج منه.

قال شيخنا ﷺ: وطريق الخلاص من ورطة هذا النفاق ان يجهز ابنته جهازاً وسطًا لا كلفة عليه فيه ثم يسمح لابنته به بطيبة نفس وانشراح صدر ولا يحتج المهور بخرق كسر خاطر ابنته فان ذلك من تلبيسات النفس ولم يراع الشرع الاجير الخاطر فيما لا ينقص درجة الانسان فى الجنة فان كان ينقصها تعين كسر خاطره وتنفعه من حيث لا يشعر وقد امن الله عز وجل العبد على عياله وأولاده ومتى سعى فى تنقيص درجاته فقد غشهم وخانهم ووقع بينه وبين الزوج وأهله الخصومات والتنافر كما هو مشاهد وهذا الامر قد كثر فى اهل مصر فصار الزوج يقول للخاطبة انظرى لى واحدة كثيرة الجهاز ولو كانت كبيرة فإنها احسن فربما تموت فأرثها ورأيت شابا تزوج عجوزا لاجل إرثه لما لها.

فطال الزمان عليه وهو يكلف نفسه فى وطئها شرب سم الأراقم فطلقها فانقضت عدتها فأخذها شخص فمكثت فى عصمته نحو سبعة أيام وماتت فورث منها نحو ثلاثة آلاف دينار فندم الأول ندمًا شديدًا حتى كأنه فوت صلاة العصر فى جماعة فلما علم أهل العروسة من الأزواج هذا الأمر ضربوا المكر كذلك على الأزواج جزاء وفاقًا، والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود ان لا نكلف الزوج ما لا يطيق اذا تزوج ابنتنا او أختنا او امرأة من أهلنا وذلك كأن نقرر عليه نفقة معينة او كسوة معينة زائدة على

حال الزمان الذى نحن فيه ونحذر الأم من التعنت على الزوج فى فعل مصطلح النساء الذى اندرس حكمه باندراس الأسباب وموت الدنيا ومكاسبها وذلك كأن تشرط على الزوج ان لا تدخل ابنتها عليه إلا بالفرح والمغانى وان لا تزوجها له الا بمهر امها او جدتها ونحو ذلك فإن الزمان قد استأخر وصار الرزق ينقص فيه كل يوم عن اليوم الذى قبله تارة كميته وتارة بقلة بركته وتارة بهما كما هو مشاهد فى أكثر الناس حتى صار أحدهم لا يقدر ان يحصل له رأس مال يجعله عقدة يبنى عليها أبداً والشاطر الآن من يعمل بنفقة يومه ثم اذا مالت ابنتك يا اخى إلى النقلة الى زوجها فلا تغضب عليها لأن الميل إلى زوجها هو الاصل لكونها مخلوقة له بالأصالة والأبوان انما كانا سبباً لايجادها له لا غير فافرح يا والدها بذلك وقل الحمد لله الذى ألف بينهما وكفانا شر التنافر واحذر يا اخى ان تميل على الزوج اذا شكت لك منه بل اصبر وتثبت واجمع بينهما مراراً ينكشف لك الأمر على جليته وتعرف السبب فى ذلك فتحكم على بصيرة وكن دائماً على ابنتك مساعداً لزوجها عليها ولا ترق لها أبداً بكثرة غضبها ومفارقتها للأزواج ينفلت سرك من جرتها هكذا قال المجربون.

واعلم أن كلما بالغت ابنتك فى الشكاية من زوجها فاستدل بذلك على كونها بالغت فى أذاه ومخالفة أغراضه وعدم القيام بواجبه فإن دخيرة الزوج لا تتحرك كل هذا التحرك إلا بشىء كثير لأنها لا تتحرك بنفسها فافهم، وان كانت بنتك كارهة ولم يقع بينها وبين زوجها خلاف فابر الرجل من الحقوق إن كان فقيرا والمصالحة على شىء، وإذا كان الزوج هو الكاره فخذ منه

الحق إن كان غنيًا وإلا فالمصالحة او التـوسط ولا تكثر الشد فإن كثرة الشد ترخى، والله أعلم.

أخذ علينا العهود ان نصلح النية عند الجماع نتخلق بالـرحمة المحمدية جهـدنا وطاقتنا ثم نفرغ المـاء فى الرحم وذلك ليخـرج الولد مفطورًا على الأخـلاق النبـوية فـإن الولد لا يخـرج عن صورة مـا كـان والده عليـه من الصفات المحمودة او المذمومة قـيد شبر فلا يلومن الوالد إلا نفسه اذا خرج ولده مارقًا فاسقًا محبًا للدنيا مفطورًا على أخلاق الشياطين.

قال شيخنا ﷺ: ولا ينـبغى للرجل ان يجامع ونفسه ميـتة عن الأعمال الدنيـوية والأخروية فـإن الولد كذلك يأتـى فيكون عـاطلاً لا ينفع فى شيء وكـذلك لا ينبـغى له ان يجامع وهو مـنازع لأحد فى دنيـاه فـان الولد يأتى كذلك منازعًا للناس مماطلاً وقس على ذلك الأخلاق النفيسة والتبعية والخير ونحوها، والله عليم حكيم.

أخذ علينا العهود ان نقلل من النكاح ما أمكن حفظًا للصـحة وخوفًا أن نصير فى المثل كفقيه الريف قليل العلم كثير النكاح وانما لقلة النكاح جعلوه قليل العلم لتهاونه فى الوقـوع فيما يهدم بنيـه ولو انه كان من أهل العلم ما وقع فى ذلك.

وتأمل يا اخى الحمارة او البـقرة او غيرهما من البهـائم من حين تعرف انها حـملت تمنع الفـحل عن نفسـها ولا تمكنه من نفـسها بعـد ذلك أبدًا تجدها أعقل من غالب الناس.

وقد كـان سيـدى أحمد بن عـاشر شـيخ تربة السلطان قايتـباى بمـصر

المحـروسة لا يأتى زوجتـه قط إلا على نية الولد وإعـفافهـا هى وكانت إذا حملت لم يقـرب منها حتى تضع وترضع ولدها وتفـطمه بعد عامـين وكان سيدى على الخـواص رحمه الله يقول: يكفى الواحد فى هذا الزمـان الكثير الغم والنكد كل شهر مرة لأجل إعـفاف المراة ولأجل شهوته هو وذلك لأن من كـان كامل الإيمـان يكثر تحـمله لهمـوم الناس وما هم فـيه من الـبلاء والمحن.

فـيلقيـه ذلك عن مـثل هذا الفـعل الذى يغلس وينجـبس ويغلس ظاهراً وباطنًا. انتهى.

فإن كنت يا اخى ناقص الـعلم قليل التحمل لهـموم إخوانك المـسلمين ففى كل اسبوع مرة فـان كنت أنقص من ذلك ففى كل ثلاثة أيام مرة لا أكثر من ذلك فى هذه الأيام، وفى الحديـث «من لم يهتم بأمر المـسلمين فليس منهم» ويقبح على حامل القرآن أن يكون قليل التحـمل لهموم المسلمين وأما من كان كل لـيلة فهذا قـد ضعف دينه حـتى لا يكاد يظهر لدينـه صورة فى الوجود ثم إن ذلك.

معدود من الاسراف والله لا يحب المسرفين وكأن من دخل فى الإسراف كأنه دخل فى فعل غير مأذون فيـه شرعًا فيكون عليه من رائحة الإثم ما على المسرف بالكليـة بسبب ذلك الجماع ولو كان من عادتهـا ترك الصلاة وعليه أيضًا تبعة نقص الأجر الذى حصل من تيـممها بدلاً عن الغسل او عن غسل رأسهـا مثلاً فـإن كشف رأسها كـل يوم وصب الماء عليهـا يضرها ويورث عندها الأورام والحـرارات والغسل كل يوم أو لـيلة فى غاية المـشقـة على

النساء سواء كان فى البيت او الحمام مع ما فى ذلك أيضًا من الأذى بكثرة لوث النساء بها فى دخولها الحمام كل يوم من الجيران والمعارف لا سيما إن كانت امها ساكنة عندها أو أبوها أو أخوها أو أختها فإذا لاثوا بها كان ذلك فى حقها يشبه العذر الشرعى فى ترك واجب لما فيه من كشف العورة وهتك السريرة وقد استفتى شيخ الإسلام الشيخ يحيى المناوى ﷺ فى شخص جاء يوم الجمعة ولم يجد مكانًا يستنجى فيه إلا الميضأة وعليها الزحمة واذا انتظر انفضاض الزحمة فاتته الجمعة فهل ينتظر الانفضاض أو يكشف عورته لأجل الاستنجاء تحصيلاً للجمعة.

فأجاب رحمه الله تعالى: الانفضاض من الناس ولو فاتته الجمعة، وخوف فوات الجمعة لا يبيح كشف عورته. انتهى.

وقد كان السلف، يخفون الغسل حتى عن خدمهم وأما إخفاؤه عن الأصهار فذلك كالواجب، ورأى سيدى على الخواص رحمه الله تعالى شخصًا دخل الحمام مع ابى زوجته ووالده فكاد أن يضربه على ذلك وقال أين حياؤك وأنت تدخل الحمام مع صهرك وأات عريس جديد بابنته، اذا علمت ذلك فخفف يا اخى الجماع جهدك ولا تسبب فى نقص دين زوجتك بإخراجها الصلوات عن وقتها أو نقص طهارتها وكن مساعدًا لها ومخففًا عنها المشقة ما أمكن كما خففت عنك أنت الآخر مشقة الشهوة وساعدتك على غض بصرك وحفظ فرجك.

واعلم يا اخى انه لولا خروجك إلى الناس واحتياجك لدخول المساجد وقراءة القرآن لأجل أمانتك مثلاً أو حضورك لكنت أنت الآخر تكسل عن

الغسل فى أغلب أوقاتك حتى تخرج الصلوات عن وقتها فإن المرأة صورة باطن الرجل فى الدين فكل ما تراه يبدو من زوجتك من الصفات المحمودة أو المذمومة فهو صورة ما انت عليه فى باطنك ففتش نفسك تعرف صدق ما أقول.

ولو كنت يا اخى تأتى زوجتك بنية صالحة لكانت عاقبته محمودة ولم يحصل لك فوات صلاة الصبح فى جماعة مثلاً فإن ما كان لله تعالى لا يحصل لعبد به تشتيت شمل فى فعل الخير أبداً بخلاف ما كان لشهوة نفس فإن من ملازمة التشتيت.

واعلم أن من أقوى علامة على ظلم قلب الفقيه قلة دين زوجته اذا لم يفض نوره على زوجته التى هى اقرب الناس اليه فكيف بغيرها ثم اذا جرى عليك المقدر بالإسراف بالجماع حتى أخرت امرأتك الصلاة عن وقتها فصلٍّ عنها من غير إعلامها جميع ما يفوتها من الصلوات بسبب جماعك لتخلص نفسك من تبعتها ولولم يكن من عادتها ان تجعل ثواب ذلك فى صحائفها فلعل الله تعالى يتقبل ذلك عنها ويحسبه لها فى الآخرة وإن حكم الشرع فى الدنيا بخلافه وهذا أمر سننته لك.

ولم أجده فى كلام أحد من العلماء وهو من باب من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها وقد يتزوج لذلك بقول العلماء وعلى الزوج ثمن ما غسل جماع ونفاس لا حيض واحتلام وإنما كان عليه ذلك لكونه كان سببًا فيه بخلاف الحيض والاحتلام.

وقد سن الشيخ أبو مدين شيخ المغرب صلاة ركعتين بعد الأكل يقرأ فى

الاولى ﴿لإيلاف قريش﴾ وفى الثانية ﴿قل هو الله أحد﴾ بلا فاتحة فى الركعتين، ولم يوجد، ذلك من كلام غيره من أهل السنة، والله أعلم.

أخذ علينا العهود ان لا نمكن أحداً من اصحابنا يفتح باب المجادلة بغير علم مع أحد عملاً بقوله ﷺ «لا يجادل فى الدين إلا منافق أو مرتاب فى دينه» وانما قيدنا ذم المجادلة بقولنا بغير علم ليخرج من جادل بعلم عن دين الله عز وجل فان ذلك واجب ولا يصل العبد إلى مرتبة العلم ويسمى من المجادلين بعلم إلا إن علم جميع طرق الشريعة.

وفى الحديث «إن الشريعة جاءت على ثلاثمائة وثلاثة عشر طريقة ليس منها طريقة يلقى العبد بها ربه الا دخل الجنة» رواه الطبرانى وغيره، فمن كان عارفًا بجميع هذه الطرق ورأى طريقًا يخالفها كلها فله الجدال وإن جهل منها ولو طريقة واحدة فلا ينبغى له الجدال لاحتمال أن يدحض بجداله طريقة من طرق الشريعة ويتبرى من العمل بها فيفوته خير كثير ويصير معدوداً ممن ينكر الشرائع واعلم يا اخى ان المجادل لك لا يخلو عن حالتين إما أن يطلب أن يردك إلى حالة دون ما أنت عليه او أعلى منه فمن الأدب أن تنزل معه او تصعد بالعلم وإما تضمنها على ما أنت عليه فهو دأب الحامدين.

قال شيخنا ؓ: ويلحق بالجدال بغير علم الغوص فيما أشكل على أهل العقول من معرفة معانى الحروف أوائل السور وآيات الصفات فإن معرفة ذلك خاصة ممن حق له قدم الولاية وقول بعضهم إن هذه الأمور لا تكشف لأحد فى هذه الدار قصور منه لجهله بمراتب العارفين وهو يؤدى إلى القول بأن الله تعالى خاطب عباده بما لا يفهمون ولا يعقلون وذلك عبث تعالى الله

عن ذلك، ويلحق بالجدال بغير علم أيضًا الخوض فى نحو قولهم فى القرآن هل هو محدث أو قديم وهل المكتوب فى المصاحف والمتلو بالألفاظ عين كلام الله أم هو كلام الله ونحو ذلك مما يؤدى الى هتك أستار الله عز وجل، ويلحق بذلك أيضًا مجادلة المقلدين من أهل المذاهب الأربعة وغيرها وإدحاض حجج بعضهم بعضًا بالأدلة العقلية واللغوية حتى أن احدهم يتبرأ من مذهب الآخر ويرى كان ذلك المذهب الذى تبرأ منه خارج عن الشريعة ولو اطلعوا على جميع طرق الشريعة لا يخرج عنها قول من اقوالهم كما أوضحنا ذلك فى خطبة كتابنا المسمى بكشف الغمة عن جميع الأمة، والله واسع عليم. انتهى.

أخذ علينا العهود ان لا نسعى قط لأحد فى الولاية او قضاءة او مساعدة تناله وعدم مساعدتنا له بالقلب والقالب إلا إذا علمنا صلاحيته لذلك دون غيره فإنا نساعده لمصلحة الدين والمسلمين.

وقد تقدم فى هذه العهود أن كل شىء جاء بسؤال لا يسد صاحبه فى القيام به ثم ان تولى وتجون علمناه طريق الخلاص للمذمة فى تلك الولاية كأن يقف بنية نفع الناس وتفريج كربهم وتخفيف المظالم عنهم ويرضى لنفسه بالقدر اليسير الذى لا يرضى به أمثاله كما مر فى عهد مصاحبة الظلمة والحكام، والله عليم حكيم.

أخذ علينا العهود ان نصبر لحكم من كان تحت حكمنا سنين ثم ساعدته القدرة على التولية علينا والحكم فينا وإن تغلست نفوسنا من ذلك قلنا لها اصبرى على جوره كما صبر على جورك سنين عديدة فإنك بذلك

تؤهلين لرجوعك الى ولايتك ولولا إخلالك بشروط ولايتك ما تولى فيها مكانك غلامه ولا أحد من صبيانك، فعلم ان لم يذعن لغلامه اذا تولى استحق دوام العزل من تلك الولاية كما جرب فإن أحداً لم يعزل قط من وظيفة وهو قائم بشروطها أبداً لا بد له قبل عزله من الإخلال بالشروط فمن أراد دوام ولايته الظاهرة والباطنة فلا يخل بشرط من شروطها فإنه يشرع بذلك فى أسباب العزل ومن شروطها عدم التقلق من كثرة حوائج الناس وأن يكون دائمًا ماكولاً مذمومًا فمن تقلق بما ذكر ولم يحتمل ذم رعيته له استحق العزل، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ انتهى.

فتحمل يا اخى قول الرعية ما تولى فلان علينا إلا لأجل شيء يأخذه او ما تولى إلا لمحبة فى الظلم والعواينة ونحو ذلك فإن بهذا التحمل تدوم ولايتك عليهم، والله عزيز حكيم.

أخذ علينا العهود أن نأمر جميع إخواننا بأن لا يدخلوا قط على فقير ولا عالم إلا ونيران عقلهم ونقلهم مكسرة وذلك لينفحهم من علمه وصلاحه فإن من دخل على فقير او عالم بقصد الامتحان لم يخرج إلا ممقوتًا من الله عز وجل ومقت الله للعبد قلَّ أن يمحى.

وسمعت سيدى الشيخ محمد الشناوى رحمه الله تعالى يقول: ما تذكرت قط أننى دخلت على صالح ولا عالم وخرجت من عنده بلا فائدة وما دخلت قط على انسان ممتحنًا له أبداً وقد كثر الامتحان فى هذا الزمان من غالب الناس فيدخلون على ذلك الفقير او العالم مظهرين له الزيادة والود

ثم اذا سمع احد منهم كلمة فيها دعـوى مثلاً خرج ينشرها فى الناس ويصير يقول وجدنـا عند فلان دعوى عريضـة واعتقادات فاسـدة وذلك لا ينبغى ان يقال الا بعـد مراجعـة صاحب الكلام وقولـهم له ماذا قصـدت بقولك هذا فربما يكون مخطئـا فيه عند عامة العلماء فحينئذ ينبـغى إشاعة ذلك عنه لئلا يتبع عليه والأعمال بالنيات، والسلام.

أخذ علينا العهود ان لا نقدم على انفسنا احـداً فى الدعاء إلا رسول الله ﷺ فقط عـملاً بقوله ﷺ «لا يؤمن أحـدكم حتى أكـون أحب إليه من نفسـه وولده والناس أجمعين» فمن قدم على نفسـه أحداً عن رسول الله ﷺ فهو دليل على تهوره وعدم عدله، اذا علمت ذلك.

فـقـدم يا اخى رسـول الله ﷺ ثم نفـسك ثـم والدتك ثم والدك ابا الروح ثم الجسم ثم أولادك ثم إخـوتك ثم أعمامك ثم بنى أعـمامك على ترتيب الارث ثم إخـوانك الأحيـاء ثم الأمـوات وأحق الناس بالدعاء بعـد الأقارب من له حق من الأحـياء والأموات فى علم او تعليم او قضـاء حاجة او إعطاء هدية او وفاء دين ونحو ذلك وانما ذكرنا الولد بعد الاب لقول نوح عليه السلام ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ فقـدم الوالد على الولد بقـرينة قول ابراهيم عليه السلام ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ فذكر بنيه بـعد نفسـه لكون أباه لم يكن على دينه، والله أعلم.

أخذ علينا العهود ان لا نهـدى ثواب عملنا فى صـحائف غـيرنا سـوى رسول الله ﷺ ومن دلنا على فعل ذلك العمل من العلماء والأشياخ لقوله ﷺ «من دل على خير فله مـثل أجر فاعله» فثواب اعمـالنا كلها بالأصالة

لرسول الله ﷺ ولنا مـن الثواب نظيره، وأمـا غيـر رسول الله ﷺ من الدعاة إلى الله تعالى فله نـظير الثواب لا عينه فافـهم واياك ان تجعل رسول الله ﷺ فى ذلك كغيره فتسىء الأدب.

فعُلم انه لا ينبـغى لقارئ مثـلاً ان يقول اللهم اجعل ثواب مـا قرأنا فى صحـائف فلان الولى او الصـالح او غيرهـما ممن لم يدله علـى فعل ذلك الخير وانمـا يقول اجعل نظير ثواب ما قرأته فـإن من اخرج عن ذاته الفاعلة عملاً من أعمالها فقـد ظلمها إلا أن يوصل الشرط الذى قدمناه ثم بتقدير ان الله تعالى يثيـبها على ذلك العمل فـهيهات ان يكفر ذلك مـا جناه العبد من الزلل.

وتأمل قصة آدم عليه السلام من الشـجرة كيف لم يوف جميع التكاليف بكفاراتها بل اعتـرف بعد ذلك كله وقال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ولو كـان فى التكاليف تعـرف لم يكن على العبد بعـد فعلها حجة فافـهم هذا فى ذنب واحد فكيف بمن يرتكب منا كل يوم ذنوبًا لا تحـصى، ويؤيد ما قلناه من أنه لا ينبـغى لعبـد ان يجعل ثواب أعماله لغيره وهو محتاج اليـه وقول العلماء من حج عن غيره قبل نفسه وقع عن نفسه دون الغير اللهم إلا أن يفيض الـثواب على تلك الذات حتى يعمها كلها فللإنسـان ان يتصدق على غـيره بالزائد كمـا فى الأموال الظاهرة ولكن قليل من الفقراء من يعرف أنه حصل له ثواب فياض عليه أم لا لعدم كشفه.

وكان اخى افضل الديـن رحمه الله تعالى يدرك اعمـاله التى يزيد ثوابها ويفيض والتى تجىء سواء بسواء والتى تنقص.

وكان ﷺ ينظر إلى عملى وهو صاعد فى الليل وأنا فى حارة بعيدة عنه ويقول لى صعد لك الليلة عمل كذا وكذا وعملك الفلانى كان أنور من العمل الفلانى، وأخبرنى ﷺ مرة برد دعائى فى حق شخص كان فى السجن دعوت الله بالليل أن يطلقه وقال لى رأيت الليلة دعاءك لفلان وهو يصعد ويرجع إلى الأرض، وأخبرنى بأنه بقى من مدة سجنه كذا كذا شهرا فكان كما قال ﷺ، فعُلم أن قول بعضهم بحصول الثواب ليت من القارئ ويعدم قبوله من غير كشف لا اعتماد عليه لأن كلا منهما ليس هو على يقين مما أفتى به، والله أعلم.

أخذ علينا العهود ان لا ننصح من علمنا عنده عناداً فى الدين بحيث اذا قلنا لا تفعل الشىء الفلانى يفعله مكارهًا لنا واذا سكتنا عن النهى له يتركه وهذا الأمر يخفى على كثير من الفقهاء فضلاً عن غيرهم لا سيما إن نهاه بعنف ونفس كقوله مثلاً لداخل المسجد اجعل بطن نعلك بعضه على بعض يا كلب يا فاسق يا من لا يخاف الله يا من هو ليس بمسلم ونحو ذلك من الألفاظ القبيحة التى هى أشد قبحًا مما نهاه عنه فكما قامت نفسه حتى خرجت عن الاعتدال كذلك تقوم نفس المأمور بالعنف، ثم اعلم أنه لا ينبغى لمن ليس عنده سياسة ورقة حاشية أن يكون ناصحًا ابدًا لان فساده أكثر من صلاحه ونصيحته عدم النصيحة لأنها تعرض المنصوح لمقت الله عز وجل فيرجع نظير ذلك على الناصح والله تعالى يجب من عباده من يراعى حقوق عبيده وإن جهلوا فإنهم خلقه وعبيده وكثيراً ما يحصل لمن ينصح بلا سياسة فيقابل المنصوح له بالأذى فيقول أنا الظالم الذى نصحت فيجعل

النصح الذى هو أدب ظلمًا وأصل ذلك القول من قلة سياسته، وكان شيخنا ﷺ يقول: لا يصلح النصح إلا لمن كنس بأرواحهم المزابل ونارت هياكلهم فأدركوا القضاء مدة التقدير على المنصوح وبقاها وذلك هم حينئذ يتخلقون بالرحمة فإذا رأوا التقدير نازلاً على العاصى كالمطر الان له القول بقدره وإذا رأوا التقدير نقص مدته أغلظوا عليه، وكان ﷺ يقول: ما دام الحق تعالى يخلق المعاصى للعبد لا يمكنه يتوب فاذا رجع الحق تعالى عن خلق المعاصى للعبد تاب لا محالة حتى لو أراد أن يعصى لا يجد ما يعصى به ويسمى صاحب هذا المقام من أهل التوبة النصوح وغيره من أهل التوبة الكاذبة والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود أن ننصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم فالنصيحة لله تعالى ان يعفو العبد ويصفح فيثنى عليه بذلك فيرجع ذلك الثناء إلى الله تعالى لأنه تعالى هو الذى شرع ذلك وندب إليه والغش فيه أن يفعل العبد عكس ذلك فلا يعفو ولا يصفح فيذم بذلك فيرجع صدره الذم إلى حضرة الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ وفى المثل السائر الولد الهوى يجلب لوالديه اللعنة، وقد قدمنا ان كل عارف يغار على الحق تعالى أن يذكره أحد بسوء كقوله ربنا ما عليه من الفقير وما يعطى إلا الظلمة والأغنياء أو ربنا جاى علىّ دائمًا فإذا سمع العارف ذلك وجب عليه أن يبيع عمامته ويعطى ثمنها لذلك الفقير صيانة لجناب الله تعالى عن الذم لا طلبًا للثواب فى الآخرة وغيرها فما نصح من نصح لله تعالى حقيقة إلا لإشارة جناب الحق تعالى على نفسه

كما ان من يطلب الثواب والثناء على العفو الصفح لنفسه دون الله فما نصح لله بل زاحمه فى شهود الملك فإنه لولا شهود الملك فيما اعطاه للناس ما طلب ثوابًا ولا شكرًا، وأما النصيحة لرسول الله ﷺ فقد مضت فى أيام حياته وما بقى له نصيحة بعد موته إلا أن تجعل اللام لام الاجل فكان الواجب على الصحابة أيام حياته ان ينصحوه إذا شاورهم فى امر لم يوح إليه فى شأنه بشىء كما نصحوه يوم بدر وحنين أراد أن ينزل بهم على غير ماء وكما نصحه عمر رضي الله عنه فى قتل أسارى بدر وكما قال له ذو اليدين أقصُرت الصلاة يا رسول الله ام نسيت ليعلم هل نسخ ذلك الأمر الذى لم يفعله وهو السلام فى الظهر من ركعتين أو أنه ﷺ فعل ذلك نسيانًا، وأما النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم فأن لا يكتم عنهم شيئًا من أمر دينهم وسواء كان الأئمة حكامًا أو علماء فإذا استفتوك يا أخى فى أمر جهلوه فالواجب عليك إعلامهم به فيعود النفع عليهم وعلى عامة المسلمين واذا تعارض عندك أمر أن احدهما يصلح دينهم والآخر يصلح دنياهم فقدم لهم الأمر بما يصلح دينهم، ثم لا يخفى على كثير من الناس وجوب النصح لأهل الذمة إذا رأيناهم يفعلون شيئًا من سفساف الأخلاق فدلهم على مكارم الأخلاق فينتفع الذمى بذلك فى الدنيا ويرجع علينا نحن أثر ذلك من الثواب فى الدنيا والآخرة وإن لم يتب هو وربما كان فى علم الله أن ذلك الذمى يسلم فيسلم على ما سلف من الخير ومن نصحنا للمشركين أيضًا قتالهم حتى يسلموا وإن كانوا يشعرون بذلك لكن هنا دسيسة لا تخفى على عالم عارف وهى نفرة بعض المقاتلين من القيام مقام المشركين فى قبضة الشقاء إذا رجع

المشركـون كلهم بقتالهم إلى قبـضة السعادة إذ لا بد فى كل قـبضة من اهل يقومون بها وإذا كره المقاتلون قيامهم مقـام المشركين أحيوا مقام المشركين فى قبضة الشقاء فما أخلصوا ذاتًا فى نصـحهم شيئًا فافهم. انتهى. ومن هنا قال الحسين الحلاج ما خرج أحد من الدعاة الى الله من جـميع الامة عن هوى نفـسـه أبدًا وأقـل مـا فى ذلك ان الداعى يطلب الأنـس بالاشكال فى المرتـبة ولو كان خـرج عن الهوى لم يرجح جـانبًا على جـانب ومن هذا الباب أيـضًا تأديب الأطفـال والمريدين والأرقاء بـالضرب والهجـر هو من نصحـهم أيضًا، وسـمعت سيـدى عليًا الخواص رحـمه الله تعـالى يقول: النصيحة هى الابرة والناصح هو الخيط الذى يولـف أجراء الثوب مثلاً حتى يصيـر قميصًـا كذلك الناصح فى الدين يؤلف متـفرقاته بالجـمع على كلمة واحدة قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ فافهم وتأمل تعرف خروج بعض المقلدين للمذاهب اليـوم من سياج أئمة مذاهبهم بتضعيف نصـوحهم وترجيح بعضها على بعض حـتى صار كل واحد يقول: الحق مـعى وحـدى، نسأل الله أن يلطـف بنا وبهم آميـن والحمـد لله رب العالمين.

أخذ علينا العهود إذا رأينا من يتجاهر بالمعاصى ولا يستتر أن نستره نحن بعدم إشاعة ذلك عنه وتكذيب من أشـاع عنه الفسق ونكون أولى به من نفسه كما إذا رأينا عالمًا لا يعمل بعلمه نعـمل نحن به فنكسب خيرًا وننفعه بعملنا وبعلمه من حيث لا يشعر هو فنكون من الـمحسنين بذلك وربما خلع تعالى

علينا علم هذا العالم جزاء لنا على كثرة شفقنا عليه ومحبتنا الخير له وسيأتى بسطه فى مواضع إن شاء الله تعالى.

أخذ علينا العهود ان نأمر جميع إخواننا بتعظيم الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات من حيث نسبتهم إلى مجالسة الحق تعالى فى قوله «أنا جليس من ذكرنى» وجليس الحق تعالى لا ينبغى لمن له عليه دين ان يتعرضه بالأذى وينوى له سوءاً فى حين من الأوقات وهذا الأمر وإن كان واجبًا فى حق المسلمين فهو فى حق الذاكرين أوجب وأوجب تعظيمًا لله عز وجل «وتأمل قوله تعالى «انا جليس من ذكرنى» ما قال من حضر معى ولا من شهدنى ولا من رآنى بل أثبت مرتبة المجالسة لمن ذكره تعالى بالله فقط ولو كان القلب غافلاً لكن مراعاة من حضر مع الله تعالى فى ذكره آكد من غيره كما عليه طائفة الأولياء، وفى الحديث الصحيح «من عادى لى وليا فقد آذنته بالمحاربة» فقيل لرسول الله ﷺ يا رسول الله من هم الأولياء، فقال هم الذين إذا رأوا ذكر الله عز وجل أى لدلالتهم عليه بالصفات التى تخلقوا بها فأول ما يقابلهم الرأى تنعكس الأشعة منهم إليه فيذكرون الله تعالى بعد أن كانوا غافلين ثم لا يخفى ان كل من ثبتت ولايته حرمت معاداته وهجره وقطيعته لا سيما بغضه فى حال كون يذكر الله عز وجل فى مجلس أو فرادى فإنه حينئذ فى حضرة الله الخاصة وذلك من أقوى علامات النفاق والبعد عن حضرة الله عز وجل ولم يجعل الحق تعالى نفسه جليسًا لعبده فى شىء من الطاعات غير الذاكرين فإياك ان تستبعد حصول الهداية لفاسق واظب على ذكر الله أيامًا فإن الله تعالى ربما تولاه واتخذه وليًا فى يوم او مجلس واحد،

وقد كان أبو على الدقـاق يقول: الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكـر فقد أعطى ذلك المنشور فاعلم ذلك واشكر الله عـز وجل الذى أعلمك بصفات أهل مجالسته لتعرف مقدارهم وتجتنب معـاداتهم ولا تكن أشقى العالمين فإن من آذى وليًا كتب من أشقى العالمين، وتأمل قوله تعالى فى عاقر الناقة ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ تعرف شقاوة من آذى الأوليـاء من باب أولى فإنه تعالى اذا حكم بالشـقاء لعاقـر الناقة فكيف بولى من أوليـائه، ثم اعلم يا اخى أن هؤلاء الفقراء الذين يقع من الناس الأذى لهم لو كانوا منـتسبين إلى أحد من الأمراء ما تجرأ أحد ان يؤذيهم احترامًـا لوجهه فالله أولى وأجل بمراعاة أهل حضرته فإياك أيها المـتشبه بالفقهاء أن تتعرض لفقـير أحدث مجلس ذكر فى جامع او زاوية وتتـعلل بأن رفع أصوات الذاكرين تؤذيك وتؤذى المـسلمين فإن ذلك من علامـة نفاقك، ولو أنك كنت سالمًا من النفاق حسـن الاعتقاد فى الله عز وجل محـبًا له لتلذذت بسماع ذكـره وحصل لك الشفـاء من كل مرض مزمن كما أنشد العارف بالله تعالى سيدى عمر بن الفارض رحمه الله تعالى عنه:

فـإن ذكـرت فى الحى أصـبح أهله
نشـــاوى ولا عـــار عليـــهم ولا إثم
وان خطرت يومًا على خـاطر امرئ
اقـــامت به الأفـراح وارتـحل الهم
ولو نضـــجوا منهـــا ترى قـبر مـيت
لعادت الـيه الروح وانتعش الـجسم

ولو طرحوا فى حائط كرمها
عليلا وقد أشفى لفارقه السقم
ولو قربوا من حانها مقعدا مشى
وتنطق من ذكرى مراقتها البكم
ولو عبقت فى الشرق أنفاس طيبها
وفى الغرب مذكوم لعادله الشم
ولو جليت سرا على اكمه غدا
بصيرا ومن راووقها تسمع الصم
ولو أن ركبانًا يمموا تراب أرضها
وفى الركب ملسوع لما ضره السم
ولو رسم الراقى حروف اسمها على
جبين مصاب جن أبراه الرسم
وفوق لواء الجيش لو رقم اسمها
لاسكر من تحت اللواء ذلك الرقم
ويطرب من لم يدرها عند ذكرها
كمشتاق نعم كلما ذكرت نعم
فما سكنت والهم يومًا بموضع
كذلك لم يسكن مع النعم الغم

إلى آخر ما قال، واعلم يا اخى ان صياح الذاكرين إنما هو عن شهود تجلى الحق تعالى لقلوبهم بما فوق طاقتهم ولذلك خر موسى صعقًا حين

كان التجلى فوق طاقــته وربما يكتم الفقير الصــياح فيرم نفسه فيــموت لوقته وساعته، وقــد حكى الشيخ احمد الضرير احد تلامذة الشــيخ عمر ردوشتى بتوريز العجم شــيخ الشيخ دمرداش المحمدى بظاهر القــاهرة المحروسة ان جماعة من علماء توريز العجم اعترضــوا على صياح جماعة الشيخ عمر فى الذكر وعقدوا على ذلك مجلسًا بحضور الــشيخ فنادى الشيخ معاشر الفقراء من كان منا فلا ينطق بصــياح ويكتم وارده ولو مات فافتتح الذكــر فغرقوا فى ذكر وصــاحوا غلبة فنظر اليــهم الشيخ شزرًا فكتمــوا فمات منهم اثنا عــشر رجلاً وغشى على نحو أربعمائة فقير، قال الشيخ احمد الضرير فأتوا بى الى هؤلاء المــوتى فوجدت أمــعاءهم قــد انفتــقت ووجدت أكــبادهم احــترقت فمسكتها بيدى فتفتت كالكبــد المحروق على الجمر فأرسل الشيخ عمر وراء العلماء الذين كانــوا أنكروا وكبيرهم مُلاً عــبد اللطيف كبير المــدرسين وقال لهم انظروا إلى هؤلاء الموتى هل يقول عاقل ان هؤلاء متغفلين ولكن سهم الله تعالى فــيك يا عبد اللطيف فــتطبقت عليه داره فى ذلك اليــوم فهلك هو وأولاده وعياله وخيله ولم ينج منهم أحد وكان يومًا مشهودًا فى توريز العجم فاحتــرمه عند ذلك السلطان وصار ينزل الى زاويته فنم عليه بعض الفــقهاء او قال نزولك لمثل هذا إخلال بحرمة السلطان فانه رجل جاهل ونحن نبين لك جهله فــجمعــوا جماعة من الــعلماء ورتبوا له أســئلة يسألونه عنها بحــضرة السلطان فدعــوه ليحضر فلما حــضر مسح الله تعالى تلك الأسئلة كلها من قلوبهم وصــار السلطان يقول لهم مــا تسألوا فــيقولون لم يبق عــندنا سؤال واحد وهذا ســحر منه لنا ولكن هذا يدعى أنه من أهل الكشــف ونحن نبين

لك كذبه فـقال السلطان بأى شيء تمتـحنونه فقال بهذا المـملوك وكان هذا المملوك خازن دار السلطان ومن أعز ممالـيكه عليه فجردوه من ثيابه وكفنوه ووضعـوه على النعش ودعوا الشيخ عمـر للصلاة فلما وقف عند رأسـه قال أصلى على حى أم على ميت فقـالوا على ميت فكبر عليه فإذا هو مـيت كما قالوا، فـمن ذلك اليوم كثـر اعتقاد السلـطان والأمراء فيه حـتى مات ﷺ، فاعلم ذلك والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود ان لا نمكن أحداً من إخواننا الفـقراء يبحث فى معنى المتشابهة والمحكم وإنمـا نأمرهم ان يصقلوا مرآة قلوبهم حتى يزول صداها ويصير يفـرق بين الحق والباطل ومعلوم عند كل عـارف أن الحق تعالى لم يكلف احـداً من عـباده بإدراك مـعـاني كلامـه القـديم على حكم المطابقـة والحـصر في نفس الأمـر ولو انه تعالـى كلف عبـاده ذلك ووقع لم يقع فى العالم خلاف بين المجـتهدين واتباعهم وتساوى علم التابع وعلم مـتبوعه، وقد قررنا غـير مرة ان خطاب الحق تعالى بالأوامر وغـيرها شامل لكل من دار عليه فلك الـربوبية من الأنبيـاء والصالحين والمـلائكة المقـربين والأئمة المهتدين والكفرة والمنافقين والطغـاة والظالمين وسائر الخلق أجمعين فمن ادعى بفهمـه تخصيصه بقـوم دون قوم او بمذهب دون مذهب ورد ما فـهمه أحد من المـسلمين فكأنه يقـول أن الحق تعالى لم يخـاطب هؤلاء بتكليف هذا فى الأمور الصريحـة فى الدين دون المستنبطين فإن مداركهـا خفية على غير العلماء، والله عليم حكيم.

أخذ علينا العهود ان لا نمتنع من تزكية مـسلم يأمر بالمعروف وينهى عن

المنكر ويؤمن بالله بحسب درجته عملاً بقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ الآية، ولا ينبغى لنا ان نمتنع من التزكية له اذا طلب منا ذلك فإننا ما زكيناه إلا بتزكية الحق تعالى كرامة لمحمد ﷺ وذلك خاص بجميع أمته ولو أنه استثنى أحداً منهم لم يكن لمحمد ﷺ سيادة على غيره من الأنبياء والمرسلين فى ذلك فافه وإياك ان تجرح من أثبت الحق تعالى عدالته وزكاه عند نبيه ﷺ فإن التجريح ليس من شان الفقير واستر فضائح إخوانك المؤمنين فى دينهم وطرق اسباب معائشهم ولا تقم عليهم ميزان عقلك يقم الله عليك الميزان واحفظ حرمتهم لا سيما ان كانوا مسلمين على المعاصى ويتسترون عند ارتكابها واذا دعيت لتزكيبة أحد وشككت فى حاله فلا تزد على قولك ما أعلم منه إلا أنه خير منى اللهم إلا أن يكون فسقه بالأمور التى تضيع الحقوق كالكذب والنصب وشهادة الزور فللفقير ان يبين ذلك وان كان فيه تجريحًا ولا حرج عليه هكذا درج عليه السلف من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، وكان ابن عباس رضي الله عنهما لا يرد شهادة أحد من المسلمين إلا إن كان فسقه يتعلق بالمشهود به ويقولون لا يلزم من فسق أحد بشىء وتهاونه فى الوقوع فيه ان يقع فى نظائره. انتهى.

أخذ علينا العهود أن لا نمكن أحداً من إخواننا يصغى لمن يحط على أحد من الأولياء كائنًا ما كان ولا نمكنهم من ذكر كراماتهم ومناقبهم بحضرة من ينكر عليهم فيكون ذلك سببًا لزيادة المقت للمنكر ولتنقيص ذلك الولى وحكم من فعل ذلك حكم من يذكر فضائل أبى بكر وعمر بين الروافض، وقد فعل نحو ما ذكرناه القشيرى رحمه الله تعالى فإنه ذكر عقيدة الحلاج

أول الرسالة على الكتاب والسنة ليزيل بعض ما فى نفوس الناس من اعتقادهم حيث طويته ثم لما ذكر مناقب الرجال ذكره في الأواخر حتى لا يتطرق التهمة لمن ذكره من الرجال واعلم أنه لا ينبغى ذكر مناقب الشيخ محيى الدين وابن الفارض وابن سبعين وأضرابهم بحضرة من ينكر عليهم واذا ذكرنا عن احد منهم ادبا فالأولى ان نقول قال بعض المحققين كذا وكذا ولا يصرح قط بذكر أسمائهم فيكون سببًا لمقت المنكرين لأن المتعصبين فى الغالب مقلدون فربما ردوا الحق اليقين لكونه جاء على لسان ذلك الشيخ وقد شاهدت مقت جماعة كثيرة من جهة التعريض لسيدى عمر والشيخ محى الدين ولم ينفع الله تعالى أحدًا منهم بعلمه وقد أخبرنى الشيخ الصالح أمين الدين إمام جامع النحرى أنه رأى شخصًا كان ينشد لمن يتعاطى الشراب خمرية سيدى عمر ابن الفارض ويستهزئ به فحول الله تعالى بوله وغائطه إلى أنفه وفمه ولم يزل كذلك إلى أن مات، وأخبرنى الشيخ محمد التاجر أنه كان ساكنًا على مكان يشرف على قبر الشيخ محيى الدين بن العربى فجاء شخص من فقهاء الشام المنكرين على الشيخ وبال على قبره فخسف الله تعالى به الأرض إلى ان غاب وأنا أنظره ثم إن أهله فقدوه من تلك الليلة فأخبرتهم الخبر فحفروا الأرض فوجدوا رأسه فحفروا فهال فلم يزل كلما حفروا غار ولم يقدروا على إخراجه، نسأل الله العافية.

أخذ علينا العهود ان نعلم عيالنا الآداب الشرعية والعرفية ولا نحوجهم إلى الخروج إلى فقيه أو واعظ أجنبى يتعلمون منه فإنا نحن المطالبون بذلك دون غيرنا وفى الخروج آفات لا تحصى أقل ما هناك رؤية الأشكال الجميلة

من الشباب فربما مالت نفوسـهم وكرهت شيخوختنا وقال السلف من أطلق ناظره أتعب خـاطره وعلينا أن نـنصح عيـالنا حـتى الجـوارى السـود ان لا يخرجن لحمام أو غيره إلا بياب خلقـة دنسه تزدريها العيون وتتكلف لرؤيتها النواظر ونعلمهن ان رسول الله ﷺ اخبـرنا أن من لبست منكن ثوبًا حسنًا او بخرت لها ثـوبًا عند الخروج لعنها كل شيء مرت عليـه حتى ترجع إلى بيتهـا ونعلمهن إذا دخلن بيت أحد لعيادة او غـيرها ان لا تجلس على فرش أهل البـيت إلا بإذنهم وتجلس تحت الإيوان حتى يعـزم عليهن اهل الـبيت بالجلوس فوق الإيوان ونمنعهن جزمًا من الخروج الى محل المفترجات التى يختلطن فيها مع الرجال وكذلك من سكـنى البيوت التى طيقانها تشرف على الشوارع فمن مكن زوجته من ذلك تلفت، والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود ان لا نقـرأ حديث رسـول الله ﷺ حتى نقـدم بين يدى قراءته صدقة إما من المال إن كنا أغنيـاء وإما من أنواع التسبيح والتهليل والصـلاة على رسول الله ﷺ إن كنا فـقـراء قال ﷺ «كل سـلامى من الناس صدقـة» وعد ﷺ من الصدقـة التسبـيح والتهليل والأمر بالمـعروف والنهى عن المنكر فقد وسع ﷺ عليك يا اخى وما بقى لك عذر فى عدم الصدقة قبل قراءة الحديث وأمـا الصدقة قبل تلاوة القرآن فلم يبلغنا فى ذلك شىء، والله اعلم. انتهى.

أخذ علينا العهود ان لا نشدد فـى إزالة منكر إلا إذا كان مـجمعًـا على تحريمه او يهدم الدنيا والدين كـالمرافعة فى الناس عند الحكام والسعى فى اخذ اموالهم بغير حق وكالمراودة لأجنبية عن نفسها وكالغصب وقطع الطريق

والسعى فى إبطال صلاة الجماعة من المسجد للشعائر ونحو ذلك، أما ما لم يجمع على تحريمه ولا يختل نظام الدين بفعله مثلاً كالطبل والمزمار وسماع الغناء والاجتماع فى مواضع التنزهات وموالد المشايخ الذى يجتمع فيها أخلاط من الناس كمولد سيدى احمد البدوى وأضرابه فالأمر فى ذلك سهل ولم يزل العصاة والزناة فى نفس البلد يزنون ويشربون الخمر فالمصلى يصلى والزانى يزنى لا خصوصية لهذه الموالد ولكن إن ظفرنا بمنكر غيرناه جهدنا بشرطه، واعلم يا اخى ان مصالح الموالد والفرجات أكثر من مفاسدها وأقل ما فيها زوال ملل النفوس من العبادات والصنائع الشاقة على النفوس وتنفيق سلع الحلوانيين والفاكهانيين واحتراف الحكويين والمشعوتين والشعراء والمحبظين فيسمعون الناس الكلام المضحك المخفف لهموم الدنيا وكربها الحاصل من ارتكاب الديون والتعب فى تحصيل نفقات العيال والأولاد وتوفية ما عليهم من المظالم للمحتسب والفقراء وكراء البيوت والحوانيت وأنت يا فقيه فارغ من ذلك كله لا يقول لك ظالم قط أعطنى نصفًا وما عند أهل الجنة خير من أهل النار وسيأتى إن شاء الله تعالى عن بعض العارفين انه كان يقول: وجوب إزالة المنكر إنما كان أوائل الإسلام وأما الآن فما بقى إلا الاستحباب، وسمعت سيدى عبد القادر الدشطوطى رحمه الله تعالى يقول: أصل تحريم سماع الآلات إنما هو لأجل خوف تعطيل الناس حرفهم التى تجلب لهم نفعًا فى الدين والدنيا فأما اذا صارت الآلات نفسها يحترف بها أصحابها معائشهم فالأمر فى ذلك سهل والاستغفار يطفئ غضب الجبار، والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود ان لا نمكن احدًا من اخـوانـنا يقرأ القـرآن بعرض من الدنيا كمـا تقدم إيضاحه أوائل هذه العـهود وأما أخذ الصـحابة الأجرة على الرقية لمن لدغ بالعقرب فذلك من حيث التداوى لا من حيث قراءة الفاتحة فأقاموا تلاوة القرآن مقـام الدواء الكونى ولو كان ذلك من حيث أجر القرآن ما قال ﷺ لهم: اضربوا لى مـعكم بسهم، فعلم ان من الأدب للقارئ ان يقرأ القرآن قربة إلى الله تعالى ويأخذ ما أعطيه على ذلك ابتداء عطاء من الله لا بيعًا للتعـب فى تلاوة القرآن بعرض من الدنيا وقد كثر مـن بعض الفقهاء بيع أجر التلاوة حتى ربما أعطاهم إنسـان دارهم ليقرءوا عنده ليلة الجمعة او ليلة القدر فيعطيهم شخص آخر بزيادة فلوس فيفسخون على الأول فإن تكدر قالوا له تزيـد ونحن نفسخ لك ولو أنهم كـانوا يقرءونه بقصـد الثواب كـما يدعون ما قـالوا ذلك ولكن ان قدر على فقيـه الوقوع فيمـا ذكرناه فليستـغفر وينوى بذلك تصديق رسول الله ﷺ فيما اخبر فى قوله «وسيجىء قوم من أمتى يقرءون القرآن بعوض من الدنيـا» أولئك قوم قد خرجت عظمة الله من قلوبهم، فـإذا نوى بهذا الفـعل القبـيح تصديق رسـول الله ﷺ صار من الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا.

وقد وقع للأخ محمد السرسى الضـرير أنه قرأ مرة لامرأة على قبر ولدها سورة يس وسـورة تبارك وقل هو الله أحد والمعـوذتين فأعطته درهمًـا فرده عليها وقال والله قد قرأت لك شيئًـا يساوى ثلاثة نقرة فلولا أن الشيخ محمدًا هذا ساذج مغفل لقلنا انه لا يعرف للقرآن عظمة، والله عليم حكيم.

أخذ علينا العهود ان نقر وقـوع المعاصى فى الأرض من حيث التـقدير

الإلهى ونكرهها وننكرها من حيث الكسب عملاً بالحقيقة والشريعة فى ذلك فإن الله تعالى كره المعاصى مع إرادة وقوعها فى الكون فكما أن الحق تعالى يريدها ولا يحبها فكذلك يجب علينا ان نقرر وقوعها في الوجود بالقلب دون اللسان تبعًا لإرادة الحق تعالى ونكرهها ولا نرضاها لأنفسنا ولا لغيرنا من حيث الكسب ومن هنا قال الأئمة يجب الرضى بالقضاء لا بالمقضى فعلم بما قررناه أن حقيقة إرادتنا لوقوع المعاصى فى الأرض هو التسليم لله والسكوت لا حث الناس على فعلها كما هى حضرة الطاعات حتى لو رأينا جميع حضرات قبضة الشقاء قد تعطل لا يجوز لنا أن نحث الناس على استعمالها.

واعلم أيضًا بالمعاصى من حيث الكسب أخطأ وصارت معصيتين ومن سخط على الله من حيث التقدير أخطأ وصارت معصيتين ومن سخط على الله من حيث الكسب ورضيها من حيث التقدير أصاب وكانت طاعتين ومن طلب رفع المعاصى من الوجود فهو جاهل بما تطلبه حضرات الأسماء الإلهية فرحيم بمن وغافر لمن وعفو عن من وحليم على من ومذل لمن ومنتقم ممن ونحو ذلك فإن أثر هذه الأسماء فى حق من لم يعص لا يليق فلولا العاصى ما ظهر فضل كمال ذلك وحلمه على عباده، وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول: إنما كان التشديد فى إزالة المنكرات أوائل الاسلام حين كان الدين آخذًا فى الكمال وأما اليوم فما بقى إلا مطلق الوجوب من غير تشديد لأن الدين على أواخر مراتبه فى النقص فقال له شخص يا سيدى ينبغى القول بالعكس الآن امساكا لوج الدين فيكون

المطلوب الآن التشديد وهيهات أن يرتدع الناس، فقال الشيخ حفظت أشياء وغابت عنك أشياء وذلك ان التشديد لا يحمله الاقرب كالصحابة والتابعين فلو كلفنا الناس الآن بها كلف به سلفهم كان ذلك من اشد التكليف عليهم وكانت الشريعة عذابًا عليهم وموضع الرخص فى كل عصر إنما هم للضعفاء الآن وحكم غالب الخلق الآن حكم قريب العهد بالإسلام فتأليفهم واجب فقال له الشخص هل لك فى ذلك دليل من السنة؟ فقال نعم قوله ﷺ لحذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ اذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم وخفت أماناتهم واتبعوا أهواءهم وآثروا دنياهم على آخرتهم وأعجب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة. اهـ. فقوله ﷺ ودع عنك أمر العامة أمر لنا بالسكوت عند وقوع هذه الصفات من الخلق وقد وقعت كلها كما هو مشاهد وصدق رسول الله ﷺ فيما قال فمن سكت الآن على ما يراه من العامة كان بإذن من الشارع بل امتثال ذلك أولى لأن قوله ودع كان كالناسخ لوجوب الأمر السابق منه بتغيير المنكرات وفيه الحجة باقامة عذر للآمرين والمأمورين لانه فى زمن ظهور علامات الساعة. اهـ.

أخذ علينا العهود ان نعمل بالآداب المنقولة عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وان لم نعرف لها مستندًا او نرى ذلك مقدمًا على قول العالم من علمائنا وهذا العهد قل من يعمل به من المتقلدين فنقول له هذا ورد عن الامام على فيقول أفتى فلان بخلافه ولا يلتفت بقول الإمام على مثلاً وما هكذا كان الأئمة المجتهدين ﷺ.

وقد نقل ابـن الصلاح فى علوم الحـديث عن الامام الشـافعى رضي الله عنه انه قال فى رسالتـه القديمة بعد أن أثنى على الصحـابة بمًا هم اهله من الفضل والصحابة فوقنا فى كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر استدرك به واستنبط به ذا رأى لنا احـمـد واولى من رأينا عندنا لأنفـسنا. اهـ. فـانظر يا اخى هذه الأوصاف من هذا الإمام بل نـقل عنه رضي الله عنه أنه لما زار قبر الإمام أبـى حنيفة رضي الله عنه أدركتـه صلاة الصبح فـترك القنوت وقال كـيف نكون فى مكان الرجل ونخالـف اجتهـاده فرضى الله عن أهل الإنصـاف ثم أقل أحوالنا أن نـجعل كلام السلف وكلام المـتقدمين لأئمة المذاهب الذين نعـمل بفتاويهم لنا فى الحلال والحرام ولا نعرف لهم مستنداً وقـد جاء عن أهل البيت آداب كثيرة لم يجد العلمـاء لها مسـتنداً وقد تتبـعت غالبها وذكـرت بعضه فى العـهود الكبرى واكثر من يفعل هذه الأداب العجائز وكثيراً ما كنت أسمع أمى رحمها الله تعالى تقول: لا تزوروا المـريض يوم السبت ولا تتخطوا غسـالة الثياب ولا تدوسوا على نجارة برى الأقلام ولا تغزلوا ولا تخيطوا يوم الجمعة ولا تقصـوا الأظفار يوم السبت ولا يوم الأحد ولا تغـسلوا الثيـاب يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخـميـس أو الجمعة ولا تتزوقـوا لرجالكم ولا تفصلوا قميـصًا ولا غيره يوم الاثنين ولا تشربوا فى كـوز البلور، فقلت لها من أين عرفت ذلك؟ فقـالت علمته لى أمى وقالت إنها تعلمت ذلك من أمـها فلما كبرت وتتبعت آثار الصحابة وأهل البيت رضي الله عنهم وجدتها مسندة فأما منع الزيارة يوم السبت فهى عن الإمـام على رضي الله عنه وأما عدم تخطى غسالة الثـياب فعن فاطمـة رضي الله عنها وأما عدم الدوس على براية الأقـلام فعن ابن عبـاس رضي الله عنهما وأما

عدم الغزل والخياطة يوم الجمعة فعن عائشة رضي الله عنها وأما عدم قص الظفر فى اليومين السبت والأحد فعن على أيضًا رضي الله عنه وأما عدم غسل الثياب فى الأيام المذكورة فعن فاطمة أيضًا رضي الله عنها فقد رأت قومًا يغلسون ثيابهم يوم مات رسول الله ﷺ فكرهت ذلك وقالت تشتغلون بنظافة ثيابكم يوم مات نبيكم ويقال إنها دعت عليهم فشاورتها امرأة أن تغسل قميص زوجها يوم الثلاثا فقالت حتى تمضى الجمعة فمن محبة أهل البيت ان نكره ما كرهوا وأما عدم الشرب فى الكوز البلور فنقل البيهقى أنهم لما عطش الحسين رضي الله عنه أيام الحصاد كانوا يملئون له كوزا من البلور ويرينه له رضي الله عنه فيقول لهم لأجل جدى اسقونى شربة من ماء فيرجعون بالكوز ولا يسقونه فالأعمال فى مثل ذلك بالنيات. انتهى.

أخذ علينا العهود ان لا نمكن أحدًا من اللغط ورفع الصوت عند تلاوة القرآن او قراءة حديث رسول الله ﷺ ومن قرأ سورة الحجرات كفته فى الأدب مع رسول الله ﷺ وفى الحديث أيضًا عند بنى لا ينبغى التنازع ومعلوم ان لقارئ كلامه ﷺ بعد موته من الحرمة ما لرسول ﷺ أيام حياته بل أشد لأنه ربما كان رسول الله ﷺ يستغفر لمن قل أدبه عند سماع حديثه لو كان حيًا بخلاف قارئ حديثه ﷺ فاسمع يا اخى ولا تجادل قط فى فهم كلام رسول الله ﷺ واعمل على حلاوة مرآة قلبك ليصح تلك دخول حضرته ﷺ وتفهم كلامه فان من كان خارج حضرته فهو فى حضرة إبليس، والسلام.

أخذ علينا العهود ان نحفظ حرمة اصحاب المنافع العامة ونقوم لهم اذا

وزدوا علينا وعلى الناس كما هو مشاهد وذلك كالمعداوى والإسكافى والفران والطحان والتراس والطباخ والجزار والزيات والنجار والحداد والخراث والحصّاد ونحوهم، وسمعت شيخنا ﷺ يقول: اكرم الله تعالى السوقة وارباب الصنائع باربع خصال قل ان توجد فى فقيه فضلاً عن غيره: الأول أنهم يأكلون من كسب يمينهم ويطعمون الظالم والمسكين والفقير من فاضل كسبهم ولا يأكلون من أوساخ الناس، الثانى انهم لا يشهدون قط لهم أفعالا تكفر عنهم قبيح زلاتهم ولا يقولون انها قط كفرت بالشىء الفلانى.

الثالث تعظيمهم للعلماء والصالحين وتغميضهم عن عيوب الناس، الرابع حمايتهم عن الدعاوى بالعلوم الظنية والحجج الوهمية والاعتقاد الفلسفية وغير ذلك.

أخذ علينا العهود ان نعفو ونصفح عن جميع هذه الأمة المحمدية ولو فعلوا معنا ما فعلوا من الأذى إكراما لمن هم عبيده تبارك وتعالى ولمن هم من أمته ﷺ.

وفى المثل السائر لعين تجارى ألف عين وتكرم.

فمن اخذ من أمة محمد رسول الله ﷺ ما عرف قدر عظمة الله عز وجل ولا عرف قدر رتبته ﷺ وكان الإمام الشافعى ﷺ يقول:

من نال منى او علقت بذمته .

إبرأته لله شاكر منته

اآرى معوق مؤمنا يوم الجزا

او ان اسوء محمداً فى أمته

وإياك يا اخى ان تؤاخذ احداً من هذه الامة وتنفذ غضبك فيه لحظ نفسك دون مصلحة ذلك الشخص وإياك ان تنقصه اذا نقصك وتمزق عرضه كما مزق عرضك او تسعى على اخراجه من بيته او خلوته كما أخرجك تسقط من عين القرب وتلحق بالبهائم، وسمعت سيدى عليًا الخواص رحمه الله تعالى يقول: إياك ان تؤذى من آذاك وتقول ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ الا على سبيل التلاوة فقط لا العمل بها فإن الله تعالى قد عرض لك العفو والإصلاح عقبها وقال ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ وقد أخبرنا بحمد الله ان نكون من اهل العفو والصفح والإصلاح ومن تحقق بهذا العهد رجونا من الله عز وجل ان لا يطالب أحدٌ من عباد الله بحق فى الدارين لا فى مال ولا عرض كما فعل مع عباد الله والله يحب المحسنين، ومحك التحقيق ان لا تشكو من آذاك لأحد من الناس ولا تعتب عليه ثم تأمل يا اخى قوله تعالى فى سيئة المجازات سيئة مثلها كيف سماها سيئة وأكدها بمثلها تنفيراً عن المجازات فأقم العذر لكل من آذاك من جميع الخلق لأنه لا يخلو إما أن يكون ذا علم أو ذا جهل، فان كان ذا علم فقد استند فى ذلك الامر الذى إذا أنابه إلى علمه واجتهاده وأنه رأى المصلحة فى ذلك وان كان ذا جهل فنعذره ونعرض عنه بقوله تعالى ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ واحذر ان تكره من آذاك من آحاد الأمة فضلاً عن الشرفاء والعلماء والأنصار أو تؤذى احداً من الأشراف بشكاية من بيوت الحكام فإن ذلك من علامات الشقاء نسأل الله العافية، فمن آذى شريفًا فكأنه آذى رسول الله ﷺ ومن كفر شريفًا فكأنه كفر عضواً من رسول الله ﷺ من غير

تعيين فينسحب الحال على بعض ذاته الشريفة كلها، وقد أخبرنى السيد الشريف بزاوية الخطاب رحمه الله تعالى قال ضرب كاشف البحيرة شريفًا فرأى رسول الله ﷺ تلك الليلة فى منامه وهو يعرض عنه فقال يا رسول الله ما ذنبى؟ قال تضربنى وأنا شفيعك يوم القيامة؟ فقال يا رسول الله ما اتذكر أنى ضربتك، فقال أما ضربت ولدى؟ فقال نعم، فقال ما وقعت ضربتك إلا على ذراعى هذا ثم أخرج ﷺ ذراعه متورمًا كخلاية النحل نسأل الله العافية، ثم اعلم يا اخى انه لا يتم لمن يحب الدنيا عدم كراهة الناس أبدًا لأنه لا بد له من أحد يزاحمه فى امر من الأمور الدنيوية او المخلوطة بأعمال الآخرة وكل من أراد ينزع ما بيدك من المحبوبات للنفوس تكره ضرورة إلا أن تبلغ مبالغ الرجال الذين زهدوا فى المراتب اختيارًا منهم لما رأوا من راحة قلوبهم وهذا الأمر قل من يتخلص منه من مشايخ زماننا وعلمائنا ووعاظنا فضلاً عن غيرهم وقد شاهدت شخصين فى حارة واحدة بينهما شحنا فعجزت فى الصلح بينهما وما هكذا كان السلف الصالح ﷺ أجمعين وإلى هذا الذى ذكرناه الإشارة بقوله ﷺ «وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس» فمن ادعى أنه زهد فيما فى أيدى الناس ووجدنا له مبغضًا من المسلمين كذبناه وقلنا له يا اخى رسول الله ﷺ أصدق منك، فعلم أن أعداء الناس تكثر بكثرة محبته للدنيا ويقل بقلة محبته لها ويعدم بالكلية بعدم محبتها فلا يكره الزاهد فى الدنيا الا مجرم او منافق ولا عبرة بكراهة هؤلاء والله أعلم.

أخذ علينا العهود ان نعلم من كان وزانا أو مباشرًا أن لا يركن لكونه

مخلصًا من تبعات الناس ولو بالغ فى الاحتياط إلى الغاية فان الله ربما اقام عليه ميزان التدقيق فأهلكه كما حكى عن بعض المتورعين انه كان يبالغ فى ترجيح الميزان اذا باع وينفض الكيل من الغبار اذا كال فأحصى الله عليه أمورًا غفل فيها في بعض الأوقات فلو كان فوض أمره إلى الله وسأله ان يعفو عنه لعفى عنه وسامحه إن شاء الله تعالى فإنه تعالى لا يخذل من استند اليه واعترف بخطاياه، فاعلم ذلك.

أخذ علينا العهود ان نكره العصاة لله كما نحب أهل الطاعة لله عملاً بقوله ﷺ «الحب فى الله والبغض فى الله من أوثق عرى الإيمان» ومحك الصدق في ذلك يا اخى ان لا تزداد بغضًا على ذلك العاصي الذى يشرب الخمر مثلاً او يزنى او يظلم الناس بإيذائه لك وتنقيصه لعرضك ولا يتضح لك ذلك إلا أن تعرف يا اخي ميزان بغضك له لله قبل إيذائك وانظر بعد أذاه لك فإن زاد بغضك له بعد الأذى فليس بغضك لله انما ذاك حظ نفس وإن لم يزدد بالأذى فهو لله عز وجل وهذا ميزان تطيش على الذر ولا يزن بها العارفون الغواصون على دسائس النفوس.

ومن وصية أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى إذا بغضت أحدًا فلا تبغض إلا صفاته لا ذاته لأن ذاتك وذاته واحدة من حيث الطينة.

وتأمل قوله ﷺ في الثوم أنها شجرة أكره ريحها وما قال أكرهها. انتهى.

فعلم أن عداوتنا لإبليس وأتباعه من الكفار والعصاة إنما هو بعد عن صفاتهم حتى لا نتبعهم على أخلاقهم لا غير ومن حقق النظر فى نفسه.

وشهد ما هى منطوية عليه من المعاصى استحى أن يشهد نفسه برياء العيوب حتى يبغض لله فإنه لا يبغض فى العادة لله إلا من كان على طاعة لا يعصى الله تعالى إلا فى نحو عمره مرة او فى السنة مرة وأما الذى يعصى كل يوم او كل ساعة كأمثالنا فمن الأدب له ان لا يشتغل ببغض أحد ونجاة نفسك أولى، ومحك صدق من يبغض الصفات لا الذات أن لا يكون يتكدر عند رؤية ذلك الشخص حين تركه للمعاصى فإنه ليس اذ ذاك صفات قبيحة يبغض لأجلها ومتى تكدر من رؤيته وهو يصلى أو يقرأ أو يذكر فإن ذلك من أقوى علامات بغضه لغير الله لأنه إذ ذاك فى طاعة الله فكيف يبغض فافهم.

أخذ علينا العهود ان نجيب عن إخواننا فى غيبتهم ونحمل احوالهم على اكمل الأحوال ولو لم يكن من رتبتهم الوصول الى ذلك المشهد الذى حملنا حالهم عليه ولا نمكن احداً من الطعن فيهم إلا بعد سبعين محملاً فإذا عرضنا السبعين محملاً على حالهم ولم نقبل محملاً منها رجعنا على أنفسنا باللوم وقلنا لها يحتمل فعل أخيك سبعين محملاً ولا تحمليه على واحد منها ما ذلك إلا خبث طويتك وسوء اعتقادك فلا يجوز لنا الطعن فى المسلمين ما وجدنا لأفعالهم محملاً فإذا سمعنا احداً يقول عن شخص من العلماء او الفقراء فلان كبير النفس.

ومن علامة ذلك أنه لا يجيب قط أحداً او نحو ذلك جواباً عنه انما يمتنع من ذلك ازدراء بنفسه او لشدة حيائه من حصول المحافل التى تجتمع فيها وجوه الناس فربما خاف ان تبدو له عورة فى ذلك المجلس وكشف العورة حرام والواجب لا يبيح لنا كشف العورة فضلاً عن غير الواجب

بقرينة إسقاط وجوب الحضور إلى وليمة العرس اذا كان هناك منكر لا يقدر على إزالته إذا حضر.

وقد أولت بحمد الله وإن كان تاويلاً بعيداً قول بعض الطلبة فى حق شيخه إنه أعلم من الإمام الشافعى وقول الشيخ نعم الشافعى كالنقطة من بحر علمى، فقلت إن صح هذا الكلام عن هذين الرجلين فهو صحيح ووجّه ان الشيخ شهد الوجود كله من نعم الله من الملائكة والأنبياء والصحابة والتابعين وكمل العارفين العاملين والملوك والأمراء وجميع المسلمين والمؤمنين لارتباط نظام الوجود بعضه ببعض فلا يصح وجود نعمة إلا بمساعدة جميع الوجود.

فانظر يا اخى الى الإمام الشافعى ﷺ وقابله بجميع الوجود ممن ذكرنا ومن لم نذكر نجده كنقطة من بحر نعمة الله عز وجل على هذا الداعى ونقطة من بحر علمه الذى اطلع عليه من علوم سائر الادوار من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى وقته الذى قال ذلك فيه لأن أقوالهم اذا اجتمعت صارت أكثر من مائة ألف مجلد فقابلها بأقوال الامام الشافعى التى استنبطها تجدها اكثر ما تكون مجلدا واحداً وبقية كلامه من حديث رسول الله ﷺ وكلام الصحابة والتابعين والامام الشافعى لم يختص بعلم ذلك بل غيره مساو له فى ذلك.

ويؤيد ما ذكرناه ما حكى عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى ﷺ أنه قال لا يكمل العبد فى مقام الشكر حتى لا يرى فوق نعمته فقال له شخص كيف هذا ومعلوم ان نعمة السلطان أعلى بيقين فقال الشيخ نفس السلطان من جملة

نعم الله على ذلك العبد وجميع الوجود كله كذلك من نعم الله على ذلك العبد والحمد لله رب العالمين.

أخذ علينا العهود ان لا نسيء الظن بأحد من المسلمين بل الواجب علينا تحسين الظن فيهم ما أمكن على قدر ما فينا من الصفاء واعلم يا اخى ان الحق تعالى لا يسأل عبداً فى الآخرة قط لم حسنت ظنك بعبادى ابداً وانما يكون السؤال من سوء الظن، ولا نصل يا اخى إلى مقام حسن الظن بجميع الناس الا ان طهرت باطنك من جميع النقائص والرذائل وما دام الباطن لم يتطهر فسوء الظن من لازمك لأنك لا تقيس الناس دائمًا الا على ما فى نفسك.

وفى الحديث «المؤمن مرآة المؤمن» وتأمل العنين الخلقى لما نزع الله تعالى منه ذوق لذة الجماع إذا رأى رجلاً أجنبيًا خارجًا من عند أجنبية لا يحمله قط على الزنا بها لأن باطنه لا يتعقل ذلك بخلاف من له شهوة الجماع يحمله على الزنا بتلك الأجنبية ضرورة قياسًا على نفسه لو خلى بها فكل من أحسن الظن بالناس أو أساء الظن بهم فهو صورة باطنه فيعلم مقامه من كلامه.

فعلم ان من سوء الظن بالناس قولك لولا انى اخاف ان فلانا يسيء الظن بى اذا فعلت كذا لفعلته فإنك أسات الظن به وجعلته من الذين يسوءوا الطن بالناس وكذلك من سوء الظن حملك لمن لا يزورك ولا يعودك اذا مرضت ولا يتردد اليك أنه إنما فعل ذلك تكبرًا عليك بل الواجب ان تحمله على انه قصد بذلك عدم حصول المنة عيك فى تردده اليك وان وجدت انت

في نفسك خلاف ذلك، وفي الحديث «الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلفت وما تناكر منها اختلف» وذلك ان ارواح الذرات عند اخذ الميثاق كانت على اقسام فمنها ما هو وجه لوجه فهذان لا يتباغضان ابدًا ومنها ما كان وجهًا لظهر فصاحب الوجه يحب وصاحب الظهر لا يلتفت وهذا يقع كثيراً للعاشقين.

ومنها ما كان جنبًا لجنب أو وجهًا لوجه او ظهراً لظهر مع الازورار فيتحابان او يتباغضان سامته بعضهم لبعض فتأمل ذلك فإنه نافع يقيم به الأعذار للناس.

ثم لا يخفى عليك يا اخى أن عتبك على من لا يزورك انما هو لرؤية نفسك عليه فأنت أولى بالذم ولو رأيت نفسك دونه ما طلبت ذلك منه ثم ان كان اجتماعه بك خيراً فهو الذى تركه من ذات نفسه وان كان شراً فقد استراح منك وان كان لا خيراً ولا شراً فلأمر سهل لا يحتاج إلى غيظ ويجب على كل مسلم أن يحتقر نفسه عن استحقاق مشى الناس إليه ويقول لها ومن أنت حتى يمشى الناس اليك وأى فضيلة عندك تستحقين بها ذلك ويجب عليه أيضًا أن يفرح بعدم مشى الناس إليه لأنهم عتقوه من المنة وكلفة المكافأة فإن الفقير الصادق أثقل ما عليه فى مكافأة الناس شهوده أن مشيه إلى بيت واحد ألف مرة لا يساوى مشى ذلك الأحد إليه مرة واحدة. انتهى.

وكذلك من سوء الظن حملك لمن ينقصك فى المجالس كلما ذكر اسمك على أنه قصد بذلك سترك فى هذا الزمان شفقة عليك فإن الظهور يقطع الظهور قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ

الظَّنِ إِثْمٌ﴾ فتحمله على أحسن المحامل وان لم يقصد هو ذلك ثم تنكر عليه انتهاكه لأعراض المسلمين ومن أحسن المحامل ان تحمله على أنه قصد بذلك سد باب نظر الناس إلى صلاحك وكمالك او سد باب العجب والزهو عنك لأن العبد ربما استحسن حاله عند الناس له فيهلك.

وكان هذا التنقيص دأب أخي افضل الدين رحمه الله تعالى كان ينقص كل من ذكر من إخوانه بخير في المحافل خوفًا عليهم من الإعجاب بأحوالهم فقلت له قد يكون أحدهم قد حماه الله من شهود العجب فيكون ذكر فضائله أكثر لتتأدب به الناس فقال مذهبي شهود الضعف في أحوالي وأحوال إخواني والسلامة مقدمة على الغنيمة والأعمال بالنيات، وكذلك من سوء الظن تصديقك لمن قال لك فلان اغتابك وانما الواجب عليك تكذيبه ثم يقول له فلان أجل من أن يستغيب الناس او يقع في أعراضهم لا سيما ان كان ذلك الرجل مشهورًا بالعلم والصلاح، وقد حكى لي الأخ الصالح للشيخ كريم الدين خليفة الشيخ دمرداش نفع الله به المسلمين ان شخصًا مشهورًا بالعلم قال له الشيخ: فلان يقول لك ما شروط الخلوة؟ قال فألهمني الله تعالى ان اقول له إني أجل الشيخ عن الجهل بها واذا لم يجهلها فما بقي الا الامتحان وانا اجله عن مثل ذلك أيضًا ولكن انا أمضي اليه وأتفهم الحكاية فخزي ذلك الشخص وقبل رجله واعترف بكذبه على ذلك الشيخ وأنه اخترع ذلك من نفسه وافتراه على الشيخ لأنه ما كان يظن ان الشيخ كريم الدين يذهب إلى ذلك الشيخ يتفهم منه الحكاية فاعلم ذلك وإياك ان تصدق احدًا في احد تهلك ويكثر عندك الحقد وبغض المسلمين

وكل من حاك بنميمة خذه واذهب به إلى مـن نقل عنه وقل له هذا قال لى عنك كذا وكـذا هو صحـيح أم لا فإنه لا يعـود ينقل إليك نميـمة أبدًا والله يتولى هداك.

وكذلك من سوء الظن حملك الفقـير إذا دخل عليه عالم فلم يقم له او لم يبش فى وجهه أنـه فعل ذلك تكبرًا على العالم حـاشى الفقراء من ذلك وإنما ينبغى حمله على ظنه الكمال فى ذلك العالم وأنه لا يتـغير لفقد القيام له او البشاشة عـملاً بقوله ﷺ «من أحب ان يتمثل له الناس قيامًـا فليتبوء مقعده من النار».

وكثيرًا ما يتـرك الفقراء تعظيم الأكابر رفعًا لمقامهم عن ان يتـغيروا لفقد حظوظ نفوسهم قياسًا على حال الفقراء فى عدم التشويش من ذلك.

وكـذلك من سـوء الظن حـملك لـمن رأيتـه مـارا فى السـوق والناس محرمـون لصلاة الجمعـة من انه متساهل فى دينه إنمـا الواجب عليك حمله على عذر شرعى أسـقط عنه الحضور، وكذلك من سـوء الظن أيضًا قولك لولا أنى أخـاف ان تكبر نفس فـلان اذا تواضـعت له لتواضـعت وذلك من تلبيسات النفس. انتهى.

فأعط يا اخى اخاك حقه من التواضع وخفض الجناح وخلص نفسك أولا فإذا خلصت فخذ بيد أخيك واسأل الله تعـالى بظهر الغيب أن لا يحرك صفة الكبر فى نفسه بسـبب تواضع الناس له بل لو تأملت لوجدت قولك هذا فى غاية الكبر لأنك اثبت لنـفسك مقامًا أعلى من مقـام أخيك ثم تنزلت له منه ولولا شهودك ذلك ما صح لك لفظ التواضع.

والتنزل وهذا تواضع غالب الناس اليوم وأما تواضع العارفين فهو شهودهم على الدوام أنهم دون الخلق اجمعين كما مر فى أول العهود فليس لهم مقام أعلى يتنزلون منه للناس أبداً فاعلم ذلك وإياك أن تشهد نفسك فى حال تواضعك أنك أحسن حالاً من المتكبرين فإنك تكون أسوء حالاً منهم إلا أن يكون ذلك الشهود على وجه الشكر لله والاعتراف بنعمة الله، والله عليم حكيم.

أخذ علينا العهود ان لا نتكبر على من استكبر علينا ولا نتمشيخ على من تمشيخ علينا فنكون أسوء حالاً منه كما مر فى العهود قبله.

وكان من آخر وصية أحمد بن الرفاعى لأصحابه فى مرض موته من تمشيخ عليكم فتتلمذوا له فإن مد لكم يده لتقبلوها فقبلوا رجله وكونوا آخر شعرة فى الذنب فإن الضربة أول ما تقع فى الرأس. انتهى. وهذا العهد يتأكد فعله مع الفقراء الذين صحبوا المشايخ كثيرا حتى طعنوا فى السن ولم يفتح على أحد منهم فى الطريق فانهم يزدرون الشباب الذين فتح عليهم قياسًا على حالهم فمن أراد أن يصطادهم للهداية فليكرمهم ويبجلهم ويسارقهم شيئًا فشيئًا حتى يتبين لهم الحق إن شاء الله تعالى.

وكذلك يتأكد فعل هذا العهد مع الفقيه المجادل المتعلم العلم لغير العمل فمن أراد من الفقراء هدايته فليقم له إذا ورد عليه ويفسح له فى المجالس ويحسن إليه ما استطاع وإلا فلا طريق إلى هدايته لا سيما وعلم غالب المجادلين فى نفوسهم لا فى قلوبهم والنفس محل الظلمة والتلبيس فلو لم نتواضع للمجادل فر من صحبتنا وفاتنا وفاته الخير لأنه اذا لم ير من

احد تعظيمًا له قامت نفسه كالترس المانع لوصول الخير إليه وكان من سياسة سيدى افضل الدين أنه يربى كل من رأى نفسه قائمة من الفقراء والفقهاء بتعليمه الآداب فى صورة الاستفهام منه ثم يعطف عليه بالجواب كأنه يعرض عليه هل ترضاه أم لا فيظن الحاضرون أنه يتعلم من ذلك الشخص والحال أن ذلك الشخص هو المتعلم من حيث لا يشعر بنفسه انه متعلم وهذا هو دأبى الآن مع إخوانى والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه، فاعلم ذلك.

أخذ علينا العهود أن نرى نفوسنا أحق بما عندنا من المال والثياب وجميع الأمتعة من محاويج المسلمين بل نرى الحق فى ذلك مشتركًا ثم نقدم كل من رأيناه أحوج من أنفسنا أو غيرنا كل ذلك عملاً بقوله ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه» أى لا يؤمن الإيمان الكامل، واعلم يا اخى ان الايمان انما شرع للعبد ما دام يوق شح نفسه فاذا وقى شحها فالبداة لنفسه أولى وعليه يحمل قوله ﷺ ابدأ بنفسك، كما سيأتى بسطه فى عهد الإيثار ان شاء الله تعالى مع أن إيثار العبد على نفسه لا يطيق العبد الدوام به وفى كلام سيدى أحمد بن الرفاعى رضي الله عنه لا تصحب من يؤثرك على نفسه انه لا يدوم، والله أعلم.

أخذ علينا العهود ان نخلص الصحبة لله عز وجل فى حق من صحبنا فإن الصحبة لعلة تزول بزوالها ومن العلل صحبتنا الإنسان بقصد حصول الثواب فى الآخرة او ان يأخذ بيدنا هناك.

وكذلك من العلل صحبتنا له بقصد انتفاعنا بعلمه او انتفاعه بعلمنا بل

يقصد وجه الله تعالى بالصحبة ونجعل غير ذلك من سائر العلل بحكم التبع لا بالقصد الأول مع أن فى قصدنا لصاحبنا.

الانتفاع بعلمنا رائحة دعوى المقام عليه فى الصورة وان كان كل فقير يرى نفسه دون تلميذه فى نفس الأمر فاعلم ذلك.

أخذ علينا العهود أن لا نزهد فى الدنيا النعيم لترك الدنيا وخلو اليد وراحة البدن كما تفعل العباد الذين لم يسلكوا طريق العارفين فخرج من لذة إلى ألذ منها أو مثلها فإنه لولا اللذة التى يجدها الزاهد حين يزهد فى الدنيا ما زهدنا فيها فكان هذا ما برح عن حظ نفسه وحجابه عن ربه ويؤيد ما ذكرنا قول بعض الزهاد لو يعلم الملوك ما نحن فيه من النعيم وراحة القلب لقاتلونا عليه بالسيوف إذا علمت ذلك فازهد فى الدنيا كزهد العارفين وهو أن تعلق قلبك بمحبة ربك وحده وتمسك الدنيا بحذافيرها لا تترك منه شيئًا وتتصرف فيها تصرف حكيم عليم وتستعمل كل شىء فيما خلق له وإيضاح ذلك ان الحق تعالى قد امتن علينا بأنه سخر لنا ما فى السموات وما فى الأرض ولولا حاجتنا إلى كل شىء فيهما ما صح وجه الامتنان فافهم واعمل على ما قررته لك من الزهد تكن من الراسخين فى العلم ودع عنك قول من يقول بذم الدنيا على الإطلاق فإنه جاهل بما قلناه فإن الذم ما دخل إلا من النية فلو نوى العبد بإمساك الدنيا كانت محمودة بالإجماع ثم إنا نقول أنه لا يصح لعبد قط الاستغناء عن الدنيا كما يتوهم اقل ما هناك ما يأكل وما يشرب وما يلبس وما ينكح فإن ذلك من الدنيا بيقين وكذلك الهوى الذى يتنفس فيه من الدنيا ومتى ذم نفسه مات، لحديث قالوا يا رسول الله ما الزهد

فى الدنيا؟ قال هو قوة يقين العبد فى ربه، وأنشد سيدى على بن وفا ﷺ
فى الزهد يقول:

ترحل عن مقام الزهد قبلى
فأنت الحق وحدك فى شهود
أأزهد فى سواك وليس غير
أراه سواك يا سر الوجود

فإن طلبت يا اخى العمل بزهد العارفين فاعمل على خروج محبة الدنيا من قلبك بإشارة شيخ كامل حتى تخرج فى محبة الطبع التى فتحت عينك عليها بالدنيا ثم بعد ذلك امسك الدنيا بحذافيرها وتصرف فيها كلها بالحكمة وكان شيخنا ﷺ يقول بيت الفتنة بالدنيا أربعة أمور: النساء والجاه والمال والولد، والكامل لا يهرب من شىء منها بل يحب ذلك بتحبب الله عز وجل، ويغلب حكم محبة الطبع لله عز وجل، فأما محبة النساء فطريقك يا اخى ان تحبهن بتحبيب الله لكونهن بعضك فإنهن خلقن منك فإذا أحبتهن فكأنك ما أحببت إلا نفسك. وفى الحديث «ابدا بنفسك» لا سيما محل الانفعال والتكوين فى توالد جميع من فى الوجود من الناس وما ظهر عظمة من الحق تعالى رأت حضرات أسمائه وأحكامه إلا بذلك فمن أحب النساء بهذه الصفات فقد أحبهن لله لا لنفسه وكانت محبته لهن نعمة من الله تعالى عليه لا محبة لأنهن رددنه إلى الله عز وجل والى محبته فرجع حبهن إلى حب الحق لكونهن مظهر الظهور كمال الحق تعالى فى الوجود وإلى ذلك الإشارة لقوله ﷺ حبب إلىّ من دنياكم النساء فافهم.

وأما محبة الجاه الذى هو الرياسة على بني الجنس فلا تزول قط من بنى آدم فإنها من أصل النشأة والجبلة كالشح والبخل والجبن ونحو ذلك وإنما الكامل من رجال الله تحفه المعونة من الله عز وجل فتتعطل تلك الصفة عن الاستعمال فى غير محله ويقلب حب الرياسة بالنية الصالحة ويصير يحبها لله عز وجل من حيث أنها صفة من صفات الحق تعالى إذا الحق تعالى هو الحقيق بالرياسة على سائر العالم دون العبيد ومحك الصدق فى ذلك ان يحب صفة الرياسة اذا ظهر بها غيره كما أحبها اذا ظهر هو بها على حد سواء ومتى ترجح عنده محبة ظهوره هو لم يذق الصدق فى ذلك، فعلم مما قررناه ان حب الرياسة لا يصح خروجه بالكلية وأما قول من قال آخر ما يخرج من رءوس الصديقين حب الرياسة فليس المراد به ما يتبادر إلى الأذهان من أنها تخرج بالكلية وإنما المراد انهم يخرجون عن حب إضافتها الى أنفسهم ويحبونها من حيث كونها صفة لله تعالى وسبب تأخر خروجها من رءوس الصديقين عن بقية الصفات المذمومة كون النفس كثيرة التعشق اليها فلا يزال الحق تعالى يخرج الصفات المذمومة من نفس من اعتنى به من عبيده شيئًا فشيئًا إلى ان يصير يراها لغيره دون نفسه فليتبرأ عنها لله بل تبرأ عن نفسه فضلاً عن صفاتها فإذا تكامل ذلك الخروج وعلم من نفسه ما لم يكن يعلمه قبل من دعوى الخروج وعلم من نفسه ما لم يكن يعلمه قبل من دعوى الأوصاف أحب الرياسة حينئذ لكونها من أوصاف ربه لا فخراً ورياسة على الخلق وما رأينا احداً لبس ثياب غيره بحضرة جماعة فتكبر عندهم فافهم، وأما محبة المال فيقلبها العارف كذلك عن محبة الطبع إلى محبة الله

عز وجل فيحب المال بتحبيب الله ذلك له مشاهدة من حيث أنه ملك الله عز وجل لا بحكم الطبع وشح النفس وذلك لأن العارفين لما رأوا المال يمال إليه بالطبع ولذلك سمى مالا طلبوا وجهًا إلاهيًا يحبون المال به لكون مرتبتهم تعطى انهم لا يحبون قط شيئًا إلا إن جمعهم على الحق تبارك وتعالى ولا بد لهم من جمع المال كما قلنا فى الرياسة من حيث أن ذلك مذكور من أصل الحيلة فنظروا فى نحو قوله عز وجل ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ فرأوه ما ذكر إلا أصحاب الجدة والمال فأحبوا المال محبة ثانية ليكونوا من أهل هذا الخطاب لا غير فيستلذذون بسماعه حيث وجد معهم المال ومنهم من نظر ايضًا فى قوله ﷺ «إن الصدقة تقع بيد الرحمن» فأحبوا ذلك الحال حتى يفتشوا ويتشرفوا بمناولتهم الصدقة للحق تعالى بعين الإيمان ويعاينوا شدة القرب من الحق المكنى عنها بيد الرحمن فافهم، فحصل للعارفين بهذا النظر شرفان شرف توجيه الخطاب إليهم من الله بقوله ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وشرف مناولة الحق تعالى منهم، فكانت لهم وصلة الخطاب والمناولة وليس هذان الشرفان لأحد من الفقراء لأنهم وكانوا يتناولون من الحق ما أخذه من يد المتصدق فلا شرف فيه فإن الفقير حينئذ يشاهد لكونه آخذًا لا معطيًا ولا شرف فى ذلك فى العادة بل هو إلى الذل والمسكنة أقرب فلأجل ما قررناه بادر.

الكمل من العارفين إلى عمل الصنائع والحرف وتحصيل الأموال بقصد الإنفاق فى وجوه الخير حتى إن أحدهم يود أن لا يبطل من الصدقة عن الفقراء لا ليلاً ولا نهارًا وأكبوا على الدنيا كل الاكباب لأجل ذلك فإياك

وسوء الظن بهم قياسًا على حال أبناء الدنيا تخطي طريق الصواب وأما محبة الولد التي هي آكد أركان الفتنة فالعارف كذلك يقبلها بالنية الصالحة إلى محبة الله عز وجل وذلك لأن الولد سر أبيه والصق الأشياء به والعارف من مرتبته إيثار جناب الحق تعالى على جناب طبعه وهواه فيحب ولده بتحبيب الله تعالى ولا يحمله على محبة ولده إلا شهود تحبيب الحق لا غير لكون الولد خلق منها كالنساء سواء فكأنه ما حب إلا نفسه فافهم، فلولا الولد ما عمر الوجود ولا أرسلت الرسل ولا أنزلت الكتب فهو يحب كثرة الأولاد لتكثر عبيد سيده ويظهر فضله عليهم لا ليرثه الولد اذا مات وسمعت سيدى عليًا الخواص رحمه الله تعالى يقول: من أعظم ما امتحن الله تعالى به عباده الولد لينظر هل يحجب الوالد المحبة لولده عن إقامة الحدود التي قدرها الحق تعالى من غير رأفة أم لا وهل يؤثر رضى الله عز وجل اذا ابتلى ولده بالجذام مثلاً أن يكره ذلك لولده.كما عليه غالب الأمهات ثم من أعظم الامتحان كون الحق تعالى جعل الولد في صورة خارجة عن الأدب كالأجنبي عنه مع كونه ليس بأجنبي وقد أشار إلى شدة هذا الامتحان رسول الله ﷺ في قوله «وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

ولذلك جلد عمر رضي الله عنه ابنًا له حتى مات، وجاد ماعز والمرأة بإتلاف نفوسهما حين وقعا في الزنا إيثار لجناب الحق تعالى على جناب أنفسهما ولكن من جاد بإقامة الحد على ولده فهو أعظم من البلاء لكون الولد ثمرة الفؤاد وأين ذلك من عين الثمرة فقد بان لك بهذا التقرير أن كل من راعى

هذه الفتن الأربع ووزنها بهذا الميزان فلا خوف عليه من الدخول فى الدنيا ولو أكب عليها ليلاً ونهاراً لأنه قلب الفتنة والمحبة إلى النعمة ورد الأمور لأهلها وأحبها لأجل ربه لا لهواه وهو مشهد نفيس.

وقد سمعت هاتفًا يقول مرة: من كانت محبته للدنيا صالحة أمن من سلب النعم، فقلت له: ما كيفية صلاحها فقال: أن تكون فى يده لا فى قلبه لأنه حينئذ لا يشح بها على أحد عكس من كانت فى قلبه. انتهى.

فإياك يا اخى ان تظن بأحد من الأولياء الذين دخلوا فى الدنيا وخزنوها عندهم وبخلوا بها على السائلين والمساكين ان ذلك محبة فى ذاتها قياسًا على حالك انت وإنما ذلك للمعانى التى تقدمت ولكشفهم ان ذلك الأمر الذى طلبه السائل منهم ليس برزق له فاعلم ذلك والله غنى حميد.

أخذ علينا العهود ان نحضر قلوبنا مع الله عند كل طعام وشراب ونأمر بذلك عيالنا وأولادنا ونعلمهم أننا حقيقة على مائدة الحق تعالى وهو ينظر إلينا والى قناعة نفوسنا وشراهتها واعترافها بالنعم او غفلتها عن صاحبها ونحذرهم من الاكل مع الغفلة كالبهائم السارحة وكذلك نأمر نقيب الفقراء ان ينبه الفقراء على ذلك وكذلك الأولاد على تنبيه أبنائهم وخدمهم على ذلك كلما مد السماط حتى يصير ذلك عادة للفقراء وللأطفال والخدم والناس على دين ملكهم فاعلم ذلك.

أخذ علينا العهود ان نحذر حفظة القرآن من إخواننا ان لا يفتحوا على أنفسهم باب الإجابة لأكل طعام العزاء والموالد المنذورة فى بيوت الناس لأن ذلك يخل بالمروءة والدين وذلك قبيح من حامل القرآن وكيف ينبغى

الاكل من العزاء وأم الميت وزوجته وأبوه وأخوه وأولاده ينظرون كأنهم غمسوا فى نار جهنم من فرقهم إلى قدومهم وأنت تأكل بنهمة وشهوة وعين جامدة كالبهائم بقلب فارغ عما هم فيه وأقبح من ذلك قول الفقهاء لا نقرأ حتى يبنوا لنا ايش يعطونا وأقبح من ذلك حناقهم وخصامهم على الفلوس حين يقبضونها ويطلب احدهم التميز بنصف لزيادة تبعه فى الدعاء ونحو ذلك ونأمر إخواننا برفع الهمة عن ذلك كله وأن يقولوا لكل من جاء يطلبهم أن يقرءوا في بيته او يذكروا الله لأجل أكلهم الطعام الذى طبخه يا اخى ان كنت خرجت عنه للفقراء فاحمله عندهم ليأكلوه وإن كنت ما خرجت عنه إلا بشرط الحضور.

والقراءة مثلاً فالناس سوانا كثير والله أعلم.

أخذ علينا العهود أن لا نتقرب من الأمراء وأركان الدولة إلا لمصلحة ترجح على العبد منهم.

وكذلك لا نغربهم اذا طلبوا القرب إلا بهذا الشرط وذلك لأن الغالب عليهم أنهم لا يحبون فقيراً اعتقدوه إلا لمصلحة نفوسهم الدنيوية ولا يطعمونه لقمة أو يكسونه جبة إلا وتحتها كذا كذا بلية وأقل ما هناك أنهم يطلبون من ذلك الفقير رد البلايا والمقدورات النازلة عليهم من سوء أعمالهم مع عوجهم وظلمهم للعباد ليلاً ونهاراً ويقولون للفقير يا سيدى الشيخ الحملة عليك فيتنحى لذلك ويدخل فى الحملة معارضًا للأقدار الإلهية فإما يقبل وإما يرجع البلاء عليه عقوبة له، وإما إذا عزل أحدهم من ولايته وعليه مال السلطان فهى الداهية العظمى على الفقير والجيران

والمعارف لا سيما إن هرب فإنهم يسحبون الفقير ويقولون أين فلان وأين ودائعه التى أودعها عندك ويبهدلونه غاية البهدلة لا سيما إن كان الفقير قبل هديته أو أكل من سماطه فلا يجيء نفع ذلك الأمير ضرورة عليك وعلى أهل بيتك وجيرانك.

وقد جربنا ذلك وسترنا الله عز وجل فى وقعة احمد باشا بمصر المحروسة والله اعلم.

أخذ علينا العهود ان نقوم لحملة القرآن والعلم ولو صار أحدنا شيخ مشايخ وشيخ السلطان بحيث صار السلطان ينزل إلى زيارته ونأمر جميع أصحابنا بذلك ولو كره العلماء ذلك فعلينا التعظيم وعليهم الكراهة وهذا العهد يخل بالقيام به غالب المتصوفة المحجوبون عن طريق العارفين فيقولون عن الفقهاء هؤلاء محجوبون ويعدونهم من العوام كما سمعت التصريح بذلك من كثير منهم وغاب عن هؤلاء شهودهم أن الفقهاء محجوبون هو عين الحجاب منهم فانه ما من طريق من الطرق الإسلامية إلا وهى متصلة بحضرة الحق تبارك وتعالى فساوا باس للعارفين القائمين بحقوق العالم المطلعين على مراتبه وما يستحق أهل كل مرتبة الذين يرون نفوسهم دون كل جليس على وجه الأرض ﷺ.

أخذ علينا العهود ان لا يحتقر أحدنا شيئًا من الفتن ولا يأمن على نفسه ان يقع فى كل معصية على وجه الأرض فمن احتقر شيئًا من الفتن أو أمن على نفسه فهو من الجاهلين وأكثر من يقع فى الخيانة وعدم العمل بهذا العهد المدعون للقوة من العباد والمتورعين بآرائهم دون السلوك على يد

شيخ ولو كانوا مالوا إلى الضعف والانكسار لحماهم الله تعالى من الوقوع في كل ما لا ينبغى وكذلك لا نستحقر كيد إبليس ونقول إن كيد الشيطان كان ضعيفًا ونحن بحمد الله ليس له طريق إلينا ولا إلى جماعتنا فإن ذلك تهور وجهل بالمراتب فإنه عمل على أبينا آدم وعلى غيره من الأكابر الذين لا نصلح أن نكون تلامذة لهم.

وسمعت شيخنا ﷺ يقول ما سمى كيد الشيطان ضعيفًا إلا إذا قاوم الأمر الإلهى فإن الله غالب على أمره فكيف على إبليس وقد استعاذ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم من إبليس مع عصمتهم من العمل بما يلقيه اليهم.

وسمعت بعض أهل الشطح يقول: نحن لا نعرف إبليس ولا نلتفت إليه ومن هو إبليس فى الوجود فما معنى إلا يوم حتى فسد جارية فمسكوه وسلموه للوالى فضربه مقارع فصار يقول هذه عمايل إبليس فقال أستغفر الله وكل هذا من مطابقة كلام القوم بالفهم السقيم وعدم الانقياد لشيخ والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود أن نساوى بين المسلمين فى التوقير والاحترام من حيث الإسلام فإن الإسلام قد ساوى بينهم اذ هو كالشخص الواحد والمسلمون كأعضائه ثم بعد ذلك التساوى ننزل كلإنسان منزلته العارضة التى ميزه الشرع بها كما نقدم أهل الشجاعة والمروءة والدين على أهل الجبن والكسل والخمول وكما نقدم الكريم على البخيل والشريف على الذمى والعالم على العامى وهكذا فمن ساوى بين أهل الفضل وبين غيرهم فقد

غش الحكمة وظلمها وفتر همة أهل الفضائل فافهم، فإذا رأوا تلك المساواة ضعفت دواعيهم الى التخلق بالفضائل وتأمل يا اخى سياسة الحق تبارك وتعالى لعباده كيف فاضل بينهم وذم قومًا ومدح قومًا ووعد قومًا بالجنة وتوعد قومًا بالنار كل ذلك تعليمًا لعباده ليتخلقوا بهذه السياسة ويعلموا أن الإنسان ولو بلغ فى الترقى فى درجات القرب للغاية ففيه جزاء يطلب على عمله الثواب فالكامل من ساس الناس بذلك واعلم يا اخى ان طرق انقياد الخلق للعبد وامتثال أمره ثلاثة أمور البر والصلاح والسيف، فمن طلب سياسة الخلق من غير هذه الطرق أخطأ الطريق وأكثر من يتأثر من تقديم أهل الفضائل عليه إليهم الذى لم يرض نفسه برياضة ولا حل عليه نظر عارف وأما الفقراء الصادقون فيفرحون بتقديم الناس عليهم فى سائر المحافل لأن الصادق مائل إلى الستر فى هذه الدار ليخلص إلى دار البقاء وأجره وافر لم ينقص منه ذرة والكاذب مائل إلى كشف حاله، نسأل الله العافية.

ثم اذا تشوش فقير من تقديم أهل المروءة عليه مثلاً أمرناه بالأفعال التى يفعلها ذلك الشخص من العجن والخبز والطبخ والمشى فى حوائج الفقراء إلى البلاد البعيدة ونحو ذلك فإن فعل هذه الأمور ألحقناه بأهل المروءات وان لم يفعلها تركناه، واعلمك يا اخى ميزانًا تعرف بها من مروءته من حيث الإيمان ومن مروءته من حيث النفس وهو أنك إذا رأيت من أحد الإقدام على الأهوال والشدائد فى دين الله وفى غير دين الله على حد سواء فذلك من قوة النفس لا من قوة الإيمان واذا رأيت منه الإقدام على الأهوال فى دين الله فقط إقامة للدين فاعلم أنه من قوة الإيمان، والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود ان لا نمد أبصارنا إلى زينة الدنيا وأحوال أبنائها فيها في ملابسهم ومراكبهم ومآكلهم وبيوتهم ونظامهم فإن الدنيا حلوة خضرة وربما ازدرى أحدنا نعمة الله عليه برؤية ما هم فيه من النعم فيعرض تلك النعمة للزوال بل قال لي سيدي علي الخواص: إياك والدخول على أكابر العلماء وأكابر الأولياء فقلت لماذا فقال خوفًا عليك من ازدراء ما اعطاك الله من العلم والصلاح حين ترى عطاءهم أعظم من عطائك.

وكان الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى يقول: الزينة في الدنيا على ثلاثة أقسام: زينة الله وزينة الشيطان وزينة الدنيا، فزينة الله هو كل محمود شملته النية الصالحة وزينة الشيطان هو كل مذموم لم تشمله نية صالحة وزينة الدنيا ذات وجهين وجه إلى الإباحة والندب ووجه إلى الكراهة والتحريم فأضف يا اخي كل زينة إلى صاحبها ولا تخلط فان الزينة جاءت مبهمة في مواضع من القرآن وفي مواضع معينة مضافة، قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ وقال تعالى: ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ والله أعلم.

أخذ علينا العهود ان نعتذر لإخواننا المحجوبين اذا وقعنا في شيء يوجب الاعتذار رفقًا بهم ورحمة لأن ترك الاعتذار يوجب العداوة بل منهم من تعتذر له ولا يقبل، وخرج بقولنا المحجوبين غيرهم من العارفين فلا يحتاجون الى الاعتذار لهم لأنهم يحملون الناس على أكمل الأحوال ويخترعون لهم الأجوبة الحسنة ويهضمون نفوسهم على الدوام وإيضاح ذلك ان أصل الاعتذار انما هو سوء الظن اذ المعتذر يظن ولا بمن اعتذر اليه انه

أساء الظـن في ذلك الأمر الذى وقع فـيه لا بد له منه والا فـما كـان الأمر يحتاج إلى الاعتذار فالمعتـذر يريد باعتذاره جبر النقص الذى توهم حصوله ويطلب به تزكية نفسه عن ذلك النقص الذى ظن انهم ظنوه فيه والظن أكذب الحديث.

فعلم أن جميع الاعتذارات تزكية للنفس وتهمـة للمعتذر اليه فهو مذموم من أصله لكن لما ترتب على تركه العداوة أمـر به العبد من باب دفع الأشد بالأخف فلهذا كان الاعتذار بين عارفين لأن كل واحد منهما لا يقع فى تزكية نفسه ولا فى سـوء الظن بأخيه ويشهد قـيام الناس له مثلاً فى مـحفل يمحق دينه إن كان له وجود فكل من قام له يأخذ من دينه جزءا.

واعلم يا اخى انه يجب على العـارف الاعتـذار للمؤمن مـداواة له وإذا اعتذر المؤمن للعـارف فإنما هو لقياسه حـاله على حاله وإلا فلو علم رتبة العـارف ما اعـتذر إليـه لأنه لا يحـتاج الى الاعـتذار اليـه إلا الذى هو فى حجاب عن شهود معاصيه، والله تعالى أعلم.

أخذ علينا العهود ان نعلن بأعمالنا الصالحة فى كل مـوطن يقتدى بنافيه فربما تشبه أحد بنا فيحصل لنا مثل ثواب عمله ان شاء الله تعالى قال ﷺ «من دل على خير فله مثل أجر فاعله».

وكـان الشيخ أبو مـدين المغـربى ﷺ يأمـر إخوانه بإظهـار العبـادات والكرامات ويقول أعلنوا بالطاعات كما يتـجاهر غيرنا بالمعاصى ليكون تلك بتلك ويتـعادل الوجـود لا سيـما فى مـواضع المعـاصى فإنهم قـالوا كـثرة الطاعـات فى حـارة او بلد يدل على ان نار مـعاصى أهلـها مـتـوقدة حـتى

احتاجت إلى طغيها بهذه الطاعات الكثيرة ولو كان أهل تلك البلد أو الحارة على تقوى من الله كفاهم أدنى الطاعات وخمدت لها النار فما احتاج إلى كثرة المكفرات إلا اكثر المخالفات، فاعلم ذلك فإنه من لباب المعرفة.

فاعمل يا اخى بما ذكرناه وأظهر الطاعات بشرطها ودع عنك قول من يقول أخف الأعمال الصالحة أولى لأن ذلك مبناه على رائحة الاعتماد على العمل وشهود العبد أنه الفاعل لذلك العمل دون الله ولولا ذلك ما خاف على دخول الرياء فيه ولا خاف من عدم قبوله ولو كان يشهد أن الله هو الخالق للفعل وحده لم يصح له الخوف من دخول الرياء فى عمله قط إذ أحد لايرانى قط بفعل غيره ولا يعجب ولا يتكبر فانظر بركة التوحيد ففات هذا الذى أخفى اعماله الصالحة بركة هدى رسول الله ﷺ وبركة إظهار شعار دينه وفاته أجر دلالته على الخير ولو أنه كان أظهر الأعمال لحصل له التأسى بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنهم ما أخفوا من أعمالهم إلا ما علموا أنه يشق على أممهم. انتهى.

أخذ علينا العهود ان لا نبدأ بالصلح من غضب بغير حق لئلا تكبر نفسه بغير حق وتذل نفوسنا فى غير حل هذا حكمنا مع إخواننا الخاصين بنا.

أما الاجانب عنا فنبدأهم بالصلح دائمًا ونقول لهم ولو كنا مظلومين نحن ظالمون عليكم والرجل هو الذى يبلغ الناس لا الذى يبلغه الناس شعر:

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه

وان كنت مظلوما فقل انا ظالم

وأنشد عنتر العبسي:

لا يحمل الحقد من تعلو له الرتب

ولا ينال العلى من طبعه الغضب

وانشد أبو زيد الهلالى:

ومن لا يجاوز عن امور كثيرة

يموت ولا يبقى من الدهر صاحب

فاعلم ذلك.

أخذ علينا العهود ان لا نقبل لأنفسنا هدية ممن نعلم بالقرائن أن تلك الهدية تخطر على باله بعد العطاء على وجه المنة وذلك لأن خطورها على باله دليل على تعظيمها عنده وتعظيمها دليل على رائحة البخل وطعام البخيل داء كما ورد ويزيد الداء وينقص بقدر البخل.

وتأمل يا اخى الملوك وأكابر الكرام كحاتم طيئ ومعن بن زائدة وأبى زيد الهلالى وأضرابهما لما ذهب عنهم البخل لم يكن قط يخطر على بالهم شيء أعطوه لأحد لحقارة ما أعطوه فى أعينهم وما راينا قط احداً أعطى أحداً قشة فصار يذكرها فى المحافل ابداً، وخرج بقولنا لا نقبل لأنفسنا هدية ما لو قبلناها على اسم غيرنا من الفقراء والمحاويج فلا يضر مثلهم الأكل من ذلك ان شاء الله تعالى.

وقد حكى عن الجنيد رحمه الله تعالى انه دعى إلى طعام عند بعض التجار فلما مدوا السماط وقف التاجر على رءوس الفقراء وقال كلوا بهمة وطيب نفس فإن والله كل لقمة يأكلها الفقير عندى أعز من خمسمائة دينار،

فقال الجند للفقراء أمسكوا فإن صاحبنا دنيء المروءة يعادل لقمة الفقير بشيء من الدنيا ثم خرجوا ولم يذوقوا الطعام. انتهى. لا تقبل يا اخى هدية إلا من كريم او صالح او سلطان فإن في الحديث «لا يسأل احدكم شيئًا وان كان ولا بد سائلاً فليسأل الصالحين او ذا سلطان» كل ذلك لخفة المنة فى عطاء هؤلاء ولا اعلم الآن احدًا من اخوانى فى هذا المقام غير الاخ فى الله تعالى محمد البرماوى أسبغ الله عليه النعم فى الدارين من غير حساب ورضى الله عن كل من تبعه على ذلك آمين.

أخذ علينا العهود ان لا نقبل من احد مالا لنفرقه على الفقراء الا ان كنا نعلم من انفسنا اننا أتم نظرًا من صاحب المال وذلك لان من لم يرسل الناس بصدقاتهم وخيراتهم اكثر مما يرسلون بها نفوسهم فعدم قبولهم اولى وكذلك ليس للفقير ان يتولى نظرًا على وقف الا ان كان اتم نظرًا من الواقف فان له يكن أتم فترك نظره لولى الا ان علم ضياع ذلك الوقف لو ترك النظر عليه، وقد أرسل السلطان طومان باى للشيخ ابى السعود الجارحى رحمه الله تعالى مالاً ليفرقه على الفقراء والمساكين فرده عليه وقال من تعب فى تخليصه هو الذى ينبغى ان يتعب في تفريقه، والله تعالى أعلم.

أخذ علينا العهود ان لا نقبل من احد مالاً لنفرقه على اخواننا الا ان كنا نعلم انه لا يفرق قلوبهم كما سيأتى بسطه فى عهد شيخ الزاوية او آخر العهود ان شاء الله تعالى والقاعدة عند اهل الطريق السلامة مقدمة على الغنيمة انتهى.

أخذ علينا العهود ان نسر بجميع صدقاتنا المندوبة وهدايانا المحبوبة ما

امكن الا ان كان هناك احد يقتدي بنا من البخلاء قياما بشعار الصدقات كما فى الصلاة المندوبة لان ما جعل الشارع فيه شعار الدين كالعيد والتراويح فان حكم الصدقات فى ذلك حكم الصلاة فافهم.

واعلم يا اخى انه لولا عظم الشعار فى إخراج زكاة الفرض.

كان الإسرار بها افضل من حيث ان فى إعطائها للفقراء فى الملأ تنكيس الرءوس وإظهار منة على الفقراء الآخذين للصدقات فلا يفى اجر عطيتهم تنكيس رءوسهم والنفس من شأنها تحب الشغوف على أبناء جنسها الا ان اطمانت وصارت ترى المال لله يفرق على عباد الله ليس لمخلوق فيه منة كما عليه الصادقون من الفقراء ومن ادعى هذا المقام من الاخوان فلا ينبغى له الاعتماد على ذلك إلا بعد امتحانه نفسه وأقل ما يمتحن الانسان به نفسه ان يصير بحيث لو سأله فقير لا يعرف جميع ما بيده من الدنيا اعطاه ثم لا يخطر فى باله ان يحدث بذلك احداً من اصحابه وجيرانه ومعارفه ابداً وذلك لان المعاملة مع الله حقيقة وهو تعالى عالم بما اعطى هذا العبد فأى فائدة الإعلام للخلق الذين لا يتأسون به لولا الرياء وعدم الإخلاص فعلم ان كل من نازعته نفسه بإظهار ما اعطاه للخق سراً ولو تعريضاً فليس هو من اهل هذا المقام والسلام.

أخذ علينا العهود ان لا نوسع على انفسنا وعيالنا وخدمنا كل ذلك التوسع بل نقصد فى ذلك عملاً بقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ فمن داوم التوسعة على نفسه وعياله فقد فتح بذلك باب ازدراء النعمة والجهل بمقدارها فإن النعمة اذا كثر تداولها

على اهل بيت ازدروا النعمة على طول وسـخطوا على ربهم اذا حولها عنهم لشدة ائتلافـهم بها، وقد قال لى بعض أركان الـدولة اسئل الله تعالى لى ان يوسع الله تعالى علينا فإن بيتنا فى غـاية الضيق اليـوم ثم اسر إلىّ فى أذنى كالخائف من شكوى ربه وقال والله ما طبخنا الليلة فى دارنا ألا لحم عجل، فقلـت له وهذا عندكم ضيق؟ فـقال نعم مـا دخل بيتنا من منذ وعـيت على نفسى لحم بقر قط فقلت له ان الحق تعالى أكرم الأكرمين وانما يحول النعم عن بعض العبيد ليعرف مقدارها لا غير ومن التهاون بها ان يطبخ فى بيته كل ليلة اللحم الضانى والدجاج والحلو وان يشترى للعيال كل شىء اشتهوه فإذا واظبهم بذلك استهانوا بالنعمة ضرورة وتحملوا مقدابها فمن الأدب ان يكون الأمر كر وفر مكلما خاف سـخطهم على ربهم يوسع عليهم حتى لا يذكروا ربهم بسوء وكلما خاف تهاونهم بنعمة قترها عليهم ليتلقوها بالتعظيم.

وتأمل يا أخى أولاد الأمـراء والتجار والمـباشـرين الذين كانوا يتـوعون الاطعمة والمـلابس تفاخر بالدنيا كيف تحـولت عن غالب أولادهم النعم؟ بل عنهم قـبل موتهم وصـار احدهـم يشتـهى الدجاجـة أو قطعة لحم فـلا يجدها.

وجمـيع ما يرثه أولاد هؤلاء من المـاء والعقار يضـيعونه في المـعاصى والقمار سهولة وطيب نفس كل ذلك لهوانه عليـهم وعدم تعبهم فى تحصيله وكونهم مـا فتحوا عـيونهم إلا على تلك المعـايش والنعم واعلم يا أخى أن الحق تعالى قد امن كل رجل على عـياله وأولاده وإخوانه ومن الامانة أن لا يسعى فى أسبـاب تحويل النعم عنه بكثرة إطعامـهم الشهوات ولا فى نقص

درجاتهم فى الاخرة باكل الطيبات وإذا فعل ذلك فقد خان الأمانة وضيعها لا سيما إن كان يشترى لهم الشهوات من ذات نفسه من غير تكرر سؤال منهم فإن من كمال عقل الرجل ان لا يشترى لعياله شهوة الا بعد تكرر سؤالهم ودخلتهم عليه وقد تقدم في هذه العهود ان رسول الله ﷺ راى كسرة يابسة قد علاها الغبار فى بيت عائشة ﵂ فاخذها من تحت الجدار ونفخ عنها التراب ثم وضعها على عينيه وقال يا عائشة احسنى مجاورة نعم الله عز وجل فإن النعمة قل ما نفرت عن أهل بيت فكادت ترجع إليهم. انتهى.

وقد سد رسول الله ﷺ باب ازدراء النعم بأمره لنا ان لا ناكل إلا على جوع ولا نشرب إلا على عطش فإن كل من جاع أو عطش يتلقى الطعام والشراب بكل شعرة فيه فانظر ما طوى لنا رسول الله ﷺ من الآداب التى بفعلها تدوم علينا النعم وقس على الطعام والشراب سائر النعم والشهوات من اللبس والجماع والنوم وغير ذلك والله اعلم.

أخذ علينا العهود أن لا نمكر بأحد من المسلمين ولا ننوى له سوءا فى ساعة من ليل أو نهار خوفا من الخسف ونزول العذاب والأخذ على غير توبة أو على تخوف وقنوط من رحمة الله تعالى قال تعالى أفأ من الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون الآية ولا يصل العبد إلى هذه الدرجة إلا بكثرة الاحتمال حتى يصير لا يؤاخذ أحدًا من خلق الله فى بحق الدارين والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود أن لا نفضل نفوسنا على كل شيء احتجنا إليه بتفضيل الله تعالى حتى البول والغائط إذ لو كان لنا سيادة عليه لكنا أغنياء عنه كما

مر أوائل العهود فإذا فضلنا نفسنا على الحمار مثلا قال كيف تفضلوا نفوسكم على وانا أحملكم إلى البلاد ولا تقدون أنتم على حملى عشر خطوات ولذلك كان من الأدب إذا نزلنا على الحمار أن نقبله فى وجهه ونقول جزاك الله خيرا وكثر عليك العليق والعلف وإذا فضلنا نفوسنا على الطعام مثلا قال كيف تفضلوا أنفسكم على وأنا كنت سبب حياتكم ثم إنى كنت طاهرا فتجستمونى وانتنتمونى بصحبتكم ليلة واحدة ثم إنكم تسدون أنا فكم من رائحتى التى اكتسبتها منكم ونسيتون أن القذارة والنتان منكم فأى فضل لكم وأنتم تنجسون كل طاهر خالطكم ولو أنى كنت فى إناء لم اتنجس ولم أتتن ولو مكثت الطعام وقس على ذلك كلما في الوجود من جميع المسخرات لنا والله اعلم.

أخذ علينا العهود اذا قضينا الحاجة أن نستحى من الأرض لأنها أنا ومنها خلقنا وهذا من أسباب إتخاذ الأكابر السراويل على الدوام فلا ينبغى لإنسان أن يبول أو يتعوظ على أمه إلا لضرورة تبيح مثل ذلك ومن هنا قللت الأكابر الأكل ولما حج أخى سيدى أفضل الدين رحمه الله تعالى قال لى أنا فى غاية الحياء من تلك الأرض المشرفة فإنه لا بد لى من البول والغائط هناك وان حصل غفران الذنوب أيضا خرت الخطايا هناك فأقذرها ظاهر أو باطنا فالذى استقذنا من غسل الذنوب وتطهرنا منها خسرناه من جهة تقديرنا وتخبيسنا حرم الله وحضرته الخاصة فلما رجع من الحج قال لطفا لله بى ما احتجت إلى قضاء الحاجة هناك مدة الإقامة كلها إلا مرة واحدة فلإنى قللت الأكل جملة واحدة ﷺ وحكى عن ابى العباس الخزاز ﷺ أنه أخذ مرة

حجرا ليستجمر به فقال له الحجر سألتك بالله لا تنجسني فتركه ثم أخذ غيره فقال له مثل ذلك فتركه ثم أخذ غيره فقال له مثل ذلك فتركه ثم أخذ ثالثا فقال له مثل ذلك فلم يتركه ثم قال للحجران الله عز وجل أمرني أن اتطهر بك وهو خير لك فسكت الحجر، فينبغي للفقير أن يقول ذلك للحجر إذا قوى حياءه منه ويقدم شرع الله على رضى الحجر والله تعالى اعلم.

أخذ علينا العهود ان لا نمشى بين الناس بالغرض ولا نعادى أحداً من أجل احد إلا إن كره أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ أو أولاده الشرفاء فمن عادي أحداً يحب الله ورسوله لأجل صاحبه أو صديقه فقد أساء الأدب مع رسول الله ﷺ حيث لم يغنى بغض ذلك الأحد فى صديقه أو صاحبه فى محبة رسول الله ﷺ.

وقد وقع للشيخ محيى الدين بن العربى أنه بغض شخصًا كان يحط على شيخه فرأى رسول الله ﷺ وهو يعرض عنه مرات فقال له ما ذنبى فقال تكره فلانا لأجل شيخك وهو يحبنى لم لا افنيت بغضه فى شيخك فى محبته لى قال الشيخ فمن ذلك اليوم ما كرهت أحداً من المسلمين.

واعلم يا أخى أن الفقير أو الأمير إذا اشتهر صار كالبحر يرده البر والفاجر ووجب عليه الاقبال على كل جليس من دنى وشريف وطايع وعاصى لكونه ميزان عدالة بين الناس فى التأليف بينهم والاصلاح لهم إذا مشى بالغرض صار عدوا لكل من أغرض عليه وخرج من يد طاعته فتعطل نفعه ضرورة ولو كان أبقى له مع كل واحد ودا ومحبة لدام النفع به ولم ينفر منه أحد إلا خصام فى طلبه منه الصلح والله تعالى اعلم.

أخذ علينا العهود ان نجيب دعوة كل من دعانا إلى داره من الأكابر والفقراء وإذا دعانا غنى وفقير قدمنا الغنى على الفقير لأن كسر خاطر الغنى أعظم من كسر خاطر الفقير لا سيما إن كان الداعى لنا من المعلمين أو المقدمين الذين يؤثر فيهم مخالفة أغراضهم وايضاح ذلك ان الغنى قليل من يخالفه من الناس فيعسر عليه ذلك أشد العسر لا سيما ان علم احد من أقرانه بذلك وبار طبيخه وأما الفقير فلا يتاثر فى الغالب ممن يخالفه لأنه ألف كثرة مخالفة الناس له وعدم انقيادهم لقوله فى كل أمر يرومه بخلاف الأمير مثلا ومراعات المراتب على العدل لا يعرفها إلا العارفون والسلام.

أخذ علينا العهود أن لا نجيب من دعانا للمحافل ومجالسة الأكابر من العلماء والأغنياء والمباشرين والمعلمين إلا إن كنا نعلم من نفوسنا السلامة من الرياء والنفاق وإظهار الحشمة لأجلهم ومتى خفنا ذلك فالأدب عدم الحضور ومن اشلا ما يكون على الفقير حضور الختوم التى حدثت فى جامع الأزهر وغيره فإنها مشتملة على أحوال تخالف هدى السلف الصالحين من إظهار العلم ومحبة ضرف وجوه الناس إليهم بذلك وما يقع فى ذلك المجلس من المجادلة وخروج الأخلاق الردية فى الملاء العام وتحريك الحسد فى بواطن الحاضرين اذا راوه فاقهم فى العلم فيمسك عليه الغلطة واللحنة ويشيعونها عنه فى البلد ثم لا يضيعون ذلك العلم الذى بدره عليهم البتة إنما يقولون ما هو الأجمع من كلام الناس فلا يجعلون له مقاما ولا رتبة وذلك لأن أكثرهم انما يحضر منتقداً لا مستفيدا أو إما مفاسد من جمع الناس لذلك المجلس فإنه يطفئ نور إخوانه فى ذلك المجلس بذكر ما

جمعه وتـعب فيه من الاستدراكات والنكت والفـوايد والأعاريب فيطفئ نور إخوانه بذلك ويقوى نور نفسه فيهلك وإن قـال إنما جمعت العلوم لا ستفيد من علومـهم قلنا مـا هكذا يطلب العلم يجلس الطـالب فى الصدر وفـوق الفرش والأشـياخ بين يديه من غيـر فرش ثم لا يقـوم إلا وقلبه مظلم كقـعر الدست لأن النور الذى كـان فيه قـدمه إلى خـارج فافهم ثم إذا قـدر علينا الحضور جلسنا على الفـرش الخاصة بنا دون ما وضع للمترفـهين فى الدنيا كما مر تقريره في عهد حضور الولايم والله تعالى اعلم.

أخذ علينا العهود إذا حضرنا في وليمـة أن لا نبداء بالذكر وهناك من هو أكبـر مناسنا ولو صبى المصـمت لأن من شرط الفقـير ان يرى نفسه أحـقر الناس والمدار على قول لا إله الا الله مرة واحـدة فإن كانت بداة من ذكر لا تناسب البناء عليها بدأنا على طريق المصطلح بين الفقراء وإذا كان الطعام فيه شبـهة كطعام القـضاة والمكاسين أخـرنا الذكر حـتى نأكل وذلك لأن الذكر يحرق ذلك الطعـام من الحسد فـيستريح منـه وإن كان الطعام حلالا كـمال المتدينين من التجار بدأنا بالذكر قبل الطعام ليمكث ذلك الطعام الحلال فى بواطننا وفى ذلك مصلحة أخرى وهو عدم احـتياجنا إلى طعام أخر إذا أخرنا الذكر.

وقد حضرت أنا وسيدى أفضل الدين فى وليمة عند شخص من الصنايعية فجاء شـخص من الفقراء بعد العشـاءوة افتتح الذكر بالناس فقـال له سيدى أفضل الدين الله يلقيك ما فعلت أحوجت الناس إلى عشاء ثانى فاعلم ذلك.

أخذ علينا العهود ان لا نمكن أحدا من الناس من تقبيل في المحافل ولا

عقب الفـراغ من مجالس الذكر وغـيرها ولا حرج علينا اذ زجـرنا من يفعل مـعنا ذلك القول أو الفـعل فإنا مـعذورون فـى ذلك لأنه يريد أن يدخلنا فى مزاحمة الحق تعالى فى التعظيم فإن تقبيل اليد تسمى السجدة الصغرى.

وكان سيدى عـلى الخواص رحمه الله من أشد الناس كراهة لتـقبيل يده وتقول لما يقبل أحد يدى على غفلة اذوب حياء من الله عز وجل.

وكـان سيـدى أفضل الدين رحـمه الله يقـول والله إنى لا أرى الجمـيلة للناس فى تمكينى من الجلـوس معهم وفى ردهم جـوابى إذا كلمتـهم لذلى وحقارتى.

وقال لى مـرة والله انى لأستـحى أن أدخل بيتـا من بيوت الله عـز وجل فقلت لمـاذا فقـال مثلى لا يستـحق أن يؤذن له فى دخول المـساجـد لكثرة تلطخى بالمعاصـى والآثام وكثيرا ما أذهب إلى الجـامع فلا اتجرا أن أدخل وحدى فأقف حتى يجىء أحد فأدخل تبعا له وأنا فى غاية الخجل وذلك لأنه بلغنى ان الله تعـالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود قل لـبنى إسرائيل لا تدخلوا بيتـا من بيوتى إلا بقلوب صـافية وأبدان طـائعة غيـر عاصيـة وفروج طاهرة فمن دخل منهم بعضو مستضمخ بمعصية لعنته من فوق عرشى.

وجاء مرة فقير إلى سيدى الشيخ عبد الحليم بن مصلح المنزلاوى رحمه الله تعالى، فقال يا سيدى أدبنى فقـال يا اخى النجاسة هى تظهر غيرها والله يا أخى إنى انجس كل من صحبته ولذلك لا أحب أن يصحبنى أحد أبداً.

ولما أراد سيـدى أفضل الدين ﷺ أن يتزوج قال لى لـم أجد أحداً فى مصـر يشاكلنى فى دناءة الأخلاق وغـلاسة الحال حـتى حتى أتزوجه وقـبيح

على مثلى أن يطلب التزوج بالناس الملاح ثم قال والله ما وجدت من يقرب من دناءة الأخلاق إلا عرب الهيشم الذين يطوفون على الأبواب ويأكلون الطعام المرمى على المزابل ﷺ فما رأت عينى فقيرا قط أذل نفسا منه.

وقد سمعت الهاتف مرة يقول لى ما صحبت مثل افضل الدين ولا تصحب فلما حكيت له ذلك بكى وصار يفحص على الأرض مثل الطير المذبوح ﷺ فكن يا أخى ذليل النفس بين يدى ربك وبين يدى عبيده اقتداء بالأنبياء والمرسلين وأكابر العلماء والعارفين وإياك والرضا بما أحدثه فقراء العجم ومن تبعهم من الناموس وتقرير فقرائهم وتلامذتهم على الخضوع لهم كالركوع وعلى تقبيل الركب وقعور الأقدام والوقوف بين أيديهم مطرقين كالوقوف فى الصلاة فإن ذلك هلاك لأمثالك وما طلب الأكابر من التلامذة إلا الانقياد لهم فى الشرع لا غير.

وفى الحديث لا تقوموا على روس ائمتكم وهم جلوس كما يفعل الأعاجم مع ملوكهم.

وكان ﷺ يقول لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح وتقدم أن الصحابة كانوا لا يقومون لرسول الله ﷺ إذا مر عليهم لما يعلموا من كراهته لذلك فالصادق يرد الناس عنه بالقلب والسلام.

أخذ علينا العهود ان لا نتكدر ممن نادانا باسمنا المجرد من غير لفظ سيادة أو ولادة أو مشيخة أو غير ذلك من الفاظ المفخمة بل لا ينبغى لنا التكدر ممن سمانا فسقة أو نصابين أو كذابين على الله ونحو ذلك بل لا ينبغى لنا أن نرى نفوسنا خرجت عن فساق هذه الأمة فى ساعة من ليل أو

نهار ويجب علينا أن نتهم نفوسنا فى كل صفة تبرأت منها من النقائص والفسق وايضاح ذلك أن الفسق فى اللغة الخروج يقال فسقت النواة إذا خرجت وكل من خرج عن السنة المحمدية قيد شبر فى مأكله أو ملبسة أو نومه أو شربه أو نكاحه أو أدبه مع الله تعالى أو مع خلقه فى ساعة من ليل أو نهار أو خطر على باله أن يفعل معصية فى مستقبل الزمان فقد انسحب عليه اسم الفسق بالنسبة لمن لم يخطر ذلك على باله من المحفوظين فاى عبد يدعى عدم خروجه عن السنة فيما ذكرنا أو غيره والإنسان على نفسه بصيرة.

وقد كان الصحابة ﷺ ينادون بعضهم بالأسماء المجردة على طريقة العرب فى جميع أراضى الحجاز وهم على ذلك إلى الآن وطريق العرب هى مرجع الناس كلهم وهى طريق صدق لا زور فيها ولا نفاق بخلاف نحو قطب الدين أو شمس الدين أو بدر الدين ونحو ذلك فإنه لا يكاد الشخص يصدق فيها إلا بتأويل بعيد والله تعالى اعلم.

أخذ علينا العهود أن نفر من الوقوع فى المعاصى حياء من الله تعالى لا خوفا من تنقيص الناس لنا كما يقع فيه كثير من الناس فيفرون من نحو بيع القهوة أو ان يكون أحدهم محبظا أو شود بالمغانى ونحو ذلك ولا ينفرون من وقوعهم فى الغيبة والنميمة وأكل الرشا والمكوس والحكم بين الناس بالباطل مع ان هذه الأمور أشد تحريما لأنها محرمة بالإجماع بخلاف نحو بيع القهوة والتحبيظ فلو كانت نفرتهم حياء من الله وقوة إيمان لكانت نفرتهم فيما أجمع عليه اشد مما اختلف فيه وتأمل القاضى الذى يأكل الرشا

لو اقيم فى بيع الحشيش يوما واحد لضاق صدره أشد الضيق وبادر إلى الخروج من ذلك ولو بالبر طيل خوفا على زوال منصبه لا حياء ولا خوفا من الله عز وجل فنفرته من بيع الحشيش نفرة طبع لا نفرة إيمان ودين ولله اعلم.

أخذ علينا العهود أن لا نلبس لباس الصالحين ونفعل فعل الجبارين فنكون كالذى يشتبه بما لم ينل وذلك كالذى يلبس له جبة من صوف ويرخى لعمامته عذبه ويأخذ بيده سبحة ويحضر أوراد الفقراء وموالدهم ويهيم فى الذكر ثم يشتكى جاره ومن له عليه من المعسرين برسل الظالمين ويحبسه على مال هو فى غنية عنه ذلك اليوم وكالذى يعامل الناس بالمعاملات الفاسدة التى كلها غش ويبيعها بالحوف وغير ذلك فمثل هؤلاء لا ينبغى لهم لباس الصالحين.

وقد كان سيدى أحمد بن الرفاعى ﷺ إذا رأى على أحد من أصحابه جبه صوف يقول له يا اخى انظر بزى من تزييت انما لبست لباس الأنبياء والأصفياء فإن لم تسلك طريقهم وإلا فأنزع لباسهم انتهى.

ومن هنا منع الصوفية المريد من لبس الصوف وارخاء العذبة إلا بإذنهم له فى ذلك ولا ينبغى لشيخ أن يلبس ذلك المريد إلا إن صح له قدم الاتباع ليكون ذلك من باب التحدث بالنعم.

وقد البست باستئذان من شيخى جماعة من الإخوان المجاورين وغيرهم الجبة وارحيت لهم العذبة حين تابوا إلى عز وجل فتحا لباب التوبيخ عليهم وجعلت ذلك كالمذكر لهم سوء صنيعهم وخبث طويتهم فكل من اذوه أو

شتموه أو اشتكوه من حاكم أو سعوا على وظيفته أو خلود كانه أو غير ذلك من القبايح يقول لهم فى سبيل الله عذبتك وجبتك وهو قصد صحيح إن شاء الله تعالى واعلم يا أخى أن العذبة ولبس الصوف سنة من أصلها كبقية السنن فلا يحتاج فعلها إلى أذن أخر من غير الشارع ولكن لما كان من السنن ماله شعار خاص توقف العارفون فى فعل ذلك لمن لا يستحق لكونه يوقعه فى إثم وزورو إذا ترتب على فعل السنة قبيح النيات كان تركها أولى لأنه ليس الحامل لفاعلها على فعلها امتثال أمر الشارع وإنما هو حب التميز والظهور.

وقد أفتى الحافظ ابن حجر بأن من أرخى العذبة على قصد التمشيخ عصى ومن هنا ترك الأكابر من الملامتية الإكثار من فعل السنن خوفا أن يخطر ببالهم أنهم زادوا على ما كلفوا وخرجوا عن إقامة الحجة عليهم كما سيأتى من هذا الذى قررناه من عدم إخلاص النية فى العمل ترك بعض الناس السنن وطال الزمان حتى صارت عندهم كالبدعة لكونهم لم يروا أباءهم وأجدادهم من قبلهم يفعلونها وفى الحديث لا تقوم الساعة حتى تكون السنة بدعة رواه الطبرانى.

وقد أرخيت لشخص من إخوانى المباشرين عذبة فلما اقبل على أصحابه نفروا منه وسخروا وقالوا والله لو رأيناك تشرب الخمر كان أهون علينا من روية هذه العذبة وقد تقدم أنه ما من سنة من السنن إلا وقد جعل الله فى مقابلة فعلها درجة فى الجنة لا ينالها العبد إلا بفعلها فإياك أن تقول هذا القول لأحداً وتحرج على أحد فى فعل سنة فإن العلماء قالوا من استهان بالسنة كفر نسأل الله اللطف.

أخذ علينا العهود ان لا نكذف أحدا من عباد الله فى أخباره لنا بما تخيله العقول عن نفسه أو غيره فإن غاية أمره أنه أخبرنا عن القدرة الإلهية أنها فعلت ممكنا لا غير والله على كل شىء قدير لكن ذلك فى المواجيد التى لا تتعلق بأحكام الشرائع ولا تعارضها فافهم.

وقد سمعت سيدى الشيخ على المرصفى يقول قرأت فى يوم وليلة ثلاثمائة ألف ختم فى كل درجة ألف ختم فقيل له بالحروف والألفاظ قال نعم فقيل له ما الحكمة فى وقوع ذلك لأولياء هذه الأمة فقال أراد الحق تعالى لهم ذلك لقصر أعمارهم فيزحح الولى من هذه الأمة فى الأعمال على من عاش من عباد الأمم السالفة الألف سنة وأكثر كل ذلك شرفا لمحمد ﷺ.

وكذلك بلغنا عن سيدى الشيخ مدين شيخ المغرب أن ورده كل يوم كان ثمانين ألف ختم فإياك مكابرة فقير فى شىء يدعيه من ممكناة القدرة فينزع الله منك نور الايمان بطريق القوم والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود أن نعطى كل حق علينا قبل أن يطالبنا به صاحبه ومتى أحوجناه إلى حاكم أو سياق أحد علينا فقد خنا عهد الفقراء بل ينبغى لكل صاحب أدب مع الله تعالى أن يعطى لعبيده تعالى كلما ادعوه عليه بمجرد دعواهم.

وقد ادعى شخص على رسول الله ﷺ حقا فى مرض موسه فقال رسول الله ﷺ ما أنا لا نكذب أحدا ولا نستحلفه ما سببه فقال مر بك سائل فقلت اعطة عنى ثلاثة دراهم وكان سفيان الثورى يقول إذا كان لك

على احد دين فأحوجك إلى شكواه إلى الحاكم فأترك ذلك الدين خير لك من ذهاب دينك ثم لا يخفى أن شرط إعطاء العبد الحقوق للمدعين بمجرد دعواهم محله ما إذا كان له قدرة على ذلك فيجعلهم من قسم السائلين له من الفقراء والمساكين حياء من الله عز وجل أن يكذب أحداً من عبيده وهو تعالى يرى ذلك ويسمع فإن التكذيب بحضرة الأكابر سوء أدب ويقولون لمن كذب شخصًا بحضرة السلطان استحى بما راينا قط وليا صاحب قدم واقفا عند حاكم يدعى عليه بحق زوجه أو جارا بدا لأنهم يعطون كل من ادعى سواء كان محقا أو مبطلا.

وحكى ان سيدى أحمد لما عمر زاويته وداره بناحية أم عبيدة ببلاد العجم امتحنه الفقراء وارسلوا له شخصًا ادعى أن تلك التى عمرها له ولأولاد عمه فلما سمع الشيخ ذلك خرج بعياله وأولاده وامتعة بيته، فقال له المدعى: يا سيدى إنما اختبرتك بذلك لأعرف هل ملت إلى الدنيا أم لا وليس لى حق فيها فقال الشيخ الحمد لله ثم قال له يا سيدى تخرج من الدار بمجرد قولى ولا تقف معى على حاكم فقال يا اخى الدنيا اهون علينا من أن نقف على حاكم لأجلها ﷺ.

أخذ علينا العهود إذا كان أحدنا يعظ الناس فى مسجد أو يخطب أو يؤم أو يقرى أطفالا وجاء من يطلب أن يكون هو الفاعل لذلك وهو أهل له أكثر منا أو مساويًا تركنا ذلك له بانشراح صدر والمواضع المحتاج أهلها إلى مثل ذلك كثيرة ومتى نازعنا ذلك الرجل فقد خنا عهد الفقراء وكنا طالبين للرياسة وللدنيا اذ همة كل داع إلى الله تعالى ان يكون شمل العالم منتظما فى دينه

ودنياه على يداى عبد شاء الله تعالى لا خصوصية لنا بذلك هكذا درج السلف الصالح رضي الله عنهم اجمعين.

وفى الحديث لا يعظ الناس إلا أمير أو مأمور أو مراءٍ فاعلم ذلك.

أخذ علينا العهود ان لا نزكى قط نفوسنا عند أحد من الخلق إلا لغرض صحيح شرعى كان تظهر نعم الله علينا حبا فى الله تعالى لا رياسة على الخلق أو بنين مرتبتنا فى العلم والمعروفة حتى يأخذ عنا ذلك الطلبة والتلامذة بعزم وهمة وكثيرا ما يقول الاشياخ لطلبتهم خذوا منا هذا العلم الذى لا تجدونه الآن عند أحد فى هذه البلدة حين يرون عدم إهتمامهم بما يسمعونه من العلوم والمعارف فما أحوج الشيخ إلى تزكية نفسه إلا القاصرون من التلامذة ولو كانوا أصحاب بصيرة ما احتاجوا فى الكلام الذى يسمعونه من الشيخ إلى تزكية وقد زكت الأكابر أنفسها لأغراض صحيحة كما قال عيسى عليه السلام ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ الاية اظهار النعم لله عليه.

وقال رسول الله ﷺ أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وأول من تنشق عنه الأرض ولا فخر وآدم فمن دونه تحت لوائ قال ذلك إعلاما لخواص أمته ليأتونه للشفاعة أو لا ولا يذهبون إلى بنى بعد نبى كما يفعل العامة منهم فقصد ﷺ تخفيف الكرب والتعب على الأكابر الذين فهموا من هذا القول هذه الفائدة ولولا هذا القصد لكتم ﷺ سيادته كما كتم غيرها مما سيظهر به فخامته وعظمته يوم القيامة فإن كل مقرب يميل بالطبع إلى هضم نفسه وكذلك قال ﷺ ولا فخر اى ليس فخرى بما ذكرته لكم

من السيادة وانما الفخر لي بالعبودية التي هي الذل والمسكنة بقرينة قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ ثم فرق رتبة الشرف بقوله ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾.

واعلم يا أخي أن بتزكيه الناس له لان من زكى نفسه يخبر عن ذوق والناس لا يخبرون إلا عن علم لا ذوق وبين العلم والذوق فرق عظيم فما فوق الذوق إلا تزكية الحق تبارك وتعالى ولذلك قالوا سلام الله على يحيى في قوله سلام عليه يوم ولدا على من قول عيسى عليه السلام ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ فافهم.

أخذ علينا العهود ان نطرد كل من أردنا طرده عنا بالقلب دون اللسان فإن فحش الكلام ليس من شأن القوم ولا ينسب إلى ساكت قول واعلم يا أخي أن الطرد بمثابة النفي ولم يزل في الخلق من يستحق التقريب ومن يستحق الطرد لأهل الله تعالى علامات يعرفون بها من يستحق الاحتمال ومن يستحق البعد ولا يطردون شخصاً فيفلح ابدا لأنهم لا يطردونه وفيه رائحة خير ومن أقوى علامات شقاوة ذلك المطرود واستحكام المقت فيه أنه يصير يحط في شيخه وفي جماعته بعد أن كان يمدحهم ويؤلف الناس لصحبتهم ومجالستهم وإن قيل له ايش هذا الحال من ذلك الحال يقول ما كل ما يعلم يقال وكان ابليس راكبني.

وكان سيدي على الخواص يقول الخلق كنبات الأرض ففيهم من هو كالتفاح وفيهم من هو كالجميز وفيهم من هو كالاثل وفيهم من هو كالشوك وفيهم من هو غير ذلك.

وكان رضي الله عنه يعيب على بعض المتصوفة في علاجة المريد بالخلوة

والجوع ويقول كل ميسر لما خلق له ورای مرة شيخنا يجاهد فى إنسان منهم فقال ولو جاهدت فيه لا يصح أن تقلب عينه أبدًا والشوك لا يصير بالعلاج تفاحًا ولو كنت من أكبر الاولياء.

أخذ علينا العهود ان لا نغير منكرات الملوك والامراء مقدمين بيت الوالى وجميع من له شركة إلا بالقلب دون الفعل واللسان لعجزنا وضعفنا عن محاربتهم كم هو مشاهد فتوجه بقلوبنا إلى الله تعالى فى إزالة ذلك المنكر فإن إزالة كان والا لزمنا الادب مع الله تعالى من غير اعتراض عليه فإن الله تعالى فى ذلك حكما وأسرارا تدق على أمثالنا وفى تفسيرنا المنكر بالقلب ستره للأكابر وعدم هتك أسرارهم وسلامتنا من العطب والله تعالى ستير ويحب من عباده الستيرين.

واعلم يا أخى أن هتكك لأستار العصاة غير المتجاهرين أعظم من معصيتهم فوقعت أنت بذلك فى أشد مما وقعوا فيه.

وكان سيدى على الخواص يقول فى شرح حديث من رأى منكم منكرا فليغيره بيده الحديث تغيير المنكر باليد للولاة والحكام الذين لا يقدر العصاة على مقابلتهم بالأذى إذا كسروا خمرهم مثلا وتغييره باللسان للعلماء العاملين ويغيره بالقلب للفقرا الصادقين وهو أعلى مراتب التغيير وقوله فى الحديث وذلك أضعف الإيمان معناه أن صاحب القلب من الفقراء لا يصل إلى صحة توجهه قلبه إلى الله تعالى حتى يرق حجابه الذى هو كناية عن الإيمان فيلتحق برتبة اهل الاحسان فهو مدح بهذا الاعتبار لأن قوله وإن لم يستطع ينفى الذم فإن الذم لا يكون إلا لمن استطاع فعل الشىء وتركه.

قلت: وهذا من باب الإشارة لا من باب حصر التغيير فيه مع إنه حصل به من التغيير ما هو أعلى من الإنكار بالقلب فقط فتأمل واللوم لا يكون إلا على من يقول لا يحتمل الحديث غير قولى هذا وهم لم يقولوه فافهم.

وقد وقع لسيدى ابراهيم المتبولى ﷺ أنه دخل بستانا فوجد فيه جماعة من الأجناد يشربون الخمر فاراد بعض الفقراء أن يكسر الجرار فمنعه الشيخ وقال يا ولدى إن كان لك قلب فغير بقلبك فتوجه ذلك الفقير بقلبه فانفلقت الجرار وساح الخمر وقاموا فضربوا بعضهم بعضا حتى أكلوا أعظم من حد الخمر فقال الشيخ هكذا فغيروا دائما والله عليم حكيم.

أخذ علينا العهود أن نقضى حوائج الناس فى هذا الزمان بالقلب من حيث لا يشعر صاحب الحاجة ولا خصمه فإذا جاءنا شخص يريد منا أن نكلم له قاضيًا أو مكاسًا أو محتسبًا أو اسيرًا قلنا له ترضى أن نسال الله تعالى لك فى قضاء حاجتك وإلا اذهب إلى حال سبيلك وبرطل الحواشى جهدك وذلك لأن بيوت الحكام صار أهلها فى غاية القساوة بحكم الوعد السابق من الشارع ولا يقبلون بشفاعة سفلة الخلق أمثالنا وإذا اغلظنا عليهم القول يقول لنا ان كنت شيخنا انفخنا فما نستطيع ولو توجهنا فيهم شهرًا كما هو مشاهد ومنا طائفة دخلت فى محبة الدنيا وصارت تتردد إليهم وتأخذ من أموالهم وتشحت منهما الرزق والصدقات فما بقى لأحد من الفقراء عند الحكام الآن قيمة ليقضى الله أمرًا كان مفعولا بل صاروا يقعون فى أعظم من هذا كله وهو أنك تقول لهم ساعدونى فى حاجتى لأجل الله تعالى أو لأجل

محمد ﷺ فلا يلتفتون إلى قولك واذا قدر أن أحدا من أعوان الظلمة دخل فسألهم فى ذلك اجابوه.

وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول كان فى الناس بقية رغبة فى إدخار الأجر والثواب فى الاخرة فزالت فى سنة إحدى وأربعين وتسعمائة، وصار مشهود غالب الحكام وأعوانهم ثواب الدنيا لا غير فانصح كل من جاءك يطلب قضاء حاجة وقل له أعط أعوانهم شيئًا من حطام الدنيا وهم يقضون حاجتك كما تقدم بسط ذلك فى عهد الشفاعة وكان سيدى أفضل الدين رحمه الله يقضى حوائج الإخوان بالقلب ثم يرسل صاحب الحاجة إلى بعض الفقراء الظاهرين فى البلد ويقول له أسأله فى قضاء حاجتك وإن شاء الله تعالى تقضى على يديه فلما أطلعت منه على ذلك سألته عنه فقال أحب أن اعمم اخوانى الظاهرين وأقوى نورهم وأكبر بهم جهدى وأكره أن أحدا منهم يجد فى شىء والله اعلم.

أخذ علينا العهود ان نشهد بنور الإيمان وسر الإيقان جميع ما فى الوجود من محمود ومذموم فعل الله وحده ثم بعد ذلك نضيف المحمود إلى الله إيجاداو إلى الخلق مجازا أو نضيف المذموم إلى النفس والشيطان إسناد لا إيجاد أو نحكم بمقتضى الإضافة قال تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله يعنى إسنادا وإيجاد أو ما أصابك من سيئة فمن نفسك يعنى إسنادًا لا إيجادًا وتأمل قوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ تعرف تحقيق ذلك فإياك يا أخى أن تحب إضافة المحمود إليك دون المذموم فيكون إبليس أكثر أدبا منك.

وكان بعض العارفين يقول اجتمعت بإبليس لعنه الله فذاكرته فقال كيف تلعنونى وما ثبت أحد من الامم فى مقام نسبة الذم إليه من غير تقلق وفدى جانب الحق تعالى بنفسه مثلى أبدا وذلك أننى أغار على الحق تعالى أن يضاف إليه شيء المذمومات التى تكرهها الطباع واحب إضافتها إلى نفسى قال وقد رأيته مرة فقال لى اوصيك إذا سبيت أحدا لوقوعه فى نقيصة من النقائص فسبنى بد له لأنى أنا صاحب المرتبة فى اضافة جميع المذمومات إلى وكل الناس بحكم التبعية لى فى ذلك فنسبتك الأمر المذموم إلى أصدق من نسبته إلى الناس وأسهل عليك من حيث مؤاخذتهم لك يوم القيامة فإن غالب الناس لا يكاد يسامح من اغتابه ونقصه فى المجالس ابدا بل رأيت منهم من يقول لا برئ ذمة فلان لا فى الدنيا ولا فى الاخرة وأنا قد سامحت جميع العباد فى لعنهم لى ليلا ونهارا ولا أطالب أحد بحق منهم فى الدارين قال ذلك لعارف فقلت له وهل لك حق علينا إذا لعناك فإننا انما نلعنك بلعنة الله عز وجل فقال صحيح ولكن لم يتعبدكم الله تعالى بالإكثار منها ليلا ونهارا مع أن غالب الناس لا يعرف ما يقول إنما يلعننى من عند نفسه فسكت وقلت فى نفسى كيف أحوالنا ونحن نطلب التخلق بشيء من ادآب إبليس مع الله تعالى لا نقدر على أن نشم منه رائحة فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم.

قال وقد رأيته مرة أخرى فسمعته يقول ما رأيت أجهل من هؤلاء الخلق فى إضافتهم الأشياء المذمومة إلى ببادىء الرأى دون الحق فجعلونى شريكا لله تعالى وهم لا يشعرون ومن أنا حتى يكون بيدى حل أو ربط فى الوجود

ولو علموا العلم لشهدوا الفعل لله ثم مسحوا فى أوساخ النسب بعد ذلك فأنا بريء ممن لم يضف إلى الحق أولا كل مقدر فى الوجود ببادئ الرأى كما انى بريء من كل من لم يضف إلى كل قبيح فى الوجود انتهى. فتأمل ذلك فإنه نفيس والله أعلم.

أخذ علينا العهود أن نخترع الأجوبة الحسنة عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى نحو فلا تكن من الجاهلين لئن أشركت ليحبطن عملك ونحو ذلك مما ورد فى الكتاب والسنة هذا حكم جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأما حكم غيرهم من الامة فالقاعدة فيهم أنهم لا ينهون عن شيء إلا إذا كان من شأنهم الوقوع فيه ولا يؤمرون بشيء إلا إذا كان من شأنهم الإخلال به ولولا ذلك ما احتاجوا إلى أمر ولا نهى والله تعالى أعلم.

أخذ علينا العهود أن لانأمن على انفسنا فى شيء ندعيه من مراتب الكمال أو النقص لشهودها إنها دون كل جليس على وجه الأرض وكشهودها إنها من جملة الفاسقين أو إنها عصت الله اكثر من غيرها ونحو ذلك من أخلاق الرجال الكاملين فإنها لولا علمت أن ذلك التواضع أعلى عند الناس أو فى درجات القرب عند الله ما فعلته ،ذلك علة لأنها شهدت أن صفاتها أحسن فأين دعواها أنها دون كل جليس على وجه الأرض وإذا ادعت أنها لا تشهد أن صفة التواضع أعلى من صفة الكبر فنفس دعواها انها لم تشهد ذلك علة واحسان ظن فافهم ذلك فإنه دقيق.

أخذ علينا العهود أن لانأمن مكر الله ولا استدراجه لنا طرفة عين وليس ذلك من سوء الظن لله عز وجل إنما علمنا بان الحق تعالى لا تقييد عليه

وله الإطلاق من الحضرة التي يفعل منها ما يشاء فالخوف أولى بنا بكل مقرب فضلاً عن أمثالنا وسواء وقع منا ما يوجب الخوف أم لا فإن الغالب على حضرات الملوك القبض والهيبة وإن وقع فى تلك الحضرات مباسطة فهو بحكم العرض.

وكان سيدى عبد القادر الجيلى يقول أعطانى الحق تبارك وتعالى أربعين عهد وميثاقا فإنه لا يمكر بى فقال له بعض العارفين فما تجد قلبك بعد ذلك قال غير آمن.

وقد سمعت فى حال كتابتى لهذا الموضع هاتفا من جو السماء يقول إن أردت ان لا يمكر الحق تعالى بك فى ساعة من ليل أو نهار فقل ثلاث مرات بعد المغرب وثلاث مرات بعد الصبح اللهم انى أعوذ بك من المكر والاستدراج من حيث لا أشعر يا أرحم الراحمين فمن قالها ذلك لا يمكر به الحق قط ولا يستدرجة انتهى فاعلم ذلك والله تعالى أعلم.

أخذ علينا العهود ان لا نجعل لنا مع الله تعالى إختيارا ولا تدبيرا ولا محبة أحوال نكون معه عليها دون غيرها وذلك لعلمنا بأن الحق تعالى ربما أعطانا ذلك الحال ثم سلبه منا لمكان إختيارنا وتدبير فالخير فيما أختارة الله تعالى وقد بسطنا الكلام على ذلك فى العهود الكبرى والله سميع عليم.

أخذ علينا العهود ان نشكر الله تعالى على المنع كما نشكره على العطاء على حد سوى وصرح بذلك سفيان الثورى رحمه الله تعالى وذلك لأن الله تعالى أعلم بمصالحنا منا وقد امناه على أنفسنا وهو تعالى أكرم من أن يضل عبد استأمنه على أمر من الأمور فوض أمره إليه فمن عامل الله هذه المعاملة

لم ير منه تعالى سوءاً قط وسلم قيادة إليه ولم يصر عنده ترجيح لأمر على أمر لا من حيث التشريع وتأمل يا أخى ولدك لما يظهر لك كمال رشده وأنه أعرف بأحوال الدنيا منك كيف تعطيه مفاتيح حواصلك وأنت منشرح لذلك ولما لم يظهر لك رشده كيف لاتركن إليه ولا تمكنه من مفتاح ما لك قط وظن هذا فى الجناب الإلهى كفر صريح نسأل الله العافية.

واعلم يا أخى أنه تعالى كلما منعك ما طلبته كلما رسخت فى مقام العبودية الذى لا أكمل منه فى الدرجات وكلما أعطاك النعم كلما تزحزحت إلى مزاحمة صفات الربوبية وذلك لأنك لا تشكر على النعم ولا تفرح بها إلا أن شهدتها لك وكفى بذلك جهلا فمنعه لك إياها حتى لا تشهد هذا المشهد ارجح من شهود أنها لك ولو تصدقت بها كلها على الفقراء والله تعالى اعلم.

أخذ علينا العهود أن لا نتمنى قط ما فضل الله به بعضنا على بعض من صلاح أو حال أو تصريف بل نرضى بما أعطاه تعالى لنا حتى يكون هو البادى لنا بالعطاء إن شاء عملا بقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ** ﴾ الآية وربما أعطى ذلك لنا ثم سلبه منا شفقة علينا فنتأثر أكثر من عدم العطاء من أصله وهذا بخلاف ما يعطيه الحق تعالى لنا ابتداء من غير سوال فإنه لا يسلبه.

أخذ علينا العهود ان ننظر إلى كل شىء فى الوجود بعين التعظيم والإعتبار فإن كل شىء فى الوجود من شعار الله وقد قال تعالى: ﴿ **وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ فنسبة الناموس إلى حضرة اسم الله

الخالق كنسبة العرش العظيم إليه على حد سوى فإياك وازدراء أحد من خلق الله فإن الله تعالى صانعه وخالقه وكيف يجوز أن يغيب على الحق تعالى صنعه فإن كان ولا بد لك من التفاضل فليكن ذلك تبعا للشرع لا للطبع والله عليم حكيم.

أخذ علينا العهود أن لا نغتر بملاطفات الحق تعالى لنا وتكبيرنا بين عباده وإعطائه تعالى لنا كلما سألناه فيه لعلمنا بأنه تبارك وتعالى لا يدخل تحت التحجير وله ان تغير ويبدل ما شاء كيف شاه وكثيرا ما يقرب عبد إلى أعلى ما يكون ثم فى لمح البصر بقيرة إلى حضرة الشياطين.

وكان سيدى عبد القادر الجيلى رضي الله عنه يقول إذا أراد تعالى ان يلاطف عبده فتح قبالة قلبه باب الرحمة والمنة والأنعام فيرى بقلبه إذ ذاك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلبه من مطالعة الغيوب والتقريب والكلام اللطيف والوعد الجميل والإجابة لكل ما سأل وتصديق الوعد والوفاء به وكلمات حكمة ترمى إلى قلبه وغير ذلك من النعم الجسام ثم فى أقل من لمح البصر يوقعه فى الإغترار فإذا اغتر فتح عليه أنواع البلايا والمحن فى النفس والمال والولد والإخوان ويزيل عنه جميع ما كان فيه من النعم فيصير العبد متحيرا منكسراً إن نظر إلى ظاهره يرى ما يسوءه وإن نظر إلى باطنه رأى ما يحزنه وإن سأل الله تعالى أن يكشف ما به من الضر لم يرج إجابة وإن طلب الإقالة لم يقل وإن طلب أن يسمع فى حقه كلمة طيبة من الناس لم يسمعها وانما يسمع منهم اللعنة وإن رام الرضا عن الله عز وجل أو التنعيم بما به من البلاء لم يعط فإذا ذابت نفسه وفنيت أوصاف

بشريته سمع الندا من قلبه اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ورد الحق تعالى عليه جميع الخلع التى كانت سلبت منه وازيد وأن امتحن الله العبد ولم يثبته هلك مع الها لكين انتهى فما لذلك الطلوع إلا النزول فالعارف من لا يركن قط إلى شىء من أحواله والسلام.

أخذ علينا العهود ان لا نظهر لنا خلقا محموداً إلى على وجه الشكر لله تعالى أو ليقتدى بنا فى ذلك فإن لم يكن ذلك مشهدنا اخفينا جميع أخلاقنا المحمودة ونوينا بذلك وجه الله وسترتنا مع عباد الله الذين كنسوا بارواحهم المزابل ولم يتصدروا قط فى المحافل كل ذلك غيرة عل صفات الحق تعالى المحمودة ان يتصف بها أحد من عباده إلا بإذن منه وهذا المشهد اعلا من قولهم الكابل لا يتقيد بإخفاء ولا إظهار فافهم ومن كلام سيدى أبى الحسن الشاذلى ﷺ إذا أراد الله بعبد خيرا ستر عنه صفاته المحمودة وجعله عبدا مملوكا لا يقدر على شىء وماذا يضر العبد إذا رضيه الحق تعالى عبدا ولا علم ولا عمل ولا معارف ولا كشوفات ولا حال ولا قال انتهى والله تعالى اعلم.

أخذ علينا العهود ان لا نتكلم قط بما كشف لنا وقوعه فى هذا الوجود من تولية الولاة أو عزلهم وطلوع النيل وحصول الغلاء والغناء ونحو ذلك إلا أن كان مطمح بصرنا اللوح المحفوظ فإن كان مشهدنا الواح المحو والاثبات أم منام رأيناه فالأدب كتمنا ذلك حتى يظهر فى الكون للخاص والعام فإن الحق تعالى ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ فى تغيير وتبديل يحول بين المرء وقلبه فربما غير تعالى ما أخبرنا به الناس وحجبنا عن شهود ما وقع

بعده فيسيء الناس ظنهم بأمثالنا ونخجل عند من كنا أخبرناه بذلك الأمر فالواجب على كل من لم يكن يكون مشهده اللوح المحفوظ أن يحفظ ما كشف له عن الإذاعة ولا يتكلم به مع أحد فإن كان الثبات والبقاء حمد الله وشكره على الستر بين الناس حتى وقع ما اخبر به وان كان غير ذلك كان فيه زيادة معرفة وتيقظ وتأديب وكان مطمح نظر سيدى على الخواص رحمه الله اللوح المحفوظ فكان إذا أخبر بوقوع شيء على صفة فلا بد من وقوعه على تلك الصفة والهيئة التى أخبر بها ولو طال الزمان وكان مطمح نظر سيدى أبى الحمائل وغيره الواح المحو والإثبات الثلاث مائة وستين لوحا فما كان يقع مما يخبر الناس بوقوعه إلا نادر فكان بعض الناس ينكر عليه ويعتقدون أنه يخبر عن زور والحال أنه كان يخبرهم عما يشاهد ذلك الوقت فى الواح المحو والاثبات فيتغير الحكم بعد ذلك ثم لا يساله احد عن تغيير الحكم ولو أنهم سالوه عنه لأخبرهم بتغيره فهو صادق فى الحالين لكنهم لم يسألوه فامسكوا عليه القول الاول فقط.

واخبرنى بعض الفقراء ان مطمح نظره هلال الشهر فينظر فى الهلال فيعرفه الله تعالى جميع ما يحدثه الله تعالى فيه من الحوادث. وكان مطمح نظر سيدى إسماعيل الانبابى ﷺ اللوح المحفوظ فكان يخبر الناس بما يراه فيه فبلغ ذلك بعض علماء المالكية فأفتى بتعزيره فقال الشيخ ومما رأيته فى اللوح أن هذا الذى أفتى بتعزيزى يغرق فى بحر الفرات فما مضى إلا يسيرا حتى بعث ملك الافرنج يسأل السلطان محمد بن قلاون فى أن يرسل له عالما من علماء الإسلام يجادل قسيسًا عندهم ووعد بالإسلام إن قطعه

بالحجة فـفتشوا فى مصـر فلم يجدوا فيهـا أكثر جد الا واحتـجاجا من هذا المالكى فـأرسلوه فغرق فى بحر الفـرات كما قـال الشيخ ولعل صنع بعض العارفين أن أحـداً لا يصح له النظر فى اللوح المحفوظ إنمـا هو سد الباب معارضة الوحى المحـمدى لأن الكذابين كثير والعصمة مـفقودة وإلا فالقدرة صالحة لأكثر من ذلك وكان من اسـتنار قلبه وانجلا صار وكالمراة الكرة إذا قوبلت بالوجود العلوى والسفلى انطبع ذلك فـيها وصاحب هذا القلب يقراء من قلبه جمـيع ما هو مكتوب فى اللوح المحفـوظ إذ هو من جملة الوجود وقد بسطنا الكلام على ذلك فى كتـاب الجواهر والدرر فى مواضع ثم اعلم يا أخى أن الحق تعـالى ربما مشى للعـبد مـا يخبر به عن غـير علم صـيانة لجنابه ان يخذل من استند إليه من العبـيد لأن من شأنه له الكرم والستر والله تعالى اعلم.

أخذ علينا العهود أن لا نمكن إخواننا قط من مطالعة كتب الشيخ محيى الدين بن العربى فى التوحـيد المطلق ولا فى كتب غيـره من المتوغلين فى التوحيد فإن ذلك مما يوقف إخواننا عن الترقى ويعوقهم عن معرفة ما خلقوا لأجله من الادآب الشرعية وربما فهـموا منه أمورا تخالف ظاهر الشريعة ولا يقدرون على التصريح بها فيعتقدوا ذلك فيخسروا فى الدارين وقد رأيت بخط الشيخ مـحيى الدين ﷺ ما نصـه نحن قوم يحرم النظر فى كـتبنا لمن يبلغ مبلغنا وانشد:

تركنا البـــحـار الزاخـرات وراءنا

فمن أين يدرى الناس أين توجهنا

فافهم فالأدب من كل متصوف فى هذا الزمان ان لا يمكن احد من اخوانه من مطالعة غير الكتاب والسنة الواردة صريحا عن رسول الله ﷺ فإن ذلك هو السيف القاطع بحده كل ضلال وصاحبه على شرع معصوم وهذا كان السبب الداعى لى على تأليف كتابى المسمى بكشف الغمة عن جميع الأمة وهو كتاب نفيس مرتب على أبواب الفقه لخصت فيه أحاديث الكتب الستة وغيرها من سائر الأسانيد التى تيسرت لى فى بلاد مصر المحروسة فعليك يا أخى بمطالعة مثله فإنه وحى من الله عز وجل إن نظرت فيه اثابك الله بخلاف كتب الصوفية.

وقد اجتمعت بشخص من صوفية العجم فذاكرته فقال إن العبد يبلغ بالتصفية والرياضة إلى أن يلتحق بدرجة النبى ويساويه فى الرتبة فزجرته عن ذلك فلم يرجع فقال أنت محجوب.

واجتمعت بشخص يطالع كتب الشيخ محيى الدين على التقليد فقال إذا كمل الرجل تخلق بجميع أخلاق الله تعالى واسمائه حتى اسمه المضل فله ان يضل من شاء من الأمة فقلت حاش لله أن يقع كامل فى غش احد من الامة ولو وقع ذلك لتسلسل الأمر إلى رسول الله ﷺ لأنه أكمل الرجال فقال نعم لرسول الله ﷺ أن يضل من شاء بحكم النيابة عن الحق تعالى لأنه خليفته فزجرته وهجرته فانظر أفة مطالعة كتب غلاة الصوفية لا سيما إن كان من يطالعها عار عن معرفة الشريعة فإنه ربما يقع فيما به يكفر واعلم يا أخى أن المطعن إنما هو على هؤلاء العوام لا على الأشياخ الذين رمزوا تلك الرموز والله تعالى اعلم.

أخذ علينا العهود أن لا نقرأ أحداً من الفقراء على إنكاره على أحد من الفقهاء لان الإنكار فرع من النفاق وينقض به علم العبد ضرورة لأن احدا ليس له من العلم إلا ما سلم فيه دون ما أنكر واعلم أن أصل الإنكار من الجهل فكما أن الفقهاء القاصرين ينكرون على الفقرا لجهلهم بطريقهم فكذلك القاصر من الفقراء ولو اتسع علم هؤلاء الفريقين لراوا طريق الفقراء جزءاً من الشريعة إذ الشريعة هى أساس طريق القوم التى يبنون منها طريقهم فما أنكر إلا القاصر من الفريقين والسلام وقد بسطنا الكلام فى العهود الكبرى والله اعلم.

أخذ علينا العهود ان لا يمضى علينا يوم وليلة حتى نذكر الله تعالى بتكرير الجلالة اربعًا وعشرين الف مرة على عدد الأنفاس التى تكون فى اليوم والليلة نوما ويقظة ونذكرها فى مجلس أو مجالس على نية أن الله تعالى يبسطها لنا على جميع الأنفاس التى تمر فى النوم واليقظة والغفلة والنسيان وإنما ذكرناها كذلك ولم نفرقها على كل نفس لأن ملاحظة ذلك يعسر على أمثالنا فى هذا الزمان المبارك وإذا ذكرنا كذلك فنرجوا من الله تعالى أن يلحقنا بمن لم يغفل عنه نفسًا واحدا فى ليل أو نهار فإنا قد أهدينا هاله من خزائنه جملة أو جملاً ويقع لى أنى اذكر اسم الجلالة اربعا وعشرين الف مرة نحو خمسة واربعين درجة بانفاسٍ متوالية من غير خلل نفس أخرا وسكوت فمن شاء فليعدها على سبحة أو حصى ومن شاء فليقلب المنكاب ويشتغل بقول الله الله حتى يمضى خمسة واربعون درجة واعلم يا أخى أنه لا يحسب لك من العمر إلا ما حضرت فيه مع ربك أو مع أسمائه

وصفاته وما عدا ذلك فهو والموت سواء فإن لم تيسر لك مراعات ساعاتك كلها فأجعل لك ساعة أو ساعات للذكر تحيي بها ما مات من قلبك بالغفلة والسهو أو بالمعاصى والشهوات وأقل مراتب من يحب ان يتسمى بالرجل أن يراعى أو فاته كما يراعى الديك أوام فويق أو الناموسية أو الصرصار وكيف يليق بصاحب البيت أن يكون نائما كالجيفة وام فويق أو الناموسة مستيقظة فمن نزل عن درجة هؤلاء الحيوانات فلا يسمى رجلا الا باللحية فقط والله غنى حميد.

أخذ علينا العهود ان نكف بصرنا وبصيرتنا عن النظر إلى عورة احد من خلق الله سواء كانت العورة ظاهرة أم باطنة طريقها الكشف ويسمى هذا عند أهل الطريق الكشف الشيطانى فإن حضرة كشف السوات حضرة الشياطين ولا يقع فى كشفها احد إلا وهو متلبس بأخلاق الشياطين فافهم فإنى سمعت كثيرا من الفقراء الذين لم يذوقوا طريق العارفين يمدحون الشيخ الذى يطلع على زلات المريدين وغيرهم وهو قصور فإن أقبح ما على الأكابر وقوع بصرهم على عورة أحد من خلق الله تعالى بل بلغنى عن احدهم أنه وضع يده على فرج المرأة التى يريد مريده أن يزنى بها وذلك من سوء الأدب مع الله تعالى ومع ذلك المريد وقد قال السيد أبو بكر الصديق ﷺ لو رأيت رجلا على حد من حدود الله لم أكن أدعو أحدا من خلق الله تعالى ليشهد معى انتهى ولو كان هذا الشيخ من أهل الكشف التام لعرف الزنا إن كان مكتوبًا على مريده أو غير مكتوب فلا يحتاج إلى وضع كفه ولا إلى هتك ستر مريده.

وكان سيدى على الخواص يقول لا يكمل الفـقير حتى يصير لا يرى فى أحد عورة قط وما دام يرى فى الناس عورة فهـو محتاج إلى جلاء مرآت قلبه على يد شيخ كـامل فيرقيه من مـراتب الجلاء حتى يدخله حضـرات الأنبياء والملائكـة والأولياء ويصيـر لا يرى عورة أحـد قط من خلق الله ولا يخطر السوء ولا الفحشاء على قلبه فإذا انجلت مرآت قلبه وتطهر من سائر النقائص فحينـئذ يحكم للناس بعدم العيب لأن ذلك صـورة باطنة حينئذ وكـان عيسى عليه الـصلاة والسلام إذا رأى من أحـد شيـئا وقال يا روح الله مـا أنا بالذى رأيته يكذب عينه ويصدقه فراحة البـاطن من أقوى أسباب علامات الفتح على المريد وقـد وقع لسيدى مدين رضي الله عنه أن فـقيرا خرج من الزاوية فـرأى جمرة خمر فكسرها فبلغ ذلك الشيخ فاخرجه من الزاوية وهجره سنة كاملة فقال له بعض الناس كيف تهجـره يا سيدى على ازالته منكرا فقال الشـيخ ما هجرته الا لدخوله حضرة الشياطين بإطمـاح بصره زيادة على موقع أقدامه حتى رأى المنكر ولو أنه كان ينظر إلى موضع وقع أقـدامه فقط لـم ير منكرا وقد مكث الإمام مالك رحـمه الله خمسة وعشرين سنة لا يخرج لجمعة ولا غيرها فقيل له فى ذلك فقال أخاف أن أرى منكرا فلا أغيره وبالجملة فمن لم يدخل إلى حضرة الملائكة لم يبلغ مبلغ الفقراء لأنه إذا دخل فى حضرة الملائكة لم ير منكرا هناك يزيله ويصـير يحمل الناس على أحـسن الأحوال وتأمل من عنده قوة شهوة وسـبق جماع النساء إذا رأى رجلا خارجا مـن عند امرأة أجنبية لا محرم لها هناك كيف ينـكر ذلك أشد الإنكار ويخطر فى باله أنه ربما زنا بها قياسًا على نفسـه هو لو دخل عليها فى خلوة وتأمل من خلق عنينا ولم يذق

قط لذة الجماع إذا رأى رجلا خارجا من عند أجنبية لا يخطر فى باله قط أنه زنا بها ولا ينكر عليه إلا الخلوة بها فقط لعدم الميل إلى الجماع فى باطنه فما فى باطنه شيء يقيس عليه إلا كون ذلك الرجل لم يزن بها ومن هنا انكر بعض الفقهاء على الفقراء فى عدم تغيير منكرات الأكابر مثلا إذا دخلوا عليهم فى بيوتهم لظنهم فيهم أنهم راوا ذلك المنكر وسكتوا عليه والحال أنهم لم ينظروه أو نظروه واحسنوا الظن وظنوا بالخمر شرابا حلالا وبالمرأة أنها زوجة الواطئ ومن كان هذا مشهده لم يتوجه عليه ازالة منكر لأنه لم يشهد منكراً والله اعلم.

أخذ علينا العهود أن لا نكثر من مجالسة الأكابر من العلماء والأمراء ولا نأكل معهم على سماط إلا ان كان السماط عاما وذلك لأن كثرة مجالسة الأكابر يرفع الحياء والتعظيم المطلوب منا لهم وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول إياكم وصحبة العلماء العاملين بعلمهم الذين يشهدون كمالهم وورعهم وعملهم بعلمهم فإنكم لا تطيقون القيام بحقوقهم التى يطلبونها منكم من خدمة وقيام وتقبيل الأيدى فقلت لهم كيف صح وصفهم عاملين بعلمهم وهم يشهدون كمالهم وورعهم فقال ولذلك قيدنا عملهم بالعلم بشهودهم الكمال إشارة إلى أنهم ما هم عاملين بعلمهم إلا بالدعوى فقط ولو كانوا صادقين لشهدوا نفوسهم أنهم قد استحقوا الخسف بهم لولا عفو الله وكان سيدى إبراهيم المتبولى ﷺ يقول اياكم وصحبة الأمراء فإنهم يمقتون فى أوقات على أقل من القليل وعطبهم أكثر من سلامتهم لأن قلوبهم غير مملوكة لمن يخدمهم ويصاحبهم فالبعد عنهم أولى والسلام.

أخذ علينا العهود ان لا نقر تلامذتنا على اعتقادهم فينا أننا أعرف بالطريق من سائر فقراء زماننا كما عليه طائفة من مشايخ العجم فإن ذلك من سوء الأدب منا فى حق إخواننا وفى حق أكابرنا من الاولياء الذى لا يجئ الواحد منا تحت إبط واحد منهم مع وقوع تلامذتنا فى الزور والبهتان ومن أين يعرفون أننا أعرف أهل زماننا بالطريق وهم دوننا فى المعرفة بالمقامات ويكفى إخواننا طريق انقيادهم لنا أن يعتقدوا فينا أننا اعلم وأعرف منهم بطريق أهل الله عز وجل فى سائر ما يترقون إليه من الآداب وهذا القدر يكفى فى الأدب مع الشيخ وفى العظام عن شهوة الاجتماع بغيره من المشايخ وفى قصة موسى والخضر كفاية لكل معتبر فإنها تشير إلى إنه قد يكون من عباد الله من لم يشتهر بالعلم وهو اعلم ممن اشتهر وكثيرا ما يجد العالم عند بعض العوام علوما ليست عنده.

وقد وقع للشيخ محيى الدين بن العربى ﷺ أنه ركب البحر فهاجت الريح فقال اسكن يا بحر فإن عليك بحرا من العلم فسكن البحر بمجرد قوله ثم انه طلعت هائشة وقالت له يا محيى الدين أسألك عن مسألة فإن اجبت عنها فأنت بحر علم كما قلت وان لم تجب عنها فانت جاهل لا ينبغى لك منك دعوى العلم فقال لها ما هى فقالت إذا مسخ الله زوج إمرأة هل تعتد عدة الاحياء أو عدة الأموات فما درى الشيخ محيى الدين ما يقول فقال له الهائشة تعلمنى شيخة لك وأنا أقول لك عليها فقال نعم فقالت ان مسخ حيوانا اعتدت عدة الاحياء وإن مسخ جارا اعتدت عدة الأموات فمن ذلك اليوم ما أسمع من الشيخ محيى الدين دعوى حتى مات.

ووقع للحسن البصرى أنه قال لأهل مجلسه يوما وكان فيه خمسمائة محبرة تكتب عنه لا تسألونى فى هذا المجلس عن علم نزل من السماء إلا أخبرتكم به فقام له شاب نحيف البدن يتوكاء على عصاة حتى وقف عند كتفه وقال يا سيدى الناموسة لها مصران والأكرش فما درى الحسن ما يقول فحمل مغشيا عليه ومات بعد ثلاثة أيام والله سبحانه وتعالى اعلم.

أخذ علينا العهود أن نلح بالاستغاثة عند حلول البلاء ونسأل الله إلا قالة ولا نتجلد ولا نتصبر كما يفعل بعضهم فإن ذلك مقاومة للقهر الالهى وربما زاد المرض والألم علينا حتى يفنى تصبرنا وتجلدنا فنسأ له الإقالة فإن فرار أمثالنا إلى محل الفجر وإظهار التألم من قرصة البرغوث أولى ولو كنا أقوى من ذلك فإنه تعالى يحب من عباده إظهار الضعف وكثرة سؤال العفو والعافية وكان سفيان الثورى يقول ما أدرى والله ما يقع لو ابتليت ولعلى أكفر من السخط وتقول الملائكة للعبد إذا صبر ولم يضجر أنت فرعون وكذلك أعوان الوالى يقولون لمن يضرب فى جريمة من الجرايم ولا يصيح ولا يستغيث ما لك عيط يطلقوك فاعلم ذاك.

أخذ علينا العهود أن لا نستعمل قط اسما السهروردى ولا اسما البونى ولا غيرهما بقصد شيء يحصل لنا من أمر الدنيا والآخرة فإن اسماء الله معظمة عن استعمالها فى مثل ذلك ولا يقابلها من الجزاء الإلهى فمن أراد قرأتها فليجرد نيته عن حظوظ النفس فى الدارين ليقرأها متسبحا لله وإظهار المجد والعزة لا غير وربنا يعطيه أفضل مما طلب وكيف ينبغى لعاقل ان يحبس نفسه جيعان عطشان لطلب أغراض خسيسة لو اعطيها العبد بلا سؤال

كان من الأدب عدم قبولها فكيف بمن يستخرجها بمعصار التوجه ليلا ونهارا واصل الأشتغال بذلك على نية الدنيا عدم السلوك على يد شيخ فلو أن أصحاب الحروف والأسماء سلكوا على يد كامل لعلمهم طريق الأدب مع اسماء الله تعالى ولكن لما فاتهم الجاه لعجزهم عن سلوك طريق الله وسوس لهم إبليس بما فيه هلاكهم وقال إن فعلتم ذلك انقادن لكم ملوك الدنيا نسأل الله العافية.

وكان سيدى إبراهيم المتبولى رحمه الله يقول وعزة ربى إن المشغولين بهذه الاسما والرياضات بقصد الدنيا أقبح من العصاة وهم من الذين يعبدون الله على حرف حتى لو صح وصولهم إلى مقام الصالحين بالاشتغال باسماء الله فحكمهم كالرطب المعمول مع الجير والله عليم حكيم.

أخذ علينا العهود ان لا نغفل عنا يدخل باطننا من الحرام والشبهات وأن نضيق على أنفسنا ما أمكن رجاء أن يوسع الله علينا فى ذواتنا وصفاتنا.

ويعطل صفاتنا المذمومة عن الاستعمال ويحرك المحمودة فإن أكل الحرام يسكن استعمال الصفات المحمودة ويحرك المذمومة والعارف من يأت البيوت من أبوابها الشرعية ولا يأكل مهما لقيه كالبهائم ويقول وخلق لكم.

وكان سفيان الثورى يقول لو أن شخصًا عبد الله حتى صار كهذه السارية ثم لم يدر ما يدخل جوفه ما تقبل الله منه عملا.

واعلم يا أخى أن من أكل الحرام والشبهات وطلب وقوع أعمال الصالحين على يديه وبسط جوارحه للطاعات فقد أخطاء الطريق فإذا كان

الملك لا يؤمر قط أن يدخل قلبا وفيه صفة مذمومة من صفات الشياطين فكيف برب الأرباب؟ يا داود طهر لى بيتا الحديث وقول بعضهم الفقير لا يرد محله فى الحلال البين اما الشبهات فعليه ردها النص الشارع احتياطا وقد كان بشر الحافى يرد ومعروف لا يرد فقال الأشياخ مقام بشر أكمل لأن المعرفة لا تطفئ نور الورع ولعل ما نقل عن معروف كان فى بداية امره.

واعلم يا أخى أن للمال الحرام والشبهات علامة فى أوله وعلامة عند صرفه وعلامة عند أكله فالعلامة الأولى أن يكون للشرع على ذلك اعتراف كالمكتسب بالحيلة والغش والحوف ونحو ذلك والعلامة الوسطى أن يصرف فيما ينبغى من أكل ولبس وعمارة ونحوها والعلامة الأخيرة أن يقوم الأكل من النوم كالذى يتخبطه الشيطان من المس فيمكث ساعة حتى يصحى وأكل الحلال على الضد من ذلك فلا يكون للشرع فى طريق تحصيله اعتراض وإن ينفق فى وجوه الخير ويقوم الآكل من النوم وقلبه يقظان كأنه ما كان نائما والله تعالى اعلم.

أخذ علينا العهود ان لا ندعو قط على من ظلمنا بسبب ظلمه لنا ولا نقول قط: اللهم من كادنا فكده، ومن بغى علينا فخذه، ونحو ذلك فإن رسول الله ﷺ لما دعا على قريش بالهلاك أنزل الله عليه وما أرسناك إلا رحمة للعالمين فاستحيى من الله عز وجل وترك الدعاء عليهم وصار يدعو لهم بالهداية وقد تقدم فى هذه العهود أن من شرط كل عارف بالله عز وجل أن يرى نفسه قد استحقت الخسف به لولا عفو الله وأن جميع ما يقع به من البلايا والمحن يراه دون ما يستحق من العقوبة ويقول من استحق

النار فصولح بالرماد لا ينبغى له الغيظ فيجب علينا الصبر على جور الحكام وظلمهم ونرى انهم ما ظلمونا وسلطوا علينا الأجزاء لعمل سابق منا وليس بيدهم حل ولا ربط ولا جور ولا ظلم فحكمهم حكم زبانية جهنم سواء لكن الزبانية تحت الأمر إلا لهى صريحًا والظلمة تحت الإرادة دون الأمر.

فافهم هكذا يشهد ذلك كل عارف بالله تعالى يقينا لا ظنًا ولذلك قل تكدير العارفين من الظلمة إذا ظلموهم.

وكان الجنيد ﷺ يقول لو جلس شخص عن يمينى من أحب الناس إلى يكلمنى بأطيب الكلام يشممنى الندى والعنبر وجلس شخص عن شمالى من أبغض الناس إلى يقرض جلدى بمقاريض من نارٍ ما زاد هذا عندى ولا نقص هذا عندى وذلك لأن حكم الخلق حكم السوط الذى يضرب به الناس ومن اغتاظ من السوط فهو خفيف العقل والله اعلم.

أخذ علينا العهود أن نرفق بالمسيئين من هذه الأمة المحمدية وأن نكون أرحم بهم من أنفسهم بحكم الإرث فى ذلك لرسول الله ﷺ إذا العلماء ورثة الانبياء ﷺ لا سيما إن كانوا منكسرين الخاطر قال رسول الله ﷺ الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء ومن رحمة العصاة إقامة الحدود عليهم فى الدنيا وكثرة الإنكار عليهم فالعارف من يقيم العذر للعصاة باطنًا قبل إنكاره عليهم عملا بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾ فإن الحق تعالى مادام يخلق لهم المعاصى لا يمكنهم الرجوع عن الوقوع فيها فإذا رجع الحق تعالى عن خلق المعصية لهم تابوا

لا محـالة بل لو قدر أنهم أرادوا المـعصيــة ما وجدوا مـا يعصون به فـافهم واعتبر والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود أن لا نتكل قط على غير الله تعالى من عمل أو علم أو صلاح فإن من كـان عزه بسوى الله فعـزه مهدوم ولو كان من أكـابر الاولياء فالعارف من يكثر من الأعمال الصالحـة عبودية لله من غير اتكال عليها قال ﷺ لا يدخل الجنة أحد بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحـمته وقد ذكرنا فى كتاب الـدرر والجواهر أن أكابر الملا مية إنما لم يكثروا من نـوافل الطاعات خوفا أن يخطر على بالهم أن مثلهم لا يعـذبه الله أو أنهم زادوا على ما كلفـوا به فى ذلك رائحـة المنة على الله تعالى بالعـمل والاعتماد على الأعـمال فلذلك اقتصروا عـلى أداء الواجبات لكونهم فـيهـا عبـيد اضطراء لا رائحـة للمنة عندهم فـيهـا رضى الله عنهم أجمعين.

فإياك يا أخى والإنكار على بعض الـفقرا إذا رايته قليل النوافل من سـهر الليالى وصوم الأيام وغير ذلك فقد يكون مشهده ما قلنا والله عليم حكيم.

أخذ علينا العهود أن نداوى نفوسنا ونحسن إليها فى بعض الأوقات بأكل المطاعم اللذيذة والثياب النفـيسة ولسان حال النفس يقول لصـاحبه كن معى فى بعض اغراضى وإلا صرعـتك واعلم يا أخى أن كل فقير خـرج عن نفسه صارت لله عـز وجل كما هو الأمـر عليه فى نفسه فليس له من نفسه شىء والواجب عليه حـينئذ اكرامهـا وخدمتها والإحـسان عليها تعظيـما لمن هى منسوبة إليه ومن إكرامهـا إطعامها اللذيذ وإلباسها الناعم وسقـيها الماء البارد

والحلو وعدم تقديم ضد ذلك بين يديها لا سيما بعد طول مجاهدتها وصبرها على الجوع والعطش والعرى ايام سلوكها قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ وتقدم فى هذه العهود أن سيدى الشيخ أبا الحسن الشاذلى ﷺ كان يأمر أصحابه بأكل اللذيذ ولبس الناعم ويقول إن العبد إذا فعل ذلك وقال الحمد لله يستجيب كل عضو فيه للشكر وإذا فعل الضد لا يستجيب كل أعضائه بل يقول وعنده أشمئزاز وكراهية أكل اللذيذ مع استجابة الأعضاء للشكر أحسن من أكل الخشن مع الإخلال بالشكر ولعل هذا مشهد الأكابر الذين تنعموا وتبسطوا فى الدنيا بالمأكل والملابس كسيدى عبد القادر الجيلى وسيدى على بن وفاء وسيدى مدين وأضرابهم ومشهدى أنا الآن واعوذ بالله من قول أنافى أكل اللذيذ ولبس كل ما وجدته إنى اقدمه على الخسيس قيامًا بواجب حقه وإعطاء لمرتبة حقها فإن الله تعالى قد رفعه بين الناس كلهم من الملوك والامراء والتجار وغيرهم فأنا استحى من النفيس أن أقدم عليه شيئا دونه وإن وقع منى ذلك فى وقت حصل لى منه خجل كما إذا اخليت بواجب حق ملك أو امير أو كبير على حسب تفاوت ذلك الطعام أو الشراب أو الثياب أو الفراش ولكن إن كثر خبر الحاضرين لاستعمال النفيس بحيث مال كلهم إلى الحلو مثلا وتركوا البسلة أكلنا نحن منها حتى نعرف أنها رضيت كما نصالح من كان متشوشا منا حتى يرضى.

فإياك يا أخى أن تتبعنا فى العمل بهذا العهد تقليدا من غير ذوق فتخسر والله تعالى اعلم.

أخذ علينا العهود ان لا نقع قط فى نذر لأن فى ذلك من سوء الأدب مع

الله تعالى ما لا يخفى على عارف أقل ما فيه إلزامنا نفوسنا بهوانا فعل أمر ليس فى يدنا ولا نعلم هل يقدرنا الحق تعالى على الوفاء به أم لا مع أن الحق تعالى قد وسع علينا ولم يضيق علينا قبل نذرنا بوجوب إخراج ما نذرناه فلما نذرناه أوجب علينا إخراجه وحكم بعصياننا لو لم نخرجه عقوبة لنا لمزاحمتنا له فى التشريع ولا لزامنا نفوسنا بفعل شيء كان قد أباح لنا تركه وفي الحديث ان النذر لا يقدم أجلا ولا يؤخره وإنما يستخرج منه من البخيل فما حمله على النذر الا عظمة ذلك المنذور عنده فما هان عليه إخراجه للناس الا بعسر شديد فكان كطعام البخيل سواء فلا ينبغى لأحد أكله فإنه داء فى الجسد نسأل الله العافية.

أخذ علينا العهود أن لا نعاهد ربنا قط على فعل شيء أو تركه فى المستقبل كان نقيد على أنفسنا بورد معين فى وقت معين لقصد معين لأنه ربما كان فى علم الله عز وجل عدم قسمة ذلك فنقع فى نقض العهد ويصير علينا معصيتان معصية عين الفعل ومعصية النفس ولولا تقدم العهد لكانت معصية واحدة ولهذا المعنى الذى قررناه أمر الحق تعالى رسول الله ﷺ بالاستغفار لمن بايعه من المؤمنين والمؤمنات فى قوله: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا ﴾ الآية وإنما أمره ﷺ بالاستغفار لهن فى المبايعة على ما ذكر من رائحة سوء الأدب فإن الأمور المستقبلة ليست فى يد أحد من الخلق فافهم فعلم أنه ليس على العبد إلا أن يزن كل شيء برز على يديه بميزان الشريعة ويعطيه حقه فما كان من طاعة قال الحمد لله وما كان من معصية قال استغفر الله فإن الأعمال قبل بروزها من الجوارح لاحكم لها

ويكفينا فى الأدب مع الله تعالى العزم على أن لا نعود لننظر تلك المعصية من غير معاهدة لربنا فننوى ان لا نعصيه قط لو قدر أن الأمر بيدنا والله غفورر رحيم.

أخذ علينا العهود ان لا نؤدب أحد من أولادنا وخدامنا وإخواننا وغيرهم بقطع رزقه بالأوهام وإلا فرزق العبد لا يصح لأحد قطعه عنه كل ذلك عملا بقوله تعالى ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا إلا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم نزلت الآية فى أبى بكر الصديق ﷺ كان ينفق على مسطح.

وجماعة من الفقراء فلما وقعوا فى الإفك قطع بره عنهم فلما نزلت الآية قال بل أحب أن يغفر الله لى ورد عليهم نفقاتهم وأنشد بعضهم لأبيه حين أدبه بتضيق المعيشة فقال:

لا تقطعن عادة بر ولا
تجعل عقاب المرء فى رزقه
واعف عن الذنب فإن الذى
نرجوه عفوا لله عن خلقه
فإن قدر الذنب من مسطح
يحط قدر النجم من افقه
وقد بدا منه الذى قد بدا
وعوتب الصديق فى حقه

وعلم من قولنا ولا يقطع رزقه بالأوهام أن حصول الأثم بالقصد فقط دون قطع الرزق نفسه لأنه لا يصح فافهم وعلم أن المعاقبة للعبد بتضيق المعيشة من خصائص الحق تبارك وتعالى لأنه أرحم بالعبد من والدته بخلاف العبيد ليس لأحد منهم ذلك بل الواجب عليهم أن يعودوا نفوسهم الإحسان إلى كل بر وفاجر ومن أحسن إليهم ومن اساء وأن يبدو بالقرب ولوكتم ويؤخروا البعيد ولو نشر ولا يعطوه إلا ما فضل عن القريب وهذا الحال يقع فيه كثير من الناس فيرون قرابتهم فى غاية الضيق ويتعبدون بهداياهم وافتقاداهم من العادة يكتم ويكفر ولا يرى لقريبه منه عليه إذا أحسن إليه والله اعلم.

أخذ علينا العهود أن نبدأ فى رفع حوائجنا كلها إلى الله تعالى أولا بتوجه الباطن فإن لم تقضي رفعناها للوسائط من خلقه فإن لم تقضى تربصنا لها وقتا اخر ثم إذا قضيت على يد أحد من الخلق شكرنا الله تعالى أولا ثم من قضاها من خلقه ثانيا وإن لم تقضى على يدهم شكرنا الله تعالى وسكتنا ولم ننسب إلى الخلق شيئًا ولو عاونوا على عدم قضاها.

واعلم يا أخى أن من أسرع الناس إجابة عند الله تعالى كما جربناه أصحاب الباطن الصافى الذى لا غل عندهم ولا مكر ولا خداع ثم أكابر الدولة ثم أكابر العلماء العاملين والتجار والمعلمين فإن الله تعالى يستحى أن يرد مثل هؤلاء ولما طلعت إلى الباشاه فى قلعة مصر المحروسة فى قضية سألته الدعاء فاستغرب ذلك منى فتوقف وقال منكم الدعاء فقلت له لا بد فدعا لى بإصلاح الحال فوجدت أثر إجابته قبل نزولى من قصره لطف الله به

وبنا وذلك لأن قليـلا من الفـقـراء من يلحظ هـذا الملحظ من الولاة إنمـا ينظرونهم بعين الازدراء الله غفور رحيم والله تعالى اعلم.

أخذ علينا العهود ان لا نكتم علما عن مـستحـقه فإن الأمـور قد بلغت حدها فى الكتمان وهذا العهد لا يحتاج إليه إلا من ترك الرياسة ومالت نفسه إلى الخمول كما كان عليـه السلف الصالح من التابعين ومن بعدهم ولذلك قال ﷺ فـى حق هؤلاء من كتم علمـا الجم بلجام من نار يـوم القيـامة تشجيعًـا لهم على اظهار العلم ونشره وأما الناس اليوم فـقد مالوا إلى حب الظهور فـلو توعدوا على إخـفاء علمهم مـا أخفـوه والله غفـور رحيم والله سبحانه وتعالى اعلم.

أخذ علينا العهود أن لا نجتمع بكل واعظ برز فى زماننا ونحضره ونسمع منه فإن الله تعالى مـا أظهره سدى ومن قال نحن بحمـد الله لا نحتاج الآن إلى واعظ دعوى وحظ نفس ومن قال لا نمضى إليه خوفًا أن نسمع منه شيئًا لا نستطيع العمل به فـذلك من تلبيسات الشـيطان ولو فتح هذا الباب لأدى إلى كراهة سماع القرآن والحديث لعـجزنا بيقين على العمل بالكتاب والسنة كامـلا ولو قابل بذلك فـلا يستـغنى عن سمـاع الواعظ ثم إذا راينا الواعظ زاهدا فى الدنيا مـا يلأ إلى سَتـر عورات الناس يرى الناس أحـسن حالا منه محبـا لكل واعظ برز فى زمانه ومكانه صاحبناه وترددنا إليـه لا مكان صدقه وإذا رأيناه بالضد من ذلك فـارقناه بجميل وسألنا الله له إصـلاح الحال والله عليم حكيم.

أخذ علينا العهود أن لا نؤثر أحدًا على أنفسنا إلا عند قوة شحها ونجلها

فنعاقبها حينئذ بالإيثار حتى تسكن فإذا سكنت وذهب شحها أتضح لها جميع ما نؤثر به غيرنا ليس من رزقنا إنما هو كان امانة عندنا له وقدمنا حينئذ نفسنا على غيرنا وتركنا الإيثار وعليه يحمل قوله ﷺ ابدا بنفسك كما يحمل مدح الحق تعالى للموثرين على انفسهم على ماذا قوى شح نفوسهم فإنه لولا ذلك المدح ما نجوا من تلك الورطة ولا خرجوا من البخل فافهم فلكل رجال مقال.

فعلم أن السخاء والكرم والجود على خر وجه لا حقيقة له في الأشياء الثبوتية لأن الجيد لم يعط احد من رزق نفسه شيئا إنما هو خارن للناس ارزاقهم حتى لو قدر أن الكريم منع احد من رزقه وبخل عنه به لوصل إليه على رغم انفه ول بالغضب والسرقة والنهب فليحذر الكريم من أن يرى له منة على من يحسن إليهم فيكب على وجهه فإن الله تعالى ما مدحه إلا فضلا منه وتنشطا للعطاء لما سبق في علمه من عزم الكريم عن الانفاق لكل ما دخل في يده ولولا ذلك ما احتاج إلى سياقه المكرم بالمدح بل كان بأمر الحق تعالى بالتكرم من غير مدح.

وأما البخيل فإن الله تعالى لم يجعل لاحد عنده رزقا وذمه عدلا منه لما علم منه خبث السريرة وإلا فاذا لم يجعل الحق تعالى لأحد عند البخيل رزقا فكيف يمكنه أن يعطي احدا شيئًا فتأمل ففي طي الكرم والبخل ضرب من المكر والبخل والاستدراج والله تعالى اعلم.

أخذ علينا العهود إذا تلونا القرآن أن نلقى بالنا لشهود صاحب حب الكلام لا لمخارج الحروف والأحكام وهذا شأننا مادمنا قاصرين عن درجة

الرجال فإن من الله علينا بالكمال جمعنا فى قلبنا بين شهود ذلك كله والا فشهود صاحب ذلك الكلام وهو المقصود كما أن صاحب الدار مثلا هو المقصود بالزيارة دون الدار فافهم وعلة ذلك أن شهود مخارج الحروف والأحكام تفرق عن الحق تعالى لاعينة فاية تذهب بنا إلى الجنة وما أعد الله لعباده فيها فنشهد ذلك بقلوبنا ونشخصه فيها فنحجب بذلك عن ربنا واية تذهب بنا إلى النار وآية تذهب بنا إلى الطلاق وآية تذهب بنا إلى معرفة المواريث وآية تذهب بنا إلى قصة آدم وما جرى له مع إبليس وآية تذهب بنا إلى نوح وما جرى له مع قومه وآية تذهب بنا إلى إبراهيم وما جرى له مع النمرود وآية تذهب بنا إلى قصة فرعون وما جرى لموسى معه وهكذا ومقصود الأكابر بتلاوة القرآن إنما هو الاجتماع بقلوبهم على الحق تعالى لا بأحكامه وآثارها عكس ما عليه غيرهم فيليهما من الدرجات ما بين مقصديهما.

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول المراد بتدبر القرآن أن يجمع القارئ على الله عز وجل لا على معرفة أحكامه فقط فهذا هو التدبير الكامل انتهى وإيضاح ذلك أن الكلام من صفات الله عز وجل والصفة لا تفارق موصوفها بخلاف الأحكام فتأمل واعلم يا أخى أنك لا تصل إلى شهود صاحب الكلام بقلبك إلا بعد إلقاء بالك إلى معانى الكلام وألفاظه بمواعظة فهذا هو سلم الوصول إلى هذه الدرجة فروض نفسك يا أخى بالقاء بالك على معانى كلام ربك فكلما مررت على شىء أمر الله به فقل بقلبك سمعًا وطاعة وكلما مررت على شىء نهاك عنه فقل لا حول ولا قوة

إلا بالله اى فى الترك إلى ذلك المنهى عنه وتدبر ذلك فى سورة واحدة ينفتح لك الباب فإذا قرأت سورة البقرة مثلا فانظر أول ما نصحك الحق تعالى به تجده لا تفسدوا فى الأرض أمنوا كما أمن الناس اعبدوا ربكم لا تجعلوا لله أندادا اتقوا النار اوفوا بعهدى اذكرونى أمنوا بما أنزلت ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بأياتى ثمنا قليلاً وإياى فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل واستعينوا بالصبر والصلاة واتقوا يومًا لا تجزى نفس عن نفس شيئًا وهكذا فقف عند كل خطاب ولا تنتقل لما بعده حتى تتدبر حكمة ما جاء له فمن عمل على التقدير انفتح له أبواب من الأدآب الإلهية والأسرار الربانية وزهد فى الدنيا.

وقد حكى أن شابًا كان يقرأ القرآن كاملا فى تهجده كل ليلة فبلغ ذلك شيخه، فقال: يا ولدى بلغنى أنك تقوم بالقرآن كله فى ليلة فقال نعم فقال يا ولدى إذا كان الليلة الآتية فمثل كأنك تقرأه على ولا تغب عن شهود ذلك ثم اخبرنى بما يقع فقام تلك الليلة ممثلا كأنه يقرأه على شيخه فطلع الفجر عليه وهو يقرأ فى سورة مريم فأخبره فقال يا ولدى مثل هذه الليلة كأنك تقرأه على رسول الله ﷺ فطلع الفجر عليه وهو يقرأ فى سورة المائدة فلما أخبره بذلك قال له: يا ولدى هكذا يكون تلاوة القرآن العظيم، ولكن يا ولدى أدلك على أمر فوق ذلك إذا كان هذه الليلة فتطهر باطنا وظاهرا واستشعر عظمة الحق تعالى فى قلبك ومثله كأنك تقرأ على الله عز وجل كلامه ونستفهم منه معانيه ولا تغب عن مشاهدته فطلع الفجر عليه وهو يكرر إياك نعبد لا يستطيع أن يتعداها واصبح مريضا أصفر اللون يعاد كأنه له شهر

مريضًا، فانتظره الشيخ فلم يأت، فخرج إليه الشيخ وأخبره بما وقع، فقال: يا ولدى هكذا تكون تلاوة العارفين ثم مات الشاب يوم الثالث ﷺ.

أخذ علينا العهود أن لا نمكن أحدًا من إخواننا الذين يقرون الاطفال من مزاحمة الصغار فى خبزهم ولا فى تقسيط خبزهم عليهم كسرة بعد كسرة فإن ذلك فتح لباب أخذه فى ذلك التهاون ونعلمهم أن من كان رتبة الفقيه وشامته أن يزهد فى خبز الصغار وخميسهم وإذا فضل شىء هو مستغن عنه يرسله إلى من يستحقه ولا يذوق منه لقمة وقد حدث فى هذا الزمان أقوام يأخذون خبز الصغار والخوانق والصدقات يبيعونه بفلوس ويدخرونها وشرط قارئ كتاب الله ان لا يكون له رغبة فى الدنيا.

وقد مات فقيه بناحية جامع طولون بالقاهرة كان يقرأ القرآن بالأربعة عشر رواية فوجدوا عنده مالا له صورة فى خزائنه حصلة من خبز الصغار وخميسهم وطعامهم فقل الناس عنه الرحمة رحمة الله تعالى وقد عمل الفقيه زحلق صرافة فحصل له فيها عشرة آلاف دينار ففرقها كلها فى المجلس وقبره بقرافة مصر مشهور وكانت صرافة ابن كاتم السر ﷺ.

أخذ علينا العهود إذا أمرنا على من عجزنا عن مصالحته من الإخوان أن نظهر له الذل والمسكنة ما أمكن فلا نلبس ثيابا مبخرة ولا نتطيب بالمسك والرند والعنبر ولا نضحك ولو رأينا ما يضحك كل ذلك رحمة باخينا فى الإسلام فإن هذه الامور تكمد المبغض وتدخل عليه الغم حتى أنه يكاد يتميز من الغيظ فمن فعل شيئًا من هذه الأمور بقصد إدخال الغم على أخيه ربما قيض الله تعالى بحكم العدل من يكمده ويدخل عليه من الغم نظير ما فعل

بذلك المبغض ويقرب ما ذكرنا التظاهر لمن يكرهنا بالطاعات العظيمة والصدقات الكثيرة والغد ومات للناس بقصد اكماده لا بقصد القربة إلى الله لا سيما إن كان من يكرهنا لا يقدر على فعل ذلك والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود أن نكرم الناس على حسب منازلهم ونفعهم فى الكون كالطبيب والمسلك والعالم والطباخ والجزار والخباز والنوتى والتراس وعرب الشعارة ومقدم الوالى والأمير والمباشر وزبال الحمام وأضرابهم فإن هؤلاء حمالون أعباء المملكة على كواهلهم وحكم غيرهم كالزوائد إذا علمت ذلك فمن الأدب أن تزيد لهؤلاء في البشاشة وطلاقة الوجه ما أمكن زيادة على ما نفعله مع غيرم فلولا الطبيب لسقمت أبدان الناس ولولا المسلك لسقمت أرواحهم ولولا العالم لذاب نظام دينهم، ولولا الطباخ ما أطمان الناس فى حرقهم ولكان شملهم يتشتت من الجوع، ولولا الجزار لتقذرت ثياب العلماء والاكابر من مخالطة النجاسات، ولولا الخباز لاحتاج كل إنسان أن يباشر الزبل والدخان وحصل له غاية المشقة، ولولا النوتى لبقى صاحب الحاجة في هذا البر ينظر إليها لا يستطيع الوصول إليها ولما استطاع الناس حمل امتعتهم الثقيلة من البلاد البعيدة لا سيما أيام النيل وكذلك التراس، ولولا عرب الشعارة ومقدموا امير الحاج لمات غالب الناس فى طريق الحجاز ولم يجدوا من يحملهم إلى بلادهم لا سيما وغالبهم لا فلوس معهم فيقولون للرجل الذى عيى من المشى وخرس من الجوع والعطش ما اسم بلدك فبمجرد ما يخبرهم ببلده يحملونه وهذه فضيلة لا يعاد لها عبادة، وكذلك لولا مقدم الوالى والحيلية ما انزجرت العياق من

النزول إلى حريم الناس من الضعفاء والمساكين لعجز الضعفاء عن دفع العياق عن أنفسهم وأموالهم وحريمهم.

ولولا الأمير ما انتظم شمل المامور لولا المباشر ما انضبطت أموال الفلاحين لأستاذهم ولا اموال المكس لأهلها وإلا كان الاستاذ والمكاس ينكران أخذ ما أخذ ويطلب غرامتهم ثانيا لغلبة قلة الدين عليه.

ولولا الزبال للحمام والوقاد لا خرج غالب الناس صلاة الصبح وغيرها عن وقتها لعجز غالب الناس عن تسخين ما يغتسل به والماء البارد يورث استعماله الانحدارات واضرار البول وغير ذلك فالحمد لله رب العالمين.

أخذ علينا العهود أن لا نتعشق قط لوارد من الواردات ولو ولد عندنا غلام أو صفا للنفس أو خشوعًا في القلب أو سعة في السراء وخوفا من الله ونحو ذلك فإن هذه كلها غير الله تعالى وإن وقع منا التفات إلى ورد فليكن ذلك على سبيل اعطائه حقه من الأدب مع الحق تعالى وأنا اعملك ميزانا تعرف بها واراد الحق من غيره وهو أنه إذا دام الوارد عليك من حين ورد إلى موتك فهو من الحق تعالى وإن زال بعد وروده بمدة فهو لمحة من ولى أو ملك وإن عارضك أحيانًا وغاب عنك احيانًا فهو من إصلاح الطعمة لا غير وعلى قدر حيات الارض يفلح الزرع.

وسألت شيخنا ﷺ ما علامة تعشق الوارد فقال علامته أن يعسر عليك فراقه فمتى عسر عليك فراقه فهو من حظ النفس ففراقه أحسن والله سبحانه وتعالى اعلم.

أخذ علينا العهود ان نتسلسل فى الاشتغال بمخالفة النفس فى كل خاطر

فإنه اشتغال بغير الله تعالى وليست هذه طريق العارفين إنما هو طريق العباد الذين سلكوا بغير شيخ وهى طريق مبنية على التدبير والأختيار ومعلوم عند كل عارف أن النفس لا تدبر وتختار لنفسها إلا ما فيه بقاوها وجميع الأكابر ما سلكوا إلا على عدم الأختيار والتدبير وعدم الركون إلى حال دون أخرى وفى المثل السائر من رمى سلاحه حرم قتاله وليس سلاح العبد إلا كل شيء أختاره دون الله تعالى من الأعمال والأحوال فمن أراد أن تفنى خواطره المذمومة فليشتغل بالله عز وجل على يد شيخ مرشد حتى يرقيه إلى درجة الكمال ويدخله حضرة الملائكة الذين لا يخطر السوى على قلوبهم وقد بسطنا الكلام على الخواطر الشيطانية وغيرها فى كتاب الجواهر والدرر والله اعلم.

أخذ علينا العهود إذا بلغنا أربعين سنة من العمران نطوى فراش النوم ونقبل على ربنا ولا نغفل عن كوننا مسافرين ليلاً ونهاراً حتى لا يكون لنا قرار نرى الذرة الواحدة من عمرنا بعد الأربعين مقومة بمائة عام قبل ذلك لضيق العمر حينئذ وعدم مناسبة الغفلة والسهر واللهو واللعب على من أشرف على شفير القبر وكذلك لا يكون بعد الأربعين مزاحمة على وظيفة ولا راحة سر ولا متاع ولا زينة ولا فرح بشيء من الدنيا ولو علما وكشفا ونحو ذلك لأنه كله اشتغال بغير الله عز وجل وما أمرنا الحق تعالى بالاشتغال بشيء إلا إن كان يجمعنا عليه فإن كان يشتتنا عن الحق تعالى تركناه وزهدنا فيه فإن كل من استند لغير الله خانه ذلك الشيء فكان ذلك المستند إلى غير الله ما حصل على شيء طول عمره.

وكان الإمام أبو حنيفة ينشد:

كفى حزنا أن لا حيـاة هنيئة

وعمـلا يرضى به الله صالح

ودخلوا على الشبلى وهو محـتضر فوجدوه يقـول يجوز يجوز ويكررها فقالوا له ما هذا القول فى هذا الموضع فقال تخاصمت عندى روحى وبدنى فقالا مـا تقول فى شريكين دخلا فى الشـركة على أن يتجرا ويربحـا فمضى عمرهمـا كله ولم يربحا شيئًا فـهل يجور أن يفترقا فـقلت يجوز فكررا على القول قلت يجوز يجوز والله اعلم.

أخذ علينا العهود أن لا نرى أنفسـنا قط على أحد من تلامـذتنا فإن الله تعالى ما أمـرنا إلا بأن ننصحهم ونعلمهم لا أن نراهم دوننا فى الرتبـة فافهم فإن ذلك يقع فـيه كثيـر ممن لم يبلغ من الرجال من المـتمشيـخين بمنام أو غيره.

وقد سمعت مرة شيخا يقول لتلامذته لا تقنطوا فإنا كنا أسوء حالا منكم وانظروا ما حصل لنا من المقامات والتشريف على أقراننا.

وسمعت أخى أفـضل الدين رحمه الله يقول لايكمل الفـقير حتى يسـتتر عن تلامـذته وأقرانه بحـيث لا يصيـر له قط عليـهم تميـيز ولا رتبـة ويرونه كاحدهم فلا يقومون له إذا ورد ولا يقبلون له رجلا ولا جسدا لكونه يعلمهم ويرشدهم بخضوع وسياسة بحيث لا يشعرون ان ذلك الترقى على يديه.

وكان سيدى أحمد الزاهد يقول أواخر عـمره ما عرفنى أحد من أصحابى إلى الأن فقيل له ولا مدين فقـال ولا مدين إذ لا يعرف الرجل إلا من شرب

من مسقاته والسلام فعلم مما قررناه ان من ربى المريدين وأرشدهم من حيث لا يشعرون خرج من الدنيا ولم ينقص له رأس مال وذلك لأنه أظهر لهم فضله عليهم ربما قابلوه بالخدمة والتعظيم فتكون تلك بتلك.

وكان السلف الصالحون ينصحون ويرشدون بعضهم بعضا من غير تمييز ولا جلوس على سجادة ولا وقوف الناس بين يديه غاضين أبصارهم ولا غير ذلك فإن هذه الامور لا تليق إلا بالملوك وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ وأصحابه والتابعين لهم وإن كان للأشياخ مستند فى تعظيم الشيخ من حيث نسبته إلى الله فالوجود كله منسوب إلى الله نسب خق لانسب مجانسة فافهم فثم فاضل وأفضل وكامل وأكمل والحمد لله رب العالمين.

أخذ علينا العهود أن لا نمشى قط فى دهاليز المساجد ولا صحونها فضلاً عن إيوانها بتاسومة ولا حلفاية فإن ذلك معدود من سوء الادب عند العارفين إلا لشدة حر وبرد وأما المشى بالتاسومة على حصر المسجد وبسطه فذلك من فعل الخارجين من حضرة الأدب فإن المسجد من أخص حضرات الحق تبارك وتعالى لأنه محل مناجاته وموضع جباه الملائكة والمقربين وصالحى المؤمنين وأكثر من يقع فى حياته هذا العهد من تشبه بأهل العلم من أولاد الفلاحين وكيف يناسب من أصله فلاح يرعى الجاموس والبقر أن يمشى بنعل يفرقع به بين الساجدين فى مثل الجامع الأزهر وغيره وينسى دخوله ذلك المسجد حافيا محزق الثياب على رأسه قحف منحوت لا يساوى درهما بل كنت مرة أصلى قريبًا من منبر الجامع الازهر فوجدت إنسانًا يفرقع بتاسومة وهو قاصد جهة المحراب والناس يتركعون فى سنة العصر وهو

يمشى بهـا قريبا من وجـوههم وهم ساجدون فنظرت إليـه فإذا فى يده وشم كالنسـاء من نسائه.

فقلـت له يا أخى ما هكذا الأدب من أمـثالنا من أولاد الفـلاحين فـقال تنهانى عن الاحـتياط فى دينى فـقلت له شاكل بعضك بعـضا فجاء سـيدى هارون بن أميـر المؤمنين وليس فى رجله حلفاية فـقلت له انظر يا أخى إلى ابن الخليفة أمير المؤمنين الذى تولى نفس السلطـنة المملكة كيف جاء حافيا فقال أنا أفضل منه بالعلم فـسكت عنه واعلـم يا أخى أنه ما رأت عيناى أحدا من الفقـراء أكثر تعظيمـا للمساجـد من سيدى على الخواص كـان يقول لا ينبغى لأمثالنا أن يدخل المساجد إلا فى عـمار الناس بعد سماع قول المؤذن حى على الصلاة لا قبله فيدخل أحـدنا وهو خائف كخوف المجرم إذا دخل بيت الوالى بل أشد لأن مثلنا لا يقدر على آداب الجلوس فى المساجد فقلت له مال هؤلاء القاطنين فى المسـاجد فقال مثل هؤلاء أمرهـم محمول لكونهم كالبهـائم بقرينة اخراجهم الريح فى المسـجد وضحكهم وغيبتـهم للناس فيه وعدم سماع ما يتلى فيه من القران وغير ذلك.

واعلم أنه لم يبلغنا عن أحـد من ائمة المذاهب أنه كان يفـعل مثل ذلك فى المساجد مع شدة ورعهم وكـثرة خوفهم من الله تعالى فهل أنت يا أخى اكثر احتياطا لدينك منهم فإن رأيت ذلك فأنت مجنون.

وقد رأيت مرة فى ثوب أخى أفضل الديـن رحمه الله أثر دنس فقلت له ألا تغسله فقال لى نفس ذاتى مـتنجسة بصفات نجسه حـتى صار كل قميص وضع على ذاتى متنجسًا فكيف حال من ينجس كل شىء خالطه ثم قال والله

العظيم إنى لا لبس القميص الطاهر وأنا منه فى غاية الحياء والخجل حين أنجسه بلبسى.

ولقد لبست يومًا قميصًا فنطق لى وقال لى يحل لك من الله أن تضعنى على ذاتك هذه النجسة الأخلاق التى لم ينظر الله إليها فغشى على من كلام القميص انتهى.

واعلم يا أخى أن أصل الوسواس من المكث فى حضرة الشياطين واصل دخول حضرة الشياطين من ظلمة الباطن وأصل ظلمة الباطن من أكل الحرام والشبهات فمن أراد ذهاب الوسواس عنه والخروج من حضرة الشيطان وتلبيساته فليتورع فى اللقمة ولا يأكل إلا ما حل بإجماع أهل الظاهر والباطن فمن تورع باللقمة كما ذكر ضمنت له زوال الوسواس بالكلية لأن أكل الحلال ينور الباطن وإذا نار الباطن دخل حضرة الملائكة والأنبياء والأولياء وليس فى حضرة هؤلاء شىء من الوسواس والتلبيسات كما هى حضرة الشياطين أبدا وأما إذا أكل الوسوس طعام أهل الرشا والمكوس والبلص والرياس القضاة والمكاسين والرسل والبزدارية والمرائيين والاكلين بدينهم وصلاحهم من طائفة الفقراء اليوم فلا يليق به الوسواس فى غسل الاعضاء الظاهرة ادا اللحم النابت من أكل الحرام لا يكفى فى طهارته الماء ولو غسله ألف مرة وإنما تكون طهارته بالنار كأجساد الكفار فافهم فإن فى الحديث كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به.

وكان عمر بن عبد العزيز يقول إن الذين يأكلون الحرام إنما هم أموات ولو كانوا أحياء لوجدوا ألم النار فى بطونهم واعلم أن حكم من يأكل من

هذه الخبائث حكم من غطس فى خرارة مذبح فى فرث ودم وقيح حتى ملأ بدنه وثيابه فلما خرج للصلاة رش عليه ما ورد فقال شخص يا أخى اغسل عنك هذا القذر ثم رش الماء ورد ليشاكل بعضك بعضا فلم يفعل وقال تمنعنى من فعل السنة والاحتياط فهذا شان الموسوسين فى هذا الزمان فأكل الحلال هو قطب دائرة الصفات المحمودة الخارجة عن بيت التلبيس ورأيت مرة موسوسًا أخذ دينارا من مكاس فشكر فضل ذلك المكاس ثم صار يغسله الماء ليطهره فقلت اذا كانت الذات نجسة كالكلب كيف تطهر فقال تمنعنى من الاحتياط فى دينى ورأيت موسوسا أخر يغسل عمامته بالماء والطين بعد غسلها بالماء والصابون حتى أسود شاشه.

فقلت له لم تفعل ذا فقال يحتمل أن زيت الصابون أو بدن السقاء متنجسا.

ورأيت موسوسًا أخر يغسل قبقابه الذى يدخل به الخلاء فى الفسقية التى يتوضأ الناس منها ويغسلون منها وجوههم نسأل الله العافية.

ورأيت موسوسًا آخر يأخذ عمامته بعد أن تغسلها الجارية وتتعب فيها إلى أواخر النهار فيغطسها فى المغطس أو الميضاه فيطهرها فقلت له لؤمن بكلام رسول الله ﷺ فقال نعم فقلت له إن رسول الله ﷺ اخبر ان خطايا بنى آدم تخر فى الماء أو مع اخر قطرة من العضو ومعلوم أن الخطايا من أقذر القذر لا سيما خطايا الزنا واللواط وشرب الخمر والغضب والسرقة والربا والمرافعات فى الناس ونحو ذلك فكيف يليق بمتورع أن يغطس عمامته فى غسالة أوزارهم وخطاياهم ثم يضعها على رأسه فى الصلاة بين يدى الله عز

وجل والحضرة الإلهية لا يمكن دخـولها إلا للمتطهرين من كل رجس ظاهر وباطن وصلاة العبد خارج الحضرة الخاصة كلا صلاة وطهارته بغسالة ذنوب الناس كلا طهـارة فإنه لو كشف للموسـوس لرأى ماء المغطس أو الميضاه كالماء الذى رمي فيه جيف وخنازير وحمير وجمال وقطط وغيرها على قدر مراتب تلك الـخطايا التى خرت فأبداننـا إذا اتطهرنا بالماء الذى يتـطهر منه الناس تزداد قـذرا زيادة على تلطيخ ابداننا بخطايات انفـسنا اللاصقـة بالبدن الذى لم تخر فأى ذنب لغسل العمامة دون غيرها.

وكان الإمـام أبو حنيفة ﷺ يرى ببصـره قذر الماء من الخطايا كـالقذر الظاهر سواء وكذلك شدد فى الطهارة بالمـاء الذى لم يستعمل من حيث أنه أنعش للأبدان الضعيـفة بارتكاب المعاصي من الماء المسـتعمل الذى خلق وضعفت روحانيته بالاستعمال وله ﷺ فى المستعمل ثلاثة روايات.

أحدها: أنه يسمى نجاسة مغلظة.

الثانى: قد نجس بنجاسة متوسطة كبول كلما أكل لحمه من الحيوانات.

الثالث: أنه طاهر فى نفسه غير مطهر لغيره.

قال شيخنا ﷺ ووجـه الرواية الأولى أن أثر الخطايا أقبح من أثر الأكل لأن الأكل مباح من أصله بخلاف الخطايا فإنهـا حرام فإن كان ما أكله حرام كالمكس والرشـوة كان المنفصل عنه كـالماء الذى خرج من كـبائر الخطايا ووجـه الرواية الثانيـة أن أكثـر الخطايا صغـائر أو مكروهات والكبـائر قليل فكانت نجاسة الماء متوسطة كالذنوب المتوسطة ووجه الرواية الثالثة أن بقاء الخطايات عليهم إلى وقت الاستـعمال مظنون لا محقق فقـد يغفر بالتوبة أو

يقول استغفر الله فكان ظاهر إلا طهورا فلم يلحق بالنجس ولا خلص إلى الطهور فالله تعالى يرضى عن هذا الإمام ما كان أدق نظره وما كان أكثر ورعه وهذا الكشف الذى ذكرناه عن هذا الإمام ﷺ وهذا باق لكل من كان له قدم من الفقراء إلى يوم القيامة وقد دخلت مرة مع سيدى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى إلى ميضاه فأخبرنى بجميع الخطايا التى خرت فيها ذلك اليوم وقال ينبغى من يفعل الخطايا أن لا يغتسل فى مطاهر المسلمين ولا يغمس يديه فى مطاهرهم فإنما يفترق إناء أو يأمر غيره يصب الماء عليه وأخبرنى مرة بخطيئة عبد زنا بجارية فأخبرت العبد بذلك فاعترف أنه زنا ذلك النهار بالجارية فاعلم وإن لم ينكشف لك يا أخى عن تقذير الماء ببصرك فقلد الشارع فى تقذير الماء بخطايا ليصح إيمانك بالحديث ولا تستعمل بطهارتك إلا ما لم يستعمل فى حدث.

واعلم يا اخى ان الموسوس اذا شك فى أفعاله المحسوسة التى يشاهدها ببصره فكيف تصديقه بالأمور المغيبة التى أمره الحق بالتصديق بها كمنكر ونكير وعذاب القبر والحشر والنشر وغير ذلك فربما لا يهتدى أن يقول لمنكر ونكير ربى الله أو دينى الإسلام أو محمد نبيى لكثرة الشك الذى فى باطنه بل هذه الأمور أقرب إلى الشك من الأمور المحسوسة لأن بصيرة الموسوس مطموسة وبصره لا يصدقه حتى أنه يغسل العضو عشر مرات وأكثر ولا يصدق نفسه أنه غسل ولا مرة واحدة وقد حكى لى بعض الإخوان أنه رأى فى بركة موسوسًا يغسل ثيابه به من أول النهار إلى أخره فلما جفت ثيابه أخر النهار رجع إلى البلد شك فى أنه راح إلى البركة فسأل من جماعة

صيادين فى الطريق هل رأيتمونى مررت عليكم بكرة النهار قالوا لا قال فإذن أنا ما رحت البركـة شيئًا فقال له من راه مـن الناس فى البركة إنك من بكرة النهار هناك فلم يرجع إلى قولهم وأصبح زاهبًا إلى البركة ليطهر ثيابه ثانيا.

وحكى إلى سيدى الشيخ أمين الدين إمام جـامع الغمرى بالقاهرة رحمه الله أنه رأى مـوسوسـا فى جـامع الأزهر تسلسل الوسـاوس به إلى أن ترك الوضوء والصلاة وقال ما يعجبنى وضـوئى ولا صلاتى فكانوا إذا ضيقوا عليه صلى غضبًا وإذا تركوه باختياره لا يصلى شيئًا قلت ورايت بعينى شخصًا نزل الميضاة عندنا ليتوضأ للصبح فمكث يتوضأ إلى الزوال وكان ذلك يوم جمعة ففرغ وجاء والخطيب على المنبر فوقـف وتفكر فى نفسه ورجع إلى الميضاة إلى أن سلم الإمام من صلاة الجمعة وهو جـالس يغطس يده إلى مرفقيه فى الماء ثم يخرجـها فينظر اليها ثم يـغطسها نسأل الله العافـية فإياك يا أخى أن تعاشـر موسوسـا أو تعايره فتبـتلى بالوسواس والله يتـولى هداك وهو يتولى الصالحين.

أخذ علينا العهود ان لا نجلس قط فى المحـراب ولا نضع باطن أقدامنا على أرضه إلا لضرورة شديدة أدبا مع الله تعالى فإن رسول الله ﷺ يقول إن الله فى قبلة أحـدكم فلا يبصق تجاه وجـهه وقاس العارفون علـى البصاق الجلوس والوطىء بـالأقدام وكـيف يلـيق بعـارف أن يجلس فى مكان أمـر المصلى تخـيل خطاب الحق فيه وتخيل قـربة منه حتى أنه يقرأ كلامـه عليه تبـارك وتعالى ومـا جـوف أهل الادب من السلف الصـالح المحـراب فى الحائط حتى صارت كالسهوة إلا حـتى يحجزوا الناس المغفلين عن المرور

بين يدى المصلى فهـو كالستره للإمام ومن هنا كره بعضهم فى الوقوف فى طاقة المحراب وأمـروا الإمام أن يقف خارجها لهذه النكتـة بحيث لا يماس أرض المحراب إلا بجبهته ووجهه والله سبحانه وتعالى أعلم. انتهى.

أخذ علينا العهود ان لا نترك أحـدا من إخواننا يحتج بالإرادة الإلهـية إذا وقع في محذور لأن ذلك يجرئه على وقوعـه في المخالفات ولو نفعت هذه الحجة احدا لنفعت إبليس فاعلم ذلك والله يتولى هداك.

أخذ علينا العهود أن لا نسأل الله قط فى حصـول أمر من الأمور إلا مع التفويض إليه وذلك ليكون عاقبة ذلـك الأمر محمودة علينا إن شاء الله تعالى فإننا جاهلون بمـا يصلحنا وبما فيه نجاتنـا والحق تعالى لا يضل من فوض إليه أمره أبدا حاشا احكم الحاكمين.

وسمعت سيدى على الخواص يقول من أقبح ما يكون من العبد أن يسأل ربه شيئًا ويلح عليه فيه ثم إنه إذا أعطاه له تقلق منه ومن تعبه فيه وصار يسأل الحق في زواله وكـان أفة ذلـك من عدم التـفـويض ولو أنه كان فـوض إلا موالى الله تعالى لأعانه على القيام بحقوقه.

قلت: وقد سألت الله تعـالى أن يسلك لى سبيل عباده الصالحـين فقيل فإن سـبيل الصـالحين تحـمل البلاء من غيـر تقلق وأنت لا تستطيع ذلك إلا بتقلق فرجعت واستغفرت وسألت الإقالة من البلاء.

وقد شهدت أقواما من الفقراء كان وقتـهم صافيا فطلبوا الشهرة وزاحموا أهل الدنيـا فى دنياهم وسـألوا من أركان الدولة الرزق والأمـوال فانفـتحت عليـهم أبواب من الكدر لا يخلصـون منهـا إلا إن شـاء الله تعالى وصـاروا

يقولون يـا فرح الفقـير الذى لا يعـرف ولا له اسم بين الناس ثم أقل النكد كثرة الحاسـدين له من أقرانه وغيرهم لا سيما إن طلبوا منه شـيئا من سحت الدنيا فادخـره عنهم وقد قال لى منهم واحدة مرة عـهدنا بالكلب إذا فتح الله تعالى عليـه بعظمة يمر مشـها يمكن أخاه يمر مش من الجـانب الأخر يعنى بذلك أن الدنيا أتسعت عـلى حتى صار عندى منها الذهب والفضـة وغيرها وما صدق والله فى إتساعها على من حيث أنى أدخرها عن مستحقها.

وقد تقـدم فى هذه العهود أن العهـود أخذت على أن لا أبيت على دينار ولا درهم ولكن حـمدت الله عز وجل الذى وقـانى ما يقع فـيه غـيرى من ادخارها فـالحمد لله رب الـعالمين فلو أن العـبد يقـول فى كل شىء سأله اللهم اعطنى كذا إن كـان لى فيه خـير لم يحصل لـه من ذلك نكد أبدا فإن الحق تعالى أولى من وفى بالعهود واشفق على العبد من والديه والله سبحانه وتعالى اعلم.

أخذ علينا العهود أن لا نزدرى من رفـعـه الله علينا من الأكـابر فى دين ودينا أدبا مع الله تعـالى وبمـا رفعـهم علينا إلا لحكمـة بالغة ثم أى فـائدة لازدرائنا لهم وحطنا عليـهم مع ان احدا لم يسمع لنا ذلك وهذا العـهد يقع فى خيانته كثير من الناس فيـقولون عن المحتسب والوزير ونحوهما من أين لهؤلاء السفلة الضخامة نحن نعـرف أباؤهم وفلان كان أبوه نوتيا وفلان كان أبوه فلاحـا وفلان كـان أبوه فرانًا ونحـو ذلك من الهذيانات فـمن أقام هذا الميزان عـلى أهل زمانهم من العلماء والفقـراء حرم بركتهم والسـلام فاعلم ذلك والله أعلم.

أخذ علينا العهود أن ننظر إلى جميع النعم والمحن بوجهين ولا نقف مع ظاهر نقمة ولا ظاهر نعـمة فربما أتت النعم فى المـحن وربما أتت المحن فى النعم فإذا نظرنا إلى باطن النعم وجـدناها مشتملة على جـملة من البلايا وأقل ما هناك أن الحـق تعالى يطالب صاحب النعـمة بالقيام بحقـها ودوام الشكر عليـها بالأعـمال دون اللسـان كم قال اعـملوا آل داود شكرا لم يقل تعالى قولوا آل داود شكرا ونحن أولى بذلك من أمـة داود عليه ومما يطالب به أيضًا صرفـها فى المواطن التى ندب الحق تعالى العبد أن يصرفها فـيها ومن كان مشـهوده فى النعمة هكذا فمـتى يتفرغ للالتذاذ بهـا؟ وكيف يعدها نعـمـة؟ وإذا نظرنا إلى باطن النقم والرزايا وجـدناها من أعظم الـنعم علينا وذلك لأنها تورث عندنا الندم والذل وخفض الجناح فـتردنا إلى حضرة ربنا بعد أن كنا شـردنا عنها بالزهو والإعجـاب بطاعاتنا ورؤية علو منا ومـعارفنا واستقامـتنا فى الأعمال وسلامة أعراضنا وغيـر ذلك والله تعالى ما وضع لنا الطاعات والعلوم والمعارف إلا ليردنا بها إليه عبيد أذلا وفى المثل الساير من لا يجىء بشراب الليمون جاء بحطبه.

وقد كان فى جوارنا فقـيه كثير الوسوسة والتورع والاشـتغال بالعلم ليلا ونهارا ولكن كان يزدرى الناس ويحتقـرهـم وإذا أمر أحدا منهم بمعروف يأمر باحتقار وازدراء.

وكان سيدى أفضل الدين حاضـر أمره فقال هذا يحتاج إلى شىء ينكس رأسه ويكون له أحـسن من جميـع ما هو فيـه فما مـضى نحو ثلاثة ايام إلا ومـسكوه بجـارية وهو يفعل فيـها القبـيح فأخذوه وسبـحنوه فى بيت الوالى

وارادوا يجرسوه بها هى على كتفه فحصل له شفاعة وذهب أهل جارية كلهم إلى بيت الوالى يتفرجون عليه فمن ذلك اليوم ما عدنا نسمع منه قط أمرا بمعروف ولا نهيا عن منكر فقلت له فى ذلك فقال نحن أكثر ذنوبا من الناس ولو يجبنى بغير ذلك فأردت أن ارقيه إلى حال أعلى مما هو فيه وأقول له احتقارك نفسك لا يسقط عنك وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرايت الإقامة فى هضمة النفس أولى له حتى يتمكن ويقوى.

ومن كلام سيدى ابى الحسن الشاذلى رضي الله عنه معصية أو رثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أو رثت عزا واستكبارا.

والله سبحانه وتعالى اعلم.

أخذ علينا العهود أن لا نفسد مريدا على شيخه بإقبال أو بشاشة أو ترحيب بل تغضب فى وجه حتى لا يقع له ميل إلينا فنقع فى الخيانة بين الفقراء وقد جرب أن كل من أفسد مريدا على شيخه فلا بد أن يقيض الله له من يفسد عليه إخوانه كذلك ويؤيده قوله ﷺ عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم وبروا أباءكم تبركم أبناؤكم والإنسان على نفسه بصيرة ثم لا يخفى أن هذا الحكم فى مريد دخل على شيخه بعهدا وتلقين ذكر ونحو ذلك وكنا نخاف أن يتغير على شيخه لضعفه فإن كان ثابت القدم مع شيخه فلنا الإقبال عليه والترحيب به كم نفعل بالفقراء الذين لم يدخلوا مع أحد بعهد وانما يزورون هذا وهذا وينوون البركة بهم كلهم فإنه لا بأس بالإقبال عليهم والبشاشة والترحيب والله تعالى اعلم.

أخذ علينا العهود ان لا نظهر التخلق قط بأسماء العظمة والكبرياء والعز

ونحوها خوفا من أن الله عز وجل يقصمنا كما ورد فى الحديث القدسى العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحدا منهما قصمته إذا علمت ذلك فلا تتخلق يا أخى إلا بالأسماء المأذون لنا فى التخلق بها كالرحمن وبالرحيم والرءوف والكريم والعفو والغفور والجواد والصبور ونحوها فثم اسما حرم وغير حرم فافهم.

وسمعت سيدى عليًا الخواص رحمه الله يقول إياك واقامة الميزان على أحد فإن لله تعالى أربابا فى صورة عبيد وعبيدا فى صورة أرباب وكثيرا ما يخلع الحق على عبد خلعه العبودية فيبرز فيها عبدا فى نفسه سيدا فى عيون الحاضرين ولما خلعت العبودية على أبى يزيد البسطامى ﷺ صار الناس يقومون له ويتبركون بأثوابه فقال له بعض الفقراء كيف تمكنهم من ذلك فقال ابو يزيد ليس تبركهم بى وإنما تبركهم بحلية ربى التى حلانى بها وأما أنا فإنى عبد ذليل لا أملك لنفسى نفعًا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا رزقا فكيف أرى بيدى حلا أو ربطا لغيرى ولا أقدر أجر ذلك لنفسى انتهى.

فاعلم ذلك واياك والحط على فقير رأيته يلبس نفيسا أو يأكل نفيسا وتقول هذا تكبر والله يتولى هداك.

أخذ علينا العهود اذا اجتمعنا بأحد من الأمراء أو الكبراء كالدفتر وقاضى العسكر وشيخ العرب ونحوهم أن نكبر بإخواننا من الفقراء والفقهاء ونذكر لهم فضائلهم ومناقبهم دون شىء من نقائصهم وذلك ليعاملنا الله بنظير ما عاملنا به إخواننا ولنخرج أيضا من صحبة ذلك الكبير مستورين فإن من هتك ستر أحد هتك الله ستره عند خلقه وربما قيض الله لنا من يجرحنا عند ذلك

الأمير بذلاتنا السابقة واللاحقة التى نفعلها الأن فنصير عند ذلك الامير كخرقة الحيض وإن أجبنا عن أنفسنا وزكيناها كذبتنا أفعالنا ومن خالف فليجرب.

ومن وصية سيدى على الخواص إياك أن تتظاهر بكشف إذا صحبت أحدًا من أركان الدولة فإنهم يقتلونك بالإقبال عليهم لا سيما إن ضبطوا ذلك عليك وصح معهم مرات فإن أردت يا أخى السلامة منهم فتستر بالغلط فى الكشف فإنهم ينفرون عنك ضرورة وينفرون إخوانهم كذلك ويقولون فلان نصاب ضبطنا عليه كذا كذا مرة وهو يخطىء وهذا واجب على كل من كان عنده بقية نفس كامثالنا فإن من الله علينا بالقوة كشفنا عن الأمور وتخلصنا من ورطات الكشف.

والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود أن لا نمكن أحدا من إخوانتا يقيمون ميزان عقلهم ونقلهم على أرباب الأحوال من الاوليا المجاذيب وغيرهم ولو راوهم قد أخرجوا.

الصلاة عن وقتها أو تركوها جملة واحدة وذلك لسرعة العطب فربما مقترا من اعترض عليهم ولو بالقلب ومشى الله لهم ذلك المقت فخسر الدنيا والاخرة ولا فرق يا أسخى بين الاحياء من أرباب الأحوال وبين الأموات منهم فإياك أن تعترض على موالد الاولياء الذى يجتمع فيها الخلايق ويقع فيها مالا ينبغى من اللعب واللهو والمزمار ونحو ذلك ما لم تجمع العلماء على تحريمه فإنها ما فعلت بالاصالة إلا لتلاوة القرآن والذكر ومدح رسول الله ﷺ وما زاد على ذلك أمر عارض وإن كان ولا بدلك من إنكار على

الطبل والمزمار مثلا فاستأذن بقلبك فى ذلك صاحب المولد فإن ظهر لك الاذن منه بانشراح صدر فانكروا لا فلا بد من السكوت فإن مثال ذلك مثال جعيدى حضر بين ملك من الملوك ورأى بعض منكرات بين يدى الملك وهو يراها ولا يغيرها فيخاف على ذلك الجعيدى من الإنكار على الملك أن يقتله أهل حاشيته ولا تطبخ فيها شاتان فافهم لا سيما إن لزم الإنكار إبطال المولد ونهب أمتعة الناس وبضائعهم.

وقد وقع لبعض إخواننا أنه خرق الدفوف فى مولد سيدى أحمد البدوى وكان من أعيان المجاورين بمقامه فضرب وأخرج ولاح عليه المقت والطرد عن مقامه فلم يزره ولا تيسر له ذلك حتى مات ونفرت منه جميع إخوانه.

واعلم ان من الاولياء الأكابر من يعطيه الله التصريف فى قبره والقدرة على ارشاد الخلق ونصحهم كالأحياء سواء.

وقد اخبرنى شيخى العارف بالله تعالى سيدى محمد الشناوى رحمه الله تعالى أن الله تعالى أعطى سيدى أحمد البدوى أن كل عاص دخل مقامه تاب وكل شارب خمر سكر فى مولده تاب ثم قال لى وان شككت فأمتحن من رأيته يفعل ذلك فإن لم تجده تاب بعد مدة مد يدة ما أنا محمد فقلت: يا سيدى أنا مؤمن بأعظم من ذلك فقال الحمد لله رب العالمين.

وكان سيدى عبد القادر الدشطوطى رضي الله عنه لا يراه أحد يصلى قط مع صحة عقله المعاشى وحذقه فى أمور الدنيا فكان عندى من ذلك شيء لجهلى بأحوال الاولياء فدخلت عليه يوما فبدأنى بالكلام فقال والله ما أظن إننى تركت الصلاة ولا أخرجتها عن وقتها يوما واحدا ولكن للفقراء أماكن

يصلون فيها فبلغ ذلك سيدى الشيخ محمد بن عنان رحمه الله تعالى فقال صدق الشيخ عبد القادر له أماكن يصلى فيها وقد أخبرنى الشيخ يوسف الكردى أخص أصحاب سيدى إبراهيم المتبولى ﷺ أن شخصًا اعترض على سيدى ابراهيم فى عدم صلاة الظهر مع الجماعة على الدوام فقال له يا ولدى نحن أخذ علينا العهود أن لا نصلى الظهر دائما إلا مع الاولياء فى جامع رملة لد.

قال الشيخ يوسف وحضرت مع سيدى إبراهيم مرة وكان هناك نحو اربعمائة ولى. انتهى.

وكذلك كنت ارى سيدى عليا الخواص رحمه الله يفقد فى صلاة الظهر دائما فلا أدرى هل كان يصلى فى الجامع الأبيض برملة لدتبعا لشيخه سيدى إبراهيم المتبولى أم كان يصلى فى غيره.

وكذلك أخبرنى بعض الإخوان عن الحاج عبد الله بباب زويله فى مصر كان إذا سمع أذآن الظهر غلق باب دكانه وغاب ساعة ثم يحضر.

ودخلت مرة على سيدى عبد القادر الدشطوطى فلما أذن الظهر تمدد كالخشبة وقال غطونى فغطوه بملاة فغاب نحو العشر درج ثم تحرك وقام وجهه يضىء كأنه كوكب.

وكان الشيخ إسماعيل خادم الشيخ محمد الخضرى المدفون بناحية نسهنا بالغربية أنه كان يؤاخذ الناس بالخواطر وكان يترك الصلاة فى أوقات وكان ينام حتى يسمع غطيطه ثم يقوم فيصلى الجمعة وغيرها من غير تجديد وضوء فخطر فى بال شخص من الناس المصلين خلفه فى صلاة الجمعة أن

الشيخ صلى بلا وضوء فلما سلم تصفح وجوه الناس حتى أتى إلى ذلك الشخص وصار يبصق على وجهه ويصكه ويقول أنت بواب دبرى ويكررها وخطب مرة فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر كلاما ظاهره كفر فصاح الناس به كفر كفر فنزل وأشهر السيف فهربوا كلهم من الجامع وجلس بجانب المنبر إلى العصر والناس ينظرونه فجاء الخبر من عشر بلاد أنهم صلوا خلفه الجمعة فى ذلك النهار وخطب بهم فى العشر بلاد فسألت سيدى عليا الخواص فى ذلك القول فقال هؤلاء القوم لا يربطون كلاما قط بآخر فكل كلام على حدة لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده كما إذا قال فلان كلب فلان كلام وحده وكلب كلام اخر مستقل.

وحكى لى الشيخ محمد إمام جامع سمنود أن شخصًا كان يدخل الجامع فينام دائمًا فى المحراب حتى سميناه عجل المحراب وكانت ثيابه دنسة كأنها ياب قصاب فجئت يوم إلى المحراب فى صلاة العصر فحركته ليقوم فلم ينتبه فوكزته برجلى فى جنبه فأستيقظ مرعوبا وعيناه كالدم فقام ومسكنى من طوقى ودفعنى فى حائط المحراب فانشقت الحائط وخرجت إلى أرض قفراء وعرة لاحس فيها ولا أنيس فمشيت حتى ورمت رجلاى وخر الدم منهما فقطعت من عمامتى ولقيت منها على رجلى ولم أزل أقطع وألف حتى ذابت عمامتى كلها فرأيت شجرة على البعد فقصدتها فوجدت عندها عين ماء ووجدت ثياب غريمى معلقة فى تلك الشجرة فعرفتها ورأيت اثرا قدام فتبعتها حتى انتهيت إلى ذروة جبل فرأيت جماعة عليهم جبب بيض وعمائم بيض والصلاح لائح على وجوههم من كثرة الخشوع والحياء وإذا

بذلك المجذوب جالس فى المحراب فلما أقيمت صلاة العصر صلى بالناس إما فلما سلم التفت إلى الناس وقال أيكم رأنى يومًـا من الدهر عجلا فقالوا كلهم كيف ذلك فقال هذا سمـانى عجل المحراب ووكزنى برجله فى جنبى فـأنا إلى الآن أجد وجـعهـا فقـالوا خذ العـفو وأمـر بالعرف وأعـرض عن الجاهلين وهذا جاهل بغير شك فقال الشيخ بشرط أن لا يعود يتعرض لفقير بالإنكار فـقلت نعم فأخذ علـى العهد بذلك ثم قـال لى تدرى أنت فى أى أرض؟ فقلت لا فقال فى أرض الرجراج بينك وبين مصر سفر سنة وأشهر قم يا فلان فادفعـه إلى بلاده فقام شخص وقال غمض عيـنيك ودفعنى فخرجت من حائط المحـراب وعمامتى مـقطعة ورجلاى يجرى منهمـا الدم فحكيت للناس الحكاية ووجـدتهم ينتظرون العـصر فـصليت بهم وانقطع الشـيخ من ذلك اليـوم عن دخول الجـامع ﷺ وحكى عن قـضـيب البان بالشـام أن شخصًا من القضاة كان ينكر عليـه فى تركه الصلاة والتلطخ بالبول فى شهود العين فدعاه الشيخ يومًـا إلى مكانه وتصور له فى صورة جندى ثم فلاح ثم قاض ثـم ثـور ثم عـجل ثم سـبع ثم فـى صورته المعتادة ثم قال له تحكم يا قاضى على أى صـورة من هؤلاء بترك الصلاة؟ فتـاب القاضى وأوصى أن يدفن تحت رجلى الشيخ.

وذكر سيـدى محمد بن عنان فى رسالتـه أن من أغرب الامور انك ترى المجذوب عـريانا وهو يكسى ونائما وهو يصلى ونحو ذلك فـقال له الشيخ شهاب الدين المسـيرى رحمه الله تعالى يا سيـدى هذا لا يسلم لك فقال له فاضرب على هذا الكلام فضرب عليه والظن بسيدى محمد الصدق فيما كان

ذكر وبلغنا عن قضيب البان أيضا أن إمام جامع أمية أعترض عليه يوما وهو جالس عند المنبر يوم الجمعة.

وقال لم تصل الجمعة فقال لا أعرف الوضوء فعلمه الوضوء والصلاة فلما أحرم الإمام أحرم معه فصلى ركعة ثم جلس يضحك على الامام فلما سلم الإمام نظر اليه شذرا وقال بطلت صلاتك فقال الشيخ ما بطلت إلا صلاتك أنت أنا ما شيء حاف وأنت راكب بغلة فوالله ما وصلت إلى العقبة فى الرجوع حتى تخليت عن نفسى وتذكر الإمام أنه كان عزم على سفر الحج ثم ركب بغلته فسافر إلى مكة ثم زار رسول الله ﷺ ثم رجع إلى الشام ففارقه الشيخ عند العقبة فتاب عن الإنكار وقال له الشيخ صلاتك هذه لا تصح وإنما صليت خلفك لأجل غرضك لأن من خطر فى باله غير الله فى صلاته لا تصح له صلاة ثم قال له إذا لم تطق الحضور مع ربك فى أكثر أوقاتك فلا أقل من الصلاة تحضر فيها بين يدى ربك يا مسكين وحكى عن سيدى محمد بن هارون الذى أخبر بسيدى إبراهيم الدسوقى وهو فى ظهر أبيه أنه خرج يوما من الجامع والناس خلفه يشيعونه إلى داره على عادتهم فمر على صبى دنس الثياب ماد رجليه وهو يغلى ثوبه تحت جدار فخطر فى باله هذا الصبى قليل الأدب مثل محمد بن هارون يمر عليه ولم يضم رجليه فسلب لوقته وساعته والفقير يؤخذ ويسلب فى حال رؤيته نفسه ولو كان من اكبر الاولياء فقلب الشيخ بصره فلم يجد الصبى فطلبه فى البلد فلم يجده فقيل له أنه صبى القراد فسافر إلى ناحية سكندرية فلعلك تجده فسافر فلم يجده فدل عليه فى المحلة الكبرى بالغربية فسافر اليه فلم يجده

فدل عليه فى مصر فسافر فوجده فى الرميلة تحت القلعة مع معلمه القراد فلما وقف الشيخ على الحلقة قال المعلم للصبى هاهو غريمك واقف بين الناس فلما انفضت الحلقة قال المعلم للشيخ محمد مثلك يا شيخ ينبغى أن يخطر فى باله أن له قدرا بين الفقراء أو بين الفاسقين فضلا عن الفقراء تقول لهذا الصبى أنه قليل الادب وعزة الربوبية أنك لم تشم من أدبه مع ربه رائحة فقال الشيخ تبت إلى الله تعالى فقال المعلم للصبى حيث تاب رد عليه حاله وعلمه فقال الصبى اسم الله ولكن علمه وضعته فى قلب السحلية التى كانت واقفة على شقها حين مر على تحت الجدار الفلانى فاذهب بالشيخ إليها وقل لها يامارة ما كان قريمزان جالسا على باب حجرك يوم الجمعة ردى على علمى وحالى فسافر إلى السحلية فردت ذلك عليه فانظر يا أخى كيف سلب هذا الشيخ الكبير على يد صبى القراد لما رأى نفسه وحكى لى شيخى الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمرى بمصر رحمه الله أن شيخه شيخ الاسلام صالح البلقينى اخبره عن والده الشيخ سراج الدين رحمه الله أنه مر يومًا على شخص من الفقراء يصحن الحشيش بباب اللوق وكان ذلك الفقير من الأولياء المستورين جلس يتوب الناس عن بلع الحشيش وهم لا يشعرون فما يأخذها أحد من يده إلا ويتوب إلى الله تعالى فى ذلك اليوم فلما رأى شيخ الاسلام الشيخ سراج الدين الناس يتبركون بذلك الحشاش وقع فى قلبه الإنكار وقال اهل مصر هؤلاء لو خرج لهم الدجال لصدقوه مثل هذا الحرفوش يعتقد وهو فى المعاصى غارق فما استتم الخاطر إلا وقد سلب من حيث لا يشعر ولم يبق معه شىء من القرآن ولا شىء من العلم وصار

الناس يقدمون له الاسئلة فلم يجد عنده مـا يفتى به الناس فضاق صدره ولم يعرف من أين أتى عليه ذلك فقال له شـخص من الناصحين هذه صدمة من ولى فانظر هل أنكرت على أحد فلم يتذكر لكونه يعـتقد أن مثل الحشاش لا يقدر على ذلك فمكث ثلاثة أيام وهو يتفكر فذكر لخازن داره قصة الحشاش فقـال له لعل ذلك منه فأذن لى فى المضى اليـه فأذن له فلما اقـبل عليه من بعيد نفض يديه من الحشيش وقال نعم صدمة من الحشاش وهو أنا ولكن أنا ما صدمته إبتداء ولو أنه كان جعل حـالى فوق معلوماته لخرج من العهدة ثم قال ويسمينى حرفوشا ازدراء بى وهو لم يشم رائحـة العلم فضلا عن تسميته شيخ الإسلام ثم قال له اكتب له عنى هذه الأبيات مواليا:

نحن الحرافيش لا نسكن علالى الدور

ولا نرائى ولا نشـهـد شـهـادة زور

نقنع بخـرقة ولقمـة فى مسيـد مهـجور

من كـان ذا الحـال ذنبـه مغـفـور

فذكـر الخازن دار له قـصة سلب الشيخ فقـال وعزة الربوبيـة لولا إنه منسوب إلى حمل شريعة محمد ﷺ لسلبناه الايمان مع العلم ثم قال إن كان يريدان علمـه يرد عليه فليشـوخر وفين سـمينين ويأتى بهمـا ومعه مـائتا رغيف فكـل من اشترى منى حـشيـشة يزن له رطل شوى ورغـيفـان حلاوة توبتهـم فأنا أحليهم فى بـواطنهم بالتوبة وهو يحـيلهم فى ظاهر هم بالرطل الشوى فلمـا رجع الخازن دار إلى الشـيخ سراج الدين واخبـره بذلك فرح غاية الفرح وعمل أربعة من الخرفان شوا واراد أن يركب معهم فقال له بعض

الطلبة عيب تجالس الحشاش فصغى لقوله وارسل الشوى فلم يقبله الشيخ وقال لا يرد إليه علمه إلا إن جاء وجلس عندى هنا وتكلم مع الحشاشين وانبسط معهم حتى كأنه احدهم فرد عليه الخبر فركب وجاء باكابر طلبته وهو مشغول لأجل مجالسته لبياع الحشيش فلما عرف الشيخ ما فى نفسه قال له يا عمر قدر على نفيستك ودعها فى خرارة مذبح حتى تصير مثل نفوس إخواننا هؤلاء إذا كان هذه صفة نفسك وأنت مسلوب من جميع الخير قاعًا صفصفا فكيف وانت جالس تدرس وتفتى فى جامع الأزهر والناس يسمونك شيخ الإسلام قل لى أى إسلام الذى أنت شيخه وحقيقة الإسلام الذل والإنقياد والخضوع لعباد الله تعالى فضلا عن الله عز وجل حتى يصير العبد يرى نفسه أحقر عباد الله فقل لى أين ذلك وخضوعك وأنت تزدرينى ولا ترضى بمجالستى ساعة واحدة خوفا على ناموسك ورياستك التى نازعت بها ربك فى صفة الكبرياء والعظمة ولو أنك شممت من العبودية رائحة لحكمت على نفسك بالكفر وأنها إلى الآن لم تسلم فقال الشيخ سراج الدين اشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمداً رسول الله وهذا اول دخولى دين الإسلام على يديكم فقال له قد استحقيت الآن أن يرد اليك علمك ولكن فرق هذا اللحم حتى يفرغ فسمع بذلك الحشاشون فجاء ذلك اليوم نحو الخمسمائة حشاش فقال توبة هؤلاء اليوم كلهم فى صحيفتك يا عمر رددنا إليك عملك وجازيناك على خرفانك بخرفان من الجنة أذهب إلى الديك الذى عندك فوق سطوح مدرستك فاذبحه وكل قلبه يرد إليك علمك فإنا وضعناه لك فيه ثم قال له الحشاش بالله يا عمر كيف يسوغ لك الإنكار وادعا العلم بعلم

يحويه قلب ديك فقال له قد تقدم أننى تشـهدت وأسلمت فقال له الحشاش قد جـاء أمرك إلى سلامـة فى هذه المرة فاحـفظ نفسك فمـا كل مرة تسلم الجرة.

قال الشيخ صالح فمن ذلك اليـوم ما سمعت والدى ينكر على أحد إلى أن مات وكـان قبل ذلك ينكر على على بن وفـا وعلى سيدى أحـمد الزاهد وغيرهما وهو الذى انشد فيه سيدى على قصيدته التى أولها:

يأيـهـــا الـمـــربوط
إنـــا نـــريـــد حـلـك
وأنـــت تـــريـد تـــربـــط
رجلـي حـــــذاء رجلـك

إلى أخرها قـال ودخل مع والدى مرة مسـجد الجنينة فى صلاة العـصر فقدم نعال الحشاشين وادارها لهم وقال نحن تحت نعال هؤلاء.

والحكايات فى شأن أرباب الاحوال مع الـفقهاء فى كل عصر مـشهورة والفقهـاء معذورون من وجه غـير معذورين من وجه أمـا عذرهم فى الإنكار فلأن ظاهر حـال هؤلاء القوم يخالف الشـريعة وأما كـونهم غير مـعذورين فلأنهم لـم يروا التعلم إلى الله تعـالى ولم يقولوا فوق علمنا علوم ومن اراد الله هدايته اعطاه نورا يفـرق به بين الحق والباطل وقد اوضـحنا أحوال أهل الطريق مع علمـا الشريعـة فى كل زمـان فى كتـابنا لواقح الانوار ومعـارج الاخيار فراجعه ترى العجب.

وسمعت سيدى عبد القـادر الدشطوطى يقول ما للفقهاء وهؤلاء الرجال

الذين خرجوا من دائرة العقل مع أن احدا مـن الناس لا يتبعهم فى الخوض فى بحرهم والإنكار ولا يسوغ إلا على من يتبع على افعاله كالعلماء ومشايخ الصوفية.

وسمعته أيضا يقول الفقهاء ينكرون على الفقراء ترك الصلاة وغاب عنهم من الاولياء من يستحكم فيـه هيبة الله تعـالى فتمنعـه على أن يقف بين يديه فيرحـمه الله بالغفلة والنسيـان لكونه متى استحضـراته بين يدى الله عز وجل ذاب لحمه وعظمه ولا يكلف الله نفسا إلا وسـعها ومثل هذا عذر شرعى فى ترك الصلاة عندنا مع أنهم يقضونها إذا سرى عليهم الحال.

وقد وقع لبعـضهم أن الفقهاء سجنوه للصـلاة معهم يوم الجمعـة غصبا فلما أحرم بالإمام قام ليحرم فتصاغر حتى ذاب وهم ينظرون فلم يبق له عظم ولا لحم غير نطفة فى الأرض تشبه المنى قلت وقد وقع لى ذلك فى صلاة جنازة ومـا كنت إلالاذبت فتـركت الصـلاة وتلاهيت عنها فـردت إلى روحى ومكثت على ذلك يوما وليلة.

وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول لا حرج على أرباب الأحوال من المجاذيب فيما يفعلون ولا فيما يتركون لأن حكمهم مع الحق كحكمهم قبل خلق الخلق ووجود التكاليف والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود أن لا نمـيل إلى حب الظهور فى هذه الدار فـإن ذلك من أقوى أسـباب هدم ديننا وكيف يليق بنا طلب الظهـور وإبليس نفـسه لم يرض لنفسه بذلك.

فمن اراد تقـوية اساس دينه فليـلازم على أسباب الخـفا ويتـرك الظهور

جملة واحدة فإذا تمكن وقوى وشـاد البنيان كان مع الحق تعالى على حسب ما يكون.

ومن كلام عطاء الله السكندرى فى الحكم ما معناه كل حبة لا تدفن فى الارض قبل الظهور لا يتم نتاجها.

وكان سيدى إبراهيم المتبولى رحمـه الله يقول كثيرا الفقير فى هذه الدار كالجالس فى بيت الـخلا فإن رد الباب عليه قـضى حاجته مسـتورا وان فتح الباب كشف عورته وهتكت سريرته ولعنه كل من يراه.

وحكى لى الشيخ امـين الدين إمام جامع الغـمرى رحمه الله أن سـيدى ابى العباس الغـمرى سافر مرة إلى بلاد الشـرقية مع سيدى مـحمد بن عنان فعطش سيـدى أبو العباس فلم يجدوا معهم مـاء فقال سيدى محـمد ائتونى بإناء فأعطوه طاسة فغرف من الأرض ماء بـاردا فنظر اليه سيدى أبو العباس وقال يا شيخ محمد الظهور يقطع الظهور فقال الشيخ محمد لولا.

خوف الظهور لتـركتها بركـة ماء ينتفع الناس بها إلى يوم القـيامة ثم ان سيدى أبو العـباس لم يشرب من ذلك الماء وصبر حـتى دخلوا بلدا فشرب رضي الله عنه.

واعلم يا أخى أنه لا يقع لولى قط كرامة إلا بعد تقـدم ميل إليها ولو فى أيام بدايته ولولا تقـدم ميل الخاطر اليهـا ما وقعت فإياك ومـيل الخاطر فى ذلك فإن إبليس لم يرض بالظهور فى هذه الدار كـما مر ونحن أولى بسلوك ذلك والله عليم حكيم.

أخذ علينا العـهود إن نأتى رخص الشـريعـة فى بعض الأحـيان إظهـار

الضعف وتحصيلا لمقام محبة الله عز وجل لأعمالنا قال ﷺ ان الله يحب أن تؤتى رخصه كمن يحب أن تؤتى عزائمه لكن مع مراعات شرط الرخصة وهو حصول المشقة فلا نتكلف لما لا نقدر عليه ولا تنزل إلى الرخص مع القدرة على فعل الاعلى بسهولة فى العادة ومن فعل ما ذكرنا تسارعت إليه الرحمة والله غنى حميد.

أخذ علينا العهود إن لا نمكن أحدا من إخواننا الذين هم تحت العهد والتربية أن يتصدر لوعظ الناس فى المحافل والمساجد ولا أن يكون خطيبًا لأن تمكيننا المريد من ذلك من أعلى طبقات الغش له وكل شيخ غش أحدا من الناس فقد تعرض ببراءة رسول الله ﷺ منه فى قوله من غشنا فليس منا فليعلم المريد إذا مكنه شيخه من وعظ الناس ان شيخه لم يشم فيه رائحة الصدق فى طلب الطريق فعلم انه لا يليق الوعظ إلا بالمشايخ الكمل الذين فرغوا من تصفية نفوسهم وماتت أخلاقهم الردية كسيدى عبد القادر الجيلى وسيدى أحمد بن الرفاعى واضرابهما من المحفوظين ممن دسايس النفوس ومحك وصول الفقير إلى موت النفس وتهذيب أخلاقها حتى يصلح منه الوعظ أن يكون بحيث لو جلس بين العاصين لا يتكدر ولا يحصل له خجل من الناس الذين يمرون عليه وإذا دخل محفلا ولم يفسحوا له لم يتغير وإن جمعوا له فضلة أيدى الناس والشحاتين وقدموها له أكلها بإنشراح صدر فإذا حك المريد نفسه بهذا المحك فهناك يجوز له التصدر لوعظ الناس وأما إذا رأى نفسه خرجت نحاسا فالواجب عليه العمل على نجات نفسه أو لا وإلا كان فى وعظه يشبه الدجاجلة نسأل الله اللطف.

أخذ علينا العهود أن لا نمكن أحدا من إخـوانا ينكر شيئًـا مما ابتـدعه المسلمون على وجه القربة إلى الله تعـالى وراوه حسنا فإن كل ما أبتدع على هذا الوجـه من توابع الشريـعة وليس هو من قـسم البـدعة المـذمومـة فى الشريعة المشار إليها بقوله ﷺ كل بدعة ضلالة فافهم ودليلنا قوله ﷺ من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة فأباح لعلماء أمته أن يبتدعوا كلما راوه حسنا ومـعروفا وجعل لهم الأجر بإبتداعهم وأثاب من عمل بذلك كـما حكم رسول الله ﷺ لحكيم بن حزام بالخـير حين سأله عن فعل أمور كـان يتبرر بها فى الجاهلية من صـدقة وعتق وصلة رحم وكرم فـقال له أسلمت على مـا اسلفت من خيـر فسمى ﷺ ذلـك الفعل الذى كان إبتـدعه حكيم فى الجاهلية خـيرا أو أخبره أن الله تعـالى جازاه به خيرا فقد علمت يا أخى أن كل من كان على مكارم الاخلاق فهو على شرع من ربه وإن لم يعلم هو ذلك وإن لم ينص عليه الشارع بخـصوصه فللامة ان يسنوا ما شاؤا من القربات ولكن فيمـا لا يخالف شرعًا مشروعا هذا حظهم من التشـريع فإن لم تفهم الشـريعة هكذا فما فـهمت إذا علمت ذلك فـمـا احدثه الناس واستحسنوه قولـهم أمام الجنازة لا إله إلا الله محمد رسول الله أو قراة القرآن أمامها أو قـول سبحان الحى الذى لا يموت أو نحو ذلك من تنزيه الله عز وجل فإن ذلك لم يكن فى أيام رسول الله ﷺ ولكن هو فى غاية الملاحة لتعلقه بالله عز وجل وبرسوله ﷺ فمن انكر ذلك فهو قاصر فإنه ما كل شىء ابتـدعه المسلمون يكون مذمومًـا ولو فتح هذا الباب لردت أقوال المـجتهدين فى جـميع ما استنبطوه من الشـريعة واستحـبوه لكونه لم

تصرح به الشريعة ولا قائل بـذلك فإن رسول الله ﷺ اباح لامته ان يسنوا ما راؤه حسنا بقوله من سن سنة حسنة كـما تقدم ومعلوم أن كلمة لا إله إلا الله من أكبر الحسنات فكيف ينبغى لمسلم أن يقول للذاكرين اسكتوا عن هذا واكثـر أهل الجنازة الغـالب عليـهم الآن ذكـر الدنيـا وحكايات اهلهـا فى تجاراتهم وشطارتهم فى البيع والشراء وفى امر المـحتسب والقاضى والباشا وزيد وعمـرو بل رأيت منهم من يضـحك وهو فى الجنازة وقلبه غـافل عن الموت وعن جـميع ما وقع لذلك المـيت وما هو قادم عليـه وإذا تعارضت مفسدتان ارتكبنا الاخف بينهمـا على تقدير كون الذكر أو القراءة فى الجنازة مـفسـدة بل نقول أن الكلام اللغـو فى الجنازة أولى من الصـمت مع كثـرة الخواطر المذمومة وإنما كان الصحـابة صامتون فى الجنازة لإشتغال قلوبهم بما إليه مـصيرهم حتى أن السنتهم خـرست عن كل كلام وتأمل من مات له ولد عزيزا وزوجة عزيزة لا يمكنه ان يقرأ ولا أن يذكر برفع صوت ولو طلب الشارع منه ذلك لكثرة أهتـمامه بشأن الموت وكان الصـحابة كلهم من شدة توددهم ومحـبتـهم لبعضـهم بعضـا كان ذلك لولد كل منهم حـتى كانوا لا يعرفون اهل الميت من غيرهم لتساويهم فى الحزن فهذا كانت سبب صمتهم فى الجنازة فهاتوا لنا جماعة بهذه الصفة ونحن لانامرهم بقراءة ولا ذكر.

واعلم انه لم يبلغنا ولا فى حديث واحـد النهى عن قراءة القران ولا عن الذكر أمام الجنائز ولو نهى عنه النبى ﷺ لبلغنا كـما بلغنا النهى عن قرآءة القرآن فى الركـوع وشىء سكت عنه الشارع أوائل الإسـلام وضبطه لا يمنع منه فى آواخر الزمان وتفرق الدين وقد قال لى مرة شخص من الفقراء اورد أن

لو ترك الناس قولهم عقب الصلوات يا لطيف يا كافى يا حفيظ ياشا فى لانى لم ارها فى الحديث فقلت له الامر سهل فقال كيف والله أنا فى غاية الغم بسبب ذلك فإياك أن تسلك نحو ذلك وبالجملة فلا يتجرا قط أحد فى قلبه نور وخوف من الله ان يتعرض لذاكره أو المصلى على نبيه ﷺ أو قارئ الأوراد التى أحدثها الصوفية أبدا والله على كل شيء شهيد.

أخذ علينا العهود ان لا نخوض قط فى أحوال الهل البرزخ وعذابهم ونعيمهم إلا نذكر ما ورد فى السنة فقط إذ ليس للعقل فى ذلك مجال والكشف لا ينبغى ذكره عند العارفين بل الواجب عليهم كتمه لحديث لولا ان تدافنوا لدعوت الله عز وجل ان يسمعكم عذاب القرفشيء رجح الشارع كتمه الأدب ستره.

وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول لكل من ساله عن شيء من احوال اهل البرزخ كل شيء يتضح يوم القيامة وقد رأى اخى أفضل الدين رحمه الله من طريق كشفه أن شخصاً كان مشهورا بالولاية ختم له بسوء ومات على غير كمال فاخبر سيدى عليا الخواص بذلك فنهاه وقال إن الله تعالى ستير ويحب من عباده الستيرين وقد يكون كشفك غير صحيح وقد يتطاول الحق تعالى على ذلك الشخص يوم القيامة فيغفر له كل ذنب فيقع اخبارك عنه بأنه ختم له بسوء على غير الواقع فتوصف بالكذب.

والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود أن لا نخوض قط فى ذكر ما قص علينا من معاصى الانبياء وخطيئاتهم إلا على وجه الجواب عنهم وحملهم على أكمل الأحوال

يكون ذلك عبادة واعتبارا فإن مقام الانبياء لا يذوقه اكمل الأولياء لأن غاية درجة الولاية بداية درجات النبوة وكيف يليق بمن هو غارق فى شهوة بطنه وفرجه أن يتجرا على الكلام على مقام النبوة والحال أنه فى حضرة الشياطين لم يدخل حضرة النبوة قط وملخص القول أن الأنبياء لم يتعقل غيرهم من أحوالهم شيئا الا بالاسم فقط دون الذوق.

وكان سيدى أبو مدين يقول فى آدم عليه السلام لو كنت مكانه لأكلت الشجرة كلها لما حصل له فى أكلها من الخير والبركة وفتح باب الوجود والأحكام والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود أن لا نمكن إخواننا من قراءة كتب العقائد على مذهب غلاة الصوفية وذلك لكثرة تشيعها عليهم وانما نأمرهم بجلاء مرآة قلوبهم فقط لينتضح لهم كل مشكل فى الشريعة من أحكام.

وعقائد فمن انجلت مرآة قلبه صار قلبه مرآة للوجود بخير عما مضى وعما هوآت ونعينه عن مطالعة كتب مقالات الناس وقد كان سيدى أبو الحسن الشاذلى يقول نحن لا ننظر فى كلام أحد لنستفيد منه ما لم يكن عندنا وإنما ننظر فيه لتعرف ما من الله عز وجل به علينا.

وكان سيدى أبو السعود بن أبى العشائر يقول لا يكمل الفقير حتى يصير كتابه قلبه وما دام يستفيد من مطالعة كلام غيره فهو لم يكمل وهو محتاج إلى صقل المرآة والله غنى حميد.

أخذ علينا العهود أن لا نمكن أحدا من إخواننا يجر قافية من ظلمة بالسوء إلا أن كنا قادرين على تخليصه منه أو كنا أتم نظرا من ذلك الاحد

فهناك يجوز لنا الإصغاء إلى كلام لتخلصه منه بخلاف ما اذا كنا عاجزين عن تخليصــه أو كان ذلك الظالم فى زعم المظلوم اتم نظرا منا كاكـابر العلماء فالأدب منـا أن نمنعه ان يشكو منه لأن ذلك مـعدود من غـيبـته والله غـفور رحيم.

أخذ علينا العهود أن نحذر مـمن يحسن إليـنا اكثر مـمن يسىء لأن من أحسن إلينا قـد ادخلنا فى رقه ومن لم يحـسن فقـد سعى فى حصـول تمام عبوديتنا وعدم جرحها ولو لم يقصد ذلك هو.

وقد كـان أبو يزيد البسطامى ﷺ لا يـقيم إلا فى مواضع الإنكـار عليه فسئل عن ذلك فقـال إنما أفعل ذلك لتتم لى عبوديتى فإن اعـتقاد الناس بعد فى العبد الكـمالات شروع فى صورة منازعة الحق تعـالى فى رتب الكمال والله غفور رحيم.

أخذ علينا العهود ان نسكت عن مدح الناس لنا فى المحافل وغيرها ولا نقـول عند ذلك نحن من أقل الناس أو نحن تراب نعـالهم ونحو ذلك فـإنه معدود من تلبيـسات النفوس وكأن النفس تريد بذلك القول ان تتـبرأ مما ظنه الناس فيها من الفـرح بالمدح حين السكوت ولو سكتت عن ذلك وأوهمت الناس أنها تحت المدح لـكان ذلك أقوى فى رياضتها فـإن نجاتها أولى من طلب خلاص الناس من سوء الظن بها مع أن من اساء الظن غير معذور فى الشرع فإن الواجب عليه حمل الناس عـلى المحامل الحسنة وهو امر واجب فـعله ما دمنا تـحت سلطان انفسنـا فإن من الله علينا وصـارت نفـسنا تحت حكمنا كالحـمارة تحت راكبهـا فنحن بالخيار بين الجـواب والسكوت وقد

حكى ان شخصًا كان يسب الإمام عليا رضي الله عنه ويقع في عرضه فمدح الإمام يومًا بحضرة الملاء من الناس على خلاف عادته فقال على رضي الله عنه أنا دون ما تقول وفوق ما فى نفسك والله اعلم.

أخذ علينا العهود إذا خرجنا لمكان بعيد لا يرجع منه فى العادة إلا فى نحو خمسة درج فأكثر أن تقول قبل خروجنا اللهم إن كان فى علمك أن أحدا من إخواننا أو غيرهم يأتينا فى هذه الغيبة لحاجة أو سلام فعوقه حتى نرجع وإن كان خرج إلينا فى الطريق ففوقنا له حتى يأتى.

والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه فاعلم ذلك.

أخذ علينا العهود ما دمنا فقراء لا مال لنا ان لا نعمل قط مولدا حافلا ولا طهورا ولا أسبوعا ولا وليمة لغير عرس ولا عزومة ولا غير ذلك لئلا نجون إخواننا فى المساعدة لنا رياء وسمعة أو غضبًا فى عمل الطعام وفي التفوط وغير ذلك ويقولون ما بقى الاسدنا لهذه المسألة فإياك يا أخى وفعل ذلك.

وقد كان صلى الله عليه وسلم يخفى حاجته ونوائبه عن اصحابه ويشد الحجر على بطنه تحت الثياب وما كانوا يعرفون جوعه صلى الله عليه وسلم الا باصفرار وجهه واكثر اخوان الفقرا اليوم على علالة معهم وربما يقولون فيما بينهم بلغنا أن سيدى الشيخ ناوى يعمل مولدًا أو طهورا أو عرسا لولده أو ابنته وما نعرف والله نساعده بايش وايش قام على الفقير يعمل مولدا وغيره ويكلف النأس فإذا قال بعضهم ما حاجة نساعده ولا نحضره فيقول له بعضهم فضيح ويبقى علينا العتب من الناس ومن الشيخ فيحضر احدهم بغير نية صافية إظهارا للتجوه

كـالمكره ثم اذا اخرج النقـوط يخرجـه فى المـلا وربما يحـوش العتـا منه والقشاقش تكثيرا للتشالش ومـصداق ما قلنا انه يثقل عليه ان يعطى ما يعطيه سرا بحيث لا يدرى احد بذلك لا الشيـخ ولا أعوانه ثم ليحـذر الشيخ أن يمكن أصحابه بأن يدعوا أحدا من الأكابر للحضـور كالأمير والخليفة ومقدم الوالى وأمير الحـاج أو قاضى العسكر أو الخواجا ونحـوهم فإن ذلك سوء أدب من الشيخ ومن أين لأمثالنا ان يستحق ان يدعو إلى بيته احدا من الاكابر لأجل لقمة من طعام يأنف من أكلها خدامـهم فضلا عنهم فالعاقل من عرف درجته والسلام.

أخذ علينا العهود ان لا نمنع تلامذتنا ان يزور واحدا من أقـراننا ومشايخ عصرنا إلا ان علمنا من طريق الكشف التام الذى لا يدخله محـو ان فتحهم لا يكون الا على يدنا فـحينئـذ لنا أن نمنعـهم من زيارة غيـرنا من الاشيـاخ تقريبًا للطريق وأما إذا لم نعلم أن فتـحهم على يدنا فلا ينبغى لنا منعهم هذا ما عليه أئمـة الطريق ﷺ وأما سيدى أبو الحسـن الشاذلى ﷺ فكان يقول لاصحابه اناما امـركم بالتقيد على صحبتى وانمـا اقول لكم ان وجدتم منهلا أعذب من منهلنا فدونكم.

قلت ولعل هذا فى حق الحذاق من المريدين أما الغلف منهم فلنا منعهم لأنهم كالبهائـم وعليه يحمل حال من منع تلامذته من الاجتـماع بغيره والله اعلم.

وقـد حكى أن سـهل بن عبـد الله التـسـترى ﷺ منع تلمـيـذا له عن الاجتماع بواحد من اقرانه فقـال له بعض الاخوان لم صنعته دع الفقراء يلقح

بعضـهم بعضا وكل شـيخ كان اقوى صنارة فالمـريد له فقال له سـهل انما منعته لان كشـفى اعطانى ان فتحه لا يكون على يد احد غيـرى فقربت عليه الطريق فقـيل له أو تعرف ذلك يا استـاذ فقال نعم اعـرف تلامذتى من يوم الست بربكم واعرف من كان هناك عن يمينى ومن كان عن شمالى ولم ازل اربيهم فى الأصلاب وأنا فى أصلاب ابائى حتى وصلوا إلى انتهى.

وحكى عن سيدى حاتم خادم سيدى الشيخ أبى السعود بن ابى العشاير انه قال خدمت سيدى أبا السعود عـشر سنين وأنا اسأله ان يأخذ على العهد فيقول سيدى ابو السعـودى: يا اخى مالك على يدى نصيب، فقلت له يوما يا استـاذ فتصـيبى على يد من فقـال على يد اخى أبى العبـاس البصيـر ببلاد المغرب فقلت يا سيدى اسافر اليـه فقال لا هو يأتى إليك فى مصر قال فلما وصل سيـدى ابو العباس إلى سـاحل بحر النيل بمصـر ارسلنى له فلما وقع بصره على فقـال جزا الله أخى أبا السعود عنى خيـراً ﷺ وكذلك بلغنا عن سيدى تاج العارفين أبى الوفا أنه اراد يومًا ان يأخـذ العهد على فقير من غير أن يكشف له أن ذلك الفقيـر من أولاده فقال له الفقير أقرأ يـا سيدى ما على جبهتى قبل ان تأخـذ على العهد فنظر سيدى تاج العارفين إلى جبـهة الفقير وقال وجـدت على جبـهتـه داغ أحمد بن الرفـاعى فقـيل له وما احـمد بن الرفاعى فقال رجل من العجم سيظهر عن قريب وتحير الناس فى امره فمات سيدى تاج العارفين وعاش ذلك الفقير إلى ان ظهـر أمر سيدى أحمد فسافر اليه وأخذ عنه وحكى له القصة فقال رحم الله أخى تاج العارفين ما كان أتم اطلاعه وكذلك بلغنا ان سيدى أبا العبـاس المرسى عمل أيام الصيف بناحية

اسكندرية عصيدة فقال له قائل ما هذه العصيدة وإنما تعمل العصيدة أيام الشتاء فقال هذه عصيدة اخيكم يا قوت ولد هذه الليلة بأرض الحبشة وسيعلوا شأنه ويشتهر بالعرشى ﷺ.

وكذلك بلغنا أن سيدى الشيخ عبد الرحيم القناوى أراد يوما أخذ العهد على مريد من اولاد سيدى ابى العباس البصيرى بعد موت سيدى ابى العباس وكان سيدى عبد الرحيم جالسا فى محراب زاويته فخرجت يد سيدى ابى العباس من الحائط فقبضت على يده ومنعته الأخذ فقال سيدى عبد الرحيم رحم الله أخى ابا العباس البصير يغار على أولاده حيا وميتا وكذلك بلغنا عن سيدى محمد بن هارون أنه كان يقوم لوالد سيدى إبراهيم الدسوقى.

وكان والد سيدى ابراهيم مصامديا يحرس الجرون فى بلاد الريق فقالوا له لم تخص هذا الرجل بالقيام وليس هو مشهور بفضيلة فقال إنما اقوم للرجل الذى فى صلبه وسيظهر شأنه ويشتهر بأبى العينين فلما انتقلت النطفة إلى بطن أمه كان يقوم لها وترك القيام لوالده ﷺ.

واخبرنى سيدى على الخواص رحمه الله أن سيدى إبراهيم المتبولى كان يقول وعزة ربى ليقتسمن وظيفتى سبعون رجلا بعد موتى ثم لا يطيقون فقال لرجل يا سيدى فوظيفة خدامة الحجرة النبوية بعدكم لمن فقال لمحمد بن عنان فقيل من اى البلاد هو فقال من بلاد الشرقية سيظهر عن قريب ﷺ هذا يا اخى ما درج عليه الصادقون من اهل الطريق فبهداهم اقتده.

والله يتولى هداك.

أخذ علينا العهود أن تخالط المساكين وأصحاب الضرورات والفاقات

وذلك ليذكرون باحوالهم صفة الافتقار إلى الله تعالى وصفة الشكر على ما من الله به علينا من النعم الجسام وهذا العهد قل من يتنبه له من اخواننا فإن الفقير من حين يصير له معلوم من رزقه أو جوالى أو هدايا ونحوها ينسى صفة الأفتقار إلى الله تعالى ويغفل عن الله عز وجل حتى يصير أكثر غفلة من أبناء الدنيا وقد وقع هذا كثيراً لإخواننا ورجعوا من حيث جاؤا ولو أنهم بقوا على حكم التجريد لا افلحوا ولم يحجبوا ومن هنا قال رسول الله ﷺ اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا.

وكان يقول لعائشة رضي الله عنها اياك ومجالسة الأغنياء ولا تستخلقى ثوبا حتى ترقعيه.

وحكى ان بعضهم دخل عى الجنيد فقال لم جمعت عندك هؤلاء الفقراء فقال ليـنبهونى بصفة فقرهم إلى فى التربية على إفتقارى إلى ربى وقد قال تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين فمن لم يكن صفة الفقر تصحبه على الدوام على حكم الشهود حرم صدقات الحق تعالى التى لا تنقطع عن عباده فى ليل أو نهار والله غنى حميد.

أخذ علينا العهود أن لا نرى نفوسنا قط على قدم أحد من اشياخنا فضلا عن أكابر أهل السلسلة الماضيين وذلك لان فى دعوى أمثالنا ذلك اذدراى بمقام الاشياخ.

وقد قيل مرة لابى حنيفة رضي الله عنه ايما أفضل الأسود أم علقمة فقال والله ما نحن بأهل ان تذكرهم فكيف نفاضل بينهم انتهى ويقولون فى المثل إن ردت أن تعرف مقام إنسان فأنظر حال أصحابه فإنهم يدلون عليه فلا ينبغى لامثالنا

قط أن يدعى أنه من اصحاب أحد من الأشياخ إلا إن كانت دعواه تلك يحصل بها التشريف لذلك الشيخ لما هو عليه من سعة الأخلاق والكمالات وانما اللايق بنا دعوى أننا من معارف ذلك الشيخ فقط لأن من لم يشرب مسقاة من شيخه لا يصح له قدم الصحبة وهذه الدعوى يقع فيها كثير من القاصرين من إخواننا فيدعون أنهم خليفة لشيخهم وهم لم يشموا شيئًا من مقامه الذى انتهى إليه ومعلوم أن الخليفة إن لم يكن على صورة مستخلفه لا يصح له خلافة.

وقد كان الشبلى يقول لبعض تلامذته يا ولدى إن خطر على بالك غير الله تعالى من الجمعة إلى الجمعة فلا تعد إلينا فإنه لا يجىء شىء من مقام الإرادة فقس يا أخى أحوال هذه المريد أيام إرادته على حالك أنت أيام كمالك تعرف تخلفك عن درجة الرجال.

وكان الجنيد يقول قد طوى بساط علم التصوف من سنين وإنما الناس يتكلمون اليوم فى طرف حواشيه فما بقى لامثالنا الا دعوى التشبه بالمتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين بالمتشبهين بالمنشبهين إلى عاشر قدم وأكثر.

وكان أخى أفضل الدين رحمه الله يقول والله لو شم أحدنا رائحة فسقة القرون الماضية ما ادعى أحدنا الولاية.

وكان الحسن البصرى يقول والله لقد ادركنا اقواما كنا فى جنبهم لصوصًا ولو راونا الان لقالوا إن هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب.

فاعلم ذاك.

والله يتولى هداك.

أخذ علينا العهود أن ننصح كل فقير رأينا عنده دعوى توقفه عن الترقى ولو تكدر هو من ذلك لكوننا أولى به من نفسه واشفق عليه منها وقد كان ﷺ يقول اني آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تغلبون من يدى وتقعون فيها وكل كامل بعده له هذا القدم بحكم الإرث المحمدى.

وقد حكى أن شخصًا قد اشتهر بالصلاح على زمن سيدى الشيخ عبد القادر وكان الشيخ عبد القادر لا يحتفل بأمره فلما بلغه ذلك عن الشيخ عبد القادر اتى اليه بنحو خمسمائة تلميذ فلما دخل عليه قال له يا أخى أنى لم اشم فيك شيئًا من رائحة القوم فأثر ذلك الكلام فيه وأخذ فى الاقبال على الله عز وجل ومر التلامذة بالتفرق عنه وقال كل واحد منكم يذهب إلى بلاده وبرع الشيخ بعد ذلك حتى صار من أكابر الرجال ثم إنه جاء إلى الشيخ عبد القادر وقال جزاك الله عنى خيرا وكان هذا دأب سيدى محمد بن عراق رحمه الله تعالى مع أصحابه الذين صحبوا شيخه فكان يراسلهم دائمًا بالحط عليهم تنشطا لهم ومن أكثرهم له مراسلة سيدى على الكازرونى فكان كلما ارسل له سيدى محمد بن عراق يحط عليه يفرح ويقول لنفسه جميع الناس لم يعرفوك وإنما يعرفك الأخ محمد فاستغنمى نصيحته قبل الموت فلما مات سيدى محمد قال سيدى على مات من كان ينصحنا وينبهنا على عيوبنا وما تكدر من سيدى محمد قط وكان اذا وصل الكتاب اليه بالحط فيه يقراه فى الملا على جميع المعتقدين لا يخفى عنهم شيئًا منه.

قلت: وقد اجتمعت بسيدى على الكازرونى بمكة سنة سبع وأربعين وتسعمائة ورأيت له حالا عظيما فهكذا يا أخى تكون الفقراء الصادقون رضي الله عنهم أجمعين.

وحكى لي سيدى على الخـواص أن شخصًا من جماعـة سيدى إبراهيم وكان سيـدى ابراهيم لا يحتفل به وكان الناس يعـتقدونه فذكـروا أمره للشيخ فقال أتونى به فلما وقف بين يديه فقال يا ولدى إنى أراك كثير الأعمال ناقص الدرجات فما سبب ذلك فقـال يا سيدى لا أعلم فتش يا ولدى نفسك فلعل عندك دعوى لشىء من احوال القوم ففتش نفسه فقال نعم فاستغفر ربه ورجع اليه فترقى من ذلك اليوم.

فالحمد لله رب العالمين.

أخذ علينا العهود أن لا نجلس قط للوعظ إلا بعد قولنا دستور يا أصحاب النوبة دستور يا رسـول الله فى النيـابة عنك فى نصح أمـتك وذلك ليمـدنا أصحاب النوبة من الأولياء ولا يقع منا تلجلج ولا ارتجاج فى الكلام وتبعين ذلك على الخطيب لغلبـة الدهشـة عليه حـين يرى جمـيع الحاضـرين من الأكابر وغيرهم ناظرين اليه لخبر للداخل دهشة فتلقوه بالترحيب.

وأما أخذ الدستور من رسول الله ﷺ فـفائدته التأييد وعدم الزيغ عن السنة فى التعليم والإرشـاد لأن مدد جميع الخلايق إنمـا هو من مدد رسول الله ﷺ حقـيقـة ثم يجب علينا ان نرى نفوسنا دون من يسـمع وعظنا من السوقة والعوام.

وقـد كان الحـسن البصـرى يقول الواعظ ينتـظر المقت والسـامع ينتظر الرحمة ويجب علينا ان لا نكشف لأحد من الحاضـرين عورة بذكر الصفات التى يتبادر إلى الأذهان إلحاقها بشخص معين من الحاضرين.

وإنما الواجب أن نذكر الكلام عاما للمتكلم والسـامع والله عليم حكيم.

أخذ علينا العهود أن نهرب من طريق الناموس جهدنا وكذلك نهرب من التكلم بما يقع لأركان الدولة من تولية أو عزل لأن ذلك كله من اهوية النفوس وربما جر ذلك إلى القتل أو النفى من تلك البلاد كما وقع للشيخ اويس بالشام وللشيخ على الكازوانى بمدينة حماه تجاه السلطان سليمان بن عثمان إلى رودس فمكث فيها سنتين حتى شفع فيه الأمير حاتم الحمزاوى دفتدار مصر فرد إلى الحجاز بشرط ان لا يعقد له ناموسًا ولا يمكن الناس من الوقوف بين يديه ولا يعارض الولاة فى شىء والقانون العثمانى جواز قتل كل من تظاهر بصفات الملوك من الفقراء وكثر أتباعه لأنه ربما نازع السلطان فى المملكة وركب معه العوام لقتال السلطان.

وقد وقع ذلك للشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الاسلام بمصر المحروسة وارادوا نفيه ايام السلطان الملك الصالح فخرج الشيخ مغضبًا وحمل أمتعة داره على حمارته وركبت زوجته عليها فقيل للملك الصالح ان خرج الشيخ من مملكتك ذهب ملكك فإن الناس لا يخرجون عن طاعته فإذا امرهم بأمر فى السلطان بادروا اليه فخرج السلطان إلى ناحية بلبيس وصالحه ورده مكرما.

فرحم الله تلك الأرواح الطاهرة فإياك يا أخى وطريق الناس فى هذا الزمان والله يتولى هداك.

أخذ علينا العهود اذا الفنا كتابا ان لا نبالغ فى تحريره بحيث لا يجد الشارح له بعدنا مطعنا أو إيراد بل نتنزل فى العبارة أسوة اضعف المصنفين إيثارا لجناب الله عز وجل قال تعالى ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

اختلافا كثيراً﴾ ومفهومه من العلم إذا كان من الله عز وجل لم يجد أحد فيه اختلافا كثيراً فافهم.

وكذلك نتنازل عند التذاكر في المحافل في معنى آية وحديث بحيث يعلونا جميع الحاضرين ونصير في اعينهم كأضعف الطلبة في الفهم فإذا انقضى ذلك المحفل وتفرق الناس ذكرنا لإخواننا ما من الله به علينا من الحقائق والإشارات التي ليس عندهم منها علم فتنفعهم بذلك ولا يحصل لهم تنقيص في ذلك المحفل كل ذلك سد الباب الشهرة والكبر على الإخوان والأعمال بالنيات والسلام.

أخذ علينا العهود أن لا نمكن احدا من المريدين يحاكي بنا في تقريرنا للأحكام لأن ذلك من اكبر القواطع له عن درجات القوم لأن المريد إنما ينقل كلامنا من غير تحقيق يمنعه وربما أدعى مقالات الاشياخ في تلك المقامات فيعدم النفع بشيخه ومن الواجب أمتحان المريدين شفقة عليهم ومتى ترك الشيخ امتحان المريد شفقة فقد غشه وخان عهد الفقراء والله لا يحب الخائنين.

واعلمك ايها المريد ميزانا تشرف بها على ادني درجات الكمال فإن من لم يفرغ من علاج نفسه لا يصلح لعلاج غيره ولا يهتدى لطريق ارشاده.

فإن وجدت يا أخي تلك الصفات فيك فتصدر لنصيح غيرك وإلا فارجع إلى نفسك فانقذها من الغرق فاذا نجوت فخذ بيد غيرك والصفات المذكورة هي ترك الدنيا بأسرها وعدم الفرار من سائر البلايا والمحن بحيث يتساوى ملء داره ذهبا وملئها زبلا على حد سوى رضى منه بتقدير ربه عز وجل.

وكان سيدى ابراهيم المتبولى ﷺ يقول لما خلق الله الخلايق تسارعوا للوقوف فى حضرته الخاصة فقال لهم تعالى: من أنتم؟ وهو أعلم بهم، فقالوا عبيدك ومحبوك فقال تعالى انظروا ما تقولون فإن المحب لا يصرفه صارف ولا ترده السيوف والمتالف فقالوا يا ربنا امتحنا بما شئت فخلق لهم الدنيا ففر اليها منهم تسعة اعشارهم وبقى العشر فقال تعالى للعشر من انتم وهو أعلم بهم فقالوا عبيدك واحباؤك فقال انظروا ما تقولون فإن المحب لا يصرفه صارف ولا ترده السيوف والمتالف وقد نظرتم أصحابكم كيف ذهبوا إلى الدنيا فقالوا يا رب امتحنا بما شئت فخلق لهم الجنة فزينها فى اعينهم فذهب اليها تسعة اعشار العشر ثم نظر تعالى إلى عشر العشر فقال من أنتم وهو اعلم بهم فقالوا احباؤك فقال انظروا ما تقولون فإن المحب لا يصرفه صارف ولا ترده السيوف والمتالف فقالوا امتحنا بما شئت فضربهم بأنواع من البلايا فقطع أطرافهم فثبتوا لذلك وهو الذى ثبتهم فقال أنتم عبيدى حقا لا إلى الدنيا ملتم ولا إلى الجنة ذهبتم ولا من البلاء فررتم أنتم أهل حضرتى رضيتم عنى ورضيت عنكم ﷺ .

أخذ علينا العهود اذا دخلنا على ولى الله حى وميت ان لا نزيد فى الاطراق والخشوع على الحالة التى كنا عليها قبل الدخول فإن ذلك معدود من النفاق.

بل الأدب أن ندوم على الحالة التى كنا عليها فإن ذلك أقوى فى الاستعداد.

وقد كان الفضيل بن عياض ﷺ يقول والله لو قيل لى أن أمير المؤمنين

يدخل عليك الان فسويت لحيتى بيدى لاجل دخوله لخفت أن أكتب فى جريدة المنافقين.

قلت: ولعل هذا فى حق من يراعى مراتب الخلق لغير الله أما من يراعيهم تعظيما لله وإكراما لهم من حيث كونهم عبيد فذلك محمود والله اعلم.

أخذ علينا العهود ان لا ننهمك فى محبة أحد من المعتقدين فينا والمحسنين لنا فإن ذلك سوء أدب منا فى حق الله وفي حقهم اذ من شرط الفقير أن يغار لله عز وجل ويكره أن يرى محبته فى وسط قلب تلميذ أو يرى محبة تلميذه فى وسط قلبه وهو وفى الحديث أن الله عز وجل يحب ان لا يرى فى قلب عبده المؤمن غيره.

وقد مر إيضاح هذا العهد مرارا والله غنى حميد.

أخذ علينا العهود إذا اعطانا الحق تعالى مددا وفاض ان نمد به كل مسلم ولا تحجره على أصحابنا الخاصين فإن دين الإسلام واحد فاذا جاء شخص يريد التوبة والادب وهو في صحبة شخص غيرنا وجب علينا نصحه وتأدبه ولا نترك النصح ادبا مع ذلك الشيخ وما كان عطاء ربك محظوراً والكمل على الاخلاق الإلهية لا يحجرون ﷺ لكن لا باس بإستئذان أحدنا بالقلب شيخ ذلك المريد ونقول دستور فى النيابة عنك فى نصح مريدك والله غنى حميد.

أخذ علينا العهود ان نبسط لكل من تعرف بنا من ابنا الدنيا بساط التشويق إلى طريق الفقراء ومحبة ذكر الله عز وجل صباحًا ومساء ليلا ونهارا

فإن احب ذلك ووقفنا عليه قربناه وعددناه من جملة الاصحاب وان لم يجب إلى ذلك واستثقل جلوسه معنا فى مجالس ذكر الله وغيرها وتعلل بالنوم مثلا فهو من معارفنا لا من أصحابنا لان من شرط الصاحب أن يشرب من مسقات صاحبه من ماء واحد وان يرتفع الحاجز بين قلبه وقلب صاحبه كما يرفع الحاجز بين حوضى الماء فيصيرا لماء واحد فافهم قال الله تعالى فإن تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين وقال تعالى ولذكر الله اكبر اى اكبر ما فى الصلاة فشرط تعالى فى الإخوان فى الدين الموافقة فى الاعمال ولم يكتف بالاسم والدعوى فاعلم ذلك.

أخذ علينا العهود أن نعلم كل من رايناه فى بلاء من أهل القرى والأمصار طريق الخلاص منه واعظم طريق إلى رفع البلا عن الناس الإحسان إلى بعضهم بعضا لان ذلك مما يؤلف بين قلوب المنافقين وفى الحديث جبلت القلوب على حب من احسن اليها واذا حصل الائتلاف والود ارتفع البلاء عن تلك البلد كالبرق الخاطف ثم إذا قدر نزوله ثانيا لا ينزل بل يقف بين السماء والارض ولو مائة عام حتى يجد تنافرا بين الناس فينزل وقد علمت ذلك لبعض اهل القرى فخفف البلاء عنهم سنين بعد ان كان مترادفا عليهم بالقتل والنهب والخروج من الأوطان وغير ذلك فلا ينزل بلاء قط على قوم وهم على قلب رجل واحد ابدا.

فعلم ان سبب اغلال القلوب بعضهم من بعض عدم تعاطى أسباب أرتباطها من البر والهدايا والصدقات والخيرات وغير ذلك والأمر فى زيادة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وانظر يا أخى كيف صار جارك

وصاحبك لا تنظر منه قط لقمة ولا حزقة ولا مرقة ولا حسنة من حسنات الدنيا إلى أن تموت وإن وقع ذلك من صاحب أو جار فهو من غلطات الزمان وقد صار الأمر روايات وأخبارا كأنه لم يقع فى الوجود.

وقد كان سيدى خضر الذى كفلنى يتيما يقول لى والله يا ولدى ما أتذكر قط أن اشترى لى شاشا ولا جوخة ولا قميصًا ولا نعلا ولا زيتا ولا صابونا ولا قمحا ولا شعيرا ولا سكرا ولا عسلا ولا اضحية ولا حلاوة ولا شيئًا من أمتعة أهل البيت انما ياتينا كل ذلك من هدايا الاصحاب وقد أخبرنى رحمه الله عن بنى الجيعان وناظر الخاص وأركان الدولة فى مصر بأمور كالكذب عند الناس الآن ثم لا يخفى عليك أيها الأخ أرتباط الوجود بعضه ببعض من حيث المقابلات من الحضرات الإلهية إلى السلطان إلى نوابه على إختلافهم فى الطبقات إلى جندى القرية إلى غفير الحارة إلى صبيان المكس وما بقى للناس الآن إلا تجرع مرارات الصبر وكل انسان فى ظهره دقماق يدق فإذا قلنا للذى يدق فى ظهرنا لا تدق يقول لنا حتى يترك الذى خلفى دق ظهرى فأنا أدق فى ظهرك ما دام الذى خلفى يدق فى ظهرى فأفهم واعتبر.

وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول قد صار الخلق الآن كالسمك الذى كان فى بركة ماء فنشف عنه الماء فالحدادى والكلاب يفسخه بالنهار والذئاب والثعالب تفسخه بالليل وما بقى يرجى عود الماء الذى هو كناية عن الرحمة لينغمروا فيه انتهى فتدبر ذلك واعرف زمانك.

والله يتولى هداك.

أخذ علينا العهود اذا حصل لنا جاه عند الحكام أن لا نتخلف عن نصرة

مظلوم وذلك لعلمنا أن الله عـز وجل إنمـا يعطى بعض عبـيده الجـاه لأجل كرب المكروبين لا غـير وإلا فمن أين لأمـثالنا أن يقبل الأمـر أو الأكابر يده فافهم.

واعلم يا أخى أن السوقة الآن والمتـسببين والمتعيشـين والفلاحين وسائر الرعية قـد صاروا عزبًا لاناصر لهـم من الناس عند الحكام ولا يجدون لهم واسطة خيـر ولا ولى حميم ولو بذلـوا لهم جميع الأمـوال بل يأخذون من صاحب الحـاجة فلوسـه بدخلة منه لا يلتفتـون إليه واذا قـال لهم بعد ذلك اقضوا حـاجتى وإلا ردوا فلوسي ينصرون خصـمه عليه حتى يهـلكوه فهو لا يتنفس إلا بالزفـير والشـهيـق كأهل النار فـلا حول ولا قـوة الا بالله العلى العظيم وقد مر تقرير هذا العهد فى مواضع والله اعلم.

أخذ علينا العهود ان لا نسرع بالغـضب على أحد من إخـواننا ما دامت قابليته ثابتة بل مـحتمله اذا اكثر المخالفة لنا ثم نسـارقه قليلا حتى يطيع فإن لم تكن قابليته ثابتة تركناه تحت قضاء الله وقدره لان ذلك علامة على شقائه ومن هنا قالوا إن لم يكن الداعى إلى الله على بصيرة فلا ينبغى له الدعا لأنه ربما يدعـو أهل قبضة الشـقاء إلى قبضـة السعادة فلا يكون لدعـائه ثمرة إلا إقامـة الحجة على ذلك المـدعو لا غير والمـقصد الأعظم إنمـا هو رجوع العـاصى إلى الطاعة لإقـامـة الحاجـة عليه فـأعلم ذلك لكن لا يخـفى ان احتمالنا لمن خالفنا إنما هو فى الأمـور المستنبطة بالفهم من الكتاب والسنة إماما جاء صـريحا فيهما فـلا نحتمله منه إذا خالف بل تجاهده كـما نجاهد الكفار لان ما جاء صريحًا هو الذى كلف الله به عباده.

وكان شيخنا رضي الله عنه يقول لو اقتصر العلماء على العمل بما جاء صريحاً فى السنة لكان اكمل لانهم فى الصريح تابعون للشارع وفى غيره لم يكونوا تابعين له حقيقة إنما ذلك مجازا وليقدر أحدهم نفسه لو كان فى زمن رسول الله ﷺ فليفعل ذلك الآن والله اعلم.

أخذ علينا العهود إذا علمنا العلم الخليفة أو أمير أو كبيران لا نطمع فى شيء من ماله ونظهر له الزهد فى الدنيا لينقاد لقولنا فإنه إذا ظهر له منا الرغبة فى ماله صرنا معدودين عنده من جملة العيال والخدم وازدرانا ضرورة وكذلك لا نعلمه فى ملاء ولا نذكره فى خلا ولا نبداه بالعلم بل نصير حتى يبتدى هو بالسؤال واذا بلغنا فى الجواب حد الاستحقاق لا نرد عليه إلا أن يستدعى هو ذلك منا وذلك لأن وقته ضيق لاشتغاله بجميع نظام المملكة والإمارة واستخراج الأموال التى تصرف على ذلك فما هو معد لتعلم العلم فقط كالعلماء فافهم.

واذا رايناه قد انعوج عن الحق قومناه بضرب الأمثلة ما استطعنا من غير تقرير له على خطاء ولا اضجار به بكثرة التردد بقصد التعليم لأن ذلك يزيل هية العلم والمعلم.

ثم اعلم يا أخى أنك ولو كنت اعلم من الامير فهو أعقل منك ولذلك كنت معدودا من ورعيته فافهم والله عليم حكيم.

أخذ علينا العهود اذا قضينا لمكروب حاجة أو حملنا عنه بلية ان لا نقبل منه فى نظير ذلك هدية فإن ذلك حرام وهذا يقع فيه كثير من مشايخ عصرنا هذا فإياك ثم إياك.

وقد كـان ابن عباس ﷺ يـقول من شفع شـفاعة فـاهدى له هدية على ذلك فقبلها فقد أتى بابا من الكباير.

قلت: وهذا لا ينافى فى قول عائشة ﷺ مفتاح الحاجة الهدية بين يديها لان معناه ان القلـوب لا تحتفل بالأمـر إلا أن أردت له جزاء عاجـلا او آجلا كالقاضى إذا أخذ الرشوة فإنه يبادر إلى قـضاء الحاجة بكليته مع تحريم ذلك المال عليـه ثم إن كان ولابد لنا من الترخص فى قـبول الهدية فنقـبلها على اسم الفقراء والمساكين لا على اسم أحد من أولادنا وذلك لأن الصدقة تدفع البلايا عن صاحبـها وأما من يحمل الحملة فأجـره على الله عز وجل فاعلم ذلك.

أخذ علينا العهود ان نجيب العباد إلى ربهم ونجيب ربهم اليهم ما أمكن وذلك بأن نذكر لهم كثرة نعم ربهم عليهم ليلا ونهـارا مع كثرة تقصيرهم فى خدمـة الله وقلة شكرهم له فإذا عرفـوا نعمة عليـهم ما لو إلى محـبة ربهم ضرورة ورضوا عنه واحبـهم واحبوه وهذا من السياسة الإلهـية للعالم وتأمل الحق تعـالى مع وسعة كـيف ساق بعض عـباده إلى حـضرته بقـوله اذكروا نعمـتى التى انعمـت عليكم وساق بعـضهم إلى خـدمته وعـدهم على ذلك بالجنة ونعيمهـا وساق بعضهم إلى حضرته بالسيف فى الدنيا ودخول جهنم فى العقبى فمن لم يجىء بشراب الليمون جاء بحطبه فافهم واعتبر.

أخذ علينا العهود أن لا نامر أحـدا من العوام يعـيد صلاة صـحت على مذهب من المذاهب المعـتبرة دون الباقى إلا على وجه الاستحـباب خروجا من الخـلاف لأن مثل التـراسين والنواتيـة والفلاحـين وصبـيان المصـامت

ونحوهم لا ينضبطون على مذهب فإن وقع أن أحدا منهم تقيد بمذهب امرناه بالإعادة لتلك الصلاة التى حصل فيها الخلل على قاعدة مذهبه كل ذلك هروبا من حديث من شق على أمتى فاشقق اللهم عليه وكذلك لا نأمرهم بإعادة صلاة لم يحصل لهم فيها خشوع وحضور فإن ذلك لو كان من مرتبتهم ما اخلوا به ثم إنهم لا يعيدونها إلا على صورة اقبح من الأولى إما لقلة الخشوع فيها أو لاستحسانها والاعجاب بها فحسب العبد الصلاة مع الاستغفار والله سبحانه وتعالى اعلم.

أخذ علينا العهود ان نعامل جميع الوجود بالأدب اللايق بكل مرض منه فنعامل الحق تعالى بالإعتراف له بالنعم وكثرة الذكر له وعدم الغفلة عن ملاحظة نظره الينا وكثرة المراقبة لبابه فإن حاجتنا فى الدنيا والاخرة لا تخرج الا من بابه ونعامل الايات التى فى الوجود بالتفكر فيها والاعتبار بها ونعامل الرسل وكمل ورثتهم من العلما والصالحين بالاقتداء بهم بمكارم الأخلاق وأجتناب سفاسفها ونعامل الملائكة بدوام الطهارة الظاهرة والباطنة وعدم الروايح الكريهة الحادثة من الاكل والشرب أو الحادثة من الأقوال والأفعال كما ورد أن الملائكة تتاذى من الكلمة القبيحة وكما أنهم لا يؤذوننا فذلك ينبغى لنا أن لا نؤذيهم ولا نملى عليهم الاخيرا فإن لم يتيسر لنا ذلك اكثرنا من الاستغفار وذكر الله عز وجل ونعامل السفهاء بالحلم لا بالمقابلة والسفه فإن ذلك مما يقوى دخيرة الاذى لنا ولهم.

ثم إن ذلك يجر إلى اننا نصير سفهاء مثلهم من حيث المقابلة ونعامل الجهلاء بالسياسة ولين القول ونعامل شرار الناس ببشاشة الوجه ولو كان

قلبنا يلعنهم ونكثر من البر والإحسان إليـهم ما استطعنا فلعلنا نكفى شرهم إن شاء الله تعالى.

ثم يحصل لنا ثواب منعهم عن الاثم الحاصل من وقوعهم فى اعراضنا ومنع السامعين لهم عن سماع غيبتنا وتنقيص عرضنا وكشف عوراتنا فإن احب عباد الله إلى الله اشفقهم على عباده وأخوفهم عليهم أن يقعوا فى شيء ينقص دينهم ونعامل الاولياء بالتسليم والتصديق فى كل ما يخبرونا به فى حق الوجود لأنـه تعالى ما اعطـاهم الكشف حتى احكمـوا مقام الـصدق ولولا صدقهم ما سمـوا صادقين فافهم ونعامل إخواننا من المـريدين بالتفتيش عن احوالهم الناقصـة والاخذ عليهم فى جميع حركاتهم المذمومـة نصحا لهم لكوننا مسؤولين عنهم ونعامل اولادنا بالإحسان إليهم وزوجاتنا بحسن الخلق والتنزل لعقلهن جهدنا كما كان يفعل الرسول ﷺ.

ونعامل المال بالإنفاق فى سبيل الله حتى يفارقنا وهو شاهد لنا لا علينا ولا يتم لنا ذلك إلا بأن ننفقـه بإنشراح صـدر فإن الـمتكره للإنفـاق ناقص الإيمان والثواب بل هو إلى الاثم اقرب.

ونعامل الناصح لنا من سائر الناس بالقـبول والإصغاء وإن كان من أراذل الناس أو نصحنا بأمر قد ترقينا عن شهوده أو الوقـوع فيه فيقول له جزاك الله خيـرا لأنه نصح بما وصل إليـه علمه ولا نقـول نحن ترقينا عن شـهوده أو الوقوع فـيه ونعامل الأسـماء الإلهية كلهـا بالتخلق بها فـعلا وتركا فـالفعل كالرحيم والقدوس والسـلام والمؤمن ونحو ذلك والترك كالمتكبـر والمتعال والعظيم ونحو ذلك والله اعلم.

أخذ علينا العهود ان ننبه كل من عمل شيخ سوق من إخواننا على أدب المشيخة لأنه على صورة مشيخة أهل الطريق في السياسة والنصح إذا علمت ذلك فنقول وبالله التوفيق من ادب شيخ السوق أو شيخ الدلالين أو شيخ علم الادب أو سلطان الحرافيش أن لا يظهر التعصب مع أحد على أحد بغير حق كائنا من كان فإن ذلك مما يسقط حرمته ويخرب ما بينه وما بين الله عز وجل ويسرع بعزله عن تلك المشيخة ويوجب عدم تنفيذ قوله.

وتأمل البهلوان كيف يمشى على الحبل من رأس جبل إلى راس جبل بالميزان ولولا هى لسقط وتكسر ومال إلى جانب دون جانب.

وليحذران يجب الحكم فى رعيته ويولع بالمخالفة لمن هو أعلى من سوقه من الفقهاء وأهل الخير والمعروف والصدقات الذين لا يحسدون أحدا من جيرانهم إذا أقبل الناس عليه بالفوائد والربح ولا يؤذون أحدا من خلق الله تعالى فإن هؤلاء وإن كانوا تحت حكم شيخ السوق ظاهرا فما هم داخلون تحت حكمه باطنا ثم إنه إذا كان كبراء السوق عليه بقلوبهم لا يستقيم له مشيخة في السوق وما ارتفع الناس على بعضهم إلا بالصبر على الأذى وعدم الحسد وكثرة المعروف.

والصدقات وعدم مقابلة السيء بإساءته قال تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وليحذر من البحث عن عيوب أهل سوقه وليعلم أنه إذا ستر عورتهم ستر الله عورته وإذا كشفها كشف الله عورته واذا كشف عورته ذهبت رياسته وحرمته واستحق العزل.

وليحذر ايضًا من أن يصدق أحدا منهم فى حق أحد من غير تثبت وذلك

لغلبة الحقـد والحسد على غالب الناس وكثـرة محبتهم للتمـيز على أقرانهم وليحـذران يحرج أحدا بزلة سـبقت له أيام الشباب لـينكس راسه بين الناس ويقيم الحجة على ان غضبه عليه بحق فإن ذلك حرام ولو ان كان على سبيل التعريض كـقوله ما أنا مثل غـيرى كبسوه بجـارية فلان مثلا فـإن الحاضرين يفهمون أنه هو المقـصود بالتجريح كما يفهمـون من التصريح لأن التصريح سواء بل قال بعضهم ان التعريض أشد فى الأذى من التصريح ربما يقام على صاحبه الشرع أو السياسة فيؤدب على ذلك ويحصل للمجروح بتبريد الخاطر ولا هكذا التعريض فإن الحاكم لا يقدر على تحريره وتحقيقه.

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يضرب من قذف شـخصًا تعريضًا فإذا قال لم اقصده يقـول له وركه على من شئت وليحذر من ان يكثـر من الاستدلال على كل واقعة وقعت له فى السوق كما يقع فيه كـثير من المتفقهين فإن ذلك مما يورث الاستخفاف برتبته بغلبة عسرات اللسان حال الغضب فى المحافل وكذلك لا ينبغى له الإكـثار من السبب لمن وقع من أهل السوقـة فى خيانة من دلال أو تاجر لأن ذلك مـما يذهب بهاء مـشيختـه وليحذر أن يتشـبه فى حكمه على أهل سوقه بأهل المراتب العاليـة كالوالى والقاضى والمحتسب فيطرح الشخص على الأرض ويمد ويضـربه فإن رتبة شيخ السوق دون ذلك وانما عمدته الصلح بين الناس بالمعروف ومساعدته الضعيف على القوى اذا نقص القوى من حق الضعيف شيئًـا مثلا ويحذران يبلص أحدا من التجار أو الدلالين فى شىء ولو على سبيل الهدية فإن ذلك حرام وليحذر ان يفعل فى السوق شـيئًا من الامور العظام من غـير مشـاورة لكبراء السوق من الفقـهاء

ولمن طعن فى السن وجـرب حوادث الدهر فإن مـشورة هؤلاء مـما يطيب نفوسـهم ويؤيده فى تنفيذ الكلمة قـال تعالى ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ أى قوتكم وإذا تكرر من احد من التجار أو الدلالين الأذى لجيرانه ورفقته ولم ينزجر بكلام شيخ السـوق فليرفعه إلى بيت حاكم أقوى منه لكن بعد مـشاورة عصبـة ذلك المرفوع فإن ذلك ابلغ فى زجـره وإذا وصل شيخ السوق إلى بـيت الحاكم فالـيحك الواقعـة للحاكم بصـدق ورحمـة وعدم تعصب لان الشـيخ إذا ذكر كلامـا فى حق احد بغير تحـقيق أخذت كلمـته وفسد نظامه وصار من الباغين والباغى لا يفلح ابدا وليحذران يقيد على احد بأن لا يقف للدلالة مثـلا الأبضا من مع تقدير الضمـان فى هذا الزمان الذى شروه متطاير على جميـع الخلق فمن قطع بر انسان قطع الله بره بل الواجب على شيخ السوق أن يترك الناس يسترزقـون واذا خرج المبيع بعد ذلك حراما مـثلا يفـعل مع الدلال الشرع أو العـرف أو القـانون على حسب مـا يغلب استعماله فى ذلك الزمان فـإن الحكم وقد سألوا رسول الله ﷺ أن يسعر للناس حين غـلا السعر فـأبى وقال دعوا الناس يرزق الله بعـضهم من بعض وليحذر ان يفتح على أهل سـوقه بابا يأكل منه الحكام رجاء أن ينصروه على أهل سوقه اذا احـتاج إلى ذلك فإن ذلك يسرع بعـزله باذن الله عز وجل مع حصول الإثم عـليه من كل من تبعه من مـشايخ الأسواق وليحـذر ان يسهر النداء بالمنع لأحد من أهل سوقه من الـتجار والدلالين بأن لا يبيع فى ذلك السوق لا سيما ان كان يألفه ويجىء اليه فيه الزبونات دون غيره من الاسواق فله منعه بشرط ان يكون أهل السوق كلهم سائلين فى ذلك وليحذر ان يسرع

فى الحكم بين اثنين من غير تأمل وإنشراح صدر ولو قامت البينة فيتمهل ولا يحكم بها إلا ان يشهد قلبه بصدق النية لأن شهادة أهل الحرف على بعضهم بعضا لا ينبغى المبادرة إلى قبولها لغلبة الضغاين والحسد على قلوبهم لا سيما من له زبونات كثيرة وذلك لأنه ما تم قط حال مشترك بين اثنين فيه رياسة أو جلب أو جلب دنيا الا وكان الغالب بينهم التنافر أمر قهريا شاؤا امر ابوا بخلاف الحال المشترك الذى لا يطلب صاحبه فيه رياسة ولا جلب دنيا فافهم.

وليحذر ان يصغى إلى شكوى شخص ثم يحكم بأنه مظلوم بل يتأمل فى السبب الذى احوج ذلك الشخص إلى هذه المقابلة الشديدة يجده قد اذاه قبل ذلك فانه لولا الدخيرة ما اوقدت النار ولا هاجت فكلما اكثر شخص تلك الشكوى من انسان فكانه يشهد على نفسه بأنه ظالم على خصمه وهذا ميزان تطيش على الذر واذا حصلت رمية أو مظلمة فيها غرامة على أهل سوقه فليجتمع باكابر سوقه وليشاورهم فى فعل ما يكون اصلح لأهل السوق كلهم فاذا اجتمع رأيهم كلهم على فعل شىء فليوافقهم عليه.

وليحذر من مخالفتهم فإنه إن خالفهم خذل وعدم وقال أهل التجارب افسد برأى غيرك ولا تصلح برأيك وليكن جانب أهل سوقه أرجع عنده من جانب الظلمة فيكون مع الظلمة بلسانه دون قلبه ثم يجتمع بفقراء أهل سوقه ويخبرهم بما اتفق عليه رأى أكابر السوق فإن لم يوافقوه فليحذرهم ويخبرهم انه يرفع يده هو وأكابر السوق ويدع الظلمة فيحكمون فيهم من غير شفقة ولا رحمة فإن فعل ذلك كان اسرع لانقيادهم إلى فعل ما وقع الاتفاق

عليه ويسلم هو من الورطة وإضافة الظلم إليه وحده ثم اذا وزنوا الغرامة فليكن أول الناس وزنا ولا يحمى ماله بما لهم وينبغى له وزن غرمات الفقراء من جيرانه ولو لم يشكوا ذلك ولم يسألوه فيه فإن المعاملة مع الله عز وجل وما سلك احد هذا المسلم الا وكان الله عز وجل نصيره وكافيه.

وليحذر ان يقول له ابليس لا تعطى عنهم شيئا يظنوا بك إنك تعطى خوفا منهم ويرد وسوسته فى وجهه فإن الله اصدق القائلين وقد جعل النصر والتايد مع من يحسن إلى أعدائه.

وليحذر أن يقيم الحجة على عدوه حتى ينكس رأسه بين الناس ويظهر لهم كلهم ان عدوه هو الظالم فإن ذلك يقوى العداوة وكأنه جنى عليه جناية جديدة بل الواجب عليه اذا علم من عدوه البغض أن يغالطه ويقول أنا قلبى يشهد بأنك تحبنى وأنا ما أرجع الا لقلبى لا لقولك انت انك تبغضنى وكذلك يفعل مع اصحاب عدوه واحدا بعد واحد حتى يكونوا كلهم من عصبته ان شاء الله تعالى وأما إذا عادى من راه يضحك مع عدوه أو يشاوره فإن اعداه تكثر، ومن كلام اهل التجارب:

وأحسن العشرة مع بعضهم

يعينك البعض على كلهم

ومن أعوان الامور لزوال العداوة وتخميد نار الفتنة وإبطال كلام الناقلين ذهاب الخصم إلى مكان عدوه ومجالسته فإن الناس اذا راوهم مجتمعين يتكلمان ويضحكون خمدوا أجمعين فالحمد لله رب العالمين.

أخذ علينا العهود اذا عملنا مشايخ على مجاورين أو خرقة من خرق

الفقـراء كالاحمدية والرفـاعية والقـادرية والبرهانية ونحـوهم أن لا نخصص نفوسنا عنهم بشيء سـواء كانوا على ما يفـتح الله عز وجل به أو لهم وقف ياكلون من ريعه وإذا اتاهم شيء من أكـابر الدولة مثلا على نية ان يتـحملوا حملتهم ويفـرجوا كربهم فلا ينبغى للشيخ ولا للفـقراء الاكل من ذلك حتى تقضى الحاجة فمن أكل من ذلك شيئًا قبل قضائها.

فـقد مـرض بدنه للحكة والجرب والحـب الفرنجى وظلمـة القلب وإذا أظلم القلب نقص الإيمـان حـتى يذهب منه فى الاودية وتجـرع غصـصهـا أضعاف مـا كان اكل واما إذا اتى الفقراء شيء على أمم الهـدية فإن كان من الفواكه والأشياء التى تفرق فى العـادة فللشيخ أن يفرق على الفقراء أو يشرك اهل بيـته مـعـهم وإن كان يدخـر فى العـادة فله إدخاره عـلى اسم الفقـراء والمساكين وان كانت القراين تعطـى ان ذلك الشيء إنما جاء به صاحبه على اسم الشيخ وحده كالصوف والعمامة والنعل فللشيخ ان يتخصص به ويخص به من شاء من الفقراء ويجب على الشيخ ان يعظ إخوانه ويزهدهم فى الدنيا وزينتهـا ويقرر لهم انه ما احـب عبد الدنيـا إلاسقط من عين رعـاية الله عز وجل وصار مـهينا فى ملكوت السـموات والارض فاذا اجـابوا الطرح الدنيا والخروج عن امساكـها لغير حاجة ضرورية فليكـن الشيخ أولهم وليحذر ان يأمرهم بترك الدنيـا ويرغب هو فيها كـما عليه جماعـة من الوعاظ ومسلكى الزمان فإن الفـقراء اذا رأوا شيخهم يزاحم على الدنيـا ويخاصم على معلوم وظيفة أو مشـيخة أو نظر أو يسافر إلى البلاد البعـيدة وفى طلب رزقه أو جو إلى أو مسموح كيف يجيبـونه إلى تركها هذا من عكس الموضوع وما هكذا

كان الأشياخ بل ولا أحد من المريدين لأن أول المراتب الارادة الزهد فى الدنيا ويجب على الشيخ أن يعلم الفقرا من المجاورين وغيرهم ان كل لقمة نزلت فى جوفهم من اوقاف الناس واوساخ صدقاتهم تسترقهم لاصحابهم واذا استرقوا لاصحاب تلك اللقمة صارت خدمتهم لاصحاب تلك اللقيمات واجبة قياسًا على عبيد الرق سواء وذلك من أكبر قواطع الطريق إلى الله تعالى لان المريد فى مرتبة الضعف لا يحتمل قلبه غير التوجه لحق الله وحده دون خلقه ولو أمكن المريدون القيام بحقوق الخلق مع السير إلى ما أوجب الشارع الزهد فى الدنيا والتقلل منها فافهم ثم إذا لم يخدموهم ولم يلتزموا طاعتهم صاروا كالابقين ولا يرفع للأبق عمل ما دام خارجا عن طاعة سيده فافهم.

وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول انا ما أحب للفقير أن يتعبد إلاأن كان له حرفة تغنيه عن صدقات الناس فإن لم يعمل حرفة وجلس فى زاوية كان أجر عبادته لاصحاب تلك اللقم التى ياكلها فإن كل عبادة نشأت من طعمة فأجرها لصاحب تلك الطعمه لتقويه بها على العبادة ولولا هى ما قار على التعبد فيجب على الشيخ أن يعلم الفقرا ان الواجب عليهم ان يبنوا امورهم فى الدنيا كلها على التحقيق. وأن لا يمسكوا من المأكول إلا ما لابد منه فى قيام بينهم وستر عورتهم كالخبز الخشن بيسيرا دام ولو ملحًا وكالجبب والبشوت ويأمرهم بلبس السوه فى ثيابهم وعمائهم حتى لايحتاجوا فى غسلها إلى صابون ونحوه ويامرهم باجتناب لبس الجوخ والمضربات والأصواف الرفيعة ويقول لهم ان الفقراء إذا لبسوا ملابس اهل الدنيا واكثروا

من العلائق احتاجوا ضرورة إلى الحرف والتجارات أو ذهاب غالب الليل والنهار فى حضور الوظايف فى المساجد وغيرها كما عليه طائفة من الفقهاء وإذا احترفوا كما ذكر ليحصلوا ما يشروا تلك الملابس والأمتعة فكأنهم ما خرجوا من حب الدنيا بل هم اسوء حالا ممن لم يدخل فى صحبة الفقراء لأنهم قالوا حكم الفقير قبل صحبته للفقراء حكم الجديد النقرة وبعد مفارقة طريقهم حكم النصف الزعل وبالجملة فكل فقير جلس فى زاويته بالإشتغال بالقرآن والذكر وكان له فى خلوته أو بيته من متاع الدنيا اكثر مما يحمله المسافر الماشى إلى البلاد البعيدة فهو خارج عن طريق القوم كما اشار إليه قوله ﷺ لمن أوصاه ليكفك من الدنيا كزاد الراكب فتأمل ويجب على شيخ الزاوية والحرفة أن ينفق هو وجميع الفقراء الذين تحت حكمه وتربيته على أنهم يردوا كل شيء جاءهم من زكاة الناس وصدقاتهم ويظهروا التقطيب فى وجه كل من أتاهم بمال ليفرقه عليهم ويقولون له بحق وصدق إخراجك الزكاة على مثلنا لا يسقط عنك الواجب وذلك لئلا يعود اليهم ثانيا بصدقة ويريح الشيخ من تفرقة أوساخ ذنوب الناس فإن من يقول للشيخ خذ زكاتى فرقها على الفقراء كمن يقول له خذ غائطى وبولى ودمى ومخاطى وصنانى وبصاقى فكل منه واطعم عيالك وجماعتك ولطخ بذلك يديك وجسمك وثيابك وقلبك أو كمن يقول له اجلس يا سيدى الشيخ أبول وامخط وأبصق عليك، وقد أشار إلى كل هذا رسول الله ﷺ بقوله إن الصدقة أوساخ الناس وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد ولما سأله الفضل بن العباس أنه يستعمله على الصدقات قال له ﷺ معاذ الله ان

استعملك على غسالة ذنوب الناس وقد قال بعض أئمة اللغة ان الوسخ يشمل الغائط فما دونه ولكنه ﷺ كان يكنى عن القبيح ما أمكن ثم اعلم يا اخى ان الوسخ يزيد فى القبح وينقص بحسب كسب المتصدق فإن كان يرابى ويغش فى المعاملة ويأخذ المكس من التجار ويأكل الرشوة فحكمه كالخرا والقبح وإن كان ينصح فى المعاملة ولكنه يبيع على من يفعل ذلك من الظلمة والقضاة فحكمه كالبول والدم وقس على ذلك وأقل المراتب أن يكون كالبصاق وقد رأيت مرة شخصا جاء إلى سيدى على الخواص بمال والشيخ رمد وهو جالس يضفر الخوص فقال له يا سيدى خذ هذه الدراهم فاستعن بها على نفقة البيت واترك الضفر حتى تبرأ فرده وقال والله انى كما ترانى اضفر فى هذا الرمد ولا يطيب لى ان اكل من كسبى هذا فكيف أكل من كسبك أنت فقال يا سيدى إن مثلك لا يغش فى صنعته فكيف لا تطيب نفسك أن تأكل من صنعتك فقال صحيح ما تم إن شاء الله تعالى غش ولكن ابيع على من وجميع الفقهاء والتجار والزياتين وغيرهم إذا اتاه مكاس أو قاض يشترى منه شيئا لا يرده قط بل يفرح بفلوسه غاية الفرح وإذا أخذنا فلوس الظلمة والمكاسين فنحن سواء لإتحاد العين المتداولة بأيديهم فقال يا سيدى هذا شىء ما كان لى على بال وتركه وانصرف وهو يقول لله يا اولياء الله واعلم يا اخى انه يفتح على من يعمل شيخ مشايخ على الفقراء أن يأخذ من معلوم الفقرا شيئا ليتوسع به فى نفقة بيته لانه ما اصطاد ذلك إلا بهم وعلى اسمهم ولا ينبغى له ولا لأحد من اعوانه أن يعمل له من شىء من ذلك مضربة ولا صوفا ولا شاشا ولا جوخة ولا بساطا ولا كساء ولا يبنى به بيتا

ولا يبيض به خلوة ولا يكسو به اولاده ولا يشترى له به حمارا ولا بغلا ولا فرسا ولا يزرع به شيئًا على اسمه واسم أولاده فإن ذلك كله ممحوق البركة فى رزق الزاوية ولو صار لها كل يوم مائة دينار فالشيخ وجميع اعوانه مكشوفون الحال ضيقون الرزق غالب أكلهم من السوق وكذلك يقبح على من عمل شيخا أن يقبل مسموح السلطان أو مرتبه على البساط فإن المال الذي يصرف على البساط لا يكون إلا من جهات الوزر والخمور وغيرها من المحرمات ومن شك فى ذلك فليسأل أرباب الديوان هذا لو عرض عليه بدخلة من أعوان السلطان فكيف من يسافر لاجله إلى بلاد الروم والعجم وكيف يليق بمن يقول أنا شيخ مشايخ أن يزاحم ارباب الوزر على جيف الدنيا وسحتها ويقول لهم اتركوا ذلك لآخذه أنا لأنى شيخ من الصالحين وكان الأولى أن يقول من الصالحين ثم انه لا بد للشيخ من النصب على اعوان السلطان باظهار الصلاح والإتفاق على العميان والمساكين والمحاويج.

وينهى ذلك فى قصته كما مر اوائل هذه العهود فإذا حصل المسموح مثلا انفق منه مدة على الفقراء ثم اتاه أبو مرة فأمره بتغيير ذلك وأن يخص نفسه وعياله وأولاده به ويحرم الفقراء فهو ولو قدر ان يكون حلالا فهو حرام من حيث النصب لأن اعوان السلطان لا يسمحون لانسان قط بأربعين نصفا كل يوم وهو يخص بها نفسه بدًا لأنها جامكية امير كبير يسافر بالتجاريد فى مصالح المسلمين فبالله يا سيدى الشيخ ايش نفعك انت فى الوجود ثم ليعلم سيدى الشيخ ان محبته لحلال الدنيا يستحق بها العزل من المشيخة

على طائفة الفقراء فكيف بمحبته لحرامها وهذا الأمر قد حدث فى المتشبهين بالفقراء فى هذا الزمان كما مر ويجب على الشيخ إذا كان تاجرا على وقف الفقراء ان يحميه من الظلمة وطريق حمايته أن لا يتخصص بشيء منه وأن يصرفه في مصارفه المعينة في كتاب الوقف وأن يأمر الفقراء القاطنين عنده فى الزاوية بالإشتغال بالله عز وجل وكثرة الذكر وتلاوة القرآن لتقع الحماية لهم ويستحقوا تسخير الحق تعالى لهم رزقهم ومتى احتاج الشيخ والفقراء إلى حماية وقفهم من أعوان الظلمة إلى خروج مرسوم يحميهم منه فهم كاذبون فى دعوى الفقير والتجريد محتاجون إلى زيادة الاشتغال بالله تعالى زيادة على ما هم عليه فإن الله تعالى ما ضمن تسخير الأرزاق إلا لمن هو مقبل على عبادة ربه ليلا ونهارا واما البطال الكسلان فلم يضمن له ذلك وإنما أمره بالتكسب وعمل الحرف على طريق ابناء الدنيا وكذلك يجب على الشيخ أن يعلمهم بأنهم اذا قصروا فى خدمة ربهم صاروا كلا على إخوانهم المجتهدين فى الخدمة فينقص رأس مالهم ولا يرجى لهم نفع وفى الحديث من جعل الاخرة همه جمع الله شمله واتته الدنيا وهى راغمة ومن جعل الدنيا همه شتت الله شمله وفى بعض الكتب المنزلة يا دنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فأستخدميه فعلم ان من خص نفسه بمال الوقف أو زوج به أولاده أو بناته أو حلى به نساءه أو ركب منه الخيول المسومة أو نكح به النساء الجميلات أو أنفقه على موالح الرقية من الفقراء البطالين الكسلانين فطريق الحماية لذلك الوقف بعيدة ولو كان معه مرتعات السلاطين ويا طول ما يبرطل الظلمة والحكام كما هو مشاهد ويجب على شيخ الفقراء المجاورين

إذا رأى نفسه قد صار قليل الصيد لهم أن يعلمهم بالسبب ويقول ارجعوا إلى ربكم بالخدمة له حتى اصطاد لكم والا فلا تلوموا إلا أنفسكم واعلم يا أخى أن الله عـز وجل قد تكفل لطالب العلـم برزقه فكيف بطالب الله عـز وجل وإنما يتـوقف عليه رزقـه ويتعسـر من عدم إخـلاص نيته منه وقـد كثـر عدم الإخلاص الآن في طلبه العلم وصار شيخـهم لا يقدر يصطاد لهم رغيفا الا بالنصب والحيل والكذب وأقل مـراتب الإخلاص أن يصيـر طالب العلم يحب رفعة جميع أقرانه عليه فى العلم والعمل ويفرح بنسبتهم له إلى الجهل وعدم الفهم وإذا حـضر فى محفل وهو يعلم مـا لم يعلموه لم يتكلم به فى ذلك المحفل خوفا أن يعلوهم ولا يعد نفسه أنه من أهل العلم قط فى ساعة من ليل أو نهار هذا من أقل درجات المـخلصين فى العلم ويجب على شيخ المحاورين أن يشتـغل بالعلم وتفسير القرآن ومعـرفة طريق القوم حتى يكون اعلم من جميع من هم تحت تربيته ولا يحوجهم إلى الخروج إلى غيره من العلماء يـستعلمـوا منه العلم فإن ذلك قـصور عن مـشيخـته عليـهم وسبب لإتلاف أحوالهـم لإختلاف المشارب عليهم فإن اختلاف المشارب فى الفهم يضر كما يضر اختلاف الاطعمة فافهم.

ومن هنا عـمل سيدى يـوسف العجمـى فى زاويته بالقـرافة منبـرا وأقام الجمعة لهم فيه خـوفا من تفرقة جماعته إذا خرجوا الامكنة الجـمعة البعيدة ولو كانت أكثـر جماعة من الزاوية وليـعلم سيدى الشيخ أنـه إذا كان جاهلا بالكتاب والسنة فكلمته على الفقراء قاصـرة لكثرة تخريجهم عليه لا سيما إن كان المجاورون أعرف منه بالسنة وأكثرهم منه حفظا للقران والأحاديث النبوية

فإن كلمته لا تسمع بالكلية ولو كان صالحا فى نفس الأمر فصلاحه غير مشهور لتعلقه بالباطن فلا تكمل مشيخة شيخ على غيره إلا أن كان اعرف منه بطريق القال وبطريق الحال.

ويجب على الشيخ إذا وقع على يده قسمة دنيا بين الفقراء أن لا يخص احدا منهم بشىء زائد على غيره إلا أن تكون حاجته ظاهرة للفقراء كلهم بحيث يحثوا عليه ويرقوا حاله.

وليحذران يأخذ مع الفقراء نصيبًا له أو لولده فيكون كأحدهم فى دناة المروؤة وتذهب رياسته عليهم بل يجب عليه أن يفرق كلما دخل على المساكين والأرامل وغيرهم ولا يلحس منهم لحسة ولا يأخذ منه فليسا ولا يدخله بيته ابدا ثم يخرجه للفقرا بعد ذلك فانهم يتهمونه فى الأخذ منه قياسًا على نفوسهم لو خلوا به فمن فعل ما ذكر مع الفقرا عظم فى أعينهم وهذه شروط خاصة بالفقراء الصادقين أما غيرهم فلا كلام لنا معهم لأنهم قوم ينصب بعضهم لبعض باتفاق منهم ويجب على الشيخ إذا رأى من المجاورين مزاحمة على الدنيا ولو بقلوبهم أن يحكى لهم حكايات الصالحين والزهاد الذين يدعون أنهم منتسبون لطريقهم ويذكر لهم ما كانوا عليه من رفض الدنيا وشهواتها أختيار الاضطرار أو يعلمهم ان الفقراء ما تميزوا عن ابناء الدنيا الا بزهدهم فيها اختيار أو الا فإذا تركوها اضطرار فهم وابناء الدنيا على حد سوى.

ثم اذا طلب الشيخ تخصيص أحد من الإخوان بقميص أو درهم أو غيرها فليكن ذلك سرا بحيث لا يدرى به فإن طبع البشر كامن فيه الحسد

وكراهة التميز ولو لم يظهر ذلك على الفـقراء وإذا كان بعض الصحابة يقول لرسـول الله ﷺ والله ان هذه قسـمة ما اريد بها وجه الله حتى تمـعر وجه رسول الله ﷺ فكيف بأمثالنا اليوم نسأل الله اللطف وسمعت شيخنا ﷺ يقول لابد لكل داع إلى الله تعالى أن تنقسم جماعته على أقسام قسم يقولون سمعنا واطعنا وقسم يقولون سمعنا وعصـينا وقسم يقولون سمعنا واطعنا نفاقا كما انقسم الناس على عهد رسول الله ﷺ سواء.

فليوطن الشيخ نفسه على هذا التقسـيم فانه لابد له منه في جماعته شاؤا أم أبوا ولو قدر أن قسم المنافقين تاب من نفـاقه تولد النفاق في قوم اخرين من اصحـابه وليس في الصحبـة اشد من صحبـة المنافقين لكثـرة روغانهم وعدم اعتـرافهم بنفاقهم فليـعذر الشيخ الفقراء في تنكر قلوبـهم من بعضهم بعضا اذا دخلت عليهم الدنيا فإن ذلك امر قهري على امثالهم قال رسول الله ﷺ ما دخلت الدنيـا بين قوم إلا القى الله بينهم العـداوة والبغـضاء يعني شاؤام ابوا لكن لا يخـفى أن المراد بهؤلاء القوم الذين اشـار إليهم رسول الله ﷺ انما هم أبناء الدنيا الذين اقتصروا على شهود ظاهرها وما لو إلى زخرفها وإلا فـالأنبياء والأولياء لا يقع بينهم عداوة بدخولهـا عليهم كما هو مشاهد فافهم لأنها عندهم كالتراب وما رأينا أحدا قط عادى أخاه على أردب تراب أو قتـله لأجله وإنما اخـرجنا الانبيـاء والأولياء من ذلك لان الدنيـا ما خوذة من الدناءة والدنو والقـرب من مقام الطينيـة ومعلوم أن جميع الانبـياء وكمل ورثتـهم من الاولياء قـد خرجوا إلى مـقام الروحيـة والارواح لا ميل عندها للشهوات لعدم ذوقها لها كالملائكة ويؤيد ما أولناه قوله ﷺ لو ان

لابن ادم واديان من ذهب لأبتغى ثالثا ولو ان له ثالثـا لأبتغى رابعًا ولا يملاء عـين ابن آدم الا التراب لأن المـراد بابن آدم من اقـتصـر على ظاهر الدنيـا ووقف عنده إذا لادم هو ظاهر الجـلد فكأنه ﷺ جـعل الحكم مـقصـورا على محب الدنيا والا فالاولياء فضلا عن الانبياء لا يبتغون أن يكون عند هم منها دينارا واحدا فافهم.

ويجب على الشيخ ان لا يغـفل عن مراعاة الفقـراء القاطنين فى الزاوية وغيرها فإنهم غنمه ولا يغفل عن ردهم عن مواضع الهلكة ليلا ونهارا وينبغى له أن يضـرب من لم يرتد منهم عن مـا يؤذيه إلا بالضـرب ويهش على من يكتفى بالهش ويجب على الشيخ اذا اراد ان يغرق عليهم فتوحا أن يقدم لهم مقدمة لكى ينتهوا لكذبهم فى دعواهم أنهم تركوا محبة الدنيا فيقول لهم ورد فى الحديث أن رسـول الله ﷺ كان يكثر العطاء لقـوم ويقول لهم الذى امنع احب إلى من الذى اعطى وإنما اعطى العطاء الكثيـر لقوم يتالفهم على الايمان واقلل العطا لقوم لمـا علم من قوة ايمانهم وقوة جزمـهم فأيكم ايها الفقراء الأقوى إيمانا حتى اقلل له العطاء أو أعطى حـصته لأخيه فإذا سكنوا فليقل لهم أيكم ضـعف يقينًا بالله وأقل إيمـانا به وأقل دينا حتى أعطيه اكـثر فكل من شهـد على نفسه بشيء فليـعامله بما يليق به ولعله يفـتضح فى ذلك المجلس كذا وكذا واحدا وكان ينبغى لهم كلهم ان يحموا الخرقة ويقول كل واحد نصيبى لاخى فإن أحد إلا يأخذ إلا نصيبه الذى قدره عز وجل له ولكن غلبة الاوهام توهـم الإنسان أنه متى لم يزاحم علـى نصيبـه أخذه غيـره وقد فرقت مرة مالا على الفقراء واحـرمت منه شخصًا كان يدعى أنه من خواص

اصحابى فتغير وزهد فى صحبتى فقلت له إنما احرمتك من هذا المال لمحبتى لك فلم يقبل وصار يقول للناس الشيخ ما يعطى إلا بالغرض ويستدل على بكلام بعض المغفلين بقولهم من أحبك اطعمك ومن بغضك احرمك ثم ترك اصحبتى إلى أن مات ويجب على الشيخ إذا قسم بين الفقراء الدنيا ان يصبر على سماع الكلام الجافى منهم كما يجب عليه اذا قسم بين كلاب الدنيا جيفتها أن يوطن نفسه على هبتهم عليه وعضهم له للجناية وظنهم فيه أنه لا بد ان يكون خباء عنهم منها شيئًا فإنهم لا يقيسونه الا على أنفسهم وهم لو كانوا هم القاسمين لسرقوا منها من وراء إخوانهم وليعلم الشيخ أن الكلاب لا تزدحم قط إلا على من بين يديه جيفه وإلا فلا يقفون قط عليه ولو كان بين يديه قنطار من المسك والعنبر فإن الشيخ الذى لا بر من جهته ولا يأتى على يديه شيء من الصدقات لا يزدحم عليه كلب ولا يكثر من مجالسته أحد فإن أردت أيها الشيخ محبة الفقراء لك أشد المحبة فأكثر لهم من صيد الدنيا ولو بالنصب والحيل وذل النفس على الأبواب والسفر إلى القرى والبلاد فإنك إذا فعلت ذلك أحبوك اكثر من محبتهم لك إذا اوصلتهم إلى حضرة الاولياء.

وقد تناظر كلب السوق مع كلب الصيد فقال أنا كلب وأنت كلب فلما ذا يقربوك ويجلسونك على فراشهم وانا كلما راؤنى طردونى واخرجونى إلى المزابل فقال كلب الصيد الفرق بينى وبينك واضح لأنى اصطاد لهم وانت تصطاد لنفسك انتهى فافهم واعتبر ويجب على الشيخ أن يمنع من المجاورة عنده كل من لا يحضر مع الفقراء فى اوراد هم واذكارهم وصلاة جماعتهم

لأن إقامة مثل هؤلاء فى الزاوية مما يفسد أحوال أهلها لكثرة تشبه الفقراء الضعاف بأهل الكسل والخمول حتى يصيروا عن قريب مثلهم وليكن الشيخ أول حاضر المجلس وصلاة الجماعة تقوية لعزم الفقراء وإن لم يكن الحضور لازما للشيخ فهو من سنة الأشياخ السابقين فى اورادهم وما جعل الاشياخ هذه المجالس الا لتقوى بعض الفقراء ببعض فإن منهم من يصبح كسلانا ومنهم من يصبح نشطا ولو انفرد وربما كسل النشط ذلك اليوم.

وقد حكى أن فقيرا جاء إلى سيدى مدين رضي الله عنه ليجاور عنده فحضر مع الفقراء فى مجالس الذكر أياما ثم أنقطع فقيل له فى ذلك فقال انا ما احتاج إلى من ينشطنى فلا حاجة لى بالاجتماع بأحد فبلغ ذلك سيدى مدين فأخرجه من الزاوية وقال مثل هذا يتلف الفقراء فيصير كل واحد يدعى أن قلبه حى وبدنه نشيط فينفرد ويترك شعار الزاوية ويجب على الشيخ الناظر على زاوية الفقراء ايضا ان يمنع كل من يريد الاشتغال بغير العلوم الشرعية وهى القرآن وتفسيره والفقه والحديث من الإقامة عنده لأن أوقات الفقراء ضيقة لا تسع الاشتغال بغير ذلك وهكذا كان سيدى أحمد الزاهد وبعده سيدى مدين وسيدى محمد الغمرى يفعلون وذلك لأن المريد لا يقدر على الجمع بين الاشتغال بطريق الظاهر والباطن معًا ولو أن المريد قدر على الجمع بينهما لم يمنعوه من الاشتغال بعوضه علوم الشريعة فلذلك كانوا يأمرون التلامذة بأن لا يزيد أحدهم فى التعليم على معرفة الفرائض وما لابد منه من السنن فقط ثم يشغلونه بالذكر كما أوضحنا ذلك فى رسالة أداب المريدين وقد عمل سيدى أحمد الزاهد لهم ستين مسألة لأجل ذلك ويجب على الشيخ ان

يخرج من الزاوية كل من غير وبدل عهود الفقراء التى دخل الزاوية على نيتها كما إذا دخل فى العهود مع الشـيخ أن يرضى باللقمة والخلقة ثم طلب زيادة على ذلك وقـال هكذا ما يكفـينى لأن جلوس مثل هذا فى الزاويـة ضرر بلا نفع وقد صـارت الزوايا الان مصـيدة للدنيا لا غـير بعد بـان كانت مصـيدة لأعمال الاخرة.

وتأمل يا أخى رهبان النصارى لا يدخل أحدهم فى الرهبـانية حتى يترك جميع ملاذ الدنيا كلهـا ويرضى بالخشن من الاكل واللباس ومتى طلب زيادة على ذلك اخرجوه من الكنيـسة والرهبانية فما جعلـت المساجد والزوايا الا للمنقطعين إلى الله فمن لا ينقطع فلا حق له فى صـدقات الفقراء والله عزيز حكيم وينبغى للشيخ أن لا يتكدر من الفـقراء القاطنين عنده إذا رأى منهم قلة إعتراف له بالفضل والرتبة فإن هذا الزمان ما بقى أهله يحتملون إقامة الميزان عليهم فليعامل الـشيخ ربه فيهم اذ الأمور كلها قد صـارت على وجه الختام والناس فى دهليز القـيامة ولا تقـوم الساعة حتى تـستوفى هذه الامة جـميع الذنوب التى هلكت بهـا الامم السالفـة كان ذلك على ربك وعـدا مفـعولا وليتامل الشيخ فى جماعـة الاشياخ الذين هم فى عصره يلقن أحدهم الالف مريد والعشـرة الاف مريد وأكثر ولا يفـتح على شخص منهم بسوء شقـشقة اللسان ويقول اخذت عن سيدى الشيخ فلان وبعده عن فلان وبعده عن فلان لا غير كل ذلك لعـدم انقيادهم للشيخ وعدم الـصدق فى الطلب والامر إلى وراء لا الى قدام وقد صـار الشيخ يطعم جماعته ويكسـوهم من حين كانوا اطفالاً ويتامى إلى أن يصيروا رجالا ويزوجـهم ويقريهم العلم ويـسمعهم أدآب

القوم فلا يحفظ أحدا منهم له حرمة ولا يتذكر له جميلا واذا مات الشيخ وترك اطفالا صغار إلا معلوم لهم فلا يفتقدهم أحدا منهم بحسنة من حسنات الدنيا التى اسسها الشيخ لهم وتسبب فى وقفها عليهم فلا حول ولا قول الا بالله العلى العظيم.

أخذ علينا العهود ان نحسن ظننا فى الله عز وجل ولا نسىء به الظن ولو فعلنا جميع المحرمات الإسلامية وبهذا العهد يكون ختام العهود إن شاء الله تعالى.

اعلم يا اخى ان حسن الظن بالله عز وجل هو محط رحال الاولين والآخرين وقد حث الحق تعالى على حسن الظن به فقال فى الحديث القدسى أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى خيراً انتهى وفى ذلك بشرى من الله عز وجل عظيمة لأن فى الظن نوع ترجيح إلى جانب العلم الشامل ذلك الظن للخير والشر ولكن الحق تعالى ما وقف هنا لان من رحمته سبقت غضبه بل قال معلما لعباده فليظن بى خيراً بصيغة الامر فكل من لم يظن بالله خيراً فقد عصى امر الله عز وجل وجهل ما يقتضيه الكرم الإلهى يوم القيامة حين يبسط الحق تعالى بساط الكرم فيدخل ذنوب الأولين والاخرين من المسلمين فى حواشيه ويقول الملائكة ما بقى لغضب ربنا موضع لكن هناد دقيقة وهوان المدار على حصول حسن الظن حال طلوع الروح لأن الحكم له وهو أمر مغيب لا يعرف العبد هل يوفى به أم لا وما قبل طلوع الروح لامدار عليه وان كان محموداً ومن هنا خاف الأكابر من سوء الخاتمة وهى أن يموت وهو يظن بالله سوء نسأل الله العافية قالوا جب على الإنسان دوام

حسن الظن ليلا ونهاراً فانه عنوان السعادة فإن قيل العلماء يقولون أن ترجيح جانب الرجاء وحسن الظن لا يؤمر به العبد إلا اذا كان مختصراً والا فترجيح جانب الخوف أولى قلنا والوفاة حاضرة عند العبد فى كل نفس من أنفاسه وليس هو على يقين من الحياة نفسًا واحداً فلا يجوز له سوء الظن بالله ابدا فى نفس من الأنفاس لإحتمال أن يكون ذلك النفس هو اخر العمر فتخرج روحه على تلك الحالة فيلقى الله تعالى وهو ظان به السوء فيجنى ثمرة ذلك من انواع العقوبات والخزى فى البرزخ ويوم القيامة فما عاد على العبد الا سوء ظنه بربه لا غير فإن ظننت يا اخى بربك خيرا فانك تشاهد من كرم الله تعالى ما لم يخطر لك على بال فإن ظننت به انه لا يضيعك فى الدنيا ولا يكلك إلى نفسك طرفة عين فعل وإن ظننت به أنه يوفى عنك ما عليك من حقوق العباد فى الأموال والاعراض ولا يؤاخذك بحقوقه تعالى فعل وان ظننت به انه يميتك على التوحيد وكمال الايمان والاحوال فعل وان ظننت به انه لا يفتنك فى قبرك ويلقنك حجتك فعل وان ظننت به انه لا يشهد اهوال يوم القيامة بل تقوم من قبرك فتركب براق اعمالك إلى الجنة فعل.

وإن ظننت به أنه لا يحاسبك عن شيء ولا يسألك عن تقصير فعل وإن ظننت به انه يثبت قدميك على الصراط ولا يوقعك فى نار جهنم فعل وإن ظننت به أنه يدخلك الجنة ويعطيك فيها ما لا عين رات وإلا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فعل والحمد لله رب العالمين.

ولنشرع بعون الله فى الخاتمة الجامعة لعهود كل الاولياء فنقول وبالله التوفيق.

الخاتمة: فى ذكر جملة من العهود الخاصة بأهل دائرة الولاية الخاصة على مصطلح القوم أعلم يا أخى أن عهود الأولياء لا يحضرها ديوان ولكن نذكر لك منها جملة صالحة من أخلاقهم لتستدل بذلك على علو مقامهم وغزارة علمهم ﷺ أجمعين فنقول وبالله التوفيق.

أخذ علينا العهود اذا دخلنا فى دائرة الولاية إن شاء الله أن يكون أحدنا مسلوب الحقيقة والاسم بأن يفنى مراده فى مراد الله فارغا مما ليس له بوصف ملأنا بما قسم له وقدر عليه ان تكلم فكلام لا يفهم منه الا العجز وإن سكت فلا يجد فى باطنه ما يتفكر فيه يتوجه لقضاء حوائجه بجميع قوى حسه لا يجرح ولا يرجح إلا لمصلحة شرعية.

ولا يكثر وصف أحد بحق ولا بغيرة يتكلم مع الوقت والحال لا بهما ولا لهما يكثر الدعاء لنفسه ولجميع خلق الله مع كثرة التفرغ والأدب متقلبا فى علم الله تعالى لا يطابق قوله وفعله زمانين ماض وات على الكشف والشهود.

ليس عنده من العلم بالحق تعالى إلا الكون فقط يتعاطى لنفسه ولغيره ما يحتاج إليه مما يكره طبعًا وإصطلاحًا بقصد صحيح يتغير مع الكون إذ هو نازل تحت حكمه كنزول القلب فى باطن تجويف الجسد الذى هو محل الإستحالة والتغير وفساد الامزجة فرحه للكون فرحه لنفسه حقيقة يضع الاشياء فى محلها الشرعى الا بطريق التحجير على الاشياء بمحلات مخصوصة يتحللها من عند نفسه يقيم الميزان بغير صنج توجب تعديلا أو ترجيحا بل تكون ميزانه كميزان الحق تعالى تطيش على الذر ولا يظهر فيها

حكم زيادة ولا نقص يتكلم مع العامة والخاصة بكلام يسع عقولهم لا يتميز ولا يمل ولا يراعى فى الكلام مصلحة أحد بعينه يأمر فيما طريقه الاجتهاد فى حين بما ينهى عنه فى حين اخر للسبب المخصص لا يحكم برتبة لاحد دون أن يظهر أثر الرتبة فى الكون لا يحكم بحال وله عليه إلا بحكم سببه أو ظهوره لا يأتى من العبادات النفلية ما يشق إلا فى حين يشكر لإخوانه بقدر طاقته لا بقدر مرتبة للشكور ويكره جوارحه إذا نقلت له عيب أحد من إخوانه يتأدب مع الخلق لا لهم ولا لأجلهم بل لإعطاء الوجود والموجود حقه من الادب لا يصلى نفلا قط إلا مقيدا فى شكر يعود عليه أو على الكون أثره يقدم مصلحة معيشتة على سائر الطاعات لا يبالى بما فات من نوافل العبادات فى طلب ذلك يراشى الظلمة إذا قصدوه باذى ولا يتصرف فيهم بعزل ولا نكال إذا جاروا عليه فإن جاروا على غيره من الرعية فله ذلك لا يبدأ بالإحسان من لا يبدؤه إلا ان يكون المبدؤ فقيراً وذلك لئلا يتكلف المبدؤ بالمكافاة يحب العلماء والصلحاء وإن كانوا على غير قدم كامل لا يداهن أحدا من أخواته ولو كبيراً أحب اخوانه إليه من يرشده إلى عيوبه لا ينفر من شىء ولا يرغب فى شىء ولا يزهد فى شىء الا تبعا للشارع يكره كل من ينقل اليه عيوب ويهجره ولو كان صديقه يصحب الناس على قدر أخلاقهم ولا يصحبه هو أحد لا يسبق قوله فعله ولا يزور أحدا من الفقراء إلا بغالب ما يقتات به لا يشغل نفسه بالرد على أحد من أهل الإسلام لأن الإسلام يعمهم كلهم لا يكذب بما تحيله العقول فإن الله على كل شىء قدير لا يخوض قط فيما لا يعلم يحب التكبير إلى سببه الذى أقامه الله فيه ويكره

البطالة يكره العزلة عن الناس وإن كانت فى طاعة لأنهـا فرع من شهود نفسه خيرا منهم ولو شهدهم خيرا منه لاستغنـهم مجالستهم كالصالحين لا يخرج لصلاة غيـر الجمعة إلا بعد سمـاع حى على الصلاة وذلك حتى لا يأتى إلا بأذن يرى جميع الاعمال تحت المشـيئة قبولا وردا يدور مع الحق حيث دار لا يعتب على احـد جفاه ولا يقول لاحد لم لا تـتردد الينا احتقار الـنفسه لا يوبخ قط احد على ذلة ولا يكتم عن احد مـا اعطاه له من العلوم والمعارف اظهـارا للشكور يتكلم من تحت العـوائد بالله والله يحب سمـاع القليل من القران دون الكثير خوفا من حصول الملل لا يرى مفتاح الغيب إلا من عالم الغيب والشهادة عـنده من الخوف ما يشغله عن الرجاء يشهـد جميع ما فى الوجود بعـين واحدة يتبع الجـميع يخرج عند نزول البـلاء فإن كان معـروفا تعظيمـا لأمر الله عز وجل لا يتـحجب عنه أوصاف عـبوديته طرفـة عين لا يكون له عائق عن حضرة الله ﷺ فى سـاعة من ليل أو نهار ومن هنا قلل الأكابر الأكل والشرب لئـلا يحتاجون إلى البول والغائط ولا يشـهد غير الله عند استيـلاء ذكره يخشع بحيث يذكر الله تعـالى عند رؤيته دائما مع الله بلا وصل وبلا فصل لا يأخـذ أعماله إلا عن الله ولا يرجع فيـها إلا إلى الله لا يفارقه شهود الافتقار إلى الله تعالى طرفة عين لئلا يحرم مدد الله المتنزل قال تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية لايأسف قط على شيء فإن من امر الدنيـا والآخرة لأنه لو كـان له ما فات يطاءه البـر والفاجـر كالأرض لا يتكدر ممن حضره فوق ما يقول قلـبه حاضر مع الله تعالى فى سائر الاحوال فيفتح له فى حال جماعة ما يفتح له فى حال صلاته له وقت لا يسعه فيه غير

ربه لا يتعمل ولا يجتلب يسع الاشياء ولا تسعه هى يصادف فى احكامه الشريعة من غير قصد لحفظه من الزيغ يكرم كل وارد ويتأدب مع كل شاهد يرى رجوعه عن حضرة الحق سلوكا وحجابه عنه شهودا وسره لا يعلمه زرة يوحد الله تعالى بالكثرة يعلم ما وراء الحجب من غير رفع حجاب ومريد لكل ما يراد منه ولا يقول قط بالايجاد لأنه سوء أدب يغار على اسرار الحق أن تذاع بين المؤمنين لا العارفين وطرفاه مستويان نازل مثل ابده سواء تدور عليه جميع المقامات ولا يدور هو عليها لا يعرف له مقام فيوصف به ولا يفارق العوايد فيمير على غيره مخمول الذكر بين الاولياء والاخوان لا يعدوه منهم لما هو عليه من الخفاء عام الشفقة على جميع الخلق لكنه يفرق بين الرحمة بين من أمره الحق تعالى برحمته وبين من لم يأمره ليجعل لذلك الشخص خصوصا لأجل الأمر يعلم مكارم الأخلاق من سفسافها فينزل لها منازلها تنزيل حكيم يتبراء ممن يتبراء منه ويحسن اليه انتهى.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

صورة إجازة علماء مصر على اصل المؤلف الأولى

إجازة الشيخ شهاب الدين الفتوحى الحنبلى:

الحمد لله الوفي بما وعده المنعم من يشاء بالعيش الرغد المليء بتوفيه المواثيق والعهود المتفضل على كل موجود باللطف والكرم والجود الذى خص من شاء من العباد بأسرار المعانى ونور بصائرهم فبلغوا مقاصدهم بما اتوابه من حسن المبانى وكشف عنهم الحجب والستور فقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور، وحين اقبلوا على حضرته مخلصين قال لهم أدخلوها بسلام أمنين والصلاة والسلام على من هو قطب دائرة الأوائل والأواخر المبعوث من اشرف القبائل واطيب العناصر وعلى آله وأصحابه الذين انتصروا للدين فكانوا خير ناصر صلاة وسلاما دائمين ما تشرفت بذكره وبذكرهم المنابر، وبعد فقد اطلعت على هذا البحر العجاج المتلاطم بالامواج فسبحت فيه وابتهجت بنفايس درره غاية الابتهاج، وغصته وظفرت بجواهر فوائده التى انالها محتاج ووردته ورد ظمأن اتى اليه من بعد فجاج وتاملته المرة بعد المرة فإن تحت ذرة منه درة وروايته قد اشتمل من الفوائد على ادناها واقصاها فلا يغادر صغير ولا كبيرة الا احصاها كيف لا وهو بحر من بحور عشرة يدرك ذلك من تامله وتدبره وبالجملة فهو مؤلف فريد فى فنه وصنفه لا يأتيه باطل لا من بين يديه ولا من خلفه لا يقدح فى معانيه إلا جاهل معاند أو مائل عن طريق الحق لاجل غرضه الفاسد فسبحان من ذلل لمؤلفه كل صعب شرود. والآن لمؤلفه الألفاظ الرشيقة كما ألين

الحديد لداود مع كونها مطابقة لمقتضى الحال مشتملة من البلاغة على من هو كالسحر الحلال وصدق فيه المثل الساير كما ترك الأول للآخر فجزاه الله خيرا فيما صنع واثابه الثواب الجزيل على ما وضع واقامه للعلوم يبديها ويظهرها وللفوائد يخرجها وينشرها أمتع الله الوجود بوجوده وأفاض عليه سحائب كرمه وجوده وغمره فى فضله ورحمته ونفعنى والمسلمين ببركته وختم لى وله بالحسنى وبؤنى وإياه المحل الاسمى إنه غفور رحيم جواد كريم وكنيته فقير رحمة ربه العلى احمد بن عبد العزيز بن على الفتوحى الحنبلى الشهير بابن النجار اجاره الله من عذاب النار وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

إجازة الشيخ ناصر الدين اللقانى المالكى:

الحمد لله الذى أفاض على قلوب اصفيائه عوارف المعارف وفجر من قلوبهم عيون الحكم واللطائف ورصع بنفائس جواهرها صفائح الصحائف وكشف عن بصائرهم حجب الأستار فتجلت لهم حقائق الاسرارونطقت السنتهم بسما لم تحله العقول وحير الأفكار والصلاة والسلام على سيدنا محمد مظهر المعارف الربانية والحقائق اللدنية قطب دائرة الوجود وممد كل ممد وممدود وعلى اله وأصحابه والتابعين صلاة وسلاما إلى يوم الدين وبعد فقد وقفت على هذا المصنف الشريف والاسلوب اللطيف المشتمل على حقائق ورقائق ونكت لطيفة ودقائق حقيقة بأن تكتب بماء الذهب بل بسواد العيون وأن تشترى بنفائس الأرواح لا بنقد العيون لما فيها من الحكم واداب السلوك وخلاصة الإخلاص المذهب للأوهام والشكوك وكفى هذا المصنف

شرفا أن لسان الناظر حاله وبيانه ناطق بعلو قدره وشأنه بحيث ان الناظر فى تلك العهود يمزق مالوف نفسه المعهود وما هى إلا منح ربانيه ومواهب قدسيه وخص بها الكريم الوهاب عبده الأواب حشرنى الله في زمرته ونفعنى فى الدارين ببركته وأفاض علينا من مدده وعمر قلوبنا بوده.

وصلى الله على نبيه وعبده واله وصحبه وجنده قال ذلك وكتبه الفقير الحقير ناصر بن حسن اللقانى المالكى غفر الله له ولوالديه والحمد لله رب العالمين.

إجازة شهاب الدين بن الشلبي الحنفي:

الحمد لله الذى أودع قلوب الأولياء طريق الحكم وانارها بانوار معرفته وازاح عنها كثائف أستار الظلم وغيبهم فى البحر المورود للحقائق فنطقوا بما يشهد له العقول من الرقائق واخذ عليهم المواثيق والعهود فلم ينقضوها قدام لهم بذلك الشهود وألبسهم من ملابس المعارف وقارا ورفع لهم من حجب جلال عظمته أستارا واجلسهم على بساط أنسه وتجلى لهم فى حضرات قدسه فخلفوا فيه عذرا وهاموا فى حبه فتراهم مطلقين وهم اسارى وتاهوا فى تيه ملكوتيته فهم فى تحقيق معرفته حيارى اديرت عليهم زجاجات المناجاة فتراهم سكارى وما هم بسكارى وهبت عليهم عند الوصول نسمات القبول اسحارا فاذا كانت علومهم عن فيض الوهاب لا عن كشف كتب وتعب الاكتساب فسبحان المتفضل المنان الواهب لمن شاء ما شاء فى سائر الأزمان أحمده على ما وهب من أفضاله وأشكره على جزيل نواله واشهد أن لا إله إلا الله إله واحد عمر جوده الكائنات وعم بسره العارفين فأفاضوا على

المريدين نفائس الكرامات واشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله بحر المعارف ومنبع الشرائع والعلوم واللطائف صلاة ابدية تليق بقدس كماله إلا قدس وتصلح لكبير مقام جلاله إلا نفس ورضى الله عن اله وأصحابه سيوف الحق وعيون الحقائق، وعقود سلك الطرق ونجوم سلوك الطرائق وعلى التابعين لهم بإحسان وعلى العلماء والصالحين فى كل زمان، اما بعد فقد وقفت على هذا الكتاب الذى هو تحفة المريد وروضة الأحباب فإنه البحر يعب عبابه والشرع الذى يحلو لأهل الطريق شرابه فوردت ما فضله الصافى وترديت برداء محاسنه الصافى، فالله تعالى يبقى مؤلفه إماماً تصطف خلفه المريدون فيؤمهم بنوافل فضائله وبره ولا برح جيد الزمان حاليا بوجوده والناس ناطقين بحمده وشكره قال ذلك وكتبه الفقير الحقير المحب له على الحقيقة سائلا من فضل الله ان يكون فى الاخرة رفيقه أحمد بن يونس الحنفى الشهير بابن الشلبى أعطاه الله تعالى سؤله وبلغه فى الدارين ما موله وما ذلك على الله بعزيز وغفر له ولوالديه ولمشايخه وإخوانه والمسلمين حامدا مصليا ومسلما على أشرف خلقه سيدنا محمد وعلى أله وصحبه والتابعين.

اجازة الشيخ شهاب الدين الرملى الشافعى

الحمد لله الذى تعزز فى اذليته بعز كبريائه وتوحد فى أحديته بدوام قلوب أوليائه وطيب اسرار القاصدين إليه من طيب ثنائه وسكن خوف الخائفين بحسن رجاءه ونعم أرواح المحبين فى رياض معانى أسمائه واسبغ على الكافة جزيل أعطائه ظهرت شواهد وجوده فدليل على توحيد فى ضبائه

فالعلوى والسفلى والجنى والانسى على دائرة الافتقار إلى تدبيره وابقائه له الجلال والجمال وبالكمال والثناء الذى قصرت جميع الألباب من الأولين والاخرين عن احصائه فالصامت ناطق من حيث الدلالة والناطق صامت وان بالغ فى المقالة فإن للعقل حدا يقف عند انتهائه فرط المعطل فما اهتدى وأول المشبه واعتدى فهلكا فى قفار الجهل ببيدانه والعارف اشرف قلبه بمعرفة الله وأطرق سره لهيبة الله فتسربل بحيائه فسبحان من تقرب برافته ورحمته إلى قلوب أوليائه واحبائه وتعرف إلى أحبابه بمحاسن صفاته فانبسطوا لذكره ودعائه أحمده حمد معترف بالعجز عن عدد الائه منتظر زوائد بره ونعمائه مستجير به من بعده واقصائه واشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة تضمن بالحسنى لقائلها يوم لقائه ووعده بزيارة النظر إليه وهو أحق بوفائه واشهد ان سيدنا ونبينا محمدا ﷺ عبده ورسوله خاتم أنبيائه وسيد اصفيائه المخصوص بالمقام المحمود فى اليوم المشهود فجميع الأنبياء تحت لوائه ﷺ وعلى آله وأصحابه وخلفائه وعلى من اقتفى أثرهم إلى يوم الدين ففاز باقتفائه صلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم لقائه وبعد فقد وقفت على هذا المؤلف العجيب والفرد الغريب والبديع الشريف والمجموع الحسن الظريف المشتمل على الألفاظ الرائقة والمعانى المتناسقة فجزا الله مؤلفه خيرا وأجزل له مثوبة واجرا فلقد بذل فى نصح سالك طريق القوم الغاية وفى إرشاده إلى إماته نفسه وترقيه إلى نهاية فالله يكثر النفع بوجوده ويعاملنى وإياه فى الدارين بفضله وجوده وكتبه العبد الفقير المفتقر بالعجز والتقصير الراجى عفو ربه القدير أحمد بن أحمد بن حمزة الرملى

الأنصارى الشافعى غفر لله له ولوالديه ولمـشايخه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سـيدنا مـحمد وعلى الـه وصحبـه وسلم وحسـبنا الله ونعم الوكيل يقول مؤلفها عـفى الله عنه قد أرسلت هذا الكتاب لسيدى الشيخ بن عبد الحق تغمده الله برحمته فـمكث عنده سنتًا ونصفا ومر عليه مرات وقال للشيخ ابى اللطيف ابن عمه قد استفدت من هذا الكتاب المبارك فوائد كثيرة واخذته المنية قبل كتابته عليه رحمه الله.

وكان الفراغ من كتابته يوم الجمعة ستة عشر خلت من شهر رجب سنة ١٢٧٨ تم طبع الكتـاب المستطاب مكتـوبا بقلم افقر العـباد لمـولاه ذى المنن العـبيـد المـسكين الطوخى حسن غـفـر له.